ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵢⵙⵓⵍⵜ ⵏ ⵜⵙⴳⵎⵉ ⴷ ⵜⵙⵔⴰⴹⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⴰⵏⵉⵏ
ⵙ-ⴼⴰⵙ

Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Saïs -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"
تكوين الدكتوراه : التاريخ والتراث
محور :التاريخ
مختبر : البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية.

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع :

وجهاء المجتمع بمكناس قبل الاستعمار (1672 –1912م)

مساهمة في دراسة المجتمعات الحضرية بالمغرب

إعداد الطالب الباحث:
عزيز اليحياوي الادريسي
رقم التسجيل: 237CED/14

اسم الأستاذ المشرف:
الدكتور عبد المالك ناصري

تاريخ المناقشة: 05 مارس 2021م

لجنة الماقشة:

الدكتور: محمد حاتمي	(كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس– فاس).....رئيسا
الدكتور: جمال حيمر	(كلية الآداب والعلوم الإنسانية– مكناس).....عضوا
الدكتور: محمد اليزيدي	(كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز– فاس).....عضوا
الدكتور: عبد المالك ناصري	(كلية متعددة التخصصات– تازة).....مشرفا ومقررا

السنة الجامعية : 2019/ 2020م

المقدمة:

يعتبر البحث في التاريخ الاجتماعي من أهم المواضيع التي أصبحت تحظى بأهمية متزايدة في الوقت الراهن، فهو من الحقول المعرفية التي مازالت تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتقصي والتنقيب، على اعتبار أنه مجال للدراسات التاريخية التي تتناول تشكل وتطور بنيات المجتمع الحضري، فهو «**بمثابة قاطرة تتصدر عملية تحديث الذاكرة الجامعية** (...)، **وبداية تراكم تعبر عن رغبة في التجديد، تتمثل في توسيع مفهوم التاريخ** (...)، **ومن الملاحظ أن مؤرخ المجتمع يبحث عن العلاقات الاجتماعية في تجلياتها المختلفة**»[1].

وانطلاقا من هذه الأهمية، وانسجاما مع التوجه العام للبحث التاريخي بالمغرب، الذي يعطي للدراسات المنوغرافية أهمية كبيرة، لأنها تضمن تخليص تاريخ المغرب من العموميات، وتسهم في فتح إمكانية النظر والتفكير والتدقيق في عمق الإشكاليات المطروحة، عن طريق طرح أسئلة جديدة ومعالجة قضايا ومواضيع متنوعة بشكل مندمج مع السيرورة العامة لتاريخ المغرب.

وفي هذا الإطار؛ انصب مجهودنا في البحث عن التاريخ الاجتماعي لمدينة مكناس؛ الذي مر بفترات؛ ففي مرحلة أولى أردنا الاشتغال على موضوع "المجتمع المكناسي من خلال الكتابات الأجنبية خلال عهد مولاي إسماعيل (1672- 1727م)، وبعد فترة من الزمن اتضح أن موضوعنا أحادي الجانب، يتناول المجتمع من جانب واحد، فارتأينا توسيع وتنويع مصادر بحثنا حتى نستطيع رسم صورة عن هذا المجتمع تمكننا من فهم بعض القضايا المتعلقة به، من خلال المقابلة بين المصادر للخروج باستنتاجات، ثم تبين لنا أن اقتصارنا على العهد الإسماعيلي، الذي

[1]- عبد الأحد السبتي، «التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية»، ضمن **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات مناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص.43.

دام حوالي 55 سنة، يسعف في رصد وتتبع التحولات التي عرفها المجتمع المكناسي، ففضلنا تمديد الفترة الزمنية إلى سنة الاحتلال الفرنسي للمغرب سنة 1912م.

استرعى اهتمامنا خلال فترة اشتغالنا شريحة اجتماعية بارزة، اضطلعت بأدوار مهمة في صناعة الأحداث والوقائع التي أسهمت في التحولات التي عرفتها مدينة مكناس خاصة، والمغرب عامة، وعلى هذا الأساس؛ وبإيعاز من أستاذنا المشرف عبد المالك ناصري –حفظه الله– استقر بنا المقام على تخصيص دراستنا للشخصيات المتنفذة داخل المجتمع المكناسي ألا وهم "الوجهاء". فجاء موضوع الأطروحة على الصيغة الآتية:

وجهاء المجتمع بمكناس قبل الاستعمار (1672م– 1912م)

مساهمة في دراسة المجتمعات الحضرية بالمغرب.

إن دراسة موضوع الوجهاء هي دراسة للظواهر التاريخية انطلاقا من عينات مجهرية دقيقة، تسهم في فهم خصوصيات وتطورات مجتمع معين، على اعتبار أن الوجاهة تشكل إطارا نظريا لرصد التمايز داخله، فلطالما كان المجتمع في حاجة إلى وجود أشخاص ذوي جاه ونفوذ، يستطيعون بما يتمتعون به من خصائص توجيه المجتمع وتسيير شؤونه وتدبير أموره.

وجدير بالذكر أن حديثنا عن الوجاهة والوجهاء ليس الغرض منه تصنيف الناس وتكوين تراتبية طبقية، بقدر ما هو دراسة وتبيان لواقع اجتماعي عرفه المجتمع بمكناس.

وحري بنا الإشارة إلى أن تناولنا لموضوع "الوجهاء" كمفهوم رئيسي في دراستنا، لوصف العناصر الفاعلة والمؤثرة داخل المجتمع بمكناس، قد يعتبره البعض نوعا من المجازفة والمغامرة، والبعض الآخر قد يثير عنده تحفظا، بل وحتى اعتراضا، تحت ذريعة الخوف من الوقوع في إسقاط مفاهيم معاصرة على فترات تاريخية سابقة، مما يفقد البحث التاريخي قيمته.

لا نخفي سرا أن هذه القضية أثارت تخوفنا وفضولنا في الوقت نفسه، دفعنا إلى رفع التحدي، فأصبح يتعين علينا لزوما تأطير مفهوم "الوجاهة" منهجيا من خلال التأصيل له، والكشف عما إذا وظف في المصادر موضوع دراستنا.

وباستقرائنا لتلك المصادر، توصلنا إلى حقيقة مفادها أن الحديث عن "الوجهاء" هو مفهوم أصيل، تداول بشكل ملفت خلال المرحلة المدروسة (1672- 1912م)، حيث حوت إشارات كثيرة و معلومات قيمة، نقتصر على ذكر البعض منها:

- الأرشيف المخزني: من خلال اطلاعنا على الرسائل السلطانية خاصة الموجهة من السلاطين العلويين لبعض الشخصيات المكناسية، توصلنا إلى ورود كلمة "الوجيه" في العديد منها:

الرسالة/ الظهير	التاريخ	العبارة	المصدر
ظهير إنعام السلطان المولى إسماعيل على طبيبه عبد الوهاب	صفر 1137هـ/ 22 أكتوبر 1724م	«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد خديمنا الفقيه الأجل (...) ابن الفقيه النزيه، الحكيم **الوجيه**، السيد أحمد أدراق (...) »	عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج 5، ص. 471.
ظهير السلطان المولى محمد بن عبد الله لصالح الطيب بن علي الشريف	13 شوال 1172هـ/ 8 يونيو 1759م	«كتابنا هذا (...) يستقر بيد حامله الشريف الأرضى، **الوجيه** المحترم المرتضى، سيدنا مولاى الطيب ابن على سليل الولى الصالح (...) »	ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص. 102.

رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى الكاتب محمد بن ادريس	8 ذي القعدة 1260هـ/ 18 نونبر 1844	«محبنا الفقيه **الوجيه** كاتب الأوامر الشريف السيد محمد بن ادريس أعانك الله (... »)	مديرية الوثائق الملكية، محفظة مكناس، رقم 1.

- الرسوم: ضم هذا النوع من المصادر معلومات مهمة عن بعض أعلام مدينة مكناس الذين وصفوا بالوجهاء، منها:

الموضوع	تاريخ الرسم	العبارة	المصدر
وثيقة إسماعيلية بمعاوضة عقارية	ذو القعدة 1096هـ/ أكتوبر 1685م	«الحمد لله، انعقدت المعاوضة –ببركة الله– بين الشريف **الوجيه**، الخير محمد دعى بسيدي حم بن ادريس ابن وحود الحسني المنوني (...) »	محمد المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، ص. 100.
رسم استعادة بعض الأراضي، وإلحاقها بأوقاف جامع الخضراء.	رمضان 1118هـ/ دجنبر 1706م	«ناظر أوقاف (...) الفقيه النبيه الأمين **الوجيه** أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب القيسي(...) »	حوالة المساجد الصغار، رقم 4، ص 180- 181.
رسم تحبيس	جمادى الثانية 1135هـ/ مارس	«الحمد لله حضر لدي شهيديه التاجر **الأوجه** الخير	ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 1،

	1726م.	الدين الأرضي الأبر السيد الحاج مسعود(...) »	ص. 129.
رسم تحلية للطيب بن غازي المكناسي.	رجب 1157هـ/ غشت 1744م	«**وجيه** نزيه مبجل، علامة مدرس نفاع، كانت له رياسة وزارة الأوقاف المغربية، في سائر الإيالة العلوية (...) »	ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص. 111.
رسم شراء محمد الحريف المكناسي من أحد الأشخاص جنانا.	عام 1259 هـ/ 1843م.	«فقد اشترى الشريف الأرضى **الوجيه** المرتضى سيدي محمد بن المرحوم الأفضل مولاي عبد السلام الحريف (...) »	الطيب بن عبد القادر الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، نسخة مرقونة دون تاريخ الرقن، ص. 32.
رسم يخص أحد وجهاء أسرة الحريف	عام 1277هـ/ 1860- 1861م.	«الحمد لله أشهد الفقيه الأجل **الوجيه** النزيه المبجل نائب العلامة الدراكة الفهامة (...) »	الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق، ص.** 38.

- المصنفات التاريخية: تعج بالعبارات المشتقة من الوجاهة في سياق تحليتها والإشادة بهم، وهو ما سيتضح جليا في الفصل الأول الذي خصصناه للتعريف بوجهاء المجتمع بمكناس. إضافة إلى بعض كتب النوازل التي عالجت قضايا تهم المجتمع المغربي عامة والمكناسي

خاصة، أبرزها نوازل العالم المكناسي محمد بن الحسن المجاصي الذي عاصر السلطان المولى إسماعيل، فقد استخدم مفهوم الوجاهة/ الجاه في عدد من المسائل التي طرحت عليه[2].

ودون مضاعفة الأمثلة، نعتقد أن في هذه النماذج ما يكفي ليثبت صحة تبنينا لمفهوم "الوجهاء"، وصواب توظيفنا إياه في وصف بعض أعلام المجتمع بمكناس.

أهمية الموضوع ودواعي اختياره:

تكمن أهمية موضوع أطروحتنا في محاولة إماطة اللثام عن فئة اجتماعية نافذة –لم تحظ بعد باهتمام الباحثين في تاريخ مدينة مكناس– تمتعت بالجاه والحظوة والنفوذ، أكسبها مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة داخل مراتب سلم المجتمع بمكناس، ومحاولة كشف أوضاعها وعلاقاتها فيما بينها، وإثارة بعض القضايا المرتبطة بمجال تحركها وانعكاساتها على الأوضاع بمختلف مناحيها.

كما نطمح للوصول إلى بعض النتائج التي تتسم بالأصالة والجدة، فالدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ مدينة مكناس في –حدود اطلاعنا– عبر فترات زمنية مختلفة، اقتصرت على دراسة تاريخ المدينة من النواحي السياسية والعمرانية والاقتصادية بشكل مستفيض[3]، نذكر من جملتها حسب تاريخ مناقشتها:

- ✓ محمد اللحية، الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر (1850– 1912م)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1404هـ/ 1984م،(مرقونة).

[2]– محمد بن الحسن المجاصي، **نوازل المجاصي**، دراسة وتحقيق هشام الكراس، أطروحة دكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، السنة الجامعية 2013– 2014م، صص. 232– 432– 384.

[3]– حاولت بعض الأبحاث الرصينة ملامسة تاريخ مدينة مكناس الاجتماعي من خلال التركيز على فئة العوام، غير أنها لم تتناول المرحلة التي يعالجها موضوع هذه الأطروحة. انظر: ابراهيم القادري بوتشيش، «عوام مكناس في العصر الوسيط قراءة تحليلية في أوضاعهم ومحنهم»، **ضمن إسهامات في التاريخ الاقتصادي– الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط**، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997م.

- ✓ بوشتى بوعسرية، مكناس: المدينة الجديدة التأسيس- البنيات الادارية- التاناقضات 1911-1939م، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1994- 1995م، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ[4].
- ✓ رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082- 1139هـ/ 1672-1727م[5].
- ✓ عبد الرحيم الزيداني، مكناس ما بين 875- 1068هـ/ 1471 و1658م: العصر الوطاسي والسعدي، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز – فاس، 1998- 1999م، (مرقونة).
- ✓ عبد المالك ناصري، الخريطة المعمارية لمدينة مكناس: دراسة تاريخية ومعمارية، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م،(مرقونة).
- ✓ جمال حيمر، مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني، أطروحة شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م[6].
- ✓ عبد الواحد الهاروني علوي، الأضرحة والمزارات في مكناس، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كليه الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003-2004م،(مرقونة).

---

[4]- بوشتى بوعسرية، **مكناس المدينة الجديدة: التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات: 1911-1939م**، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1999م.

[5]- رقية بلقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082-1139 هـ، 1672-1727 م**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1993م.

[6]- جمال حيمر، **مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني**، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 17، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس ، 2006م.

- ✓ قمر الزرهوني، الحياة الفكرية في مكناس في العهد السعدي: الفترة الممتدة ما بين : 1550م – 1650م، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كليه الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2004– 2005م،(مرقونة).
- ✓ محمد اللحية، مدينة مكناس الوسيطية: النشأة والتمدن: 452-645هـ/1060-1247م، أطروحة **دكتوراه الدولة في التاريخ**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م[7].
- ✓ عبد الإله لغزاوي، مونوغرافية المقدَّس المكناسي: مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2007– 2008م[8].
- ✓ حسنة مازي، مجتمع مكناس المدينة القديمة على عهد الحماية (1912-1956م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، (مرقونة).

وهكذا؛ نخلص إلى أن دراسة المجتمع بمكناس، وخاصة فئة الوجهاء، لم يفرد لها دراسة مستقلة، إذ أوردت أغلب الدراسات الأكاديمية حول المدينة إشارات مجملة ومقتضبة عن هذا الموضوع. إضافة إلى أن الفترة الزمنية موضوع دراستنا –العصرين الحديث والمعاصر (1672-1912م)- يكسب أطروحتنا أهمية خاصة.

من هنا تأتي أهمية موضوع بحثنا، الذي سنحاول فيه التركيز على الجانب الاجتماعي بمدينة مكناس، من خلال التركيز على مكون رئيس من مكونات المجتمع، أسهم مساهمة فاعلة ومؤثرة في مختلف التحولات والتطورات التي شهدتها المدينة.

---

[7]- محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة المغربية الوسيطية وتمدنها: مدينة مكناس، 452-645 هـ، 1060-1247م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، 2011م.

[8]- عبد الإله لغزاوي، **مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس: مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2010م.

أما فيما يخص دواعي اختيار الموضوع فيمكن إجمالها في:

- **أسباب ذاتية:** مرتبطة بالبعد النفسي/ العاطفي، باعتباري أنتمي إلى مكناس المدينة العريقة – ولادة ومنشأ- يشدني إليها الشوق والحنين، من هنا تولد لدي شعور شخصي في التعرف أكثر على هذه المدينة. إضافة إلى رغبتي في استكمال العمل الذي دشنته في سلك الماستر، حيث كان للبحث الذي أنجزته عن مدينة مكناس من خلال بعض المصادر الأجنبية على عهد مولاي اسماعيل (1672- 1727م) منطلقا أساسيا وعاملا رئيسيا شجعني على الاهتمام بالموضوع. كما كان لأستاذي المشرف -مشكورا- دور مهم في اقتحام مثل هذه المواضيع التي لم يتم التطرق إليها بعد فيما يخص مدينة مكناس.
- **أسباب موضوعية:** متعلقة بالبعد القيمي والمتمثل في قلة الدراسات والأبحاث العلمية الأكاديمية –في حدود اطلاعنا- التي اهتمت بالموضوع، إذ أن معظمها تناول مدينة مكناس من الجوانب السياسية أوالعسكرية أوالمعمارية أوالاقتصادية، فرغبتنا في تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب تاريخ المدينة في شقه الاجتماعي، من خلال القيام بدراسة تاريخية تفصيلية لمكون أساسي من مكونات المجتمع بمكناس، ساهم مساهمة كبيرة وفاعلة في بلورة سيرورة تطوره المجتمع، وبالتالي محاولة فهم طبيعة الشخصية المكناسية. كما حفزنا لاخيار موضوعنا محاولة المساهمة في ملء بعض الثغرات في الدراسات الاجتماعية، وفتح آفاق جديدة لدراسة باقي مكونات المجتمع المكناسي. من شأنه أن يغني التعريف بمدينة مكناس.

حدود الموضوع زمنيا ومجاليا:

يمتد موضوع أطروحتنا من سنة 1672م إلى سنة 1911م، ويفسر اختيارنا للسنتين كمحددين للإطار الزمني، كون سنة 1672م تشكل بداية بروز مدينة مكناس وارتقائها إلى مرتبة الحاضرة السلطانية، حيث سعى السلطان مولاي إسماعيل ليجعلها عاصمة في مستوى الأحداث

التي شهدها المغرب خلال تلك الفترة[9]، وهو ما سمح بحدوث تطورات عميقة في البنية الاجتماعية للمجتمع المكناسي باعتلاء عدد من العائلات والأسر واجهة المجتمع، واضطلاعها بأدوار ريادية تجاوزت حدود المدينة الجغرافية. أما سنة 1912م فهي تاريخ توقيع الحماية الفرنسية على المغرب، حيث سبقها قبل سنة من ذلك احتلال مدينة مكناس أي سنة 1911م، دخلت بعدها المدينة حقبة جديدة، اتسمت بأحداث سياسية كبيرة أثرت على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

إن اختيارنا لفترة زمنية تقارب قرنين ونصف من شأنه أن يسمح لنا برصد التحولات التي شهدتها فئة الوجهاء، ومحاولة تحديد الثابت والمتحول فيها.

أما بالنسبة لمجال موضوع أطروحتنا حصرناه في مدينة مكناس.

إشكالية الأطروحة والمنهج المعتمد:

تتمحور إشكالية موضوع دراستنا حول محاولة الوقوف على وضع الوجهاء داخل المجتمع بمكناس والتعرف على بعض القضايا المتعلقة به في فترة ما قبل الاستعمار (1672م- 1912م)، من خلال رصد مختلف الأدوار والمهام التي اضطلعوا بها، والبحث في واقع العلاقات التي انخرطوا فيها بتقاطعاتها وتمفصلاتها، ومدى تأثيرهم وتأثرهم بها. ونعتقد أن مقاربة هذه الإشكالية يتطلب منا البحث في مجموعة من التساؤلات الفرعية التي حددناها فيما يلي:

- ما هي أبرز البيوتات الوجيهة التي ظهرت داخل المجتمع المكناسي؟ وما أصولها؟ ومن هي الشخصيات النافذة فيها؟ وما هي أهم الخصائص والميزات التي توفر عليها الوجهاء جعلتهم طبقة مميزة داخل مجتمعهم؟ وما العوامل التي ساعدتهم على تصدر واجهة المجتمع؟

[9]- عبد المالك ناصري، «مكناس من الحصن العسكري في العصر الوسيط إلى عاصمة للدولة في العصر الحديث»، ضمن أشغال الأيام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي، 29-30-31 أكتوبر و 01 نونبر2008، في موضوع: **فاس والمجالات الحضرية بالمغرب: التاريخ والتراث والمجتمع**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الطبعة الأولى، 2013م. ص. 191.

- ما هي أهم الخطط والوظائف التي شغلها وجهاء المجتمع المكناسي؟ وما هي الشروط التي أهلتهم لممارستها؟ وكيف كانت تتم عملية إسناد تلك المناصب؟ وكيف استثمروها لصيانة وجاهتهم وتجذيرها؟
- ما هي طبيعة العلاقات التي أقامها وجهاء المجتمع المكناسي بالمخزن العلوي ؟ هل يمكن القول إنها علاقة انبنت على التقارب والاحتواء؟ أم علاقة اتسمت بالتباعد والنفور؟ وما الشواهد الدالة على تلك العلاقات؟ وما الأسباب المتحكمة في تحديد طبيعتها ونوعيتها وحجمها؟
- ما هي دوافع اعتماد السلاطين على وجهاء مدينة مكناس؟ وما هي طبيعة الأدوار والمسؤوليات التي اضطلع بها هؤلاء الوجهاء؟ وكيف مكنتهم من المشاركة في صناعة الأحداث التي شهدها المغرب؟ وما هي حدود تلك المشاركة؟ وما نتائجها؟
- ما هي مظاهر التوتر والتنافر والتباعد التي طبعت العلاقات بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين؟ وما هي أسباب ذلك التوتر؟ ومن هو الطرف المتحكم في تحديد تلك العلاقة المتأزمة؟
- ما هي نوعية العلاقات الناظمة بين وجهاء المجتمع المكناسي؟ وما هي مظاهرها وأشكالها؟ وما هي الوسائل التي اعتمدت فيها؟ وما هي المعطيات المرتبطه بها؟ وما هو موقف السلاطين منها؟
- ما هي طبيعة العلاقات التي جمعت الوجهاء بمكونات المجتمع المكناسي؟ وما هي أبرز مظاهرها وأهم أشكالها؟ وما هي أبعاد أثرها على الطرفين؟
- ما هي أهم آليات التسرب الأجنبي ومظاهرها بمكناس ؟ وما هو موقف وجهاء المدينة من هذا التسرب؟ وما هي أبعاد أثره على وضع الوجاهة داخل المجتمع بمكناس؟
- كيف كان موقف وجهاء مكناس من التدخل العسكري الفرنسي في مدينتهم؟ وما هي انعكاساته على الوضع العام بالمدينة؟
- كيف أثر الوجهاء في التحولات التي عرفها المجتمع بمكناس؟

إن طبيعة الإشكالية الرئيسية المؤطرة لموضوع أطروحتنا وما تفرع عنها من أسئلة مفصلية، دفعتنا إلى اعتماد مقاربات منهجية متكاملة ومتداخلة، تتمثل في المنهج الوصفي السردي للمعطيات التاريخية المستقاة من المادة المصدرية، وهذا المنهج لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزه أو الاستغناء عنه، فهوالأساس، لأنه يساعدنا في تحديد وجهاء المجتمع بمكناس، والتعرف على أهم الأحداث والوقائع التي عايشوها أو ساهموا في صناعتها. كما اعتمدنا المنهج التحليلي من خلال إخضاع المادة العلمية التاريخية مختلف للمساءلة والتفكيك والنقد والتركيب، لاستخلاص طبيعة الأدوار التي نهض بها وجهاء المجتمع بمكناس خلال الفترة المدروسة، وإبراز نوعية العلاقات التي انتظموا فيها. وهذا المنهج مهم لفهم التحولات التي مست أولئك الوجهاء. إضافة إلى توظيفنا للمنهج المقارن بالبحث عن نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق، عن طريق المقابلة المعمقة والمطابقة بين مختلف صنوف المصادر المغربية والأجنبية، للخروج بنظرة أقرب إلى الواقع التاريخي بعيدا عن النظرة الأحادية والتحليل الضيق.

العوائق والصعوبات:

خلال إنجازنا لموضوع الأطروحة اعترضتنا مجموعة من العوائق والصعوبات، فخلال السنوات الأولى وجدنا أنفسنا في أغلب الأحيان تائهين كأننا نسير في طريق مظلم لا نكاد نتحسس ملامحه أو نحدد مؤشراته، ورغم ذلك لم تثن عزيمتنا في مواصلة البحث والتنقيب عن كل ما من شأنه أن يذلل تلك الصعوبات، ومع مرور الوقت بدأت الرؤيا تتضح شيئا فشيئا بحمد الله تعالى وفضله، ثم بتوجيهات أستاذنا المشرف عبد المالك ناصري الذي لم يبخل علينا بنصائحه السديدة وإرشاداته النيرة، تجسدت بشكل واضح في الجلسات الشهرية التي كان يخصصها لنا منذ تسجيل الأطروحة في شهر فبراير 2014م، حيث كان في كل جلسة يطالبنا بإنجاز عمل محدد نصوغه في شكل تقرير، أدركنا فيما بعد الأهمية الكبرى التي تكتسيها تلك الجلسات –فجزاه الله عنا كل خير–. وعموما يمكن تلخيص بعض هذه الصعوبات في:

- ✓ اتساع قاعدة الموضوع، خصوصا أن طبيعة البحث المنوغرافي تجعله محدودا في الزمان والمكان والموضوع. بالإضافة إلى انفتاحه على تخصصات متعددة وحقول معرفية خاصة علم الاجتماع وعلم الأنساب.
- ✓ تركيز كتب الحوليات الخاصة بتاريخ المغرب عموما، على الأحداث السياسية والعسكرية، حيث لا نجد إلا إشارات طفيفة حول وجهاء مكناس، إذ لا تتم الإشارة إليهم إلا عرضا في إطار حديثها عن الحضور المخزني.
- ✓ تطرح المصادر البديلة مثل كتب المناقب والتراجم والتصوف والنوازل الفقهية والحوالات الحبسية والنصوص الشعرية إشكالات متعددة، فهي لا تزودنا بالمعلومات المتعلقة بالوجهاء بشكل مباشر، إضافة إلى أن استغلال مادتها يجعلها أداة غير طيعة، تقتضي جملة من الإجراءات لاعتمادها كمادة إخبارية.
- ✓ سوء حالة بعض الوثائق وصعوبة قراءتها، نتيجة الإهمال الكبير الذي أصابها.
- ✓ صعوبة استنباط المعلومات التاريخية والمادة العلمية من بعض الكتابات خاصة الأجنبية، والتي تتميز بالتهويل والمبالغة المفرطة في بعض الأحيان، بل والتحامل المخل في أحيان أخرى.
- ✓ مشكل تشابه بعض أسماء الشخصيات الوجيهة المنتمية لبيوتات مخلفة، وأحيانا يقع خلط حتى في اسم الشخصية الواحدة.
- ✓ صعوبة الحصول على البحوث والدراسات غير المطبوعة خصوصا الأكاديمية، إذ أن معظمها لا يتم الاستفادة منها بالشكل المطلوب، إضافة إلى تشتت هذه البحوث على كليات متعددة.
- ✓ فرض الكثير من القيود وصعوبة الحصول على المادة العلمية من مراجع ودوريات بسهولة.
- ✓ **صعوبات الوصول إلى مجتمع الدراسة، والذي تجلى في** تكتم بعض العائلات عن تزويدنا بما تمتلكه من وثائق خاصة، ورفضها تزويدنا بها، نظرا لحساسيتها.

نظرة موجزة عن مصادر الدراسة:

لمقاربة إشكالية الأطروحة والإجابة عن الأسئلة المتفرعة عنها، اعتمدنا على مادة مصدرية متنوعة حوت بين ثناياها معلومات مهمة حول موضوع بحثنا، تأرجحت بين المصادر المغربية والأجنبية، سنقتصر على ذكر ما اعتمدناه بدرجة كبيرة:

➢ المصادر

❖ الوثائق:

- **الأرشيف المخزني:**

✓ وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط: المحفظات المتعلقة بمدينة مكناس حسب عددها، مصنفة على الشكل الآتي:

- المحفظة رقم 1: ما بين 1012- 1265هـ/ 1603- 1848م.
- المحفظة رقم 2: 1260- 1289هـ/ 1849- 1869م.
- المحفظة رقم 3: 1290- 1303هـ/ 1873- 1885م.

✓ وثائق الخزانة الحسنية بالرباط: كنانيش، المحافظ المتعلقة بالسلاطين العلويين خلال العهد المدروس، المجموعة المعروفة بالمجموعة الزيدانية.

✓ الحوالات الحبسية:

- حوالة أحباس مكناس، رقم 4، عدد صفحاتها 220.رقم مصورتها 121.
- حوالة أحباس كبرى مكناس، رقم 5، عدد صفحاتها 386، رقم مصورتها 116.

✓ وثائق الأرشيف التاريخي بتطوان.

- **الأرشيف العائلي:**

✓ وثائق خاصة بالمحتسب آجانا.

✓ وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته، لمحمد المنوني.

✓ أسرة الحريف من خلال وثائق، للطيب بن عبد القادر الحريف.

- ✓ الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية، لصاحبه محمد بن عبد الكريم الشبيهي.
- ✓ تطييب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس، للطيب بن العربي بن عبد السلام الطاهري.

استفدنا منها في موضوعنا استفادة مهمة، حيث ضمت بين طياتها مجموعة من الوثائق الأصيلة على شكل ظهائر سلطانية ورسوم عدلية تهم بعض العائلات الوجيهة داخل المجتمع المكناسي.

❖ المصادر المطبوعة:

- ✓ إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لصاحبه عبد الرحمان ابن زيدان، هو تصنيف مونوغرافي ضخم، خصه المؤلف للشخصيات المشهورة التي لها علاقة بمكناس، إضافة إلى الأحداث الكبرى التي عرفتها المدينة. لهذا يعد أهم مصدر لأطروحتنا، حيث أمدنا بمعلومات قيمة أفادتنا في جرد أسماء وجهاء المجتمع المكناسي والتعرف على حياتهم.
- ✓ عبد الكريم الريفي، زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى اسماعيل، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.
- ✓ أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 1992م.
- ✓ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.
- ✓ محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، د..ت، جزآن.

✓ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.
✓ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشوراة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م، جزآن.
✓ الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، التنبيه المعرب عما كان عليه الآن حال المغرب، تقديم وتصحيح محمد المنوني، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م
✓ عبد الرحمان ابن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م.
✓ عبد الرحمان ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م.
✓ عبد الرحمان ابن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ.

وعلى الرغم من عمومية تلك المصادر وتركيزها على الجانب السياسي بشكل كبير، فقد تضمنت معلومات مهمة في سياق حديثها عن الوقائع السياسية المتمحورة حول السلاطين العلويين، استقينا منها مادة دسمة تخدم موضوع أطروحتنا، خاصة فيما يتعلق بالأدوار التي نهض بها وجهاء المجتمع بمكناس في إطار السياسة المخزنية، كما ساعدتنا على كشف شبكة العلاقات المتعددة الأشكال، التي اندرج فيها نسق تلك الشخصيات.

- **كتب التراجم والمناقب:**

✓ محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم 120.

✓ العربي البصري المكناسي، منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، الخزانة الحسنية، رقم 11564.
✓ محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر المواعظ والعبر من أعيان المائة والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
✓ محمد بن الطيب القادري،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، عدد الأجزاء 4.
✓ محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، جزآن.
✓ محمد المنالي الزيادي، سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية، تقديم وتحقيق عبد الحي اليملاحي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1433هـ/ 2012م.
✓ أبو القاسم الزياني، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.
✓ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، عدد الأجزاء 3.
✓ أحمد بن العياشي سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، قدم عليه إدريس العراقي الحسني، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1390هـ/ 1971م، عدد الأجزاء 4.

إن اعتمادنا على هذه الصنوف من المؤلفات أملاه طبيعة بحثنا، فحديثنا عن شخصيات بارزة في المجتمع بمكناس لا بد أن ينير مساره –حسب اعتقادنا- البحث والتنقيب ومطالعة أهم كتب التراجم والمناقب، لما تمثله نصوصها من مادة علمية غابت في المصادر الأخرى. وهي تكمن أهميتها في كونها تعرضت لبعض أعلام مكناس من مشاهير العلماء والفقهاء والصلحاء والأولياء والشرفاء والقضاة والأعيان، من خلال نقل أخبارهم وذكر أحوالهم وعطاءاتهم، وبالتالي الكشف عن نوعية الأدوار التي اضطلع بها الوجهاء بمكناس.

- **المصادر الأجنبية:**

✓ Sources Inédites de l'histoire du Maroc , Série Filalienne, Tomes I-VI.

أشرف على تجميعها واعتنى بإصدارها الكونت هنري دو كاستر، تضم في مجلداتها عددا كبيرا من الوثائق تشمل الفترة العلوية، وتتكون هذه المجموعة من ستة أجزاء: الأول يتناول الفترة بين سنتي 1661 و 1682. الثاني يهم الفترة ما بين 1682- 1686م. الثالث يغطي الفترة بين 1686- 1693م. الرابع يتطرق للفترة بين 1693- 1698م. الخامس يشمل سنتي 1698- 1699م. السادس الفترة ما بين 1700 و1718م.

تشكلت تلك الوثائق إما من تقارير رفعها السفراء والقناصل إلى مسؤوليهم أو رحلات تجارية أو مراسلات أو مذكرات، وضمت هذه السلسلة مادة مصدرية مهمة، نظرا لما تختزنه من معلومات قيمة ونادرة حول بعض الشخصيات البارزة داخل مدينة مكناس.

✓ Rolation de la captivité du sieur Mouette dans les royaumes de Fez et de Maroc.

لمؤلفها جرمان مويط، طبعت أول مرة سنة 1683م، وهي مترجمة إلى العربية تحت عنوان "رحلة الأسير مويط" من طرف الأستاذين محمد حجي ومحمد الأخضر، تعتبر هذه الرحلة مصدرا مهما لبحثنا، فقد تعرض صاحبها لعدد من القضايا منها: تعيين المولى الرشيد لأخيه المولى

اسماعيل واليا على مدينة مكناس، وبعد توليه الحكم اختار مكناس للإستقرار بها. وصف مدينة مكناس وسكانها.

- ✓ Rolation des voyages au Maroc des rédempteurs de la Merci en 1704 ; 1708 ; 1712.

هي عبارة عن مذكرات كتبها الأب نولاسك نيان Nolasque Néant، كان رجل دين يمثل تنظيما يطلق عليه اسم la Merci، وهو تنظيم مكلف بعملية افتداء الأسرى المسيحيين بالمغرب، وقد قام هذا الرجل بعدة رحلات في إطار المهام الموكولة إليه، فدون الأحداث التي شهدها المغرب، ما يهمنا منها هي الفصول التي تطرق فيها لمدينة مكناس.

- ✓ Vie de Muley Ismail : Roi de Fez et de Maroc

يتعلق الأمر بأسير اسباني اسمه جوزيف دي ليون Joseph de Léon وقع في أيدي المغاربة سنة 1708م وأخذ إلى مدينة مكناس، ألف هذا الكتاب حيث تطرق فيه إلى ظروف تولي مولاي اسماعيل الحكم، والثورات والتمردات التي واجهته، كما أشار إلى عادات سكان مدينة مكناس وتقاليدهم.

- ✓ A journey to Mequinez, the residence of the emperor of Fez and Morocco

صاحب هذا الكتاب هو جون وندوس John Windus، ترجم إلى العربية من طرف الأستاذة زهراء إخوان سنة 1993م في حدود 170 صفحة، ألفه بمناسبة مشاركته في البعثة التي أرسلها الملك الإنجليزي جورج الأول برئاسة شارل ستيوارت Charles Stewart سنة 1721م، تحدث عن: ظروف اعتلاء المولى اسماعيل عرش الدولة العلوية– وصف الحياة الاجتماعية في مدينة مكناس.

- ✓ L'annotation ponctuelle de la description de voyage étonnante et de la captivité remarquable et triste durant douze ans, Maria Ter Meetelen

ترجمها الأستاذ إدريس أبو إدريس تحت عنوان: **"قصة الهولندية ماريا تيرمتلن: الأسيرة التي عاشت بمكناس العاصمة في النصف الأول من القرن 18"**، تطرقت إلى أوضاع المغرب بشكل عام وبمكناس خاصة ابتداء من سنة 1731م، وأفادتنا في التعرف على سلوكات بعض أعيان المخزن بالمدينة.

خطة البحث:

اعتمادا على ما جادت به المادة المصدرية التي أتيح لنا الوصول إليها، وانسجاما مع الإشكالية المؤطرة لدراستنا والتساؤلات المنبثقة عنها، توصلنا إلى وضع تصميم متكامل –في تقديرنا– اشتمل على مدخل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة:

❖ **المدخل التمهيدي: الوجاهة: دلالاتها– خصائصها– آلياتها– عوامل تشكلها:**

تناولنا فيه: مفهوم الوجاهة لغويا واصطلاحا، وبعض خصائص العناصر الوجيهة وهي عديدة منها (القلة– التميز– الفاعلية– الوظيفية– الاحتكار). كما حاولنا إبراز علاقة الجاه بالنفوذ والسلطة، ذلك أن موضوع الوجاهة يطرح عدة قضايا وإشكالات، فاسعرضنا بعض الآراء حول المسألة ومناقشتها. معرجين الحديث عن بعض العوامل المساهمة في تشكل طبقة الوجهاء، أجملناها في: القرب أو البعد من المخزن– عامل الخدمة/ الوظيفة– التصوف– العلم– الشرف– الهجرة– الثروة.

❖ **الفصل الأول: التعريف بوجهاء مدينة مكناس خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

قمنا في هذا الفصل بجرد وإحصاء العائلات الوجيهة بمدينة مكناس خلال الفترة المدروسة، ثم عرفنا بكل عائلة من حيث أصولها والأفراد الذين برزوا فيها، وتيسيرا لمسار التقصي عمدنا إلى تصنيفهم انطلاقا من معايير: مجال البروز وحقل الاشتغال ونوعية الوظائف التي مارسها هؤلاء: العائلات الشريفة– العائلات العلمية– العائلات المخزنية– العائلات التجارية.

❖ **الفصل الثاني: وجهاء المجتمع المكناس ووظائفهم العامة خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

خصصنا هذا الفصل للحديث عن أهم الوظائف الرفيعة والخطط السامية التي شغلها وجهاء المجتمع المكناسي، مصنفين إياها إلى نوعين: خطط سلطانية (الوزارة– الحجابة– الكتابة– النظارة– الباشوية– الأمانة– السفارة). وخطط شرعية (القضاء– النقابة– الإفتاء– الحسبة– التوقيت– العدالة– التدريس– الخطابة– الإمامة). هذه الخطط أهلتهم للاضطلاع بأدوار مهمة.

❖ **الفصل الثالث: علاقات وجهاء المجتمع المكناسي بالسلاطين العلويين بين التقارب والقطيعة خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

استعرضنا في هذا الفصل طبيعة العلاقات التي جمعت بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين، والتي تأرجحت بين التقارب والاتصال والتوافق من جهة، والقطيعة والتنافر والتوتر، من جهة أخرى، مبرزين مظاهر تلك العلاقات وأشكالها، والوسائل المساهمة في تبلورها.

❖ **الفصل الرابع: وجهاء المجتمع المكناسي: علاقاتم البينية وصلاتهم المجتمعية خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

تعرضنا في المبحث الأول لنوعية علاقات الوجهاء البينية، حيث ميزنا فيها بين شكلين: علاقات الصداقة والتقدير والاحترام المتبادل والمتمثل في كثير من المظاهر، وعلاقات اتسمت بالصراع والتنافس والتشاحن، محاولين البحث عن العوامل التي تحكمت في تحديد تلك العلاقات.

أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى العلاقات الناظمة بين الوجهاء وباقي الشرائح الاجتماعية بمدينة مكناس، والتي اتخذت طابعا إيجابيا تجسد في الأدوار التي نهض بها الوجهاء في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، استشعارا بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم. وطابعا سلبيا تجلى في التجاوزات المشينة والسلوكات السيئة التي مارسها الوجهاء في حق أهالي مدينتهم من تعسف وتسلط وتعدي على الحقوق.

❖ **الفصل الخامس: موقف وجهاء المجتمع بمكناس من التسرب الأجنبي في المغرب:**

حاولنا في هذا الفصل استعراض موقف وجهاء المجتمع المكناسي من قضية التغلغل الأجنبي في المغرب، من خلال تتبع تفاعلهم مع الآليات التي ارتكز عليها التغلغل، في مقدمتها الحمايات القنصلية، إذ وقع انقسام بينهم: بين مؤيد ومنخرط فيها، ومعارض ورافض الاستظلال بمظلتها، مبرزين ممارسات كل طرف. ثم تحدثنا عن موقف وجهاء مكناس من مشروع الإصلاحات الذي أرادت فرنسا إدخالها إلى المغرب، وكيف أسهموا في إفشاله، لنختم هذا الفصل بالحديث عن ردة فعل الوجهاء تجاه التدخل العسكري الفرنسي بمدينتهم.

خاتمة: خلاصات واستنتاجات.

مدخل تمهيدي:

الوجاهة: دلالاتها– خصائصها– آلياتها– عوامل تشكلها

أولا: دلالة الوجاهة لغة واصطلاحا:

1 - مفهوم الوجاهة لغة:

تشتق كلمة **"وجاهة"** من فعل وَجُه، يَوْجُهُ، يَجُوه، وَجَاهَة. ووَجُهَ الشخص أي صار ذا رتبة وقدر مرموق، فالوجيه[مفرد] جمع وجهاء: صفة مشبهة تدل على الثبوت من وَجُه. ومنه يقال: وَجَه فلان فلانا عند الناس وجها صار أوجه منه؛ أي ذا قيمة ، حسن، وقبول[10]. وأهل الوجاهة: الوجهاء والأعيان.

كما نجد الكلمة مأخوذة أيضا من الوَجْه، والجاه مقلوب عن الوجه؛ لكن الاختلاف أن الوجه يقال في العضو والحظوة، والجاه لا يقال إلا في الحظوة[11]، فالإنسان إنما يستقبل الناس بوجهه، والوجه أفضل الأعضاء البارزة لهم وأشرف ما في ظاهر الجسد[12].

إضافة إلى ما سبق؛ نشير إلى أن كلمة **"وَجَاهة"** ورد ذكرها في القرآن الكريم في موضعين؛ الأول قوله تعالى: { إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى ٱلدُّنْيَا وَالاَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ}[13]، وقوله أيضا : { يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهاً}[14] ومعناه أن يكون ذا وجاهة وكرامة في الدنيا والآخرة. قال ابن كثير «**أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب،**

---

[10]- أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، المجلد الأول، ص. 2406-2408-2409.

[11]- الحسين الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ، ص. 666.

[12]- **المعجم الوسيط**، الصادر عن مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، 2004، ص. 1015.

[13]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية. 45.

[14]- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية. 69.

وغير ذلك مما منحه ربه، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه»[15].

تأسيسا عل هذه التفسيرات اللغوية والاشتقاقية، نستخلص أن كلمة "وجاهة" تعني المرتبة والمنزلة والحظوة والمكانة والحرمة والقدر.

2 - مفهوم الوجاهة اصطلاحا:

ينتمي مفهوم الوجاهة إلى مرجعية عربية إسلامية؛ إذ تداولته بعض النصوص القديمة. وقد منحه ابن خلدون كثافة نظرية وقوة تفسيرية، جعلته يدور حول مسألة النفوذ والسلطة[16]، حيث خصص فصلا تحدث في عن الجاه —سنتحدث عنه بتفصيل-.

تطلق كلمة الوجاهة في الاصطلاح للدلالة على الأشخاص الذين يتصفون بخصائص وسمات ومؤهلات رمزية (معنوية) ومادية (مكتسبة)، تميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمع، تؤهلهم للقيام بأدوار ريادية ومهام قيادية، تجعل لهم ثقلا كبيرا وحضورا مؤثرا داخل بيئتهم؛ فهم الأكثر قوة، وبفضل امتلاكهم لأقصى ما يمكن امتلاكه من قيم معينة وهي، بالخصوص، السلطة والنفوذ[17].

إن هذه الميزات مكنتهم من التمتع بهالة من الاحترام والتوقير والتقدير والهيبة، نظرا لاحتلاهم مراكزا رفيعة داخل البنية الاجتماعية واشتهار أخبارهم وذيوع صيتهم، وبالتالي قيام منزلتهم في قلوب الناس، فهم «**أقلية داخل المجتمع، تتوفر على خصائص وقدرات ذاتية**

---

[15]- اسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م، ج 2، ص. 43.

[16]- عبد الأحد السبتي، « المدينة الخلدونية بعد عصر ابن خلدون»، ضمن أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نونبر 1988م، في موضوع: **المدينة في تاريخ المغرب العربي**، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية II، بنمسيك - الدار البيضاء، م1990، ص. 136.

[17]- عبد الرحيم العطري ، **سوسيولوجيا الأعيان**، دفاتر العلوم الإنسانية، الطبعة الثالثة، الرباط/القاهرة، 2013م، ص.13.

وإمكانيات أخرى موضوعية تمكنها من قيادة المجتمع والتأثير في مساره من خلال قدرتها على صناعة القرارات انطلاقا من تموقعها على هرم تنظيمات وتشكيلات معينة»[18].

وبناء على ما سبق؛ نستنتج أن معنى الوجاهة في الاصطلاح لا يخرج عن الدلالة اللغوية، فالوجيه هو صاحب المقام الرفيع والشرف العالي داخل مجتمعه، إذ هو أول قومه والمقدم منهم. فهي سنام رفيع ومقام عظيم وقدر سامي، تجعل صاحبها يمتلك مواقع السلطة ويمارس نفوذه في شتى المجالات[19] ترفعه إلى صفوة مجتمعه ونخبته الذين يحوزون المجد والتبجيل والهيبة والوقار .

وحري بالإشارة إلى أن للوجاهة مرادفات تتقاطع معها في المعنى منها:

- ✓ **الأعيان**: وتعني لغة: عين كل شيء؛ أي خياره. وعين المتاع والمال وعينته: خياره. خرج في عينة ثيابه أي في خيارها[20]. واصطلاحا: هم الأفراد الذين يتوفرون على مقومات تجعلهم يحظون بالتقدير والاحترام داخل مجتمعهم واحتلال مراكز مهمة[21].
- ✓ **النخبة**: وهي لغة: من انتخب الشيء: اختاره. والنخبة ما اختاره المنتخبون من الناس المنتقون[22]. واصطلاحا: تطلق على الأشخاص الذين بواسطة القوة التي يمتلكونها أو بواسطة التأثير الذي يمارسونه، يشاركون في صياغة تاريخ جماعة ما بأشكال وصور متعددة منها اتخاذ القرارات[23].

---

[18]- فضيل حضري، **تشكل النخبة الدينية في الجزائر**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة أبو يكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، تلمسان، السنة الجامعية، 2012- 2013م، (مرقونة)، ص. 197.

[19]- عبد الرزاق العساوي، **أعيان تطوان خلال القرنين 18م و19م**، أطروحة دكتوراه في الآداب، تخصص تاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2014 -2015م، (مرقونة)، ص.155.

[20]- محمد بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج 13، ص.315.

[21]- العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، ص.54.

[22]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 751-752.

[23]- G..Rocher**: Introduction à la Sociologie générale-Le Changement Sociale**, Ed.H.M.H, Paris, 1968, p.134.

- ✓ **الخاصة**: وهي لغة من خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا، واختصه: أفرده به دون غيره. ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد[24]. واصطلاحا: مجموعة من الأشخاص المعتبرين من المتفوقين في تخصص اجتماعي معين ومزودين بالخصوص بالسلطة وبالتأثير السياسي[25].
- ✓ **الصفوة**: وهي لغة خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه[26]. واصطلاحا جماعة تعد من خيار المجتمع ونخبته تشغل فيه مواقع أكبر تتيح لها امتلاك السلطة[27].
- ✓ **الملأ**: وهم أشراف القوم وعليتهم الذين يملؤون العيون أبهة، والصّدور هيبة[28].

فكلها مسميات تشترك في توضيح ما يفيد التميز والاختلاف عن العامة[29].

بعد تحديدنا للدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الوجاهة؛ نستنتج أنها إطار نظري للتمايز الذي يطبع المجتمعات البشرية، وهذا يدفعنا إلى طرح تساؤل مهم: ما هي أهم الخصائص والميزات التي اختص بها الوجهاء حتى جعلتهم طبقة مميزة داخل المجتمع؟

---

[24]– ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء 7، ص. 24.

[25] - André AKOUN et Autres. **Le Robert, Seuil, Dictionnaire de Sociologie**, Editions: les presses de Mama, France, Octobre 1999, p.178.

[26]– ابن منظور، **لسان العرب**، ج 14، ص. 462.

[27]– جميل حمادي، **سوسيولوجيا النخب: النخبة المغربية أنموذجا**، شبكة الألوكة، الطبعة الأولى، 2015م، ص. 6.

[28]– نفسه، ص. 6.

[29]– العامة: لغة من العم: الجماعة الكثيرة. والعمم: عظم الخلق في الناس وغيرهم. واصطلاحا تطلق على تلك الطبقة التي تشكل قاعدة المجتمع، تضم عددا كبيرا من الأفراد، تتسم وضعيتهم الاجتماعية بالتهميش والإقصاء من قبل السلطة ولا يمتلكون مميزات خاصة تسمح لهم بالارتقاء. وبالتالي فهي مفهوم مضاد لكل عوامل التفوق والبروز داخل المجتمع. للمزيد انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج 14، ص. 426. سعيد فهمي، **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993، ص. 140. ابراهيم القادري بوتشيش، «عوام مكناس في العصر الوسيط قراءة تحليلية في أوضاعهم ومحنهم»، **ضمن إسهامات في التاريخ الاقتصادي– الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط**، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997م، ص.105.

ثانيا: خصائص طبقة الوجهاء:

تمتعت طبقة الوجهاء بمجموعة من الصفات والسمات ميزتهم عن غيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- ✓ **القلة:** يشكل الوجهاء داخل أي مجتمع طبقة قليلة العدد بالمقارنة مع باقي مكوناته، فدائما ما يوجد المتحكمون من ذوي النفوذ كأقلية تعيش وسط أغلبية تتميز عنها بقدرات ذاتية وموضوعية، تجعلها في موقع مؤثر انطلاقا من موقعها على هرم تنظيمات وتشكيلات معينة[30].
- ✓ **التميز:** إن امتلاك الوجهاء لصفات وراثية (وضعية اعتبارية لها رمزية معنوية) ومؤهلات مكتسبة (ثروة مادية محسوسة)، تجعلهم يتميزون عن غيرهم ممن لا يملك تلك المقومات ويفتقر إليها، الأمر الذي يخول لهم مكانة اجتماعية مرموقة وحضورا قويا يضعهم في صدارة الطبقات الاجتماعية[31].
- ✓ **السلطة:** تسعى السلطة الحاكمة إلى الاستعانة بوجهاء المجتمع، بحكم ما يتوفرون عليه من قدرات على الفعل والتأثير، فتقربهم إليها وتمنح لهم سلطات كبيرة من خلال تقليدهم وظائف هامة تسمح لهم بالمساهمة في صنع القرارات؛ وبالتالي المشاركة في قيادة المجتمع، وهذا ما سنوضحه في الفصل الرابع.
- ✓ **الفاعلية:** يعتبر وجود الوجهاء داخل أي تجمع إنساني أمرا أساسيا؛ ذلك لأن قوة المجتمع تقاس بحجم القوى المؤثرة في استقراره والفاعلة في مسار تطوره. ومن خلال تتبعنا للنظام السائد في المغرب منذ العصر الإدريسي، نجده نظاما يؤسس لبروز زعامات وقيادات محلية[32]، يعتمد عليها في التدبير والتسيير عبر توظيف وجاهتها ومكانتها؛ خاصة في فترات الاضطراب

---

[30]- حضري، **تشكل النخبة الدينية**، ص. 197.

[31]- -عبد الله كبار، «النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة»، **مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، الجزائر، العدد الحادي عشر، 2013م، ص. 220.

[32]- العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، ص. 33.

والقلاقل؛ حيث يصبح دورها مفصليا وإشعاعها ضروريا للمساهمة في استقرار أوضاع المجتمع والمحافظة على تماسك، وهذا ما اضطلع به أغلب وجهاء المجتمع بمكناس.

- ✓ **الوظيفية**: يلعب الوجهاء أدوارا هامة داخل بيئتهم المحلية، بحكم تصديهم لمناصب حساسة تمنح لهم من لدن السلطة المركزية؛ فبقدر دنوهم منها وتقربهم إلى حاكمها الفعلي يتحصلون على وظائف سامية تكرس نفوذهم وتصون وجاهتهم بين مختلف البنيات الاجتماعية، والعكس صحيح؛ كم من أشخاص كانوا وجهاء تغير وضعهم الطبقي نتيجة تعرضهم لمحن ونكبات أفقدتهم وظائفهم؛ ومن ثم اندحروا إلى أسفل الهرم الاجتماعي[33].
- ✓ **الاحتكار**: يعمل الوجهاء للمحافظة على وجاهتهم وترسيخ منزلتهم من خلال توريث وضعهم الرمزي والمادي لعقبهم من بعدهم واحتكار قوتهم ومجدهم في إطار إعادة الإنتاج الاجتماعي؛ فتكون النتيجة هي تعميق الصلة بين أجيالهم وتعزيز الروابط بينهم بما يحفظ لأسرهم كيانها، ويضمن تماسكها واستمراريتها إلى أقصى مدة ممكنة؛ وبالتالي تكريس النظام التراتبي داخل المجتمع.
- ✓ **التنظيم**: يسعى الوجهاء إلى تقوية قدراتهم التنظيمية من خلال تنسيق جهودهم بما يكفل سبل الاتصال بينهم وتقليل حدة خلافاتهم وصراعاتهم، فيعمدون إلى نسج شبكة علائقية والعمل على توسيعها كآلية لتحقيق ترابطهم العضوي؛ وبالتالي تكريس نفوذهم وتجذيره في الأغلب الأعم.

وإجمالا؛ يمكن القول إن امتلاك أفراد محددين لتلك الخصائص يَعلهم يتمتعون بفوارق تميزهم عن بقية مكونات مجتمعهم، ترفعهم إلى مرتبة علية المجتمع وصفوته الملحوظين بالاهتمام والمشار إليهم بالبنان والمشهود لهم بالتفرد. وبناء على ما ذكر؛ هل يمكن وصف هؤلاء الأفراد المتفردين عن باقي مكونات المجتمع ب **"الطبقة"**؟

---

[33]- القادري بوتشيش، «الطبقة في المغرب الإسلامي بين المفهوم العام وخصوصية الواقع التاريخي»، ضمن **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ص. 12.

ثالثا: استخدام مصطلح "الطبقة" لوصف وجهاء المجتمع المكناسي:

نشير بداية إلى ملاحظة لطالما استرعت انتباه الباحثين، وشكلت نقطة تضاربت آراؤهم حولها، وهي المتعلقة بمدى صواب استخدام مصطلح "الطبقة" لوصف التشكيلة الاجتماعية المميزة للمجتمع المغربي عبر تاريخه.

يطرح هذا المصطلح بعض الإشكالات والتساؤلات بين المختصين المغاربة في حقل الدراسات التاريخية؛ بين مؤيد لاستخدامه ومتحفظ عليه ورافض له. وعموما يمكن التمييز بين اتجاهين متعارضين:

- **الاتجاه الأول**: لا يجد أصحابه في استعمال المصطلح غضاضة، محتجين بأن طبيعة المجتمعات الإنسانية تخضع بالضرورة إلى نظام المراتب والمستويات التي يتكون منها، ولم يخرج المجتمع المغربي عن هذه القاعدة، ذلك أن التمايز بين أفراده وتفاضل بعضهم على بعض مسألة حتمية، وهذا ما يسمح بتقسيمه إلى طبقات[34] تصنف اعتمادا على معايير ومقاييس منها ما هو جينيالوجي (الأنساب) واقتصادي (الملكية) واجتماعي (العلاقات)[35] وغيرها.
- **الاتجاه الثاني**: وإن كان ممثلوه يتقاطعون مع أصحاب الاتجاه الأول؛ بإقرارهم عدم تجانس البنية الاجتماعية في الحواضر المغربية، فإنهم في الوقت نفسه يتحفظون في استعمال مصطلح "الطبقة"، مبررين موقفهم بأنه على الرغم من تعدد خصائص أفراد المجتمع، فهو لا يسمح بتصنيفهم إلى طبقات؛ بل يمكن تسميتهم بالفئات أو الشرائح أو الطوائف[36].

---

[34]- القادري بوتشيش،«الطبقة في المغرب الإسلامي بين المفهوم العام وخصوصية الواقع التاريخي»، ص. 19.

[35]- محمد ياسر الهلالي، **مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين 8-9هـ/ 14-15م: مساهمة في دراسة بعض المصطلحات التراتب الاجتماعي- العامة- الخاصة- الطبقة، المرتبة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1999-2000م، السفر الثاني، ص. 106.

[36]- محمد ناصح، «مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري المغربي خلال القرن 6هـ/ 12م »، ضمن أعمال ندوة **التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة** عبر تاريخ المغرب من 21/ 23 فبراير 1989م، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق- الدار البيضاء، 1995، ج 2، ص. 71.

ورغم هذا النقاش حول توظيف مصطلح "الطبقة" بين الباحثين والمتخصصين؛ إلا أننا نميل إلى استخدامه لاعتبارات منها: وضوح التفاضل والتراتب داخل المجتمع الحضري المكناسي، إضافة إلى أن بعض المصادر المعتمدة في بحثنا أوردته، وعلى ضوئها قمنا باستخلاص بعض المؤشرات التي كانت تعتمد في تحديد تشكيلة البنية الاجتماعية في الحواضر المغربية؛ ومنها حاضرة مكناس نجملها في ما يلي[37]:

- **مؤشر زمني**: وظف هذا المصطلح "الطبقة" بكثرة في كتب التراجم والنوازل الفقهية،؛ حيث كان يقصد به الجيل، من خلال التركيز على الأجيال الفاعلة في المجتمع الذين تركوا بصمات واضحة في الحياة العامة عبر فترات زمنية مختلفة، بهدف تبيان مكانتهم وإبراز منزلتهم لاتخاذهم نبراسا وقدوات، كانوا يتشكلون في الغالب من العلماء والفقهاء والسلاطين والمتصوفة. وفي هذا السياق؛ صنف محمد بن أحمد الحضيكي المتوفى 1189هـ/ 1775م كتابا سماه"**طبقات الحضيكي**[38]"، وهو من كتب التراجم احتوى على 823 ترجمة لشخصيات اشتهرت بعلمها وصلاحها وتصوفها؛ من بينهم أعلام من مدينة مكناس، واختيار المؤلف اسم "طبقات "كعنوان لمصنفه يدل على تأصل نظام الطبقة وشيوع استخدام المصطلح خلال الفترة موضوع دراستنا. وبدوره لم يخرج ابن زيدان عن ذات المعنى؛ حيث استعمل المصطلح عند حديثه عن علماء مكناس، ففي ترجمته للوجيه المكناسي المفضل قال: « **وكان من العدول المبرزين، والقادات المميزين، في طبقة أبي القاسم العميري والطالب بوعنان وغيرهما من أماثل الجهابذ**» [39].

[37]- استأنسنا في تحديد بعض هذه المؤشرات على ما استخلصه الأستاذ محمد ياسر الهلالي في أطروحته للدكتوراه السالفة الذكر.

[38]- محمد بن أحمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م.

[39]- عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ج 4، ص. 368.

- **مؤشر سياسي**: استخدمت بعض مصادر بحثنا مصطلح الطبقة للدلالة على أشخاص معينين حظوا بتقدير كبير من السلطة المركزية، بالنظر إلى مكانتهم ووجاهتهم داخل المجتمع، خاصة عند تناولها لظروف عقد بيعة السلاطين العلويين؛ فمثلا بيعة السلطان المولى عبد الملك بن إسماعيل « **ومن الغد دخل مكناسة فتلقاه وجوهها على اختلاف طبقاتهم وقدموا إليه بيعتهم** »[40].
- **مؤشر وظيفي**: استعمل مصطلح "الطبقة" في بعض المصنفات لوصف شخصيات اضطلعت بأدوار قيادية مختلفة، بحكم تقلدها لوظائف رفعتها إلى مكانة مرموقة داخل مجتمعها ميزتها عن العامة؛ على سبيل المثال بايع السلطان المولى عبد الله بمكناس سنة 1141هـ/ 1729م « **رؤساء من عبيد البخاري وأتبعهم الفقهاء والأشراف والوزراء والأشياخ، ومن كان بالحضرة من الأعيان والأحلاف**»[41].
- **مؤشر إثني**: شاع استخدام مصطلح "الطبقة" في إطار التمييز بين أفراد المجتمع اعتمادا على معيار النسب، إذ تتحدث المصادر عن الشرفاء في مقابل العامة، وهذا ما نلحظه عند اطلاعنا على الظهائر التي يمنحها السلاطين للشرفاء؛ فعلى سبيل المثال الظهير الذي أصدره السلطان المولى سليمان في 17 شعبان 1208هـ/ 19 مارس 1794م لفائدة أسرة المنوني. ومما جاء فيه: « **توقيرهم واحترامهم، وبرهم وإعظامهم، ومحاشاتهم عما تطالب به العامة**» [42].

صفوة القول؛ حاولنا بقدر المستطاع أن نثبت شيوع مصطلح "الطبقة" في المصنفات والمصادر المعتمدة في موضوع بحثنا، انسجاما مع ما طبع المجتمع المغربي عامة والمكناسي خاصة من تمايز بين أفراده وتراتب بين مكوناته. ومن هذا المنطلق؛ استخدمنا المصطلح لوصف وجهاء المجتمع المكناسي، على اعتبار أن الوجاهة مصطلح طبقي في جوهره قائم على التفرد والتفاضل.

---

[40]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس** ، ج 1، ص. 329.

[41]- عبد الكريم بن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى اسماعيل**، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م، ص. 227.

[42]- محمد المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، ص. 90.

إن حديثنا عن طبقة الوجهاء ليس حدثا طارئ أو وضعية عارضة في طبيعة المجتمع المكناسي؛ بل هي عنصر أصيل ومكون رفيع ظل حاضرا في بنية المجتمعات الإنسانية حتى تلك الأكثر عتاقة[43]، ذلك أن السلطة والنفوذ لا يمكن أن يمارسا بواسطة الكل؛ وبالتالي فإن ظهور طبقة تأخذ بزمام المبادرة وتتولى تسيير الأمور مسألة ضرورية وحاجة حتمية. ومن المستحيل أن تعمل أية جماعة بشرية دون وجود طبقة مسيطرة على رأسها[44]، ولم تشذ مدينة مكناس عن هذه القاعدة.

كل ما سبق يدفعنا إلى التساؤل عن ما هي الآليات والوسائل التي تستند إليها الطبقة الوجهائية لتأصيل وجاهة أفرادها وصيانتها؟ وكيف يوظف هؤلاء الوجهاء تلك الآليات لترسيخ نفوذهم وتعزيز سلطتهم؟

رابعا: آليات صيانة الوجاهة وترسيخ النفوذ:

قبل الخوض في تحليل الآليات التي يعتمد عليها الوجهاء للحفاظ على منزلتهم وعلو قدرهم، نود الإشارة إلى مسألة ضرورية —حسب اعتقادنا– ستساعدنا في استجلاء معالم تساؤلنا وتبيان تمظهراته داخل المجتمع المغربي عامة والمكناسي خاصة، والتي تتعلق بمستويات الوجاهة ودرجاتها. وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن ثلاثة مستويات:

- ✓ **على مستوى الفرد**: كما أسلفنا الذكر؛ إن من طبيعة المجتمعات البشرية التفاضل بين أفرادها، فلكل فرد خصائص يتميز بها عن غيره، وإذا نجح أحدهم في استغلال مؤهلاته وأحسن استثمار قدراته ووجهها توجيها صحيحا نحو أهداف محددة يسعى إلى تحقيقها، تكون النتيجة اكتسابه منزلة ووجاهة اجتماعية، في حين إذا فشل في توظيفها وتطويرها فإنه لا يتمكن من البروز داخل

[43]– العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، ص. 11.

[44]– حمزة الحسن، **العمل في مائة عام**، دار الملتقى، سوريا، 2010م، ص. 18.

مجتمعه[45]. وهذا ما نلمسه من خلال تتبعنا لمسار تطور المجتمع المكناسي؛ حيث استطاع أعلام معينون من الظهور والاشتهار وسط بنيتهم الاجتماعية؛ بفضل المقومات التي أفلحوا في استثمارها فأدركوا مرتبة الوجاهة والسلطة، تلك المقومات تتأرجح بين التوريث والاكتساب.

- ✓ **على مستوى العائلة**: تشكل العائلة خلية أساسية داخل المجتمعات الحضرية، فهي الإطار الأول الذي ينشأ فيه الفرد ويكتسب قيمه ومبادئه ويبني شخيصته وكيانه ويصقل قدراته ومواهبه، والتي لا يمكن أن تتحقق إلا داخلها. إضافة إلى أن قوة المجتمع وتماسكه تقاس بمدى الصلابة التي تتمتع بها العائلات المنتمية إليه.

وقد اتسمت البنية العائلية في المغرب بالتمايز بين مكوناتها انسجاما مع التفاضل الذي يطبع أفرادها. ومن هذا المنطلق برزت بعض العائلات وذاع صيتها داخل المجتمع بفضل ما راكمته من رساميل معنوية ومادية أهلها للإسهام بأدوار كبيرة، خولتها وجاهة ونفوذا استفاد منها أفرادها[46]. وعليه؛ نستطيع القول إن الفرد الوجيه يستند إلى عائلته لبناء وجاهته وتكريسها، من خلال استثمار إرثها بطريقة مثلى، فيحقق بذلك مصلحتين: الأولى علو قدره وشأنه، والثانية الحفاظ على وجاهة عائلته بإحياء رصيد مجد أسلافه.

- ✓ **على مستوى المجتمع**: يستمد الوجهاء شرعيتهم من المكانة التي يحتلونها داخل مجتمعهم، على اعتبار أن الأنساق الاجتماعية التي ينتظم فيها الأفراد تتسم بالتعدد والتنوع، تسمح لهم بنسج شبكة علاقات تفاعلية، ومن ثم يبرز منهم ذوو الكفاءة العالية والقدرة الخاصة بواسطتها يتقلدون مسؤوليات هامة، تفضي إلى بروزهم كوجهاء لهم حضور قوي ووزن مؤثر داخل مجال نفوذهم. فالمجتمع يعلو ويسفل، ويصعد وينزل حسب نسبة الأفراد القادرين على تحقيق مصالحه وخدمة مختلف شرائحه؛ إذ كلما كانوا أقوياء تمتع المجتمع بالاستقرار والتماسك، وغيابهم أو ضعف نشاطهم يجعل المجتمع أكثر هشاشة.

---

[45]- العساوي، **أعيان تطوان**، ص. 155.

[46]- نفسه، ص. 156.

وبالعودة للإجابة عن تساؤلنا حول الآليات؛ نشير إلى إن الوجهاء يعملون على تحصين وتجذير وجاهتهم وترسيخ وتدعيم سلطتهم عبر مجموعة من الوسائل؛ نذكر منها:

- ✓ **الشهرة:** يعد من أهم الوسائل الفعالة التي يرتكز عليها الوجهاء لإظهار وجاهتهم؛ حيث يوظفونه لجذب انتباه الناس إليهم وضمان حضورهم الذهني الدائم لديهم من خلال الترويج لأفعالهم وتسليط الأضواء على أدوارهم المتعددة داخل المجتمع، على اعتبار أن النفوذ الوجهائي يتطلب –في أغلب الأحوال– ضرورة الدخول في إشهارات متواترة بهدف الحفاظ عليه، فبقدر تمكنهم من إظهار نفوذهم وإبراز قوتهم ينجحون في صيانة وجاهتهم ويضمنون علو مرتبتهم[47]، كل ذلك في إطار التبعية والخضوع للسلطان الذي يفوضها لهم، هذا على الأقل بالنسبة لوجهاء المجتمع بمكناس.
- ✓ **العلاقات الاجتماعية:** إن المكانة التي يحتلها الوجهاء داخل المجتمع و المهام المنوطة بهم لا يستطيعون إبرازها والقيام بها إلا من خلال تكوين شبكة قوية من العلاقات تتسم بتعدد الزبناء بمختلف الأشكال والأحجام[48]؛ ذلك لأن « **المجتمع الحضري يضعنا أمام فاعلين ومجموعات تحركها رهانات ملموسة، و في آن واحد، هناك روابط حميمية تربط بين العلاقات الاجتماعية وبين لغة وقيم و رموز تعبر عن تلك العلاقات الاجتماعية، وتكيفها، وتضفي عليها المشروعية**» [49].

إن تعدد الفاعلين والمتدخلين وتنوع العلاقات سواء فيما بينهم، أو بينهم وبين السلطة المركزية أوبينهم وبين باقي مكونات المجتمع، تزيد من أشكال تفاعلهم وكبر حجم تأثرهم الذي

---

[47]- العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، ص. 28.

[48]– يقصد بالزبونية بناء علاقة مع الآخر ووصف كل أشكال التبعية الشخصية، فهي مكون بنيوي يختزل بنية المجتمع الحضري في آليات بروز الزعامات والوجهاء انطلاقا من إنتاج وإعادة إنتاج الوجاهة، وتتميز العلاقات الزبونية في هذا الإطار بخصائص منها: أنها علاقة ديناميكية وغير متكافئة ذات طابع تبادلي. للمزيد انظر: شفيق عبد الغني، « النخب المحلية والعلاقات الزبونية في بعض آليات إعادة إنتاج النفوذ بالمجال القروي المغربي»، **إضافات**، العدد 35، السنة 2016، صص. 142– 143. السبتي، **المدينة الخلدونية**، ص . 145. العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، صص. 117– 120.

[49]– عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م، ص. 12.

يتجسد من خلال التبادلات القائمة بين مختلف الأطراف، حيث يكون الطرف الأكثر قوة هو المستفيد منها[50]. لذلك يعتبر استقطاب الزبناء إحدى الطرق الرئيسية التي تجعل الفرد الوجيه يعزز نفوذه ويقوي حضوره خاصة في حالة التنافس، وهو ما يدفعه للدخول في تحالفات تضمن له موقعا ضمن الطبقة المؤثرة في المجتمع. وإذا وفق في استغلالها بأحسن طريقة، يتمكن من الترقي في سلم هرم البنية الاجتماعية. بينما إذا فشل فإن قدرته الاستقطابية تتراجع، مما ينتج عنه في أغلب الأحيان إلى اندحاره من صفوف المتنافسين حول النفوذ والسلطة والثروة للحفاظ على الوجاهة[51].

- ✓ **الوساطة والتحكيم**: تكتسي الوساطة أهمية بالغة داخل المجتمعات البشرية، تبرز بشكل أكبر في المغرب خصوصا خلال فترة موضوع دراستنا، على اعتبار أن النظام السياسي به يساعد على بروز زعامات وقيادات تقوم بأدوار متعددة من بينها الوساطة[52]، وهذا ما يسمح لهم بترسيخ سلطتهم أكثر، بحكم توفرهم على صفات رمزية وقدرات مادية تؤهلهم لممارسة تأثير قوي وحضور فاعل بين مختلف المكونات الاجتماعية. ومن مظاهر هذا التأثير، مشاركتهم في حل النزاعات وإصلاح ذات البين عبر التشفع والتوسط لدى مختلف الأطراف: فيما بينهم، وبين السلطة الحاكمة وباقي طبقات المجتمع[53].

إن دور الوساطة يساعد الوجهاء على تقوية نفوذهم داخل مجالهم الحضري واكتساب المزيد من الوجاهة، خصوصا إذا نجحوا في مهامهم. ويقترن بوظيفة الوساطة وظيفة أخرى لا تقل عنها أهمية؛ ألا وهي مهمة التحكيم التي يضطلع بها خاصة الوجهاء في الفصل بين المتخاصمين لإحقاق الحق، مستفيدين بما يمتلكونه من مقومات تجعلهم يحظون بالتقدير والتبجيل والتعظيم.

---

[50] - Waterbury John, «La Notion de la clientèle.» dans: Jean Etienne et Henri Mendras.Les Grands Thèmes de la sociologie, Armond Colin, Paris, 1999, p. 108.

[51]– شفيق، « النخب المحلية والعلاقات الزبونية في بعض آليات إعادة إنتاج النفوذ بالمجال القروي المغربي»، ص. 146.

[52]- Robert Montagne, **Les berbères et le Makhzen**, Lib, Félix Alcan, Paris, 1930, p. 14.

[53]- Abdelhamide Henia, **Etre notable au maghreb** : Dynamique des configurations notabiliaires, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Maison Neuve et la Rose, Paris, 2006, p. 19.

✓ **ظهائر التوقير والاحترام والخدمة والرئاسة:** يرتبط الوجهاء ارتباطا وظيفيا بالسلطة المركزية؛ إذ كانوا في أغلب الأحيان خاضعين لها ومنها يستمدون شرعيتهم وموقعهم –على الأقل فيما يتعلق بوجهاء المجتمع المكناسي منذ العهد الإسماعيلي– لذلك حرصوا حرصا شديدا على نيل رضاها وكسب ثقتها، والتي تعكسهما ظهائر التوقير والاحترام والتعيين في مناصب المسؤولية، نظرا لما تكتسيه هذه الآلية من أهمية قصوى بالنسبة لصورتهم داخل المجتمع الحضري؛ فهي تشكل اعترافا مركزيا ودعما معنويا وماديا لنفوذهم ضمن مجال ترابي معين، وحسب تعبير أحد الباحثين: « **لم يكن المخزن بدوره ليتردد في تمكين هذه الزعامات من ظهائر التعيين والتوقير والاحترام وما يستتبع ذلك من إنعامات وإقطاعات، خصوصا في اللحظة التي يعي فيها جيدا "قوة" هذه الزعامة أو تلك، أو يكون هو ذاته منخرطا في مصاعب سياسية جراء عسر انتقال للحكم** » [54].

يتبين، من خلال ما أوردناه، أن السلاطين والوجهاء خلال الفترة المدروسة كانت تجمعهم مصالح مشتركة ومتبادلة؛ فالطرف الأول يسعى إلى توظيف مكانة الوجهاء وما يتمتعون به من تقدير وحظوة بين أفراد مجتمعهم لكسب تأييديهم وولاء باقي الطبقات. وفي المقابل يعمل الطرف الثاني على التقرب من السلطة لترسيخ نفوذه بما يكفل له الحفاظ على وجاهته ومنزلته داخل المجتمع الحضري.

✓ **المصاهرة:** شكلت علاقات الصهر إحدى الآليات السياسية المساهمة في تكوين شبكة علاقات تحفظ مكانة الوجهاء وتوطد سلطتهم ونفوذهم داخل المجتمع، سواء من خلال المصاهرة فيما بينهم، أو بينهم وبين السلاطين. وقد وظف بعض وجهاء المجتمع بمكناس خلال الفترة المدروسة هذه الآلية، بهدف تمتين الروابط وتقوية الأواصر لتأكيد وجاهتهم وتعزيز مركزهم، بما يحفظ مصالحهم من خلال تبادل المنافع والتحالف للدفاع عنها.

[54]– العطري، **سوسيولوجيا الأعيان**، ص. 34.

✓ **خدمة المجتمع**: يعمل الوجهاء على توظيف وجاهتهم لخدمة قضايا مجتمعهم والتفاعل مع هموم أفراده وانشغالهم بالتصدي لها أو التخفيف منها؛ وذلك عبر قيامهم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم والنابعة من القيم الإسلامية؛ كالتكافل والتضامن والتآزر الذين طالما كان سمة طبعت المجتمع الحضري المغربي عموما في بعض الفترات[55].

ولقد تعددت أشكال الدعم والعون الذي قدمه الوجهاء لباقي الطبقات الأخرى من الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين واليتامى الذي جسدته مؤسسة الوقف، إلى المساهمة في استتباب الأمن والقضاء على الاضطرابات؛ سواء من خلال المشاركة في الحملات العسكرية أو ترؤس بعثات تفاوضية سلمية لحلحلة الأزمات. وبالتالي ساهمت هذه الخدمات المتعددة والأدوار المتنوعة التي قاموا بها في رفع قدرهم وإعلاء شأنهم، مما زاد في تكريس وجاهتهم لأن من استفاد من خدماتهم يكون مستعداً للإعتراف بالجميل الذي أسدوه له، وبالتالي يتحول ذلك إلى نوع من الخضوع لهم[56].

✓ **توثيق الوجاهة**: يحرص الوجهاء على تثبيت مكانتهم من خلال إظهار افتخارهم بمجد عائلاتهم وما ملكته من قيم وصفات؛ فيعملون على صيانتها من خلال توثيقها عبر أنماط كتابية محددة تستخدم فيها عبارات بديعة ومهارات بلاغية، والتي تختلف حسب مرتبة الوجيه[57]. إن هذا التوثيق يسهم بدور كبير في ذيوع صيت الوجهاء واشتهار أخبارهم داخل المجتمع، وهو ما يحفظ قدرهم ويعلي مكانتهم عند الناس، وفي الوقت نفسه يحمل مسؤولية جسيمة على أعقابهم في صيانة وجاهة آبائهم وأجدادهم والعمل على تأصيلها.

---

[55]- عبد العزيز السعود، **تطوان في القرن الثامن عشر: السلطة– المجتمع– الدين**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، السنة الجامعية 2005– 2006م، (مرقونة)، ص. 235.

[56] - Bourdieu Pierre, «L'Echange différé crée la stratégie.» dans: Jean Etienne et Henri Mendras. Les Grands Thèmes de la sociologie, Armond Colin, Paris, 1999, p. 107.

[57]– العساوي، **أعيان تطوان**، ص. 157.

خامسا: علاقه الجاه بالنفوذ والسلطة:

يعتبر الجاه من المفاهيم الأقل تداولا في مصنفات الإخباريين وكتابات المؤرخين، رغم ما يحمله هذا المفهوم من دلالة عميقة تساعد في فهم طبيعة المجتمعات الإنسانية بصفة عامة والمغربية بصفة خاصة. ومن المؤرخين القلائل الذين ركزوا على هذا المفهوم وبسطوا القول فيه وأبرزوا دوره ؛ العلامة ابن خلدون.

وعلى الرغم من أنه توفي مطلع القرن 15م؛ أي قبل الفترة موضوع دراستنا (الربع الأخير من القرن 17م إلى بداية القرن 20م)، إلا أن التحليل الذي قدمه لمفهوم الجاه لم يتغير كثيرا، ويمكن توظيفه في فترتنا مع بعض التحفظات –سنبينها في الموضع المناسب– وبالتالي اعتماده كأرضية لتأصيل العلاقة بين الجاه والنفوذ في تاريخ المجتمع المكناسي.

يعرف ابن خلدون الجاه بقوله: «**هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة، ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة، وعلى أغراضه فيما سوى ذلك**» [58].
نستشف من خلال هذا التعريف أن الجاه يشكل مفهوما مركزيا لفهم التمايز بين طبقات المجتمع وتفاضلهم؛ ذلك لأنه يسمح لأفراد معينين بممارسة نفوذهم على أفراد آخرين تابعين لهم بمختلف الوسائل، كل ذلك في سبيل تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب (تحصيل الثروة)، والتي لا تدرك إلا عبر الجاه.

وعندما ينجح الفرد في تحصيل الجاه، يصبح كما أكد ابن خلدون: « **مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه. فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته، من ضروري أو حاجي أو كمالي، فتحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه.**

[58]– عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004، ج 2، ص. 77– 78.

وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الأعواض من العمل، يستعمل فيها الناس من غير عوض، فتتوفر قيم تلك الأعمال عليه. فهو بين قيم للأعمال يكتسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها، فتتوفر عليه» [59].

إذن؛ فالعلاقة بين صاحب الجاه وأتباعه من الناس علاقة تبادلية تفاعلية، فهم يتقربون ويتوددون إليه منه للاستفادة من جاهه ونفوذه وسلطته، وهو في المقابل يتحصل منهم على منافع وامتيازات تزيد من تعزيز مكانته داخل المجتمع وتثبيتها، فللجاه قدرة على جذب الثروة لصاحبه ويساعده على تنميتها بدون مشقة ولاتعب؛ عكس فاقده مهما عمل واجتهد فلا يحقق نجاحا إلا بقدر ما بذله من جهد. ومما يعضد هذا الكلام ما أورده ابن خلدون من استدلال ركز فيه على صنفين من أصناف المجتمع توصلا إلى الثروة لامتلاكهما الجاه:

- **النموذج الأول**: يتعلق بالفقهاء والعلماء والصلحاء الذين يحملون قيما رمزية استمدوها من وظائفهم الدينية؛ مما جعل أخبارهم تنتشر وصيتهم يذيع بين الناس فتبوؤوا المكانة والصدارة داخل مجتمعهم، نظرالحاجة الناس إليهم؛ وحاجة السلطة أيضا، مما يدفعهم إلى التقرب منهم ومعاملتهم معاملة متميزة، ومن هنا يكتسبون شرعية ونفوذا فتسارع إليهم الثروة ويصبحوا مياسير بدون أي جهد مادي[60].
- **النموذج الثاني**: يمثله التجار، فمهما راكموا من أموال وثروات إذا لم يكن لهم جاه يصبحون عرضة لتهديدات أصحاب الجاه ورجال السلطة؛ فلا يكون يسارهم إلا بمقدار أموالهم ومجهوداتهم[61]. وبالتالي يصعب عليهم الحفاظ عليه؛ عكس التجار الذين يمتلكون الجاه، فإنهم ينجحون في تحقيق ثروات كبيرة، لأنهم يستفيدون من قربهم من السلطة المركزية، فيحسنون استثمار علاقتهم بها لحماية ثرواتهم وتنميتها. وأبرز مثال عن هؤلاء هم "تجار السلطان" الذين

[59]- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج 2، ص 76.

[60]-نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

[61]- نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

يتكلفون بالتجارة باسم السلطان ويتولون أحيانا تسويق مواد خاضعة للاحتكار، فيحظون بامتيازات كبيرة[62].

نستخلص إذن أن الجاه مصدر للثروة، يجعل صاحبه يحتل موقعا متميزا داخل المجتمع، صوته مسموع وطلبه مستجاب وشفاعته مقبولة؛ في حين أن فاقده يعيش وضعية أضعف ومنزلة أقل رغم ما يمتلكه من أموال. وتأسيسا على ماسبق؛ يمكن القول إن الجاه يعد معيارا ثابتا لتصنيف الطبقات الاجتماعية، وعاملا أساسيا في تحديد مكانة الأفراد واكتسابهم للهيبة وللعظمة داخل المجتمع الحضري.

لذلك من البديهي أن تجد الأفراد يسعون لإدراكه ويجتهدون في تحصيله خاصة وأن من خصائص الجاه أنه « **متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة، ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية، وفي السفل إلى من لا يملك ضرّاً ولا نفعاً بين أبناء جنسه؛ وبين ذلك طبقات متعددة**» [63].

فالجاه مقسم بطريقتين: الأولى هرمية عمودية، ويوجد في قمة الهرم السلطان الذي لا يفوقه أحد في المنزلة، وبين قاعدة الهرم توجد مستويات مختلفة، وكل الطبقات تملك جاها يتميز بالتفاوت. وتبعا لذلك؛ تستفيد كل طبقة من توزيع الثروة حسب قوة الجاه الذي تمثله؛ لأن الجاه: « **داخل على الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه. فإن كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك، وإن كان ضيقاً قليلاً فمثله**» [64]. والثانية أفقية؛ إذ إن الجاه يرتبط في أغلب الأحيان بالقرب من السلطان وكسب رضاه، فكل من لا يملك الجاه أو رابطة بالسلطان تكون وضعيته أقل، ولو امتلك الأموال الطائلة، وهناك نماذج من بعض الأعلام برزوا كوجهاء داخل المجامع المكناسي كانوا يمتلكون ثروات

[62]- السبتي، « المدينة الخلدونية بعد عصر ابن خلدون»، ص. 138.

[63]- ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص. 77.

[64]- نفسه، نفس الجزء، ص. 78.

لكنهم تعرضوا لمحن أثرت على مكانتهم؛ وبالتالي فكل من أراد تحصيل الجاه، عليه التقرب من الحاكم باعتباره مركز القوة، من خلال اتباع أسلوب التسلق والتزلف والتودد، ومن لم يتبع ذاك الأسلوب لا يتحصل على الجاه.

إن توظيفنا لتحليل ابن خلدون لمفهوم الجاه، يقتضي منا منهجيا ضرورة الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي استخدم فيه ذلك المفهوم،؛ لأن وضعه ضمن سياقه من شأنه أن لا يسقطنا في الأحكام الجاهزة والإسقاطات الخاطئة. لقد تحدث ابن خلدون عن الجاه خلال حديثه عن المدينة؛ إذ اعتبر السلطة/ الملك محورها، ومصالح الرعية لها صلة وطيدة بمصالح السلطان[65]، ومنها يكتسب الأفراد وجاهتهم؛ ومن ثم فهذه الوجاهة انعكاس لجاه السلطان.

وخلافا لما يراه ابن خلدون عن كون السلطة هي المحدد الرئيس المسؤول عن إدراك الأفراد للوجاهة، فإن هناك أنماطا وأشكالا متعددة لتحصيل الجاه يفرزها المجتمع الحضري[66]؛ بمعنى آخر توجد عوامل عدة تسهم بشكل أو بآخر في بناء تلك الوجاهة.

سادسا: عوامل تشكل طبقة وجهاء المجتمع المكناسي:

يقول عبد الله السلطان: « **الوجاهة الاجتماعية مطلب يكاد الجميع يتفق على أهميته، كون هذه الصفة ستعطي الفرد مجموعة من المميزات يصبح من خلالها ذا نفوذ وسلطة اجتماعية تحمل في طياتها مجموعة من الصلاحيات التي توصل صاحبها إلى تحقيق ما يتمناه**»[67]. من هنا يتولد الطموح لدى الأفراد لإدراكها بمختلف السبل والوسائل، وهكذا؛ يمكن التأكيد أن الترقي الاجتماعي وتحصيل الجاه والنفوذ يستند إلى عوامل هي:

---

[65]- شاكر لعيبي، **الفن والحرف الفنية لدى ابن خلدون: المدينة الخلدونية الفاضلة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م، ص. 45.

[66]- السبتي، «المدينة الخلدونية بعد عصر ابن خلدون»، ص. 145.

[67]- عبد الله عيسى السلطان، « من هو الوجيه» ،https://www.alyaum.com/articles/786601، بتاريخ 11/ 01/ 2019.

1 – القرب أو البعد عن المخزن:

سبق أن أشرنا إلى مقاربة ابن خلدون لمفهوم الجاه، وأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلطة إيجابا وسلبا، وهو ما يتضح باستقرائنا لسيرورة تطور المجتمع المغربي ومساره، ذلك أن طبيعة النظام السياسي الذي خضع له المغرب يتميز بمدى قوة حضور السلطان ومركزيته في الحكم؛ حيث كان يشكل الركيزة الأساسية واللبنة الرئيسية في بنية الدولة المغربية، فهو قطب رحاها وعماد أجهزتها، يملك فيها كل شيء ويتطلب من الجميع الخضوع إليه: الجيش للأمن؛ والضرائب لملء الخزينة؛ والإدارة لتدبير هذه الموارد ومناطق النفوذ[68]، خولته مكانة بارزة.

لقد تبوأ السلطان داخل هرم الدولة منزلة رفيعة، استمدها من الانتماء لآل البيت كمصدر أساسي لترسيخ شرعيته السياسية. ومن هذا المنطلق يعتبر الزعيم المباشر لكل طبقات المجتمع وفئاته على اختلاف مراتبهم، ومن أراد منهم البروز والظهور عليه أن يتقرب منه ويكسب ثقته؛ وكلما زاد قربه وخضوعه إليه تكبر حظوظ الفرد لنيل الجاه والنفوذ، ليصبح من الوجهاء.

إن تقرب الوجهاء من السلطان لإدراك الحظوة، لم يكن دائما بمبادرة منهم، بل في حالات كثيرة كانت المبادرة تأتي من هذا الأخير؛ فهو يحتاج إليهم في تسيير أمور الدولة وإشراكهم في اتخاذ القرارات المناسبة و الاعتماد عليهم في تركيز نفوذه؛ خاصة من يتوفر منهم على قدرات كبيرة وإمكانات عالية.

وفي هذا الإطار؛ عمد بعض وجهاء المجتمع بمكناس إلى التقرب من السلاطين العلويين الذين عاصروهم، من خلال إظهار ما يمتلكونه من مؤهلات رمزية ومادية، جعلت أنظار هؤلاء الحكام تلحظهم؛ إذ وجدوا فيهم خير سند وأفضل معين لهم في تدبير شؤون الدولة داخليا وخارجيا، فقلدوهم مناصب وظيفية مخزنية متنوعة اختلفت باختلاف قدراتهم، مكنت بعضهم من بناء وجاهته والبعض الآخر من ترسيخها. وبقدر إخلاصهم وولائهم وتفانيهم في عملهم تسمو

[68]- عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981م، ص. 129.

وظائفهم الإدارية وتتعدد، وهو ما يسمح لهم بتحصيل الثروات وتنميتها. فممارستهم للسلطة ساعدهم في الاغتناء؛ لأنهم يعتبرون ممثلين حقيقيين للمخزن[69]، وتبعا لذلك ضمنوا احتلال قدرا أكبر وجاها أعظم. والعكس صحيح؛ إذ كلما ساءت علاقتهم بالسلطان لسبب من الأسباب إلا وفقدوا وظائفهم فيضعف نفوذهم وتختفي وجاهتهم.

نستخلص إذن أن المخزن يساهم بشكل كبير في بروز الوجهاء واستمرار نفوذهم، مستفيدين من حاجته إليهم وحاجتهم إليه في إطار المصلحة المتبادلة.

2 – عامل الخدمة المخزنية:

يرتبط هذا العامل بالذي سبقه؛ ذلك أن سلطة المخزن لا تستقيم إلا بالاعتماد على شبكة من الأفراد والأسر لمساعدته في تدبير شؤون الحكم، الأمر الذي سمح لمجموعة من الشخصيات المكناسية بنسج علاقات قوية مع أعلى هرمه منذ العهد الإسماعيلي، أتاح لهم البروز كعناصر لها حضور قوي داخل مجال تحركها بفضل ما امتلكوه من خصائص ومقومات أهلتهم لنيل ثقة السلاطين، هذه الثقة تجسدت في تقليدهم مسؤوليات كبيرة من وزارة وحجابة وكتابة ونظارة وباشوية وأمانة.

لقد منحت هذه الوظائف المخزنية لأصحابها حق المشاركه وإمكانية المساهمة في التسيير؛ إذ صار لهم وزن سياسي واجتماعي اعتبارا لمواقع السلطة التي يحتلونها[70]، فنجح بعضهم في توظيف منصبه واستثمار سلطته لمراكمة الثروات بمختلف الأشكال والأحجام مستفيدين من امتيازات كالإعفاء من دفع الكلف المخزنية.

---

[69]- Driss BEN ALI, **Le Maroc Précapitaliste: formation économique et** sociale, Société Marocaine des Editeurs Réunis, Rabat, 1983, p. 144

[70]- جون واتربوري، **أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الثالثة، 2013م، ص. 136.

وفي هذا السياق؛ شكلت مدينة مكناس خلال الفترة الممتدة من سنة 1672م إلى سنة 1912م نموذجا لعناصر اتخذوا من الوظائف المخزنية وسيلة رئيسة للوصول إلى السلطة؛ ومن ثم صاروا وجهاء سواء تعلق الأمر بأفراد ينتمون إلى أسر عريقة استغلوا، أو أفراد كانوا مغمورين نجحوا في الارتقاء بحكم الخطط التي أسندت إليهم. ويمثل هذا النموذج بعض المنتمين إلى جيش عبيد البخاري؛ حيث تمكن رؤسائهم وكبار قوادهم من تسلق الهرم الاجتماعي داخل المدينة، بفضل إخلاصهم الشديد وولائهم الكبير للسلاطين العلويين فعهدوا إليهم بمناصب عسكرية من صلب تكوينهم، وأخرى ذات صبغة مدنية[71]، ساهمت في تحصيلهم للجاه والرياسة والنفوذ. إن إشعاع هذه العناصر وتميزها، على اختلاف درجاتها، مستمد من خدماتها المباشرة للسلاطين أكثر من اعتبارها نتيجة لمجهودها الشخصي[72]، وبالتالي فهي تعيش على الدوام وضعية الخضوع والتبعية.

ومما يعكس أهمية الخدمة المخزنية في تحصيل السلطة هو التنافس الشديد الذي كان يطبع العلاقات بين كبار خدام الدولة داخل الأجهزة المخزنية خاصة في فترات الاضطرابات التي كانت تؤثر تأثيرا مباشرا في اختفاء وجهاء وبروز آخرين.

نستخلص مما ذكر؛ أن الوظائف كانت تمثل عنصر تمايز اجتماعي وأحد أهم المقومات التي تساعد متوليها على اكتساب الوجاهة و المكانة داخل التشكيلة الاجتماعية الحضرية، انطلاقا من ولائها ووفائها للمخزن في شخص السلطان الذي يشكل حجر الزاوية داخل النسق السياسي والبناء الاجتماعي.

---

[71]- مصطفى الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830– 1912م**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008م، ج 1، ص. 135.

[72]- عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربيه الحديثة**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، 2010م، ص. 75.

3 – الولاية والصلاح: التصوف[73]:

احتل التصوف بالمغرب أهمية كبرى ابتداء من القرن 5هـ/ 11م، اهتم أصحابه بما سمي العبادات الباطنة وأعمال القلوب وتزكية النفوس؛ بهدف الوصول إلى أعلى مراتب الكمال البشري، أطلق عليهم أهل الولاية[74] والصلاح[75].

اضطلع الأولياء والصلحاء بأدوار حاسمة خلال القرنين 15م و16م، سواء في سبيل الجهاد ومناهضة الغزو الإيبيري للسواحل المغربية؛ خاصة في ظل ضعف الدولة المركزية آنذاك (الدولة

---

[73]– تعددت الأقوال في تحديد الاشتقاقات اللغوية لكلمة التصوف منها: الصوف: يقال تصوف "إذا لبس الصوف" أو الصفاء "صفاء القلوب" أو الصفة "أي الصف الأول بقلوبهم". أما من الناحية الاصطلاحية يعرفها الفقيه محمد الحجوي الثعالبي بقوله:«**هو العلم بتجريد القلب لله وخلوه مما سواه بمعنى تصفية النفس من رعوناتها، والقيام بالورع في الدين، وترك ما يريب إلى ما لا يريب، مع الإكثار من العبادات والذكر، وعدم الغفلة عن الله، وصون الوقت أن يذهب إلا فيما يفيد، ومحاسبة النفس على الأنفاس، ومدار المقصود منه التخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام** »

وقد حدد ميشو بلير المراحل الكبرى التي مر منها التصوف في المغرب بثلاث: الأولى من الجنيد إلى الشاذلي؛ والثانية من الشاذلي إلى الجزولي؛ والثالثة من الجزولي إلى يومنا هذا.

أما فيما يتعلق بمدينة مكناس فقد أشار الأستاذ عبد الواحد الهاروني أن التصوف مر بمرحلتين: المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي إلى حدود القرن 5هـ/ 11م تميزت بخاصية الممارسة الفردية لم تتطور إلى مستوى جهاز تنظيمي، وفي فترة موالية شهدت المدينة استقرارا للتصوف حيث تكاثر عدد الأولياء والصلحاء، لترتقي بعد ذلك إلى مذهب فكري مع اشتهار مجموعة من الأعلام. والمرحلة الثانية شهد فيه التصوف ازدهارا وإشعاعا منذ القرن 9هـ/ 15م مع بروز شخصيات بلغت شهرة كبيرة أمثال: علي بن منون (المتوفى 854هـ/ 1450م) وعمر بن مبارك الحصيني (المتوفى 910هـ/ 1504م) وسعيد بن أبي بكر المشنزائي (المتوفى 960هـ/ 1552م) وعبد الرحمان المجدوب (المتوفى 976هـ/ 1568م) ومحمد بن عبد الرحمان بن بصري (المتوفى 991هـ/ 1583م) .

للمزيد: انظر: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م، عدد الجزء 2، ص. 55. محمد حجاج عبد الرزاق، **الزوايا و المجتمع والسلطة بالمغرب: دراسة حول الزاوية الخمليشية بالريف الأوسط**، أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز– فاس، السنة الجامعية 2001– 2002م، (مرقونة)، ج 1، ص. 103. عبد الواحد الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات في مكناس**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كليه الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003– 2004م، صص. 18– 31.

[74]– الولاية يقصد بها عند المتصوفة محبة الله للعبد وإحسانه إليه، وهي مرتبة رفيعة لا يدركها إلا من التزم بفعل الأوامر واجتنب النواهي، فيطلق عليه حينئذ لقب "الولي". والولاية مراتب منها الغوثية والقطبية والوتدية والبدلية. إدموند دوتي، **الصلحاء: مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2014م، ص. 55. مراد جدي، **تحولات التدين الشعبي بالريفين الأوسط والشرقي: الأولياء والصلحاء أنموذجا**، بحث ماستر التراث الشعبي والتنمية، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، السنة الجامعية 2009– 2010م، ص. 29– 31.

[75]– اصطلاح صوفي يطلق على من صلحت أعمالهم الظاهرة واستقامت أحوالهم الباطنة. دوتي، **الصلحاء: مدونات عن الإسلام المغاربي**، ص. 49.

الوطاسية)، أو في الوقوف إلى جانب أفراد مجتمعهم إبان تعرضهم للمصائب والنوائب، وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى القول إن « **هناك علاقة جدلية بين ازدهار التصوف والواقع المعيش المتأزم، وانسجام كبير بين طبيعة التصوف السائد وطبيعة الأزمة ونوعيتها**» [76].

ومن هنا شكل رجال الصلاح والتصوف أبرز الفاعلين الاجتماعيين داخل محيطهم، نظرا لامتلاكهم مؤهلات رمزية لها قدسيتها تتمثل في البركة والكرامة[77]، جعلت اعتقاد الناس – باختلاف مراكزهم– في قدرتهم تكبر وتترسخ مع مرور الزمن. وفي هذا الصدد حرص السلاطين على التقرب من بعضهم لاستخدامهم كوسيلة للتعبير لتبرير تصرفاتهم وقراراتهم من جهة، وخشية أن تصيبهم اللعنة بمخالفتهم من جهة ثانية. كما أن عوام الناس كانوا يقصدونهم طلبا للحماية ودفع الأذى (الظلم والجوع والأمراض...) فسارت لهم مكانة دينيه واجتماعية مهمة، حتى غدوا «**زعماء اجتماعيين يصغي إليهم جموع ويخدمونهم ويرون فيهم أمثلة للاستقامة التي يفتقدونها في غيرهم**» [78].

استغل الأولياء والصلحاء هذه المكانة التي اكتسبوها من تفاعلهم الإيجابي مع قضايا المجتمع والتأثير فيها، لتكريس نفوذهم وتجذير سلطتهم، فتمتعوا باحترام وتقدير وتعظيم من الجميع. وفي هذا السياق برز عدد من الأعلام بمدينة مكناس اشتهروا بالولاية والصلاح والاستقامة خاصة منذ عهد السلطان المولى اسماعيل، ساهموا مساهمة كبيرة في انتشار الطرق والزوايا الصوفية كالعيساوية

---

[76]– أحمد الوارث، **الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17م و18م**، أطروحة دولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1998م، (مرقونة) ج 2، ص.433.

[77]– الكرامة لغة هي الغطاء الذي يوضع على رأس الجرة أو القدر ، وفي اصطلاح الصوفية تعني الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله عز وجل على يد عبد مؤمن صالح عابد غير مقرون بدعوى النبوة، وبالتالي فهي حكر على المتصوفة، حتى قيل إذا كانت المعجزة من خصائص الأنبياء والرسل، فإن الكرامة خاصية الأولياء. وتصنف الكرامة إلى أنواع: كرامات الخوارق وكرامات معارضة قوانين الطبيعة وكرامات الدعاء وكرامات المكاشفة وكرامات المنح والعطاء. حجاج عبد الرزاق، **الزوايا والمجتمع والسلطة بالمغرب**، ج 1، ص.416.

[78]– أحمد التوفيق، «صلحاء وسلاطين دينامية السلطة في المغرب قبل الحماية»، ضمن **وقفات في تاريخ المغرب**، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ،2001م، ص. 418.

والتهامية الوزانية والرحمانية والعلمية والتجانية والشرقاوية وغيرهم. زادت في رفع قدرهم وإعلاء شأوهم؛ إذ أضحت لهم سلطة أخلاقية ونفوذ روحي داخل المجتمع المكناسي.

لقد نهض متصوفة مكناس بأدوار هامة ومتعددة من خلال دعمهم للسلاطين العلويين وتقديم المشورة والنصح إليهم والدعاء لهم، وفي المقابل حصلوا على امتيازات كثيرة كالإعفاء من الكلف المخزنية في إطار ظهائر الاحترام والتوقير، وكذا مساعدة المحتاجين وإطعامهم وإيوائهم واستشفائهم وحل مشاكلهم، وبهذا حازوا الجاه والوجاهة.

من خلال ما سبق؛ يمكن القول إن التصوف (خاصة الرسمي) يعتبر مصدرا أساسيا من مصادر تحصيل الوجاهة والرفعة والمنزلة في الأغلب الأعم، انطلاقا مما يحمله أهله من قيم رمزية وأيضا من دورهم الفاعل والمؤثر داخل المجتمع.

4 – العلم:

شكل طلب العلم والاشتغال في تحصيله أحد المسالك الأساسية المساعدة على بروز الأشخاص واكتسابهم المكانة الرفيعة داخل المجتمع، إذ منحهم سلطة روحية وقدرة كبيرة على التأثير فيه، فارتقوا إلى مرتبة العنصر المؤسس لتدبير العلاقات الاجتماعية بصفتهم أهل الحل والعقد[79].

وقد تميز النشاط العلمي بالمغرب عبر التاريخ بغلبة الطابع الديني عليه، على اعتبار المنزلة والأهمية التي يحتلها الدين الإسلامي داخل المجتمع المغربي؛ ليس على المستوى الشعبي فحسب، بل

[79]- عبد الله العروي، **الأصول الإجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830– 1912م**، تعريب محمد حاتمي، محمد جادور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2016م، ص. 132.

حتى على المستوى الرسمي؛ إذ كانت الدولة تعتمد على الشرع لاستنباط قوانينها وضبط معاملاتها وتسيير شؤونها[80].

ومن هذا المنطلق اعتبر الفقهاء والعلماء أهم الشرائح الاجتماعية الأكثر نفوذا، حيث تبوأوا شأنا عظيما وشكلوا أحد الأعمدة التي ارتكز عليها النظام الاجتماعي المغربي؛ بدءا من أعلى هرم في الدولة؛ وهم السلاطين الذين عملوا على التقرب منهم والاهتمام بهم من أجل كسب ولائهم الذي يمنحهم سندا دينيا يضفي المشروعية على سياساتهم، فقلدوهم وظائف تأرجحت بين الطابع الشرعي الصرف؛ كالقضاء والفتوى والحسبة والخطابة والإمامة والتدريس، وأخرى ذات طابع إداري فاتخذوا بعضهم مستشارين وكتابا ووزراء وباشوات ورؤساء بعض الفرق العسكرية. هذه الخطط السامية سمحت لهم بالمشاركة الفاعلة في تسيير شؤون الدولة على جميع الأصعدة، وصولا إلى باقي طبقات المجتمع حيث اعتبروا حلقة وصل بينها وبين السلطة الحاكمة، أو فيما بينهم.

وفي هذا السياق؛ نبه علماء من مدينة مكناس، ونجح بعضهم في فرض نفسه طرفا مؤثرا له حضور وازن داخل مجالهم الحضري، لما امتلكوه من مقومات رمزية أهلتهم لتولي مسؤوليات كبيرة ومهام جسيمة، إن على المستوى السياسي بنيلهم منزلة خاصة عند السلاطين العلويين الذين خصوهم بعناية واهتمام كبيرين، أو على المستوى الاجتماعي من خلال تقديمهم لخدمات جليلة لعامة الناس: حل النزاعات بين الأفراد، وتحصينهم من البدع والخرافات، فحققوا الجاه والنفوذ.

والحاصل أن العلماء المكناسيين أدركوا درجة اجتماعية رفيعة، جعلتهم محل تقدير واحترام كبيرين عند كل طبقات المجتمع، بفضل ما حصلوه من علوم نقلية وعقلية عديدة؛ ومن ثم

[80]– عثمان المنصوري، «تأملات في الأدوار السياسية لعلماء المغرب: نماذج من الفترة الحديثة»، ضمن **السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب**: الائتلاف والاختلاف أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي، منشورات جامعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2013، ص 172.

نستخلص أن التحصيل العلمي يعد من القنوات المساهمة في الارتقاء الاجتماعي وبلوغ درجة الوجاهة.

5 – الشرف[81]:

يعتبر الشرف من القيم الرمزية التي لها قدسية داخل المجتمع المغربي، ظهر بالمغرب مع قدوم المولى ادريس من المشرق، وازداد رسوخا مع سقوط الدولة الموحدية واعتلاء بني مرين السلطة، فبدأ الشرفاء يبرزون بوصفهم أطرافا فاعلة داخل مجتمعهم إلى جانب العلماء[82]، تحولوا مع مرور الوقت

[81]– الشرف في لغة العرب هو الموضع العالي الذي يشرف على ما حوله، يقال: هو على شرف من كذا: أي مشرف عليه ومقارب له. وفي الاصطلاح لا يخرج معناه عن المعنى اللغوي: العلو والسمو والحسب والمجد. وقد جعل العلماء الشرف مراتب: شرف العرب على سائر القبائل، وشرف قريش على سائر العرب، وشرف بني هاشم على قريش، وشرف النبي عليه السلام على بني هاشم وعلى سائر الخلق.

يعتبر الشرف من الظواهر الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي ميزت المجتمعات الإسلامية عبر مختلف الحقب الزمنية، وبدوره عرف المغرب ظاهرة الشرف مع مجيء المولى ادريس بن عبد الله و نزوله بزرهون 170هـ، وعموما فشرفاء المغرب ينحدرون من ذرية الحسن والحسين ولدي فاطمة وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ومنهم تفرعوا إلى عدة مجموعات: برز منهم الشرفاء الأدارسة (ينتسبون إلى أبناء ادريس الثاني) والشرفاء العلويين (ينتسبون إلى الحسن الداخل) والشرفاء الشداديون (من ذرية عمران بن يزيد بن صفوان).

وينقسم الشرفاء من حيث ثبوت النسب إلى خمسة أقسام: النوع الأول: هم أصحاب الخبر الصادق على ألسنة قوم لايتصور في العقل تواطؤهم على الكذب كالعلم الضروري، وهم الذين ينزلون منزلة القطع والذين يظنون بهم ظنا قويا. والنوع الثاني وهم أصحاب الشهرة العامة كالمختلف فيه من الحديث الصحيح، يتفاوت في القوة بحسب تمكن الخبر، وهم يظن بهم ظنا قويا. والنوع الثالث وهم أصحاب الرسوم الصحيحة حيث لاطاعن ولا من يعارض دعواهم، وهم كالنوع الثاني في المنزلة. والنوع الرابع وهم الذين يتمسكون بدعوى آبائهم وأجدادهم ولا يزيدون على ذلك ليس لهم إلا بينة قديمة أو متوسطة كالخبر الذي فيه ضعف محتمل. والنوع الخامس وهو كالخبر الذي لم تجمع فيه صفة الحديث الصحيح، فهذا محل الغلط والتشعب وموجب للإنكار. محمد صدقي، مدلول الشرف في اللغة والتاريخ، ضمن قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي أعمال ندوة تكريم الأستاذ إدريس العمراني الحسني ص111. .أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، صص. 9- 14. أحمد الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1987م، ص. 302. محمد عمراني، مادة الشرفاء في المغرب، **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410هـ/ 1889م، ج 15، ص. 5336.

[82]– طرحت قضية أفضلية شرف النسب (الطيني) وشرف العلم (الكسبي) نقاشا كبيرا بين العلماء؛ بين من يعتبر الشرف الطيني أفضل من الشرف الكسبي، ومن يقول العكس. وقد أثيرت هذه القضية أول مرة للنقاش في العصر المريني خاصة في عهد السلطان أبي عنان المريني من طرف العالم أحمد المقري والنقيب محمد العمراني الجوطي. وخلص الباحث محمد عمراني أن هذا النقاش لا يعدو إلا نزاعا بين فئتين اجتماعيتين غير متجانستين في إطار اكتساب مكانة اجتماعية تخوله امتيازات مادية ومعنوية. للمزيد انظر: أحمد التجاني، **نصرة الشرفا في الرد على أهل الجفا**، م.خ.ح، رقم 13848. مرعي الكرمي، **مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب**، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، صص. 39- 42. محمد عمراني، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 9– 13هـ/ ونهاية 15– 19م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2015م، ص. 62- 65.

إلى فئة اجتماعية لها حضور قوي بدعم من السلاطين المرينيين الذين وجدوا فيهم دعامة أساسية لإضفاء الشرعية على حكمهم[83]، فقربوهم إليهم ولحظوهم بعناية خاصة حتى صارت لهم مكانة مرموقة بين الناس. تلك المكانة ستصبح أحد أسس النظام السياسي بالمغرب مع بداية القرن 16م (عصر الدولة السعدية)؛ إذ انتهى الدور السلالي حول الحكم المرتكز على العصبية القبلية[84] وحل محله المشروعية القائمة على النسبة الشريفة[85].

وبمجرد تولي العلويين مقاليد الحكم، أضحى للشرفاء منزلة ومرتبة متميزة داخل التشكيلة الاجتماعية بالمغرب، بفضل تحليهم بأهم صفة؛ وهي الانتساب لأصل شريف ينحدر من النبي عليه السلام عبر ابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما، فاكتسبوا سلطة رمزية ونفوذا اعتباريا زاد من قدرهم ورفع شأنهم، رسخه اعتقاد الناس فيهم بضرورة تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم والنابع من عمق المحبة التي يكنونها لشخص النبي عليه السلام، والتي أصبحت متجذرة في نفوسهم ووجدانهم، باعتبارهم ورثة الرسول الكريم وأن قدراتهم لا تنبع من أنفسهم، يستمدونها من الله سبحانه تعالى، ولا يعدون سوى وسيلة لنقلها[86]. تلك القدرات تتلخص في البركة[87]؛ فهم أهلها

---

[83]- محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين 1792- 1822م**، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006م، ص. 258.

[84]- يعتبر ابن خلدون مؤسس نظرية العصبية التي فسر من خلالها تعاقب الدول في تاريخ المغرب والأندلس، حيث اعتبرها وسيلة أساسية في بناء الدولة في إطار مبدأ القوة والغلبة، فالرياسة في نظره لا تتحقق إلا بوجود عصبية غالبة ذلك أن السلطة السياسية مرهونة بقوة العصبية التي تربط مكونات المجتمع القبلي، فكلما كانت قوية انعكست بالإيَاب على الدولة والعكس صحيح. وقد ارتكزت بعض الدول التي حكمت المغرب على هذا المفهوم مثل الدولة المرابطية (على قبيلة صنهاجة) الدولة الموحدية (على قبيلة مصمودة) . محمد عابد الجابري، **العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة السادسة، 1994م، ص. 165. محمد مزين، «في بناء الدولة المغربية من الدولة الأمازيغية إلى دولة الشرفاء»، ضمن ندوة **تداخل الثقافة الأمازيغية والثقافة العربية**، تكريما للأستاذ الجليل أحمد بوكوس، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009م، ص. 21.

[85]- عبد اللطيف اكنوش، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1980م، ص. 102.

[86]- العروي، **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية**، ص. 129.

[87]- البركة: لغة الثبوت والاستقرار، يقال برك البعير أي لزم موضعه، ومنها الزيادة والنماء والتبريك والفيض. واصطلاحا هي تلك القوة الخفية التي تحمل معها الخير، والتي يمنحها الله سبحانه وتعالى لمن اصطفاه من عباده وقربه إليه، وبالتالي فهي قدرة خارقة تنتقل إما عن طريق الوراثة (الانتساب إلى البيت النبوي) وإما عن طريق الولاية والصلاح (الاكتساب)، فيصبح حاملها مقصدا للناس للتبرك به والتماس الدعم المعنوي للتخفيف عن همومهم ومصائبهم. حجاج عبد الرزاق، **الزوايا و المجتمع والسلطة بالمغرب**، ج 1، ص. 413. السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس**، ص. 41- 42. محمد المنصور، مادة البركة، **معلمة المغرب**، ج 4، صص. 1182- 1183.

الذين يطمئن الناس لوجودهم، وترتاح نفوسهم عند مجالستهم، يشكلون حرزا يحرس مجالهم من كل الأخطار والمصائب، وهو ما يعطيهم خصائص تصل إلى درجة الخوارق تفوق قدرات الناس العاديين وتميزهم عنهم. ومن هنا تتأسس قدرة أخرى مرتبطة بالأولى وهي الشفاعة[88]؛ فشرفهم الطيني يمنحهم سلطة روحية على أفراد مجتمعهم تجعلهم يحاطون بهالة من التقدير ولا أحد يتجرأ على منازعتهم أو معارضتهم، فصار الناس يقصدونهم للتوسط إما بجلب الخير لهم أو دفع الشر عنهم؛ بمعنى تحقيق المبتغى عند من يملك ذلك.

كما كرس السلاطين تميز الأشراف داخل المجتمع بنهج سياسة خاصة بهم ارتكزت على تعظيمهم ومعاملتهم معاملة تليق بنسبهم الشريف وتناسب قدرهم المنيف. وقد تجلت مظاهر تلك السياسة في عنايتهم بتحقيق أنسابهم وحفظها عن طريق تعيين نقباء يرعون شؤونهم ويضمنون حقوقهم، إضافة إلى إعفائهم من الوظائف المخزنية والكلف السلطانية (المؤونة والسخرة...) من خلال منحهم ظهائر التوقير والاحترام، وكذا الإغداق عليهم بالجرايات الشهرية، وتحمل نفقاتهم، وتخصيص عقارية تحفظ لهم مستوى عيش أفضل ينسجم ومكانتهم الروحية. وفي المقابل؛ عملوا على احتوائهم وتوظيفهم لإضفاء المزيد من الشرعية على حكمهم.

غير أنه لا ينبغي أن يفهم من كلامنا أن الأشراف كانوا يشكلون فئة متجانسة ومتساوية في الحقوق والامتيازات؛ بل هم على مراتب بعضها فوق بعض؛ حيث يصنفون إلى أعيان الشرفاء ووجهائهم ثم عامتهم[89]. وفي هذا الإطار برز صراع بين أهل العصبية من الشرفاء، وباقي الشرفاء (عامتهم) من الذين لا ينتمون إلى الفروع المحددة[90].

---

[88]- الشفاعة: لغة مشتقة من الشفع، يقال: شفع الشيء أي ضم مثله إليه وجعله زوجا. واصطلاحا هي ممارسة يومية يلجأ إليها الأفراد لقضاء حوائجهم وتحقيق مصالحهم، يقوم على طلب التوسط ممن هو أهل لذلك من بينهم الشرفاء لما لهم من سلطة روحية وحظوة اعتبارية. ويميز الفقهاء بين نوعين من الشفاعة: خاصة بالنبي عليه السلام، وعامة يشاركه فيها من أذن لهم الله تعالى من الصالحين والأولياء، ويكون فيما يقدر عليه العبد و يستطيع القيام به. العروي، **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية**، ص. 129.

[89]- الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 90- 91.

[90]- أصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الله ظهيرا مؤرخا في 28 ربيع الثاني 1190هـ/ 15 يونيو 1776م، حصر الأشراف في ستة عشر شعبة وهم: الإدريسيون أهل دار القيطون- الطاهريون- العمرانيون- الطالبيون- الغالبيون- الصقليون- العراقيون- المسفريون- الدباغيون

وعلى غرار حواضر المغرب، شهدت مدينة مكناس استقرار أعداد كبيرة من الشرفاء خاصة مع تسلم السلطان المولى إسماعيل العرش واتخاذه المدينة عاصمة لملكه، فأصبحت لهم منزلة اعتبارية أهلتهم للقيام بأدوار سياسية واجتماعية مؤثرة ساهمت في تقوية نفوذهم وتعزيز سلطتهم وترسيخ وجاهتهم داخل المجتمع المكناسي، وعملوا على صيانتها وتجذيرها من خلال توريثها إلى خلفهم في إطار مؤسسة العائلة؛ لكن بالقدر الذي يفوضها لهم السلاطين باعتبارهم مصدر السلطة كلها[91].

وبناء على ما سبق؛ يمكن القول إن الشرف شكل أحد عوامل تشكل طبقة الوجهاء داخل المجتمع المغربي عامة والمكناسي خاصة؛ حيث منحهم تفردا وتميزا عن باقي الشرائح الاجتماعية، فتبوؤوا مراكز رفيعة جعلت العديد من الأفراد غير الأشراف يسعون لبلوغ مرتبتهم إما بطرق مشروعة كالمصاهرة، وهم الذين يطلق عليهم الأشراف من جهة الأم[92]، أو بسبل غير مشروعة كادعاء النسب الشريف من خلال الاحتيال وتزوير رسوم النسب، الأمر الذي تطلب تدخلا شخصيا من السلاطين العلويين لضبط الأمور؛ خاصة في عهد المولى إسماعيل والمولى سيدي محمد بن عبد الله والمولى سليمان.

6 – الهجرة:

تعتبر الهجرة من الظواهر البشرية التي طبعت البلدان والمجتمعات قديما وحديثا. وما من شك أن المغرب عرف هذه الظاهرة على امتداد تاريخه؛ حيث توافدت عليه عناصر وتشكيلات سكانية

الكتانيون– الكانونيون– الشفشاونيون– الفضيليون– الطاهريون أهل مكناسة وأهل حمام الجديد– أولاد سيدي علي منون– من هو متأهل بفاس من بني عمنا. لمطالعة نص الظهير انظر: المنوني، **وثائق ونصوص**، ص ص. 84– 85– 86– 87.

[91]– العروي، **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية**، ص. 131.

[92]– يصنف الأشراف إلى نوعين: الشرف من جهة الأب أو ما يطلق عليهم "أشرف الدم" هم النواة الأولى من الأشراف من حيث انتسابهم إلى النبي عليه السلام من جهة الآباء. وأشراف من جهة الأم أو ماعرف بـ"شرف البطن" وهم الذين انتقل إليهم الشرف عبر المصاهرة مع أشرف الدم. وإذا كان الصنف الأول لا جدال في صحة نسبهم، فإن الصنف الثاني أثار جدلا بين الفقهاء الذين انقسموا إلى ثلاثة آراء: الأول يثبته ويجعله في مرتبة الشرف من جهة الأب، والثاني ينفي الشرف من جهة الأم ويحصر صحته فقط في فاطمة في نسل ولديها الحسن والحسين، والثالث حاول التوفيق بين الرأيين الأوليين من خلال إجازته للشرف من الأمهات لكن يجعله في مرتبة أقل من الشرف الأبوي. عمراني، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي**، ص. 61– 62.

أتت من كل الاتجاهات أسهمت في تنوع بنيته الديموغرافية سواء في الأرياف أو المدن، ومنها مدينة مكناس التي شهدت منذ نشأتها وفود عناصر بشرية استقرت بها عبر فترات زمنية مختلفة؛ خاصة ابتداء من سنة 543هـ/ 1148م[93] واستمرت طيلة مراحل تطورها العمراني. ويمكن تصنيف تلك العناصر إلى:

- **البربر**: من أبرز مكونات التشكيلة السكانية بالمدينة، استوطنوا بداية في أحوازها –قبل تأسيسها– حيث أطلق عليها اسم "حوائر". وخلال العصر المرابطي تشكلت النواة الأولى للمدينة التي عرفت باسم "تاكرارت"[94]، ضمت في البداية عددا قليلا من البربر، لتشهد بعد ذلك توسعا عبر فترات لاحقة. ومن أهم فروع البرابر نجد: الفرع الزناتي (قبيلة مكناسة) والفرع الصنهاجي، والفرع المصمودي.
- **العرب**: من العناصر الأساسية في تركيبة المجتمع المكناسي، يرجع تاريخ استقرارهم منذ الفتح الإسلامي، ازدادوا كثافة منذ العصر الموحدي بعد قدوم قبائل عربية من المشرق إلى بلاد المغرب؛ أشهرها بنو هلال وبنو سليم وبنو معقل ابتداء من منتصف القرن 5هـ/ 11م، استوطنوا في أول أمرهم مناطق الشاوية ومنها نزح بعضهم إلى مدينة مكناس.
- **الأندلسيون**: هم من الفئات المهمة داخل البنية الاجتماعية لمدينة مكناس، نزل بعضهم فيها منذ زمن بعيد[95]، ثم تكاثرت أعدادهم بعد سقوط غرناطة سنة 1492م في أعقاب طرد الموريسكيين سنة 1609م، فتكونت عائلات مكناسية من أصل أندلسي كان لها حضور بارز.

---

[93]– محمد اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر** (1850– 1912م)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1404هـ/ 1984م، ص. 32

[94]– تاكرارت: كلمة بربرية معناها الحصن أو القلعة، اتخذها المرابطون مكانا لاستقرار حاميتهم العسكرية، نظرا لموقعها الاستراتيجي. للمزيد انظر: ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، دراسة وتحقيق عطا أبو رية وسلطان بن مليج الأسمري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م، ص 59. جمال حيمر، **مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003– 2004م، ص. 83– 84.

[95]– اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص 36.

- **اليهود**: يعود وجودهم على أرض المغرب قديما منذ فترة مبكرة من التاريخ[96]، دخلوا عبر بوابتين: أوروبية ومشرقية[97]، استقر أغلبهم في المناطق الجنوبية (حاحا، سوس، درعة، طاطا)، وجزء آخر تمركز في المدن الكبرى منها مدينة مكناس؛ تزايد عددهم بشكل لافت خلال القرن 8هـ/ 14م[98]. ومنذئذ أضحت لهم مكانة داخل البناء الاجتماعي للمدينة، تعززت أكثر منذ عهد السلطان المولى إسماعيل الذي قرر تشييد مكان خاص بهم سمي "الملاح" وهو ثالث ملاح بالمغرب بعد ملاحي فاس ومراكش[99].
- **الزنوج الأفارقة**: نزحوا إلى المغرب منذ أمد بعيد قادمين من الأطراف الشمالية الغربية من الصحراء الكبرى الحالية[100]، ومنهم ينحدر العبيد والحراطين بالمغرب، ازدادت أهميتهم مع حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي للسودان الغربي سنة 1691م. إلا أن إشعاعهم سيبرز بمدينة مكناس خلال فترة حكم السلطان المولى إسماعيل؛ حيث شكل منهم نواة جيشه الذي أطلق عليه "جيش عبيد البخاري"، نجح بعض أفراده في ارتقاء مراتب الهرم الاجتماعي داخل المدينة وخارجها.

ويمكن إجمال أسباب الهجرة والنزوح نحو مدينة مكناس في:

---

[96]- لم يتفق المؤرخون والباحثون في تحديد بدايات الوجود اليهودي بالمغرب: فهناك من يرجعه إلى ما قبل العصر البابلي، وهناك من يقول العصر الفينيقي، وآخرون يربطونه بالعصر الروماني. وعموما يمكن القول أن هذا التواجد اقترن بفترات تاريخية قديمة. محمد الوادي، **الوجود اليهودي بالمغرب: الجذور والتمظهرات**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م، ص. 87.

[97]- إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1987م، ص. 34.

[98]- أحمد شحلان، «مدن مغربية في كتابات عبرية صفرو ومكناس ودبدو»، ضمن **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص. 267.

[99]- روبير أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ترجمة علي القلي ومحمد كلزيم، الطبعة الأولى، 1997م، ص. 48.

[100]- أحمد عبد اللوي علوي، **مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، 1416هـ/ 1996م**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ج 1، ص. 266.

- ✓ ازدهار المدينة عمرانيا منذ العصر المريني، والذي تكرس مع اعتلاء العلويين السلطة بالمغرب خاصة في عهد السلطان المولى إسماعيل، لتصبح نقطة جذب العديد من العناصر البشرية للتمركز فيها.
- ✓ الهجرة القسرية من المناطق التي كانت تعرف حروبا واضطرابات، والتي شكلت ضغطا على العناصر المستقرة بها دفعها إلى النزوح، مثلا من الشاوية ودكالة ورجراجة (هجرة القبائل العربية) الأندلس(حروب الاسترداد)[101].
- ✓ الموقع الاستراتيجي للمدينة، جعل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب تهتم بها، بحكم القرب من الأطلس المتوسط الذي كان يشكل نقطة انطلاق العديد من الثورات والحركات المناوئة، ومن شأن السيطرة على المدينة واتخاذها مركزا عسكريا أن يسهم في القضاء عليها.

نستخلص مما سبق؛ أن البنية الاجتماعية بمدينة مكناس اتسمت بالتنوع والتعدد، هذا الخليط البشري الذي استوطنها عبر فترات تاريخية متعاقبة أفرز عناصر برزت واشتهرت وارتقت داخل التشكيلة الحضرية، ونجحت في تكوين طبقات كان لها فضل المساهمة، بشكل أو بآخر، في كل التغيرات التي طرأت لا على المدينة فحسب، بل على مستوى البلاد ككل.

ومن هنا نستنتج أن الهجرة تعتبر من العوامل الرئيسية التي أسهمت في تشكيل نواة عناصر وجيهة داخل المجتمع، لأنها أتاحت الفرصة لاستقرارها؛ ومن ثم اضطلاعها بأدوار مؤثرة في تحولاته.

7 – الثروة:

شكلت الثروة وسيلة من وسائل المساعدة على الترقي داخل المجتمع الحضري، وإحدى العوامل المحددة للعلاقات الاجتماعية والمتحكمة في تراتبيته[102]. وتعتبر فئة التجار الفئة المعنية بها

[101]– اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص 40.

[102]– السعود، **تطوان في القرن الثامن عشر**، ص. 218.

بدرجة كبيرة؛ فبحكم الأنشطة التي كانوا يمارسونها تمكنوا من مراكمة الثروات، التي خولتهم منزلة بين أوساط مجتمعهم استثمرها بعضهم بطريقة أفضل، فاحتل موقعا ضمن الوجهاء والأعيان.

سهل الثراء على بعض العائلات والأفراد البروز من خلال نسج شبكة علاقات متعددة الأطراف، شملت مختلف الفاعلين من مخزن وعلماء وأشراف ومن دونهم، دعمت مكانتهم داخل المجتمع. لكن تلك المكانة لم يدركوها بسبب ثرائهم فقط، ذلك لأن الثروة لم تكن كافية لتمدهم بوسائل التأثير السياسي[103] إلا في حالة نجاحهم في استثمار علاقاتهم، خاصة مع السلطة المركزية بخلاف الشرفاء والعلماء[104]. فالدولة ممثلة في شخص السلطان، كانت تحتكر النشاط التجاري وتتحكم في مصادره وموارده؛ بحيث « **انتظمت دورة اقتصادية محدودة تكاد تكون مشدودة حول شخصية السلطان** »[105]، وبالتالي فإن معظم التجار الذين برزوا كانوا مرتبطين بشكل أو بآخر مع المخزن. وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة عند تحليلنا لعلاقة الجاه بالنفوذ؛ حيث أكد ابن خلدون أن نجاح التاجر في تحصيل الجاه يتحدد انطلاقا من طبيعة علاقته بالسلطة ف « **المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثه عن أحد من أهل بيته، فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين أهل عصره** »[106].

وكما هو الشأن بالنسبة لحواضر المغرب، عرفت مكناس ظهور فئة التجار، الذين أسهموا بدور كبير في الرواج الذي شهدته المدينة سواء على المستوى المحلي أو الاقليمي، ازدادت أهميتهم خلال القرن 19م مع انفتاح المغرب على التجارة الدولية على الخارج واندماج اقتصاده في النظام الرأسمالي العالمي[107]. وهو ما جعلهم يسيطرون على جزء مهم من الثروة. كل ذلك كان تحت

---

[103]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص.39.

[104]- نورمان سيكار، »البنيات السوسيو- اقتصادية وتطور البورجوازية الحضرية في مغرب ما قبل الاستعمار«، **مجلة المغرب**، المجلد السادس، العدد 3- 4، ماي- غشت 1981م، صص 57- 61.

[105] - BEN ALI, **Le Maroc Précapitaliste**..., op.cit, p. 98.

[106]- ابن خلدون، **المقدمة**، ج 2، ص. 89.

[107]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص.39.

مراقبة السلاطين وموافقتهم؛ حيث سمحوا لهم بالتجارة مع الأجانب. وبهذا ضمت مكناس عددا مهما من التجار الكبار الذين كانوا ينتمون إلى عائلات وأسر عريقة، كان لها دور جوهري في تفعيل الدورة الاقتصادية بالمجتمع المكناسي، فحاز بعضهم الجاه والنفوذ والسلطة تحت المظلة المخزنية. وحرصوا على ترسيخ مكتسباتهم من خلال توريثها لخلفهم.

نستطيع بناء على ما ذكر؛ القول إن الثروة تعد إحدى السبل الموصلة إلى أعلى سلم الهرم الاجتماعي، تمنح لصاحبها حضورا وتأثيرا في مجتمعه، لكنهما مرهونان بشكل العلاقة الناظمة بينه وبين المخزن.

الفصل الأول:

التعريف بوجهاء المجتمع بمكناس قبل الاستعمار

(1672– 1912م)

إن حديثنا عن وجهاء المجتمع بمكناس بصفتهم أفرادا ساهموا في التطورات الكبرى التي شهدها في شتى مناحي الحياة، لا يمكن فصله عن انتماءاتهم الأسرية وجذورهم العائلية، فالأسرة/العائلة هي الخلية الأولى واللبنة الأساسية في البناء الإجتماعي، حيث يعد وجودها من أقدم الأنساق المجتمعية، فداخلها يتم تنشئة الفرد وتهذيبه اجتماعيا، وفي الوقت نفسه يضمن استمراريتها وديمومتها، وبالتالي لا تقتصر أهميتها فقط كونها خلية ديمغرافية واجتماعية، بل في أهمية دورها في المجتمع من خلال تقديمها عددا من الأفراد يشاركون في حياة المجتمع كأعضاء فاعلين[108].

ويزداد شأن الأفراد إذا كانوا ينحدرون من عائلات عريقة تمتعت بالوجاهة والنفوذ التي يطلق عليها مصطلح البيوتات[109]، ورغم أن أصل كل بيت نبيه ومنشئه يبدأ بشخصية واحدة تتمتع بصفات خاصة نجحت في البروز اكتسبت شهرة واسعة ومكانة مرموقة، يعمل على توريثها لعقبه المتناسل[110]، فإن البيت يظل هو ذلك الوعاء الحافظ والقناة الحاضنة للقيم الرمزية والمادية، الذي يحفظه ويعززه من خلال نقله من جيل إلى آخر عبر التاريخ[111].

---

[108]- حسام محمد عبد المعطي، **العائلة والثروة: البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م، ص. 44.

[109]- البيوتات لغة جمع بيت: هو المسكن، وبيت الرجل امرأته وعياله، وإذا قيل أن هذا الشخص من أهل البيوتات معناه أنه من بيت كريم.. واصطلاحا هو: «**أن يعد الرجل في آبائه أشراف مذكورين يكون له بولادتهم إياه والإنتساب إلهيم تجلة في أهل جلدته، لما وفر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم**».فالبيت ما كان له سابقة (ما سلف من شرف الآباء) ولاحقة (شرف الأبناء).نستخلص أن البيوتات هي أسر/ عائلات متنفذة داخل بيئتها، تحظى بمكانة اعتبارية بفضل ما حازته من مجد ووجاهة، أنجبت العديد من الأفراد الذين برزوا في مجالات مختلفة، وبالتالي كان لهم حضور فاعل ومؤثر ساعدهم على صيانة وجاهتهم وتجذير نفوذهم. **المعجم الوسيط**، الصادر عن مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، 2004، ص. 78. ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004، الجزء الأول، ص. 263. محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، ج 1، ص. 45.

[110]- فوزية لزعم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925- 1246هـ/ 1520-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية 2013- 2014م، ص. 28.

[111]- العياشي عنصر، «الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة»، **عالم الفكر**، العدد 3، المجلد 36، يناير- مارس 2008، ص. 281.

وباستقرائنا كتب التراجم التي أرخت لأفراد البيوتات المشهورة؛ نستطيع القول إن المغرب كله في جميع المجالات إنما هو في نهاية التحليل تاريخ بيوتات صغرى (الأسر) وبيوتات كبرى (عائلات) توزعت فيما بينها السلطة السياسية والإجتماعية والثقافية[112].

إن ظاهرة البيوتات هي ظاهرة متأصلة في التاريخ المغربي عامة ومتجذرة فيه، قد أثارت انتباه المهتمين بهذا الحقل[113]، ولم تشذ مدينة مكناس عن هذه القاعدة، إذ برزت فيها مجموعة من البيوتات النبيهة التي حظيت بالجاه العظيم والمجد الكبير والقدر الرفيع لدى مختلف مكونات المجتمع، أتاحت لأفرادها فرصة تسلق المناصب السامية والوظائف العالية وعملوا على احتكارها، فتبؤوا أعلى الهرم الإجتماعي.

ونظرا لمكانتها في المجتمع المكناسي عملت السلطة المركزية على الإستعانة بأعلامها ووظفتهم حسب مجال إشعاعهم سياسية دينية، مستفيدة من مؤهلاتهم وما اكتسبوه من آبائهم وأجدادهم.

ولا ينبغي أن يفهم كلامنا أن نفوذ البيوتات كان أقوى من السلطة –على الأقل في ما يتعلق بمكناس– بل العكس حيث كانت تابعة وخاضعة، والدليل هو اختفاء بعض البيوتات من الساحة السياسية والاجتماعية وبروز أخرى، وبالتالي فإن المخزن –كما أسلفنا في الفصل الأول– يتدخل بشكل مباشر في نشأة البيوتات واستمراريتها.

---

[112]- عبد السلام شقور، من بيوتات سبتة في القرن 8،**دعوة الحق**، العدد 286، صفر- ربيع 1-ربيع 2/ شتنبر-أكتوبر-نونبر 1991، ص. 101.

[113]- أسماء بعض الكتب حول البيوتات:

- **إسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرا**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- عبد الرحمان الفاسي الفهري، **بيوتات فاس الصغرى**، م.خ.ح رقم 3621.
- جان كاستي، **بيوتات مدينة سلا**، تعريب نجاة المريني، الخزانة الصبيحية، سلا، 1989.
- عبد الله الداودي، **بيوتات طنجة خلال القرن 18 من خلال حوالة أحباسها دراسة وثائقية**، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، الطبعة الأولى، 2013 م.
- محمد بو زيان بنعلي، **بيوتات العلم والأدب بفجيج**؛ تقديم مصطفى بن حمزة، دار النشر الجسور، وجدة، 1422هـ/ 2002م.

والآن نتساءل: ما هي أشهر البيوتات الوجيهة التي برزت داخل المجتمع المكناسي؟ وما هي أصولها؟ ومن هم الذين كانوا ينتمون إليها؟ وقبل البدء في الإجابة عن هذه التساؤلات، لابد أن نشير إلى ثلاث مسائل منهجية –في اعتقادنا– أساسية:

- ✓ الأولى: عمدنا إلى تصنيف البيوتات الوجيهة بمكناس وفق أسس ومعايير محددة، تتمثل في مجال بروزها وحقل اشتغال أفرادها ونوعية الوظائف التي مارسوها داخل المدينة. ومن هذا المنطلق قسمنا هذه البيوتات إلى أربعة: شريفة وعلمية ومخزنية وتجارية، وهو تقسيم وضعناه فقط من أجل تسهيل عملية البحث والتقصي.
- ✓ الثانية: أننا لا نزعم الإلمام بكل البيوتات الوجيهة التي عاشت في مدينة مكناس لا قصورا ولاتقصيرا، وإنما لسبب مهم أن التاريخ لم يحفظ لنا معلومات حولها، وعلى هذا الأساس قمنا بالتركيز –في حدود ما جادت به المصادر– على البيوتات العريقة والمشهورة من خلال التفصيل في أخبارها والإشارة إلى أفرادها الذين ذاع صيتهم داخل المجتمع المكناسي.
- ✓ الثالثة: اعتبرنا الفرد "وجيه" من وجهاء المجتمع بمكناس كل من برز واشتهر بالمكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة داخل المدينة، بغض النظر أهو مكناسي الأصل أم المنشأ أم الإقرار أم الوظيف أم الإقبار.

❖ **المبحث الأول: البيوتات الشريفة بمكناس**: هي تلك الأسر والعائلات التي يصعد نسبها إلى النبي عليه السلام، تمتعت بمكانة اعتبارية مميزة. من هذه البيوتات:

بيت الأمراني:

من البيوتات المكناسية التي تعتبر أصيلة الشرف نبيلة الفضل، ينتسبون إلى زواية الأمراني بمنطقة تافيلالت؛ وهي زاوية مباركة لها حرمة عظيمة، إذ يعد « **أهلها من الأشراف الأخيار الطيبين النجار، لا تلقى أحد منهم إلا وتوسمت فيه الصلاح والخير والنجاح، عالما**

بمصالح دينه ودنياه» [114]. ينحدرون من مولاي محرز بن علي بن يوسف بن علي المشهور بمولاي "علي الشريف"، وعلى هذا الأساس تجمعهم بالسلاطين العلويين قرابة دم ونسب، فهم أبناء عمومتهم[115]، إذ يلتقون معهم عند الجد علي بن يوسف[116].

ظل الأمرانيون مستقرين بمنطقتهم إلى حدود القرن 11هـ/ 17م، حيث بدأوا في الإنتشار عبر مناطق المغرب ومدنه، فدخلوا إلى مدينة مكناس أيام حكم السلطان المولى الرشيد[117]، وسرعان ما حظوا بمكانة رفيعة داخل مجتمعهم الجديد، نظرا لتوفرهم على صفة مميزة ألا وهي نسبهم الطيني، جعلهم يظفرون بالجاه والرياسة والنفوذ، عززوه بعلاقتهم القوية مع المخزن العلوي، فأنزلهم السلاطين منزلة عالية وخصومهم بعناية سامية، برهنت عليها ظهائر التوقير والتبجيل والتعظيم التي منحت لبعض أعلامهم، وكمثال على ذلك الظهير الذي أصدره السلطان المولى الحسن والمؤرخ في 11 جمادى الأولى 1309هـ/ 12 دجنبر 1891م نوه فيه بمكانة محمد الأمراني وأخيه ومن خلالهما أسرتهم، والشاهد فيه:« ...**أقررنا حملته أبناء عمنا سيدي محمَّد ابن المرحوم بكرم الله مولاى محمَّد الأمرانى وشقيقيه مولاى عبد السلام، ومولاى الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام، ومزيد القرب والاجتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما بحيث لا يسام جانبهم باهتضام. ولا يعاملون إلا بالجميل والإعظام، وأبقيناهم في ذلك على**

---

[114]– أحمد بن محمد العلوي الحسني، **الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، م.خ.ح، رقم 4489،

[115]– جد الملوك العلويين هو مولاي الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن القاسم. ابن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م، ص. 30- 31.

[116]– أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ص. 78.

[117]– الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1987م، ص. 83.

عادتهم المألوفة، وطريقتهم المعروفة، من التحرير من جميع الكلف المخزنية، والوظائف السلطانية...» [118].

أنجب بيت الأمرانيين شخصيات بارزة اضطلعت بأدوار مهمة، نجحت من خلالها في فرض نفسها كطرف فاعل ومؤثر داخل مدينة مكناس وخارجها؛ ومن أمجد هذه الشخصيات نذكر:

- **محمد بن عبد الله بن الطاهر**: كان من الشرفاء المشهود لهم بالصلاح والفضل، المحبين للعلم وأهله، تنقل بين زرهون وفاس قبل أن يستقر بشكل نهائي بمكناس، عرف عنه ميله للتصوف إذ انخرط في الطريقة الناصرية وصار من أتباعها المطيعين.

تقلد وظيفة الخطابة بالجامع العتيق بنفس المدينة[119]، حظي بتقدير كبير بين الناس لما كان له من السمعة الطيبة والأخلاق الحميدة، بوأته مكانة مرموقة عند السلطان المولى سليمان الذي شرفه بمصاهرته بابنته الشريفة أم هاني، كما بلغ شأوا عند كبار رجال المخزن، ففي رسالة وجهها الوزير المختار الجامعي له خاطبه بعبارة «**سيدنا الشريف الجليل، الماجد الأصيل، والفقيه العلامة الدراكة مولاي محمد بن عبد الله الأمراني**»[120]. ظل على هذه المرتبة السامية إلى أن أدركته الوفاة سنة 1275هـ/ 1859م.

- **عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن الطاهر**: ولد سنة 1250هـ/ 1834م، حلاه ابن زيدان بقوله « **فقيه أديب، دين خير فاضل، وجيه نزيه، صدر رئيس سياسي مذاكر**»[121]، تصدر لخطة العدالة بسماط مكناس، كان ذو حظوة ووجاهة عند العامة والخاصة، عكستها

---

[118]- عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ج 4، ص. 336.

[119]- نفسه، نفس الجزء، ص. 282

[120]- نفسه، نفس الجزء، ص. 283.

[121]- نفسه، ج 5، ص. 438

المهام التي أنيطت به، وفي هذا الإطار اعتمد عليه السلاطين الذين عاصرهم في إخماد القلاقل التي نشبت بالأطلس المتوسط مستفيدين من مكانته الاعتبارية ولما اشتهر به من حنكة سياسية وخبرة عسكرية، فأدرك درجة عالية حيث «**كان للكل به الثقة الكاملة لما علموه من صدقه وأمانته ومحبته الخير القوي والضعيف والمشروف**»[122]. ومن تمام شفوف مركزه أن السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان صاهره بأخته، وبعد وفاتها، زوجه المولى الحسن بأخته كذلك. توفي سنة 1327هـ/ 1909م.

- **محمد بن محمد بن عبد الله بن الطاهر**: ولد 1249هـ/ 1833م، من أبرز الوجهاء الذين تركوا بصمات واضحة في الذاكرة المكناسية والمغربية عموما، حلته بعض مصادر ترجمته بكونه «**فاضل وجيه نزيه، نسيب حسيب نبيل، سياسي ماهر، داهية عاقل، حنكته التجارب وحنكها، فارس شجاع، خبير بالأمور، بصير بالعواقب**»[123]. هذه الخصال أكسبته إعجاب السلطان المولى الحسن وخلفائه من بعده، فحفه باهتمام كبير حيث أسند إليه مهمة المشرف على تسيير أملاك ابنه وولي عهده المولى عبد العزيز، كما صاهره بأخته السيدة أم كلثوم. وبحكم كفاءته التدبيرية كلف بعدد من المسؤوليات الحساسة، أهلته لتسلق أعلى مراتب السلطة: من مستشار للسلطان المولى الحسن إلى قائد الجيش في عهد المولى عبد العزيز، ثم خليفة السلطان المولى عبد الحفيظ على مدينة الدار البيضاء[124]. توفي سنة 1331هـ/ 1913م.

- **علي بن الشاد بن محمد بن العربي بن الطالب الأمراني**: فقيه اتصف بالصلاح والفضل، ومتانة الدين[125]، برع في علوم الفقه والتفسير والسير والفرائض، والفضل يعود إلى مشيخة بلدته مكناس الذين أخذ عنهم أمثال: المفضل السوسي ومحمد السوسي والغالي السنتيسي

---

[122]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس** ، ج 5، ص. 444.

[123]- نفسه، ج 4، ص. 335.

[124]- علال الخديمي، مادة الأمراني، **معلمة المغرب**، الجزء 2، ص. 693.

[125]- عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997.، ج 2، ص. 426.

والمعطي بن عبود وغيرهم، فتصدى لخطة العدالة بسماط المدينة، خصه السلطان المولى الحسن بعناية كبيرة حيث رفعه إلى مرتبة أشقائه يتمتع بنفس الإمتيازات المكفولة لهم[126]. توفي سنة 1338هـ/ 1920م ودفن بصحن الضريح الاسماعيلي.

بيت البوعناني:

أسرة عريقة الشرف حسيبة المجد، يتصل نسبها بالمولى إدريس الأكبر عن طريق حفيده داوود، كان محل استيطانها الأول في مدينة تلمسان بالجزائر، نزح بعض أفرادها إلى منطقة دكالة ومنها لمدينتي فاس ومكناس. نوهت بهم بعض المصادر بالقول: « **فلهم شهرة بالنسب الشريف الرفيع، عند الشريف والوضيع، وتقدمت لهم صدر هذه الدولة العلوية الحسنية ولآيات خصوصا خطة القضاء، فقد تداولها عدد منهم، وتصدروا الإفتاء والتدريس، فركبوا السنام العالي، وطلعوا أقمارا في فلك المجالي**»[127].

هذا القدر الرفيع والشأن الكبير اكتسبوه زمن حكم السلطان المولاى الرشيد[128]، بسبب موقفهم المؤيد له بالدخول إلى مدينة فاس[129] ومبايعته بها «**فسر بهم، وبقي يرعاهم قيل: وهذا من أسباب تولية أحفادهم القضاء من قبل مولانا إسماعيل، لما يعلم فيهم من تقرر محبة الإمارة**» [130].اشتهر من البيت البوعناني بمدينة مكناس:

- **محمد الطالب بن عبد الواحد بن محمد البوعناني**: حلي في إحدى العقود المؤرخة في 11 جمادى الأولى 1136هـ/ 5 فبراير1724م بـ «**الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، الشريف**

---

[126]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 561.

[127]- مولاي إدريس الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، مطبعة فضالة، المحمدية 1420هـ/ 1999م، ج 2، ص. 168.

[128]- يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة العلويين بالمغرب، حكم خلال الفترة الممتدة ما بين 1075- 1082هـ/ 1664- 1672م.

[129]- شكلت مدينة فاس بالنسبة للمولى الرشيد أهميه بالغة نظرا لموقعها الاستراتيجي، ذلك أن إحكام سيطرته عليها سيفتح له الطريق لتوحيد معظم جهات المغرب، بنجح في الدخول إليها بعد عدة محاولات دامت قرابة سنة كاملة (1076هـ/ 1665- 1666م).

[130]- محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م، ص. 47.

الأحفل، المدرس البركة، الحافظ الحجة قاضي الجماعة بالحضرة السلطانية»[131]. نشأ في وسط أسري يقدس العلم وأهله، تتلمذ أول أمره في حجر والده القاضي الفقيه الشيخ عبد الواحد البوعناني[132]، ثم درس العلوم على يد أكابر علماء زمانه، فذاع صيته وانتشرت أخباره بين الناس إلى أن وصلت إلى مسامع السلطان المولى إسماعيل الذي قرر تقليده خطة قضاء مكناس، ثم رقاه لمنصب قاضي القضاة وأضاف له وظيفتي الخطبة والإمامة في جامع القصبة بنفس المدينة، ورغم هذه المكانة فقد تعرض لمحن أدت إلى عزله من مناصبه عدة مرات أيام الفتن التي أعقبت وفاة السلطان المذكور، كما اصطدم مع بعض وجهاء بلدته مثل القاضي أبي القاسم العميري في سياق الصراع على النفوذ، إضافة إلى اشتهاره بمخالفته مبادئ القضاء وشروط التقاضي. وفي آخر عمره انتقل إلى مدينة تطوان وبها توفي عام 1151هـ/1738-1739م. خلف المترجم أبناء برز منهم **يوسف**: تولى خطة القضاء بمدينتي فاس ومكناس عهد المولى عبد الله، ثم فوضه شؤون القضاة والنظار والمحتسبين والخطباء، تعرض للعزل مرات عديدة على غرار والده. توفي عام 1206هـ/1791م[133].

- **محمد بن إدريس بن إدريس البوعناني**: مكناسي المنشأ والدار والإقبار، فقيه ذو وجاهة، نزيه ذو خلق رفيع، كان من الصلحاء المتبرك بهم أحياء؛ يقصده الناس طلبا للرقيا والدعاء طمعا في الإستشفاء وقضاء الحاجات معتقدين في قدرته على وقف المصائب وتفريج الأهوال والكروب 1288هـ/ 1871- 1872م.

---

[131]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 125.

[132]- من أبرز قضاة مدينة فاس، توفي سنة 1106هـ/ 1694م، اشتهر بعلمه الواسع وفهمه الثاقب، تقلد عدة مناصب دينية من خطابة وإفتاء وخطابة وإمامة. محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، ج 3، ص. 66.

[133]- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، ج 1، ص. 221.

بيت الحراق:

من البيوتات الشريفة الشهيرة بالولاية والعلم والصلاح، استوطن أفرادها جبل العلم[134] (بني عروس اقليم العرائش)، حملوا لقب "الموسويين"[135] نسبة إلى موسى بن مشيش[136]. انتقل بعضهم إلى مدينة شفشاون ومنها اتجهوا إلى مدينة مكناس، لا نعرف تاريخ قدومهم إليها؛ وما وقفنا عليه -في حدود اطلاعنا- أن واسطة عقدهم وأشهر أعلامهم هو:

- **أبو حفص عمر بن الحسن بن على الحراق الحسني**: أحد رجالات المخزن الأفذاذ، كان من الكتاب الملازمين لخدمة السلطان المولى إسماعيل[137]، نشأ بشفشاون في أحضان أبيه الشيخ الحسن بن علي الحراق؛ وعلى يديه بدأ مسيرته العلمية بحفظ القرآن الكريم وأخذ جملة من مبادئ العلوم الشرعية، وطمعا في الاستزادة والإرتواء من معين العلم جالس كبار علماء عصره، وبعد جهد ومشقة تحقق مراده حيث نبغ في أكثر من فن، توجها بشد الرحال إلى المشرق بغرض الحج فاستغل الفرصة والتقى بكبار العلماء والشعراء فاستفاد وأفاد.

بعد رجوعه إلى المغرب شاع ذكره وذاع صيته، فاتصل خبره بالسلطان المولى إسماعيل الذي استدعاه وقربه إليه وخصه بعناية خاصة، إذ عينه وزيرا ومستشارا له[138]، وفي هذا الإطار وصفه صديقه الأديب محمد الطيب العلمي «**قوي العارضة، لا يطمح الفتح أن يعارضه، تقلد الوزارة، وشد بها إزاره، فألقيت إليه الرياسة عصا الطوع، وأمنت بسيوف أقلامه وسهام إصابته من**

---

[134]- الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، ص. 136

[135]- أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، تحقيق الحاج جعفر بن الحاج السلمي، جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1424هـ/ 2003م، ج 3، ص. 116.

[136]- يرتقي نسبه إلى المولى إدريس الثاني: موسى بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار بن علي حيدرة بن محمد بن ادريس الثاني. هو الأخ الأكبر والمربي الأبرز للولى الشهير عبد السلام، قضى حياته في الاجتهاد لتحصيل درجة القطبانية وهي أرفع مراتب التصوف. محمد بن محمد المهدي التمسماني، **الإمام مولاي عبد السلام بن مشيش**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2013م، ص. 18.

[137]- بن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة**، ص. 148- 149.

[138]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل**، ص. 52.

الورع، وجاءها من البيان بكل صنف ومن البديع بكل نوع، من رجل يهاب سطوته الحجاج، ويستفتيه في العربية الزجاج»[139].

كما برع المترجم في قرض الشعر بفصاحة جعلت السلطان المذكور ينظر إليه بشديد الإعجاب، ونستشهد بموقف حصل له في إحدى المناسبات، حيث كتب قصيدة مدحه فيها بمناسبة تشييده لمدينة الرياض بمكناس، ومما جاء فيه:

أكتاب الامير لقد سعـــدتم بآراء لسيدنـا سديـــــده

دنوتم من قصور أبي المعالي وقد كانت منازلكم بعيـدة

وما دار تقرب منـــــــه إلا مباركة بلا ريب سعيـــدة

فأنعم عليه السلطان بجائزة قدرها أربعمائة مثقال، نفذها له عند عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي[140]. ظل المترجم يحظى بالمكانة المرموقة حتى توفي سنة 1141هـ/ 1728م.

بيت الحريف

بيت مكناسي من الشرفاء صريحي النسب، إذ يرفع إلى الإمام محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر [141]، كان محل استيطان أفراده الأول جبل العلم، ومنه توزعوا في مدن المغرب خاصة مدينة مكناس التي استقروا بها خلال القرن 10هـ/ 16م.

تمتع أفراد الحريف بمكانة بارزة داخل أوساط المجتمع المكناسي، بفضل نسبهم الشريف وصلاحهم القويم وثرائهم الكبير، عكستها الظهائر السلطانية التي منحت لبعضهم، وفي هذا الصدد أصدر السلطان المولى إسماعيل ظهيرا مؤرخا في 20 ربيع الثاني 1122هـ/ 17 يونيو

---

[139]– محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، **الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب**، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم 120، ص. 179.

[140]– ابن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة**، ص. 174

[141]– الطيب بن عبد القادر الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، نسخة مرقونة دون تاريخ الرقن. ص. 18.(أمدنا بها مشكورا الأستاذ محمد اللحية).

1710م، جاء فيه:« **كتابنا هذا... بيد حملته الشرفاء مولاي علي الحريف وإخوانه يتعرف منه بحول الله وقوته. وشامل يمنه وبركته اننا وقرناهم واحترمناهم وعظمناهم وحملناهم على كاهل المبرة والاحترام على مر الليالي والايام. والشهور والاعوام وحاشيناهم عن جميع التكاليف المخزنية. والاوامر السلطانية بحيث لا يطوف أحد ساحتهم ولا يحوم حولهم كائنا من كان فهم كغيرهم من سائر الشرفاء الكرام**» [142].

يعتبر أبو الحسن علي بن أحمد عقد واسطة هذا البيت، أنجب تسعة ذكور وأربع إناث، ومنهم تفرع جميع أبناء الحريف، وأشهرهم فرع:

- **مولاي عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن علي بن أبي يعزى بن علي بن عبد الرحمن بن أبي الحسن علي**، عاش خلال القرن 13هـ/ 19م، كان يمتهن الفلاحة والتجارة، فحصل ثروة هائلة تمثلت في عدة جنات وأراضي ودور[143]، هذه الأملاك عمل ابنه الوحيد **محمد** على إنمائها وتطويرها، فخولته منزلة الأعيان المرموقين الذين لهم حظوة لدى العامة والخاصة، حيث حلي في أحد الرسوم بتاريخ 1259هـ/ 1843م بـ «**الشريف الأرضى الوجيه المرتضى**»[144]. ورغبة منه في تعزيز نفوذه المادي حرص على الاهتمام بالعلم لما له من دور كبير في ترسيخ مكانة أسرته، فسهر على تعليم أبنائه العلوم الشرعية وحثهم على تحصيلها مع العمل في الوقت نفسه على المحافظة على ثرائهم، ومن أبرزهم:
- **عبد السلام**: ولد في العقد الخامس من القرن 13هـ/ 19م، عكف على مدارسة القرآن الكريم فحفظه ثم اشتغل بأخذ العلوم المرتبطة به تميز بذكائه ونجابته، الأمر الذي أهله للإرتقاء إلى مصاف الفقهاء المعتبرين[145].

---

[142]- الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، ص. 13.

[143]- نفسه، ص. 44.

[144]- نفسه، ص. 32.

[145]- نفسه، ص. 44.

- **المكي**: انكب على حفظ القرآن و مجالسة كبار علماء مدينة مكناس والنهل منهم أمثال: القاضيان الفقيهان العباس بن كيران، والمهدي بن سودة، نال منزلة الوجاهة والفضل[146]. توفي عام 1306هـ/1888م.
- **عبد القادر**: ولد عام 1276هـ/1859م، ظهرت نباهته منذ صغره، فتجرد لقراءة القرآن وتحصيل مختلف العلوم والفنون، حتى صارت له مرتبة عليا بين معاصريه من الفقهاء، ففي إحدى رسائل نقيب الشرفاء الأدارسة بمكناس السيد راشد بن علي الشبيهي والمؤرخة في 28 جمادى الأولى 1317هـ/3 أكتوبر1899م «**حفظ الله بمنه مقام الأعز الرضى الطالب الأحظى الشريف الغطريف سيدي عبد القادر الحريف سلام على مقامك الاسنى وشمائلك الحسن**» [147].

بيت ابن سودة:

بفتح السين وسكون الواو، لكن الجاري على الألسنة هو ضم السين.

يعد هذا البيت من البيوتات العريقة في العلم و الحسب والأصالة والمجد والنسب[148]. ينحدرون من بني سود وهي بطن من بطون العرب[149]، يرفع نسبهم إلى قبيلة قريش. كانوا قد هاجروا إلى بلاد الشام ومنها انتقلوا إلى بلاد الأندلس، حيث استوطنوا غرناطة، وفي هذا السياق قال قاضي مكناس محمد العوفي في قصيدة نظمها في فروع أولاد بن سودة ونسبهم وما كان عليه قديما وحديثا، ومما جاء فيها[150]:

---

[146]- الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق، ص** 44.

[147]- نفسه، ص. 45- 46.

[148]- القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، ج 1، ص. 52.

[149]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 506

[150]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 211.

فالسَّوْدِيُّون جَمِيعُهُـــم مِنْ متلـد مِنْهُمْ بِأَنْدَلُس وَمِنْ يَمَـــن ثـــــــووا

سَلْ عَنْهُمْ صنعا بِذِي يَمَن وَعْن شَرَفٍ شَهِيرٍ كَالظَّهِيرَة قَدْ حَـــــــــؤُوا

فَلَهُم بِهَا مَجْدٌ وَعِلْـــــــــمُ ثَرْوَة وَمُرُوءَة وَعَلَى حُبُّ الخَيْرِ انْطَـــــــووا

أول علم انتقل من هذا البيت إلى المغرب هو أبو القاسم محمد بن محمد بن علي 754هـ/ 1353م، حيث استقر بمدينة فاس ومنه تفرع بيت بن سودة في باقي مدن المغرب، فانتقل بعضهم إلى مدينة مكناس، ومن ثم صار «**لهم في أصالة المفاخر ما هو مشهور، وعراقة المحامد ما هو معروف ومذكور، جلوا أقدارا وطابوا أنجارا، وبرزوا في صدور المعالي أقمارا، ولهجت الألسن بهم سرا وجهارا، تقدموا للمناصب الشامخة وتميزوا بالشيم الباذخة، فلحظتهم الأعين بنهاية التعظيم، وذكرتهم ألسن الثناء بالتبجيل والتفخيم**» [151]

برز فيهم قضاة وفقهاء وخطباء كانوا محل تقدير احترام كبيرين من لدن جميع طبقات المجتمع المكناسي وشرائحه، نخص بالذكر:

- **أبو عيسى المهدي**: ولد سنة 1220هـ/ 1805م، كان من أفاضل العلماء وأماثل القضاة، حلته بعض مصادر ترجمته بـ «**عالم البيت السودي في عصره**»[152] و « **الفقيه الأجل العلامة الأفضل المدرس المشارك المدقق الأكمل الخطيب الفصيح الأنبل قاضي الجماعة بمكناسة الزيتون** »[153] و « **فقيه الفقهاء وقاضي القضاة، وسري السراة، فهو من العلوم البحر الزاخر، الذي لا يدري له أول ولا آخر، وكان الآية الباهرة والحجة القاهرة، له مشاركة في فنون العلوم** »[154].

---

[151]- الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، ج 2، ص. 273.

[152]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 463.

[153]- رسم مؤرخ في فاتح ربيع الثاني عام 1279هـ/ 1862م. الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق** ، ص. 38.

[154]- الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، ج 2، ص. 290.

نشأ في مدينة فاس وسط أسرة جعلت من تحصيل العلوم غايتها الأسمى، تحت إشراف والده الطالب الذي «**كان أحد الأفراد المشار إليهم الملحوظين بعين التعظيم والإجلال الموصوفين بأوصاف الكمال، وأحد عدول هذه الحضرة المبرزين**»[155]. ولعل صفات أبيه ومكانته ساهمتا في صقل موهبة المترجم وزادت من تألقه وأهلته ليكون من النابغين، اشتغل في أول أمره مساعدا لقاضي فاس في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي أعجب بفطنته وشدة حدسه، فرشحه لتولي القضاء بمكناس، وكان ذلك سنة 1272هـ/ 1856م، وظل متصدرا لهذه الخطة على امتداد فترة حكم ثلاثة سلاطن: عبد الرحمان وابنه محمد وحفيده الحسن.

ومنذ استقراره بمكناس سار له جاه ونفوذ ومنزلة بلغت الآفاق، ومما يبرهن عليها:

- ✓ إقرار علماء المشرق بفضله وغزارة علمه منهم شيخ مصر وفقيهها محمد محمود أفندي، التقى به في رحلته إلى الحج سنة 1269هـ/ 1853م، فنظم في حقه أبياتا يمدح فيها المترجم[156]، فقال:

إِن يَكُن فِي الهَوَى صُدُودك حَظِّي لاَ تَدَع لِلوُشَاة مِنْكَ نَصِيبا
خل قَوْمًا هُمُ الغُواة فَإِنِّى قَدْ رَأَيْتُ المَهْدِي فِينَا قَرِيبا
قَامَ فِينَا للدِّين رُكْنًا حَصِينا وَتَخَلَّى لِلعِلْم صَدْرا رَحِيبا
قُرَشِي عَنْهُ سَمِعْنَا حَدِيثا فَرَأَيْنا مِن الحَدِيثِ عَجِيبا

- ✓ كان من جملة العلماء الذين استفتاهم السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن عندما أراد إصلاح الجيش المغربي، عقب انهزامه في حرب تطوان 1276هـ/ 1860م[157].

---

[155]- الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية** ، نفس 2، ص. 289.

[156]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 413.

[157]- محمد المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م، ج 1، ص. 80.

- ✓ كان مسموع الكلمة مجاب الطلب عند أركان المخزن، مثلا عندما توسط لتعيين أخيه أحمد – الآتي الترجمة– نائبا عنه فأجيب طلبه[158] .
- ✓ كان شيخ مجالس السلاطين المولى عبد الرحمان بن هشام و المولى محمد بن عبد الرحمن المولى الحسن، يحضرون مجلسه الذي يختم فيه قراءة كتاب صحيح البخاري خلال الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان[159].

توفي سنة 1294هـ/ 1877م، مخلفا أبناء كان منهم القضاة مثل المكي بن المهدي (المتوفى 1317هـ/ 1900م) تولى قضاء فاس الجديد[160]، والفقهاء مثل محمد بن المهدي[161] (المتوفى 1344هـ/ 1926م).

- **أبو العباس أحمد بن الطالب**: ولد سنة 1241هـ/ 1826م، يعتبر من الأعيان أهل النباهة والشان داخل المجتمع المكناسي، حلي في رسم مؤرخ في 29 ربيع الأول عام 1299هـ/ 17 فبراير 1882م بـ « **الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل المحقق المدرس الخطيب الأمثل النفاعة الدراكة قاضي الحضرة المكناسية الهاشمية ونواحيها**» **[162]**. كما مدح بأنه «**كان حاملا لواء العلوم، متحققا بالمنطوق منها والمفهوم، مع دماثة أخلاق وكرم وأعراق، ونباهة أصل علامة وقته** [...] **رمقته العيون بالإعظام والإكبار، وتشوفت لطلعته السراة الكبار، فهو فارس مقدمة الفنون**»**[163]**.

يدين بمنزلته إلى الوسط العلمي والاجتماعي الذي نشأ فيه تحت رعاية والده وأخيه المهدي، هذا الأخير كان بمثابة مدرسه وموجهه، مرنه على ممارسة القضاء، حيث شغل منصب نائبه على

---

[158]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 527.

[159]– الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج 1، ص. 344.

[160]– ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، ج 1، ص. 344.

[161]– نفسه، الجزء الثاني، ص. 440.

[162]– الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق** ، ص. 38– 39.

[163]– العباس بن ابراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م، ج 2، ص. 455.

قضاء مكناس 1275هـ/ 1858م، ولما ضبط أموره وراكم تجربته عينه السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان قاضيا على أزمور بموجب ظهير مؤرخ في متم رجب عام 1285هـ/ نونبر 1868م ومما جاء فيه: «**أحباؤنا أهل آزمور كافة أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد :فإننا قلدنا الفقيه السيد أحمد بن سودة خطة القضاء بذلك الثغر السعيد على سبيل قضاء الحاجة مدة محدودة، وأياما معدودة...**»[164]، ثم ولي قضاء طنجة بمقتضى ظهير مؤرخ في 3 ذي القعدة من عام 1293هـ/ 19 نونبر 1876م، ومنحت له صلاحيات واسعة ومما جاء فيه: «**ولينا الفقيه السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بطنجة حرسها الله وبجميع القبائل المضافة إليها المحسوبة من عمالتها، وأذنا له في تصفح الرسوم، والفصل بين الخصوم، والحكم من مذهب الإمام مالك بالمشهور أو ما به العمل عند الجمهور. وفى تفقد أحوال قضاة بادية العمالة المذكورة، وعزل من لم يصلح منهم، وتولية من يصلح فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته** (...)» [165]، وبعد اكتسابه الخبرة اللازمة أسند إليه خطة قضاء مكناس والخطابة بجامع قصبتها السلطانية، بموجب ظهير صدر في 10 رمضان من عام 1294هـ/ 17 شتنبر 1877م وما ورد فيه « **ولينا الفقيه الأرضى السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بمكناسة الزيتون وزرهون، وأذنا له في تصفح الرسوم، وفصل الخصوم، والحكم بينهم من مذهب الإمام مالك بالمشهور، أو بما جرى به العمل عند الجمهور فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته**»[166]، وقد أقر السلطان المولى عبد العزيز في منصبه معززا له إياه بمهمة محاسبة نظار مكناس وزرهون سنة 1312هـ/ 1894م، « **أقررنا بحول الله وقوته ماسكه الفقيه الأرضى القاضى السيد أحمد**

[164]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 528.

[165]- نفسه، نفس الجزء، ص. 530- 531.

[166]- نفسه، نفس الجزء، ص. 531.

ابن سودة على ما تضمنه كتاب سيدنا المقدس الذى بيده من الإذن له في محاسبة كافة نظار مساجد مداشر زرهون على نسق محاسبته مساجد مكناس» [167].

بيت الشبيهي:

بفتح الشين. من أشهر وأرسخ البيوت الشريفة بمدينة مكناس، و هو فرع من فروع الشرفاء الجوطيين[168]، ينسب إلى الولي الصالح أحمد الملقب بـ "**الشبيه**" نظرا لما كان بين كتفيه من صورة الخاتم النبوي كما قيل[169]. حلته بعض مصادر ترجمته بأنه «**كان وليا كاملا وجيبا وأصلا له في**

---

[167]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 531.

[168]- شرفاء أدارسة حسنيين، سموا بالجوطيين نسبة إلى قرية جوطة المندرسة والواقعة على نهر سبو، كان أول من استوطن منهم تلك القرية يحيى بن القاسم، قال الدلائي في درة التيجان:

ولد قاسم ليحيى الجوطـــي ذي شرف المصطفى منـــوط
وكل جوطي فمن ذا النســـب فياله من شرف ومنصـــــب
خلاصة المجد وبيت الحسب والغرة البيضاء من بيت النبي
شرفهم كالدر جاء في نســـــق كالصبح أو كقمر إذا اتسق

ومنه تسلسلت فروع الجوطيين: الشبيهيين والطاهريين والغالبيين والعمرانيين والطالبيين والفرحيين، توزعوا في مناطق المغرب. وأول من نزل منهم بمكناس هو عبد الواحد بن عبد الرحمن ومنه افترق أهل مكناسة إلى فريقي: الشبيهيين والطاهريين. القادري، **الدر السني في بعض من بفاس من اهل النسب الحسني**، م.خ.ح، رقم 875، ص. 14. الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 66- 67. محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، **شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الفتاح الزنيفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، ص. 98- 101.

[169]- القادري، **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني**، د.م، 1313هـ- الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م، ج 2، ص. 17- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 370- محمد بن عبد الكريم الشبيهي، **الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية**، مطبعة سندي، مكناس، 1423هـ/ 2003م، ص. 168. ونشير إلى أن صفة الشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في آل بيته اشتهرت كثيرا، سواء كان جسديا أو خلقيا؛ فمثلا كان الحسن والحسين أشبه الناس برسول الله، وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى منها ما أورده البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، «**قال أنس :كان أشبههم –أي الحسين– برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان محبوبا مخضوبا بالوسمة**»، كما ذكر ابن حجر أن «**يحيى بن القاسم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فكل من هؤلاء مذكور في كتب الأنساب أنه كان يشبه**» فتح الباري 122/7. والشاهد في هذا النقل أن تسمية الشبيه له سابقة في التاريخ. محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، ص. 921. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المكتبة السلفية، 1379هـ/1960م،الجزء السابع، ص. 96.

العلوم قدم راسخة وفي الولاية منزلة شامخة»[170] وكذلك «**علامة نبيل، قدوة جليل، إمام حفيل، شريف أصيل»**[171]، يرفع نسبه إلى المولى ادريس الأكبر[172]، درس على يد أكابر أولياء وعلماء المغرب أمثال: العالم عبد الله الغزواني ومحمد بن عبد الرحيم التازي، كما عرف بتصوفه حيث كان من أتباع الطريقة الجيلانية[173].

استقر بمدينة مكناس خلال القرن 10هـ/ 16م، أنجب ولدين هما عبد الواحد ومحمد، ومنهما تفرعت فروع الشبيهيين، انتقل معظمهم إلى زرهون مقر جدهم ادريس، وبقي بمكناس خاصة المنحدرون من عبد القادر [174]–الآتي الترجمة– كانوا يدعون أولاد الشبيه، بدون ياء النسبة، ثم أصبحوا يعرفون بالشبيهي، اشتهروا بسمو القدر وعلو الشأن بما حازوه من شرف ماجد، فأصبحوا من المقربين للمخزن العلوي ومحل ثقة السلاطين منذ عهد المولى الرشيد، لحظوهم بعناية فائقة وقلدوهم خططا سامية من نقابة وخطابة وإمامة وتدريس، من أبرزهم:

- **عبد القادر بن عبد الله**: فقيه علامة أصيل مشهور بالفضل، من وجهاء المجتمع بمكناس وخاصة أعيانه[175]، نشأ في بيت شرف وعلم، حظي بتقدير خاص وحظوة تامة لدى السلطان المولى الرشيد، الذي ولاه خطة النقابة سنة 1080هـ/ 1670م على الأشراف الشبيهيين الحسنيين بمدينتي مكناس وفاس، احتفظ بها في عهد خليفته المولى إسماعيل، وهو أول من شغل تلك الخطة من البيت الشبيهي إلى أن توفي سنة 1099هـ/ 1688م، خلف ثلاثة أولاد ورثوا مكانته ووظيفته وهم:

---

[170]– الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، الجزء الثاني، ص. 17.

[171]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء 1، ص. 370.

[172]– أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن ادريس.

[173]– تنسب إلى الشيخ الولي العارف بالله عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان شمال غرب إيران حاليا أحد أقطاب التصوف أهل الولاية والصلاح، اشتهر بلقب "سلطان الأولياء". انتقل أتباعه القادرين إلى المغرب زمن المرينيين.

[174]– ابن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، **شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، ص. 105.

[175]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 381.

- **محمد**: علامة فاضل وأديب نابه، متضلع في علوم الفقه والحديث والقراءات والفرائض، عينه السلطان المولى إسماعيل نقيبا على أشراف المغرب في البوادي بموجب ظهير أصدره في منتصف محرم 1117هـ/ 8 ماي 1705م، ومما جاء فيه: «**يتعرف منه أننا بحول الله وقوته نجابة الأسلاف وتوسمنا من مروءته واقتفاء أثر أبيه وجده، رحمهما الله، الاشراف اقتضى نظرنا السديد ورأينا الموفق الرشيد أن أسندنا إليه أمر الشرفاء حيث كانوا بدوا وحضرا، وجعلناه النقيب عليهم بالتفويض العام الشامل لأوامرهم ونواهيهم واحكامهم وكلامهم في سائر أحوالهم كلها وعامة خواصهم وضروریاته** [176].
- **محمد الطيب**: فقيه بارع واسع الإدراك، كان ممن يشار إليه بالخير والصلاح. ولاه السلطان المولى إسماعيل نقابة الأشراف بحضرته المكناسية، بموجب ظهير مؤرخ في 25 محرم من عام 1136هـ/ 24 أكتوبر 1723م، ومما جاء فيه: «**يتعرف من هذا الظهير الشريف الكريم، والأمر المطاع المحتم العظيم، بيد حامله ثم ماسكه الأجل الخير البركة مولاي الطيب بن الأحب الأرضى مولاي عبد القادر بن الشريف الحسني الإدريسي، أننا لما ظهرت نجابته وتحققت لدينا فائدته ومروءته، قلدناه بعون الله تعالى وتوفيقه، وشامل يمنه وبركاته، خطة النقباء الشرفاء بحضرتنا العلية بالله، مكناسة المحروسة بالله، يبحث عنهم وعن أصولهم وفصولهم أينما كانوا** (...» [177]. وقد جدد له السلطان المولى المستضيء ظهير التعيين سنة 1151هـ/ 1738- 1739م[178].
- **عبد الرحمن**: فقيه علامة ومحقق ذو دراية في علم الأنساب، وبلاغة عالية في الإنشاء، نال شهرة واسعة جعلت القادري ينعته بالرئيس الوجيه القائد[179]، ومن تمام منزلته تعيينه واليا على

[176]- م.و.م.م، **محفظة السلطان مولاي اسماعيل**، رقم المحفظة 4، رقم الوثيقة 5882.

[177]- ابن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م، ج 2، ص. 81.

[178]- محمد بن عبد الكريم الشبيهي، **الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية**، مطبعة سندي، مكناس، 1423هـ/ 2003م، ص. 93.

[179]- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص 243.

جميع نواحي مكناس وبلاد جبل زرهون، غير أنه أساء السيرة من خلال تعسفه على أهلها، واهتمامه بمراكمة الثروات، فشكاه الناس للسلطان الذي قرر عزله من منصبه.

كما برز من فرع النقيب عبد القادر حفيده **الفاطمي**، وهو فقيه خطيب أديب مدرس، ذو جاه ووجاهة، درس على يد جماعة من العلماء منهم حمدون ابن الحاج. كان مستقرا بمكناس ثم انتقل في آخر حياته إلى زرهون فولي خطط الخطابة والإمامة والقضاء بالزاوية الإدريسية إلى أن توفي سنة 1215هـ/ 1800- 1801م، أنجب ثلاثة أبناء، اشتهر منهم بمكناس **محمد الفضيل**[180]، كان شريفا مبجلا وفقيها معظما، حلاه شيخه علي الوتري في إجازة له: «**الفاضل العالم العامل، الجهبذ الألمعي، السميدع اللوذعي الضابط**» [181]. ولد بزرهون سنة 1248هـ/ 1832م ثم انتقل إلى مكناس منذ صغره رفقة أمه طمعا في طلب العلم والأخذ عن علماء وقته، مثل المهدي بن سودة وأخيه عمر وغيرها. فلحظه السلطان المولى عبد الرحمن بعناية خاصة، عكسها الظهير الذي أصدره في حقه «**أنعمنا على السيدة "رقية بنت سيدي الفضيل المنوني" زوجة الفقيه الصائر إلى عفو الله "سيدي الفاطمي الإدريسي" بالسكنى بدار حبس الزاوية الإدريسية الكائنة بالتوتة من مكناسة الزيتون هي وولداها منها الصبي سيدي أحمد وسيدي الفضيل إنعاما تام**»[182].

وبعد مكوثه ردحا من الزمن، قفل راجعا إلى مسقط رأسه، فبقي هناك إلى أن أدركته الوفاة سنة 1318هـ/ 1900م.

---

[180]- اسم مركب من محمد واسمه الحقيقي الفضيل، على غرار عادة بعض الأسر المغربية حيث يتم إضافة الإسم الشريف "محمد" للإسم الأصلي تبركا وتيمنا به، وفي هذا الإطار يقول الفقيه المالكي العتبي المتوفى سنة 255هـ : «**أهل مكة يتحدثون ما من بيت فيه اسم "محمد" إلا رأوا خيرا ورزقوا**»،ابن الفاطمي الشبيهي، **شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، ص. 111. انطلاقا من الحديث الشريف «**ما ضر أحدكم لو كان في بيته محمد ومحمدان وثلاثة**» .محمد بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى)**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م، ج 7، ص.58.

[181]- ابن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، **شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، ص. 143.

[182]- نفسه، ص. 122.

- **محمد ابن ادريس**: ولد حوالي 1280هـ/ 1863- 1864م، مدحه معاصره وصديقه أحمد بن العياشي سكير بقوله: «**العلامة الفاضل، خطيب جامع الزيتونة بمكناس الزيتونة، الأديب الغطريف، الشريف المنيف، أحد العلماء المدرسين، له ولوع تام بالأدب حتى حصل منه على ما طلب**»[183].

تتلمذ على مشيخة مدينته أمثال: الطاهر بن العناية، ومحمد بن العربي المنوني والمفضل بن عزوز والقاضي أحمد بن سودة والمعطي بن عبود وغيرهم. بلغ درجة سامية في العلم رفعته إلى مرتبة العلماء، حيث ورد اسمه في قائمة رواتب أهل العلم الذين يتلقون المرتب الشهري[184]، تصدى للتدريس وكان أحد الأعمدة التي ارتكز عليها التعليم ببلدته[185]، تخرج على يديه فقهاء منهم إبراهيم المسطاسي ومحمد بن عزوز ومحمد بن محمد بصري والمكي السنتيسي. كما رشح لتولي خطة العدالة بسماط المدينة سنة 1307هـ/ 1889م، لكنه اعتذر عنها[186].

أدرك المترجم منزلة عالية في محيطه، إذ أصبح من ذوي الجاه والنفوذ، ظل على هذا الوضع إلى أن توفي، فأقبر في مدفن أسرته في درب الشرفاء بسوق العطارين من مكناس.

بيت الطاهري:

من البيوتات الشريفة الجوطية العريقة بمدينة مكناس، ينسبون إلى الجد الأعلى طاهر بن علي بن أبي فرج الإدريسي الحسني، استوطنوا بداية هذه المدينة قبل أن يقرر بعضهم الرحيل إلى فاس، تمتع أفراد هذا البيت بالجاه وعلو الشأن، حيث كانوا « **من الأعيان الأكابر، وأرباب المحامد والمآثر غرة الشرف، ودرة الصون، ومناط الأصالة ومركزها، ومحاز الجلالة**

---

[183]- أحمد بن العياشي سكيرج، **غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود**، تحقيق محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني، www.cheikh-skiredj.Com ، ص. 92، اطلع عليه يوم 27/ 11/ 2018.

[184]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 180.

[185]- المنوني، «شاعر علماء مكناس محمد بن إدريس الشبيهي»، **دعوة الحق**، العدد المئتان والخامس والثمانون، محرم 1412هـ/ غشت 1991م، ص. 108.

[186]- نفسه، ص. 110.

ومحرزها، مظهر الأخلاق النبوية الكاملة، والأوصاف العلوية الفاضلة، لهم من وضوح النسب والاشتهار، ما هو كشمس النهار، ومن المجد الصراح، ما هو كفلق الصباح (...)

إذا تأملت شمائلهـــــم وما لهم من شيم فاحمده

قلت هو الفضل ولا ينبغي إلا لبيت من بني فاطمة »[187]

هذه المنزلة السامية جعلتهم محط إجلال وإكبار من طرف السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب، فأصدروا في حقهم ظهائر عديدة تنوه بمكانتهم وتشهد بشرفهم وتحض على وجوب احترامهم وتوقيرهم والبر بهم، منها الظهير الإسماعيلى المؤرخ في 12 ربيع الثاني من عام 1120هـ/ 30 يونيو 1708، ومما جاء فيه: « **بيد السادات الشرفاء الجوطيين القاطنين بحضرتنا المكناسية المحروسة بالله، الطاهريين أننا أبقيناهم على حظهم ونصيبهم في قسمة ما في أيديهم بضريح جدهم مولانا إدريس(...) فقد أذناهم وأمرناهم أن يعطوا ما يجب من الزكاة والأعشار لضعفائهم، الذين يستحقونها بنظرهم، من غير منازع لهم ولا مزاحم (...)** »[188].

إن أول علم اشتهر من البيت الطاهري بمدينة مكناس هو:

- **المولى الراضي الحكيم**: اشتهر بلقب الحكيم لكثرة عجائبه وغرائبه[189] ، عاش أواخر القرن 12هـ/ 18م والنصف الأول من القرن 13هـ/ 19م، كان من الفقهاء المبرزين من أهل الفضل والصلاح والولاية، كانت له هيبة وسمعة طيبة بين سكان بلدته مكناس، تصدر للتدريس حيث تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم، كما عرف بغزارة تآلفيه. توفي عن عمر ناهز الثمانين عاما ودفن بضريح عبد الرحمن القرشي. خلف أبناء اشتهر منهم:

[187]- القادري، **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب**، ص. 15.

[188]- انظر الظهير كاملا في الملحق رقم 1.

[189]- الطيب بن العربي بن عبد السلام الطاهري، **تطييب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس**، شركة الطباعة صوت مكناس، مكناس، 1405هـ/ 1985م، ص. 22.

- **المولى الطيب**: عاش خلال القرن 13هـ/ 19م، فقد عاصر ثلاثة سلاطين؛ المولى سليمان والمولى عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد، وصفه النسابة الفضيلي بـ «**الشريف بالبركة الخير كان من أعيان الشرفاء وفضلائهم**»[190]. سار على عادة أسرته وأقرانه، حيث حفظ القرآن الكريم ثم اتجه لدراسة علوم القراءات والفقه والحديث، ولما نبه فيها بدأت منزلته تبرز أكثر بين الناس، ولا زال في صعود حتى لحظه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، فاستخلصه لنفسه وقربه إليه حتى أصبح أنيسه ومستشاره الخاص في كل صغيرة وكبيرة[191]، أدرك مكانة رفيعة عكسها ظهير التوقير والاحترام الذي منحه السلطان للشرفاء الجوطيون بشتى فروعهم بتاريخ منتصف شوال من عام 1247هـ/ 17 مارس 1832م، والشاهد فيه أنه ذكر المترجم بإسمه مما يدل على قدره، ومما جاء فيه: « **يستقر هذا الظهير الكريم والأمر المحتم الصحيح المتلقى بالاجلال والتعظيم بأيدى أبناء عمنا الشرفاء الجوطيين منهم الطاهريون أهل حمام الجديد الذين منهم مولاي الطيب ابن الراضي والغاليون والطالبيون القاطنون بمكناسبة الزيتون** (...) »[192].

ظل على هذا الحال إلى أن أدركته الوفاة سنة 1285هـ/ 1868م، ودفن بجانب قبر والده، ترك أولادا اثنان من الذكور وثماني إناث، لمع منهم:

- **عبد السلام**: تربى تربية صالحة في حجر والده، نبغ في العلوم النقلية والعقلية تلقاها عن مشيخة بلدته مكناس، فأضحى يعد من العلماء الأعيان الملحوظين برعاية السلطان المولى الحسن، فأكرمه بظهير نوه فيه بمرتبته[193] . خلف أبناء نبه فيهم:

---

[190]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 2، ص. 39.

[191]- الطيب بن العربي الطاهري، **تطييب الانفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين**، ص. 20.

[192]- محمد بن المهدي الطاهري، **الدر الزاهر فيمن حل بمكناسة الزيتون من شرفاء بني طاهر**، ص. 13.

[193]- وهذا مقتطف من نص الظهير: «**يعلم من كتابنا هذا ... جددنا لحملته أبناء عمنا الشرفاء الجوطيين منهم الطاهريون أمل حمام الجديد الذين منهم مولاي الرضى ومولاي عبد السلام أبناء مولاي الطيب والغاليون والطالبيون القاطنون بمكناسة الزيتون وبمدينة فاس، حكم ما بأيديهم من ظهير سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه وسقى بشابيب الرحمات ضريحه وغيره من ظهير سيدنا ومولانا الجد وظهائر أسلافنا الكرام المنعمة أرواحهم في دار السلام وأقررناهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام والحمل على كاهل المبرة**

- **محمد**: من أبرز قضاة مكناس وأعيان علمائها، حلاه ابن زيدان بقوله: «**فقيه مشارك، مدرس مفت، موثق نقاد، متضلع حسن الإدراك، متواضع**»[194]. درس على يد كبار علماء مكناس كالفقيه محمد السقاط وفضول بن عزوز وابن سودة وغيرهم، فحاز قصب السبق في المعرفة والدراية، أهلاه لتولي وظائف متعددة: ابتدأها بالتدريس في الجامع الكبير وبزاوية سيدي قدور العلمي، تتلمذ عنده طلبة وقته بنفس المدينة أمثال: عبد الرحمان بن زيدان والمكي السنتيسي ومحمد السوسي مولاي علي العمراني والقائد الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني[195]. ثم تصدى لخطة العدالة بسماط الشهود، فنائبا عن قاضي مكناس. أبان عن كفاءة عالية ونزاهة محمودة جعلت السلطان المولى عبد الحفيظ يرقيه إلى رتبة قاضي المدينة[196]، كما اتخذه من خواص مسشاريه الذين لازموه أيام المفاوضات حول معاهدة الحماية[197]. إن تقلب المترجم في كل هذه المناصب يدل على شفوف مكانته داخل أوساط مجتمعه إلى أن توفي 1339هـ/ 1918 وأقبر في الزاوية الكنتية بمسقط رأسه.

أسرة العلمي:

بفتح العين واللام، وهي أسرة شرفها راسخ تنحدر من ذرية المولى ادريس الثاني بن المولى إدريس الأكبر، عن طريق الشيخ عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم[198]. أنجبت هذه الأسرة نخبة من العلماء والصلحاء والعباد، برز منهم في مدينة مكناس:

والانعام بحيث لا تخرق عليهم عادة ولا يحدث في أمرهم نقص ولا زيادة فهم لدينا موقرون مبجلون محترمون والواقف عليه من عمالنا وولات امرنا يعرف لهم ذلك ويعمل به ولا يحد عن كريم مذهبه صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى في فاتح ذي الحجة الحرام متم عام 1290» .ابن المهدي الطاهري، **الدر الزاهر فيمن حل بمكناسة الزيتون**، ص. 15.

[194]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 348.

[195]- ابن عبد السلام الطاهري، **تطييب الانفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين**، ص. 28.

[196]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 2، ص. 428.

[197]- رقية بلمقدم، مادة الطاهري، **معلمة المغرب**، ج 17، ص. 5699.

[198]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 399.

- **عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسي العلمي**: وصفه ابن زيدان أنه «**كان من أهل المقامات العلية والأحوال السنية** »[199]. ويضيف صاحب الإعلام « **العارف الكبير، البركة الشهير بالكرامات الكبيرة، والمناقب الشهيرة، والخيرات الجزيلة**»[200]،

ولد بمكناس سنة 1154هـ/ 1741م، وبها نشأ داخل أسرة فاضلة عفيفة تحت أنظار والده الذي أولاه اهتماما خاصا، إذ تلقى عنه حفظ القرآن الكريم ودرسه بعض متون الفقه والقراءات واللغة، ولتعميق مداركه حفزه على مجالسة أهل العلم ومرافقة أهل الصلاح، فكان كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الأحياء منهم والأموات[201]. وبعد وفاة أبيه قرر مغادرة بلدته قاصدا مراكش لما اشتهرت به من كثرة الأولياء، حتى أن إسمها اقترن بإسم سبعة رجال[202]. وطيلة مكوثه بها كان دائم التنقل بين أضرحة صلحائها ممن يعتقد فيهم بالولاية.

لقد أثرت حياة التصوف بمراكش على المترجم، حيث انخرط في الطريقة الجزولية[203] ورافق أهلها وأخذ عنهم مبادئها ومناهجها، فكان خير مريد وأنبه تلميذ، نجح في إتقان جملة من فنونها بفضل فطنته وكثرة اطلاعه على كتبها وحفظ أورادها، ولم يزل يتدرج في مراتب الزهد والورع إلى أن

---

[199]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء 5، ص. 399.

[200]– السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 8، ص. 457.

[201]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 399.

[202]– سبعة رجال: تميزت مدينة مراكش بطابعها الصوفي، حيث برز فيها صلحاء وأولياء كثيرون انتشرت زواياهم وأضرحتهم في كل أحياء المدينة ودروبها وأزقتها، حتى صارت كما يقول العامة "**كل قدم فولي**"، من أشهر هؤلاء الأولياء ما يطلق عليهم "**سبعه رجال**" وهم: القاضي عياض السبتي (المتوفى سنة 544هـ/ 1149م)– أبو القاسم بن عبد الرحمن السهيلي (المتوفى سنة 581هـ/ 1185م)– يوسف بن علي الصنهاجي (المتوفى سنة 593هـ/ 1196م)– أبو العباس السبتي (المتوفى سنة 601هـ/ 1204م) – محمد بن سليمان الجزولي (المتوفى سنة 870هـ/ 1465م) – عبد العزيز بن عبد الحق التباع (المتوفى سنة 914هـ/ 1508م)– عبد الله بن عجال الغزواني (المتوفى سنة 935هـ/ 1528م). كانت لسبعة رجال مكانة كبيرة داخل المجتمع المراكشي خاصة والمغربي عامة، تشد إليهم الرحال للتبرك بهم. حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش: **ظاهرة سبعة رجال**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 1994م، ص 156– 161.

[203]– الجزولية: تنسب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وهي طريقة متفرعة عن الشاذلية، قامت على مبادئ منها الدعوة إلى التوحيد ومعرفة الذات الإلهية والمعرفة الصوفية. للمزيد انظر: أحمد الوارث، **الطريقة الجزولية: التصوف والشرف والسلطة في المغرب الحديث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م.

أدرك مقام القطبانية[204]، فنال من الشهرة ما لم ينله أحد غيره وصل مداها إلى مسقط رأسه مكناس، ولما عاد إليها كانت أخباره قد سبقته، حيث استقر بدار والده التي اتخذها زاوية[205] للتعبد والمذاكرة والإجتماع بأصحابه، سرعان ما تحولت إلى مركز مهم يقصده الناس باختلاف طبقاتهم، فكثر أتباعه ومريديه الذين أخذوا عنه وأصبحوا من أعيان المدينة أمثال: فضول بن عزوز وفضول السوسي والوزير محمد بن محمد غريط الأندلسي، والطيب محمد بن عبد الهادي غريط والوزير محمد بن ادريس العمراوي وغيرهم.

وقد وصف العربي المشرفي هذه الزاوية بقوله: « **فهي التي ابتهجت بها هذه المدينة** (...)**وهي اليوم أعظم الزوايا، تشد لزيارتها الرحال على المطايا** (...) **وما من مثل زاويته اليوم إلا زاوية مولانا ادريس الأكبر أو زاوية مولانا ادريس الأصغر، أو زاوية أبي العباس السبتي بمراكشة**» [206].

عاصر المترجم السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي كان يكن له كل التقدير والاحترام والمحبة، يأخذ بنصيحته ويعتمد على مشورته في كل قضية تستشكل عليه ويقف عند إشارته[207]، ومن تمام عنايته به حيا أنه خصه بظهائر التوقير والتعظيم، وميتا بإتمام بناء زاويته التي بها ضريحه مع المسجد الذي بجانبها واتخاذه لإقامة صلاة الجمعة، هذه المنزلة الرفيعة التي تمتعت بها زاويته استمرت مع السلاطين العلويين فيما بعد، تجسدت في الاهتمام بها ورعاية شؤونها من خلال

---

[204]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، الجزء 8، ص. 457. القطبانية لغة من القطب، وهو ما عليه مدار الشيء وملاكه. تعتبر القطبانية من أجل مقامات التصوف وأعلاها درجة، يدركها الولي بعد جمعه للأحوال والكشوفات والأسرار والكرامات، التي أخفى الله تعالى حقيقتها عن جميع خلقه، عرفها الولي أحمد التجاني بقوله: «**حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى** ». شرف الدين محمد البوصيري، **الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية على متن الهمزية في مدح خير البرية**، تحقيق: الشيخ عاصم إبراهيم الكيالي. دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص. 26.

[205]- توجد في قلب المدينة القديمة ما بين حي التوتة وحي سيدي بوطيب الذي أصبح يسمى فيما بعد بدرب سيدي عبد القادر العلمي بعد تأسيس الزاوية سنة 1259هـ/ 1843م.

[206]- محمد العربي المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب العجز في الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، م.خ.ح، رقم 12812، ص. 288- 289.

[207]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 400.

إصدار ظهائر تحض على ذلك[208]، وكذا القيام بأعمال الترميم والإصلاح والتوسعة خاصة مع السلطانين المولى الحسن وابنه المولى عبد العزيز.

كما اشتهر بقرض الشعر، وعد من الشعراء البارزين في تاريخ الشعر الملحون بالمغرب، بلغت عدد قصائده سبعين قصيدة تناولت مواضيع في الغزل والخمريات[209] والقصص والحكم وأخبار الأنبياء والأولياء وغيرها.

كان للمترجم تفاعل كبير مع قضايا المجتمع المكناسي وما يشغل بال أفراده، فيشاركهم أفراحهم وأتراحهم، خاصة في فترات الفوضى، وفي هذا السياق أنشد قصيدة "ورزيغة"[210] وهي من أشهر قصائده، وصف فيها ما حل بمكناس ونواحيها من مصائب ونوائب نتيجة الفتن والاضطرابات التي اندلعت أيام حكم السلطان المولى سليمان. إضافة إلى دخوله في مساجلات ومناظرات مع بعض الوجهاء ومن دونهم داخل مجتمعه[211].

توفي عبد القادر العلمي سنة 1266هـ/ 1849م

بيت العمراوي:

من الأسر المحلية ذات النسب الإدريسي الشريف، إذ يرتقي نسبهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل[212]، يمتلك أفراد هذه الأسرة عدة ظهائر سلطانية تشهد بصحة نسبهم منها الظهير الذي أصدره السلطان المولى إسماعيل والمؤرخ في ربيع الأول عام 1110هـ/ شتنبر 1698م ومما جاء فيه: « **بيد حملته الشرفاء أولاد سيدي أحمد بن يحيى الحسنى وهم السيد يخلف** (...) **عبد الملك بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد، والسيد العميرى ابن**

---

[208]- أصدر السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان ظهيرا واحدا، والمولى الحسن أربعة ظهائر، والمولى عبد العزيز خمسة ظهائر، والمولى عبد الحفيظ ظهيرا واحدا.

[209]- يقصد بالخمريات عند أهل التصوف ما يحصل للمريدين من الهيام والغيبوبة في ذات الله تعالى.

[210]- منطقة تقع شمال مدينة مكناس تبعد عنها بحوالي 6 كيلومترات.

[211]- الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، ص. 122.

[212]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 263.

أحمد، والسيد منصور بن أحمد، وكافة إخوانهم القاطنين بقبيلة بني عمر يتعرف منه بحول الله وقوته، ونصره ومعونته، أنه لما ثبت عندنا، واتضح لدينا، وأنهم شرفاء ينتسبون للشجرة النبوية وبيدهم رسوم وبراوات الملوك المتقدمة (...) في ذلك وأسبلنا عليهم أردية التوقير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإكرام، (...) عما يطالبون به العوام»[213].

عرفت هذه الأسرة بألقاب منها: العمراويين والشنويين وفي هذا الصدد يقول الفضيلي «**وأما الشرفاء الشنويون فلقبوا بذلك لأخذ جدهم عن الشنوي بمصر، ويعرفون بفاس بالعمرويين، وهم أبناء ولي الله الكبير الشهير الذكر البدر المنير مولاي عمر والشريف دفين وادي زاه بحوز ملوية** »[214]، برزت مكانتها أولا في مدينة فاس حيث اشتهر أفرادها بالحسب والرئاسة والبراعة في الأدب وعلم المنطق وغيرها من العلوم، و نظرا لقرب المدينة الجغرافي من مكناس، وما عرفته هذه الأخيرة من إشعاع باعتبارها دار الملك ومقر الجيوش منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، عمد بعض العمراويين للإنتقال إليها، وفي مقدمتهم السيد محمد بن إدريس بن محمد العمراوي، حيث اختار الإستقرار بحومة حمام الجديد[215]، ثم انتشر أبناءه من بعده في أحياء المدينة مثل حومة تيبربارين.

لم يشتهر من هذه الأسرة في مدينة مكناس – في حدود ما اطلعنا عليه من مصادر– سوى علم واحد هو:

- **محمد بن ادريس بن محمد العمراوي:** رجل فقيه فاضل وأديب شهير، كان متضلعا في علوم شتى كأصول الفقه والحديث والحساب والتعديل والشعر، ذكرته بعض المصادر بـ «**أديب الأدباء، وأنجب النجباء، من تتلى فضائله في مجالس القراء ومنابر التدريس، الفقيه الوجيه، الوزير الأفخم، وديوان الملك الأعظم، ومن ظهر حسن صبره على انتظام أمره،**

[213]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 227– 228.

[214]– الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 2، ص. 140.

[215]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 228.

ومن حسن صبره على شدائده في حوادث الدهر ومكائده (...) ممتنع عن التكبر، والتجبر بما يحاسنها، عالي الهمة، متين الرحمة»[216].

امتهن في بدايات حياته حرفة نسخ الكتب والتي كان يتكسب منها لسد احتياجاته الضرورية، لكن سرعان ما انقلبت أحواله رأسا على عقب بعد لقاءه بالسلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، و قد كان السبب في هذا اللقاء أبو القاسم الزياني الذي استخدمه ناسخا يكتب ما يؤلفه لمدة ثلاث سنوات[217]، حيث أعجب به السلطان فاستكتبه في مجلس ديوانه وأصبح يلقب بكاتب الأوامر السلطانية[218]، ولم يزل شأنه يعلو إلى أن أسندت إليه خطة الوزارة، فحصل له جاه عظيم عند خاصة المكناسيين وعامتهم، وصل مداه لدرجة أنه « **صار لا يدخل إلا من بابه، ولا تنال الرغائب من غير ميزابه، واستمر على هذه الحال، مرضي المقال مجاب السؤال»**[219].

إن هذه الحظوة الرفيعة والشأن العالي جعلت للوزير محمد أعداء عملوا على الإطاحة به، خاصة بعض العناصر من جيش الأوداية الذين كانوا أشد خصومه، حيث دبروا مؤامرة استهدفت إسقاطه من منصبه من خلال تأليب قلب السلطان عليه، فنجحوا في مسعاهم إذ تم اعتقاله وتعريضه للتنكيل مدة من الزمن، وبعد الإفراج عنه عمل على استرداد ثقة السلطان به، من خلال حرصه على اللقاء به مباشرة، فقصد مكناس حيث كان هذا الأخير يقضي أيامه بها، وبالفعل حصل اللقاء وتكشفت للسلطان الحقيقة الذي لم يكتف بالعفو عنه بل عينه كاتبا لدى وزيره المختار الجامعي، وبعد وفاة هذا الأخير جمع محمد بن إدريس بين الوزارة والكتابة 1251هـ/ 1835- 1836م، وبقي على هذا الحال إلى أن توفي 1264هـ/ 1848م.

---

[216]- المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب العجز في الناطق بخرافات،**

[217] - Nacer Al FASSI, Mohamed ben Driss, visir et poète de la cour de Moulay Abderrhmane, **Hesperis- Tamuda**, Vol 3, 1962 , P. 43-62.

[218]- ابن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/ 1937م، ص. 86.

[219]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 224- 225.

بيت المنوني:

أسرة مكناسية عريقة الشرف والصلاح[220] تنحدر من الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن علي المدعو بـ "منون"[221]، وهو اللقب الذي اشتهر به المترجم نفسه "علي منون"، استوطن مدينة مكناس أواخر القرن 8هـ/ 14م، اشتهر بعلمه الواسع وروعه الفائح، تصدى لتدريس العلوم بمساجد المدينة من فقه وحديث وتفسير وسير ونحو وحساب، ذاع صيته بين الناس وتبوأ مكانة مرموقة عند صفوة المجتمع ومن دونهم العامة. تلك المكانة أورثها لعقبه من بعده إلى أن أصبح بيت المنونيين ذا مرتبة رفيعة ووجاهة عظيمة ونباهة جليلة، عكستها تصرفات السلاطين العلويين اتجاه بعض أفراده، حيث لم يألوا جهدا في إحاطتهم بعناية خاصة سواء من خلال حرصهم على ضرورة استدعائهم لحضور مراسم البيعة أو رعاية أملاكهم المحبسة على ضريح جدهم علي منون بتعيين ناظرا عليها يتكلف بصرف مستفاد الحبس[222] أو منحهم هبات وأعطيات[223]، أو منحهم ظهائر تشهد بقدرهم وتحض على وجوب إحترامهم وتوقيرهم وعدم تعريضهم للإذاية، إضافة إلى إعفائهم من الوظائف المخزنية، وفي هذا الصدد نورد مثالا يؤكد ذلك، فقد أصدر السلطان المولى سليمان ظهيرا مؤرخا في 17 شعبان 1208هـ/ 21 مارس 1794م، وهذا نصه: « **جددنا – بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته– للشرفاء الكرام، أولاد مولاي محمد الشريف المنونى،**

---

[220]– تتوفر أسرة المنوني على رسم بصحة نسبهم الشريف بشهادة عشرين من العدول والعلماء، ومما جاء فيه: « ...أن هؤلاء الأشراف المنونيين، يعرفونهم معرفة كافية شرعا، ومعها يشهدون بأنهم منذ ميزوا بعقولهم وأركوا بأسنانهم، والسادات المذكورون ينتسبون للنسب العالي، الطاهر الباهر السني، مصرحين بذلك في شهاداتهم ومعاملاتهم وأصدقتهم، وظهائرهم، محسوبون من أهل البيت النبوي، من غير علم منازع نازعهم...». المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، ص. 94.

[221]– ولد سنة 790هـ/ 1388م، وتوفي سنة 854هـ/ 1450م، فقيه مفتي وإمام نحرير وأستاذ كبير، يعتبر من أكابر مشايخ مكناس. أفاض الأستاذ محمد المنوني في ترجمته. للمزيد انظر المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 9- 102.

[222]– هناك ظهائر عديدة في هذا الشأن منها ظهير المولى سليمان المؤرخ في 15 شعبان 1232هـ / 22 يوليوز 1815م بتعيين السيد المهدي بن محمد بن الطاهر المنوني ناظرا على أحباس جده؛ ومما جاء فيه: « **أمضينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركاته، النظر للشريف مولاي المهدي بن سيدي محمد بن الطاهر المنوني في الأرحى المحبسة من قبل جدي وعمه مولاي الحسين [...] وأذنا له في صرف مستفاد الحبس**.». المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 73- 74.

[223]– أصدر السلطان المولى سيدي محمد بن عبد الله ظهيرا مؤرخا في 28 ربيع الثاني 1190هـ/ 15 يونيو 1776م يتعلق بمنح هبة للمنقطعين بفاس لفرق من الأشراف منهم أولاد سيدي علي بن منون. نص الظهير كاملا أورده ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص 274- 275- 276.

النازلين بمكناسة الزيتون، حكم ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا –رحمهم الله– المتضمنة توقيرهم واحترامهم، وبرهم وإعظامهم. ومحاشاتهم عما تطالب به العامة »[224].

أسهم هذا البيت بأدوارا رئيسية داخل المجتمع المكناسي من خلال تقديمه العديد من الأعلام الذين تصدروا الحياة العامة نذكر منهم:

- **علي بن أبي القاسم المنوني**: عاصر السلطان المولى إسماعيل، فقيه مدرس وعدل مبرز وعابد ناسك، كان يحظى بمنزلة خاصة عند السلطان المذكور الذي قلده خطة النظارة على أوقاف الولي الصالح عمر بن عوادة[225] بمقتضى الظهير الصادر في ذي القعدة الحرام عام 1121هـ/ يناير 1710م، ومما ورد فيه: « **كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد حامله الشريف الأجل الخير الأفضل السيد علي بن أبي القاسم المنوني يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أسندنا إليه النظر والتصرف في أحباس الولي الصالح المتبرك به سيدي عمر بن عوادة نفعنا الله به وأذنا له في قبضها وإخراجها عند من كانت وقبل من تعينت وحيازة ما يحاز منها ومنعها من كل أحد** (...) »[226].
- **محمد بن أحمد المنوني**: عاصر فترة حكم السلطان مولاي سليمان وصدر عهد المولى عبد الرحمان بن هشام، فقيه علامة حيسوبي[227] ماهر، خوله تكوينه العلمي في الحساب تقلد وظيفة المؤقت بالمسجد الأعظم عام 1223هـ/1809م بموجب ظهير سليماني صدر في 24 محرم عام 1223هـ/ 21 مارس 1808م والشاهد فيه: « **ولينا –بحول الله وقوته– خطة**

---

[224]– المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 90.

[225]– هو عمر بن محمد بن عوادة العثماني او ابن عدادة دفين حومة حمام الحرة المعروف قديما، والتي أصبحت تدعى باسمه،توفي أوائل القرن 11هـ/ 17م ، من أشهر أولياء مدينة مكناس المتبرك بهم. محمد المهدي، الفاسي، ***ممتع الأسماع* في ذكر الجزولي والتباع وما لها من الأتباع**، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م، ص. 179–180.

[226]– ابن زيدان، المنزع اللطيف، ص. 264– 265.

[227]– هم الذين يعرفون علم الهندسة وأشكالها ودوائرها وخطوطها المتصلة كالمربعات والمثلثات والمساحات والأرصاد والمقدر وعلم المسطرة وغيرها. المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر» ، **مجلة المناهل**، العدد الثلاثون، السنة الحادية العشرة، شوال 1404هـ/ يوليو 1984م، ص 36.

التوقيت بمحله في المسجد الأعظم من محروسة مكناسة»[228]، ثم بمنار جامع النجارين[229] سنة 1240هـ/ 1824م، إضافة إلى تنصيبه مدرسا لعلم الفرائض والحساب[230].

- **الطبيب بن إدريس بن فضيل بن محمد المنوني**: ولد سنة 1234هـ/ 1818م ومات 1299/ 1881 فقيه مبرز وناسك زاهد، شغل وظيفة ناظر على أحباس الولي الصالح سيدي بوعوادة وسيدي الحسن بن مبارك[231]. توفي سنة 1299هـ/ 1881م.
- **محمد بن العربي المنوني**: حلاه ابن زيدان بـ «**فقيه علامة، مشارك مدرس، خطيب مفوه، تقي نقي، عدل فصيح، حلو الشمائل**»[232]. درس على يد جماعة من أعيان علماء مدينة مكناس منهم القاضي أحمد بن سودة والفقيه المفضل بن عزوز وغيرهما، فظهر أمره وذاع صيته وتمتع بتقدير كبير لدى جميع أفراد مجتمعه، صار من الوجهاء البارزين ذوي الكلمة المسموعة، توفي سنة 1316هـ/ 1898م.
- **محمد بن محمد بن أحمد المنوني**: يعتبر أبرز علم في أسرة المنوني، اشتهر بصلاحه وعلمه ومهاراته في علوم الحساب والفرائض، ورث عن أسلافه خطة التوقيت إذ عينه السلطان المولى عبد الرحمان مؤقتا بجامع النجارين سنة 1276هـ/1859م[233]، سرعان ما تدرج في سلم الوظائف المخزنية لما امتلكه من مؤهلات بوأته مرتبة كبيرة عند السلطان المولى الحسن، حيث أسند إليه نظارة الأحباس الصغرى ثم كاتبا لديوانه[234]، ثم بعد وفاة هذا الأخير رقاه المولى عبد

---

[228]- المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 115- 116.

[229]- أقدم مسجد جامع للخطبة بمكناس يعود إلى الحقبة المرابطية، يقع وسط حي النجارين. حيمر، **مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث**، ص. 222.

[230]- أورد الأستاذ المنوني نص المرسوم القضائي الذي أسند بمقتضاه للمترجم خطة التوقيت بجامع النجارين مع تدريس الفرائض بالجامع الكبير من مكناس. المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 117- 118.

[231]- توفي سنة 1175هـ/ 1761م.

[232]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 321.

[233]- المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 121- 122

[234]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 323.

العزيز إلى منصب ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، بمقتضى ظهير جاء فيه: « **أننا –بحول الله وقوته– للفقيه القاضي: السيد أحمد ابن سودة، في نظم الطالب محمد بن محمد المنوني، في سلك عدول منجرة أحباس مكناس، مكان العدل الصائر إلى عفو الله: الطالب الجيلاني الرحالي**(...) » [235]. توفي المترجم سنة 1316هـ/ 1898م، ودفن بضريح سيدي غريب من حومة الأنوار بمكناس.

- **محمد بن المهدي بن المنوني**: فقيه أصيل عالم بالقراءات السبع ، كان ملحوظا بالوقار والمهابة عند عامة المجتمع المكناسي وأعيانهم، بدأ حياته المهنية بالتدريس، أخذ عنه ثلة من أشياخ المدينة، انتشرت أخباره بين الناس لكفاءته وسمو أخلاقه فانتقاه السلطان المولى الحسن لتأديب بناته[236]، فاكتسب جاها عظيما ظل مستفيدا منه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1322هـ/ 1905م.
- **محمد السعيد المنوني**: الشهير بـ "السعيدي"، قال عنه صاحب الإتحاف « **فقيه عدل مبرز ذاكر مثبتل خاشع ناسك، له اليد الطولى في التوقيت والتنجيم والتعديل والحساب، مرجوع إليه في الفرائض، له معرفة كاملة في الأوفاق** »[237].

تتلمذ على مشيخة مكناس كالمفضل السوسي والمفضل بن عزوز والجيلاني الرحالي. تعاطى في أول أمره خطة الشهادة بسماط عدول بلدته، ثم مؤقت بالمسجد الأعظم، حيث أصدر في حقه المولى الحسن ظهيرا مؤرخا في 12 ربيع الثاني عام 1309هـ/ 14 نونبر 1891م، والشاهد فيه: « **يعلم من شريف كتابنا هذا** (...) **أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته عينا ماسكه الطالب السعيدي محمد المنوني خطة التوقيت في منارة الجامع الاعظم بمحروسة مكناس،**

---

[235]– المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 126– 127.

[236]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 327.

[237]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، ج 6، ص. 327.

وقلدناه القيام بوظيفته المبني في الشرع (...»)[238]. توفي المترجم سنة 1334هـ/ 1916م وأقبر في الزاوية الكنتية بمكناس.

❖ **المبحث الثاني: البيوتات العلمية بمكناس:** هي تلك الأسر والعائلات التي اشتغل أفردها بالعلم وتحصيله، فتبؤوا منزلة سامية داخل المجتمع المكناسي. نذكر منهم:

بيت بادو:

بفتح الباء الثابتة وتشديد الدال المضمومة.

يعتبر هذا البيت من مشاهير البيوتات الصنهاجية العلمية بمكناس، يعود تاريخ استقرار أفراده بالمدينة على الأرجح إلى بداية العهد الإسماعيلي، ومنها انتشروا في بعض مدن المغرب خاصة مدينة فاس وهو ما ذكره صاحب زهر الآس بقوله: «**اعلم أن هؤلاء من قدماء فاس عن قلة، وأصلهم من العرائش ومكناسة الزيتون، وهم أهل نجدة**»[239].

ينحدر هذا البيت المكناسي من الحاج عبد الله بادو[240]، عاش خلال القرن 12هـ/ 18م، لا يعرف عنه الكثير سوى إشارات مقتضبة أنه كان من الفقهاء المعتبرين، أنجب ولدين هما العربي والشافعي، ومنهما تسلسلت فروع هذه الأسرة ولمع اسمها وترسخ ذكرها في المدينة، فصار أفرادها من المحظيين المقربين من المخزن العلوي، حيث قلدوهم خطة الحسبة التي احتكروها لمدة نصف قرن، حتى اقترن اسم هذه الخطة بأسرتهم، صعدت بهم إلى مصاف وجهاء مجتمعهم. ومن أشهر الأعلام:

---

[238]- المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 132- 133- 134.

[239]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 110.

[240]- المنوني، مادة بادو، **معلمة المغرب**، ج 3، ص. 962.

- **الطاهر بن العربي بن عبد الله بادو**: فقيه فاضل معروف بحزمه، زكته بعض المصادر بالأمين الأجل[241]،

درس بمسقط رأسه مكناس على يد والده و ثلة من أكابر العلماء، برع في علم الحساب والتوقيت، الأمر الذي أهله لتولي خطة الحسبة بمدينته، وهي الوظيفة التي شغلها أيام حكم المولى سليمان بنزاهة واستقامة وانضباط، دفعت هذا الأخير أن يضيف له مهمة المكلف بالصائر الذي ينفق على دار السلطان بمكناس ويصير عليها[242]، ومن تمام حظوته أن شرفه باستقبال الوفد المرافق لخطيبته بنت كبير عرب طرابلس[243]، إضافة إلى مشاركته ضمن البعثة التي أرسلها السلطان إلى حكام الأتراك بالجزائر حول قضية تلمسان[244].

هذه الأدوار التي قام بها بقدر ما رفعت شأنه، فإنها خلقت له بعض الخصوم حيث دخل في نزاع مع أعيان مدينة فاس حول تعيينه شيخا لركب الحجاج عام 1212هـ/ 1797م[245]. وبعد وفاته توارث أبناؤه وأحفاده مكانته من خلال توليهم خطة الحسبة.فرشح إليها ابنه الأول محمد ثم ابنه الثاني أحمد حلاه ابن زيدان بقوله: «**صالح فاضل، صوفي سني، ناسك ذاكر، متبتل منحاش لأهل الله محب في الصالحين، ومعتقد في أهل الفضل والدين**»[246]، كانت له وجاهة عظيمة عند أعيان المجتمع المكناسي وعامته بفضل اشتهاره بالصدق والأمانه والجدية في عمله، بشهادة السلطان المولى محمد عبد الرحمان من خلال الظهير الذي أصدره في 10 صفر من عام 1278هـ/ 16 غشت 1861 والشاهد فيه «**إن دار خديمنا الأرضى الطالب أحمد**

---

[241]- محمد بن أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، د.ت، ج 1، ص. 284.

[242]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 305.

[243]- نفسه، ص. 361.

[244]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 283- 284.

[245]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 305.

[246]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 426.

بادو، دار أسلافنا قدسهم الله، وكان من المحبة والصدق والأمانة والخدمة والجد والدين بمكان مكين»[247].

وبعد وفاته ورث الخطة ابنه ادريس، ثم خرجت الحسبة من أسرة بادو إلى أسرة غريط، حيث تسلمها الطبيب غريط، لكن بعد مدة قصيرة عادت تلك الخطة لأسرة بادو، إذ عين عليها المختار بن أحمد السيد من لدن السلطان المولى الحسن سنة 1293هـ/1876م، واستمر في ولايته إلى أن أعفي منها سنة 1298هـ/ 1881م وولي مكانه محمد أجانا.

- **محمد المكي بن الشافعي عبد الله بادو**: فقيه عدل حيسوبي مختص في علم الفرائض والقراءات السبع والتجويد، نوه به معاصره أحمد بن العياشي سكيرج في أبيات[248] جاء فيها:

وَمِنْهُمْ الأُسْتَاذ بَادُّو المَكـــِّي العَالِم العَاهِل دُونَ شـــَك
لَه مَقَامٌ رَاسِخ فِي المَعْرِفَـــــة مَعَ تَحَلِّيه بأَحْسَن صِفَـــة
وَهوَ الَّذِي حَمِّيش كَانَ سَبَـــبًا لَه فَنَالَ في الطَّرِيق الارْبَـاء

سلك طريق التصوف هو وأخوه –الآتي الترجمة– فصار من علماء الطريقة التجانية الذين تبوؤوا مكانة سامية ومنزلة عالية بين أوساط المجتمع المكناسي. توفي سنة 1273هـ/ 1856-1857م.

- **محمد الهادي بن الشافعي بن عبد الله بادو**: فقيه متمكن وناسك متورع، أشاد به معاصره سكيرج في أبيات[249]:

وَمَنْهَجُ الأَجَلِّ بَادو الهـَادِي مَنْ كَانَ للنَّهْجِ القَوِيمِ هـــَـــاد
قَد نَالَ بالوَرْدِ بُلُوغ القَصْـدِ وَحَازَ فِي العُلَا لوَاءَ الرُّشْـــــد

---

[247]– المنوني، مادة بادو، **معلمة المغرب**، ج 3، ص. 963.

[248]– أحمد بن العياشي سكيرج، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، قدم عليه إدريس العراقي الحسني، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1390هـ/ 1971م، ج 3، ص. 270- 271.

[249]– نفسه، ج 4، ص. 265.

وَكَانَ عِنْدَ الشَّيْخِ فِي مَقَـام قَد حُفَّ في الأَصْحَابِ بِاحْتِرَام

تأثر بالطريقة التجانية فتتلمذ عن جماعة من أجلة أشياخها الذين أجازوه، تعاطى للتدريس بمسقط رأسه وتخرج على يديه ثلة من علماء المدينة أبرزهم الولي الصالح محمد العربي بن السائح[250]. توفي عام 1278هـ/ 1861-1862م، وقد رثاه تلميذه السابق الذكر بقصيدة طويلة[251] وصف فيها المترجم، نقتبس منها :

مُحَمَّدُ المُرْتَضَى الهَادِي الَّذِي جُلِّيَـتْ لَنَا الهُدَى مِنْهُ فِي أَبْهَى مَجَالِيـها
شَيْخُ الوَقَارِ الَّذِي مَا حَلَّ حَبْوَتَـــه كَيْ يُسْعِفَ النَّفْسَ يَوْمًا فِي تَصَافِيها
فَمَا اسْتَرَقَّ نُهَاهُ ذِكْرُ غَانِيَـــــةٍ وَلَا حَنِينِ شَجٍ إِلَى مَغَانِيـــــها
وَلَا اسْتَنْزَلَتْهُ أَهْوَاءٌ بِلَذَّتِـــــها وَكَمْ لَبِيبٍ تَرَدَّى فِي مَهَاوِيـــــها
وَلَا زَهَتْ نَفْسُهُ لِنَيْلِ أُمْنِيـــــةٍ وَكَمْ حَلِيمٍ زَهَتْ بِه أَمَانِيـــــها
وَلَا اسْتَفَزَّتْهُ مِنْ دُنْيَاهُ زَهْرَتُـــــها وَلَا لَهَتْهُ عَنْ العُلْيَا مَلَاهِيـــــها
وَلَا ثَنَتْهُ المَثَانِي نَحْوَ رَنَّتِـــــها وَلَا لُحُوفُ مَهَاةٍ فِي أَغَانِيـــــها

بيت بصري:

بباء مفتوحة موحدة وصاد ساكنة وراء مكسورة.

من أشهر عائلات التصوف وأكثرها نفوذا ووجاهة في مدينة مكناس، ترجع أصولها إلى ولي الله أبي موسى عمران الذي استقر بداية في منطقة تسمى "بصرة"[252] ثم ولهاصة[253]، فلقب بـ

[250]- هو العارف بالله الولي الصالح أبي المواهب محمد العربي بن السائح الشرقي العمري نسبة، ولد بمكناس سنة 1229هـ/1814م، وذاع صيته لما حل بالرباط، من أعلام الطريقة التجانية وكبار أوليائها. انظر: ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، د.م، 1381هـ/ 1961م، ص. 313- 315.

[251]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 506- 507- 508- 509.

[252]- هي إحدى المدن الإدريسية الواقعة بين فاس وطنجة، مازالت آثارها بادية للعيان على جانبي الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة وزان على بعد 22 كلم من مدينة سوق أربعاء الغرب، و40 كلم من ساحل المحيط الأطلنتي، سميت كذلك تذكيرا ببصرة العراق، كانت مدينة رافهة إلا أنها

"بصري الولهاصي"، واستمر هذا اللقب في عقبه، ليحط رحاله بمدينة مكناس قبل القرن 10هـ/ 16م.

اشتهر هذا العلم بالولاية والصلاح، حيث « **كان من كبار الأولياء العظام الشأن، مؤثرا للخفاء مكتفيا بعلم الملك الديان** »[254]. والتي سيتوارثها أبناؤه وأحفاده من بعده، وأول من اشتهر منهم وسط المجتمع المكناسي هو المدعو محمد بن عبد الرحمان بصري الشهير بـ "سيدي بصري"، وصف الحضيكي بأنه كان « **فقيها عالما عاملا، صالحا صوفيا، عارفا بالله، خطيبا يخطب بالمسجد الجامع من مكناسة، وله التعظيم والتوقير في نفوس الناس وأهل الفضل** »[255]. هذه المكانة المرموقة نالها بفضل ورعه وتصوفه، حيث تمكن من الإرتقاء في مقامات التصوف حتى أدرك منزلة الأولياء الصالحين العارفين بالله، تلك المكانة تأكدت أكثر بعد وفاته إذ أصبح قبره مزارة شهيرة إلى يومنا هذا[256].

ترك سيدي بصري ذرية معروفة لدى الخاص والعام بمكناس، شاع أمرها وذاعا صيتها، نذكر منها:

- **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بصري**: كان رجلا فقيها فاضلا نبيها مبجلا، منقطعا للعبادة والتصوف، تبوأ مكانة متميزة إذ كان من خاصة مستشاري السلطان المولى إسماعيل،

شهدت تراجعا أدى إلى اندراسها في نهاية القرن 5هـ/ 11م. عبد العزيز توري، مادة البصرة، **معلمة المغرب**، ج 4، ص. 1253- 1254- 1255.

[253]- تقع بالقرب من مدينة زرهون، وولهاصة التي ينسب إليها هذا الفريق بطون شتى منهم بنو الرجال بقرطبة من بلاد الأندلس. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 166.

[254]- محمد العربي البصري المكناسي، **منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار**، م.خ.ح، رقم 11564، ص 210.

[255]- محمد بن أحمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، ج 1، ص. 185.

[256]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 46.

حيث كان يعتمد على مشورته في بعض القضايا. توفي عام 1114هـ/1703م [257]، ودفن أمام ضريح عبد الله بن حمد بمكناس.

- **رقية بنت مسعود بصري**: عاشت خلال القرن 11هـ/ 17م، كانت امرأة صالحة شديدة التعلق بالأولياء، سلكت طريق التصوف مقتفية أثر والدها، حيث انتظمت في الطريقة الجيلانية[258].
- **محمد بن عبد الرحمن بصري**: من أشهر قراء مكناس وخاصة صلحائها، عاصر السلطان المولى إسماعيل الذي كان يخصه بعناية كبيرة.
- **المفضل بصري**: كان على قيد الحياة عام 1151هـ/1738م. وصفته بعض المصادر بالبركة الأجل والفاضل الأجود[259]، كان من المريدين المتشبثين بالطريقة التجانية[260] المحبين لجنابها والملتزمين بمبادئها، حرص على نشر مبادئها وإشاعة قيمها بين سكان مدينته مكناس. نجح في تحصيل درجة الأستاذية حيث ورد اسمه في لائحة المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العلمي بتاريخ 1150هـ و1151م[261].
- **محمد الطيب بصري**: من الفقهاء النساك العباد الفضلاء المعظمين لآل بيت النبي عليه السلام ولأهل الله من الأولياء والصلحاء،كثير الزيارة لهم أحياء وأمواتا[262]. نشأ بمدينة مكناس

---

[257]- البصري المكناسي، **منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة**، ص. 212أ.

[258]- نفسه، ص. 213أ.

[259]- ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، ص. 430.

[260]- طريقة صوفية تنتسب إلى الشيخ أحمد التجاني المتوفى بفاس سنة 1230هـ/ 1815م، يعتبر من أقطاب التصوف بالمغرب، أطلق على طريقته اسم "المحمدية" لأنه حسب قوله تلقى أمرا مباشرا من النبي عليه السلام بتأسيس طريقة. وقد عرفت هذه الطريقة انتشارا داخل المغرب وخارجه، كان لها أتباع كثر في مدينة مكناس بدليل تأسيس طائفة تجانية بها سنة 1244هـ/ 1828م عبد الواحد الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات في مكناس**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م، (مرقونة)، ص. 214.

[261]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 369.

[262]- محمد المنالي الزيادي، **سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية**، تقديم وتحقيق عبد الحي اليملاحي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1433هـ/ 2012م، ص. 236.

بين أحضان أسرته في جو علمي صوفي، كان من أتباع الطريقة القاسمية[263]، ساعده على البروز كأحد وجهاء مجتمعه، حيث تولي خطة الخطابة بجامع الزيتونة، فقام بها أحسن قيام، ولم يزل معظما عند الخاص والعام إلى أن توفي 1169هـ/ 1755م.

- **محمد بلقاسم بصري**: فقيه عالم علامة «**كان صاحب ذوق عجيب وفهم مصيب رجلا لبيبا حاذقا أريبا ذا لهجة صادقة وهمة فائقة مع انبساط وانشراح وولاية وصلاح** »[264]، هذه المكانه نالها بعد رحلة علمية استهلها بحفظ القرآن الكريم في صغره ودرس مختلف العلوم، وطمعا في الاستزادة وتوسيع مداركه توجه لمدينة فاس حاضرة العلم في المغرب وقتئذ، وخلال مكوثه بها حصلت له مفاجئة سارة ستغير مجرى حياته تجلت في لقائه بشيخ الطريقة التجانية أحمد التجاني وصار من مريديه، فأخذ عنه أصول التصوف وحقيقته حتى حصل له منه حظا وافرا، ولما عاد إلى مسقط رأسه مكناس تم اختياره مقدما على الطائفة التجانية بها، فتصدى للتدريس وأصبحت تشد إليه الرحال من سائر مناطق المغرب للنهل من علمه والتبرك بصلاحه.
- **العربي بن طاهر البصري**: اشتهر باسم "قطيطة" ولد بمدينة مكناس وبها ترعرع، عكف على طلب العلم منذ صغره، فظهرت فطنته ونباهته ولما كبر تصدر خطة التدريس بالمسجد الأعظم، زكاه ابن زيدان بالقول: «**فقيه علامة، مدرس متقن، محرر دراكة، حيي فاضل زكي، متقشف،كان صدرا في وقته**»[265]. ظل يتمتع بالجاه الكبير والقدر الرفيع إلى أن أدركته الوفاة بعد سنة 1290هـ/ 1873م.
- **بلقاسم بن محمد بصري**: ولد سنة 1253هـ/ 1837م، يعد من أشهر أعلام بيت بصري، ولد وترعرع بمدينة مكناس وتتلمذ على يد أفاضل فقهائها أمثال: القاضي العباس ابن كيران

---

[263]- طريقة صوفية معروفة لها فروع في كل مناطق المغرب بل وصل مداها إلى تونس، تنسب إلى الولي الصالح الشيخ أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم السفياني الشهير بـ "أبي عسرية" وب "ابن اللوشة" المتوفة سنة 1077هـ/ 1666م. للمزيد انظر الهاروني، **الأضرحة والمزارات**، ص. 211- 212.

[264]- ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب**، ص. 422.

[265]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 502.

وغيره. دفعه شغفه بالبحث عن المعارف وتحصيلها إلى الانتقال لمدينة فاس للأخذ عن علمائها ومجالسة كبار متصوفيها، فأدرك مراده حيث برع في فنون عديدة كالفقه والحديث والنحو والبلاغة، كما نبه في علم التصوف خاصة الطريقة التجانية التي انخرط فيها ونهل من علومها وضبط أورادها ولازم مجالس شيوخها حتى سار ضليعا، أكدت ذلك الإجازات التي حصل عليها ومنها إجازة الشيخ عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر[266]، ومما جاء فيها: «**قد أذنت وأجزت لحبيبنا وصفينا، ومحل ودنا وسرنا، الفقيه المحب في االله، المؤثر على نفسه رضى الإخوان في الله، أبي عبد االله سيدي محمد بن بلقاسم بصري، قوى الله مدده، وجعل النفع على يديه للمسلمين، وحلاه بما حلى به أكابر العارفين، آمين**(...) » [267].

ولما حقق مبتغاه قفل راجعا إلى مسقط رأسه، فتفرغ لتدريس وتلقين الورد التجاني، ليتم تعيينه بعد ذلك إماما للطريقة ومقدمها[268]، وهنا كانت بداية إشعاعه وبروزه داخل مجتمعه حيث وقع عليه الاختيار لتقلد خطة الخطابة في الجامع الأعظم خلفا لأبيه، ثم رقي إلى رتبة عدل مبرز بالأحباس الكبرى في 4 ذي الحجة 1290هـ/ 22 يناير 1874م .

حلته بعض مصادر ترجمته بأوصاف كثيرة منها: الفقيه الجليل- العدل الرضي- المبرز- الموثوق- الذاكر- الخطيب المصقع- النبيه المشارك[269]، برهنت على ما ناله المترجم من حظوة وتقدير وتبجيل عند العامة والخاصة، إلى أن توفي عام 1336هـ/ 1917م.

- **العربي بن محمد بصري**: فقيه عدل علامة مشارك في مختلف الفنون، طلب العلم بمدينته مكناس عند أشهر فقهائها زمن السلطان المولى إسماعيل أمثال: الشيخ أحمد بن يعقوب الولالي

---

[266]- صوفي صالح مشهور من مريدي الطائفة التجانية وخاصة أصحاب شيخها، توفي سنة 1270هـ/ 1853- 1854م، دفن بمدينة فاس. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 3، ص. 36.

[267]- ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 85.

[268]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 100.

[269]- ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 100.

وأبو عثمان سعيد العميري والبهلول البوعصامي ومحمد بن عبد السلام البيجري وأحمد بن ناجي وغيرهم ، استنفع كثيرا من مجالستهم فأخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية حتى نال السبق المعرفي بين أقرانه، أهلته ليصبح مدرسا ذا شهرة واسعة ووجاهة عظيمة، تخرج على يديه ثلة من العلماء والفقهاء كأبي القاسم العميري[270]. توفي سنة 1148هـ/1735م ودفن بضريح جده سيدي بصري بمكناس.

- **الطيب بن محمد بن الطيب بصري**: من الفقهاء ذوي الجاه والحظوة، وأحد أعيان عدول الحضرة المكناسية وفقهائها المميزين، كان في أول أمره مخالطا للعلماء مصاحبا للوجهاء، هذه البيئة الحاضنة أتاحت له فرصة تحصيل العلوم والمعارف، فشاع خبره بين الناس إلى أن بلغت مسامع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي أعجب بعلمه وأخلاقه، فولاه نيابة القضاء بمكناس عن القاضيين العباس بن كيران والمهدي بن سودة من بعده، وبقي في هذا المنصب إلى حين وفاته سنة 1277هـ/ 1860- 1861م[271]، وأقبر بضريح سيدي الحارثي آل الشيخ الكامل.

نستخلص مما سبق؛ أن بيت "بصري" يعتبر من أعرق البيوت في العلم والتصوف والصلاح والوجاهة بمدينة مكناس، برز منه أعلام ساهموا في رفع منزلة بيتهم حتى أضحى محل احترام وتعظيم وتقدير، سواء من طرف المخزن العلوي وعامة الناس، وهو ما نستشفه من الظهير الصادر عن السلطان المولى إسماعيل والمؤرخ في ربيع الأول عام 1112هـ/ أكتوبر 1700م « **يستقر كتابنا هذا أسماء الله بيده حملته أولاد ولي الله تعالى العارف بربه، الصالح سيدي بصري نفع الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى إليه، وخصوصا الفقيه السيد الأجل محمد بن أحمد بصري، وبني عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا. ويتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه العميم وبركته أننا أسبلنا عليهم جلابيب الإيثار والوقار، وكسوناهم أردية الاحترام**

[270]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 499.

[271]- نفسه، ج 3، ص. 119.

ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجمل بنظائرهم من السادات الأخيار، ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثواهم، وحاشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسقطنا عنهم كل مغرم أو تكليف (...) »[272].

بيت البوعصامي:

أسرة فيلالية الأصل من قصر تابوعصامت[273]، نزح بعض أفرادها إلى مدينة مكناس منتصف القرن 11هـ/ 17م بعد تعرض قصرهم للتخريب على يد المولى محمد[274]. وأول علم انتقل منهم إليها هو محمد البهلول البوعصامي[275] –الآتي الترجمة– ومنه تسلسلت فروع هذه الأسرة، فاشتهر بعض أفرادها بالجاه والعلم والصلاح. نخص بالذكر منهم:

- **محمد بن عبد الرحمن البوعصامي**: المدعو "البهلول". فقيه الفقهاء وإمام الأدباء في وقته من خاصة محبي الطريقة الرحمانية[276]، درس بمدينة مكناس على جماعة من مشيختها، ورغبة في تعميق معارفه شد الرحال إلى المشرق للنهل من علمائها، حيث حصل الكثير من العلوم ومهر في العديد من الفنون، وعند عودته إلى بلدته تبوأ مكانة مرموقة، فتصدى للتدريس وبرع فيه وصار يلقب بشيخ المدرسين.

---

[272]– ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 122– 123.

[273]– أحد أكبر قصور تافيلالت مساحة وأكثرها سكانا، تأسس في فترة مبكر قبل القرن 5هـ/ 11م. للمزيد انظر: حسن حافظي علوي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي** ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418هـ – 1997م، ص. 124.

[274]– أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م، ج 7، ص. 13– 14.

[275]– محمد حجي، مادة البوعصامي، **معلمة المغرب**، ج 6، ص. 1798.

[276]– طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي أصلا التمجتي التادلي دارا وزاوية وإقبارا، تأثر بالولي الشهير عبد الله بن حسون عن طريق تلميذه الدادسي، نجح في تأسيس طريقة سميت "الرحمانية"، عرفت انتشارا واسعا في مدن المغرب بما في ذلك مدينة مكناس مع الشيخ أحمد الدرعي المدعو "الدراوي" المتوفى سنة 1095هـ/ 1683م. الهاروني، **الأضرحة والمزارات**، ص. 203– 204– 205.

برز البهلول في نظم الشعر والنثر بشهادة معاصره محمد العلمي الذي قال في حقه «**وله في هذه الصناعة قدم راسخة ومكانة مكينة شامخة**»[277]. انتقاه السلطان المولى إسماعيل ضمن شعراء دولته المبجلين ذوي الوجاهة والنفوذ[278]. توفي سنة 1126هـ/ 1714م ودفن بالقرب من ضريح أحمد الحارثي[279].

- **محمد بن محمد البهلول**: نشأ نشأة علمية قويمة تحت إشراف والده –المترجم آنفا– فعلى الرغم من انشغالاته الكثيرة إلا أنه حرص على تلقين ابنه مختلف العلوم، إيمانا منه بأن التعلم تاج يشرف حامله ويرفع مكانته، وفي هذا السياق أنشد أبيات يخاطب ابنه جاء فيها[280]:

قُلْ لِلمُحاوِل رُتْبَـــــــة مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ذَا مُحَـــــــال
فاشر المَعَالِي بِالعـــــنَا فَبِذَاكَ تَكْتَسِب المَعَـــــال
وَادْرُس لِتَرْأَسَ يَا فَتَـــــى وَاحْفَظ لِيَحْفَظَك الرّجَـــال
وَذَوي المَعَارِف سَلْهُـــم فَالعِلْمُ يُدَرَك بِالسُّـــــؤَال
وَعَلَيْكَ حَـــــال تَأَدَّب مَعَهُم فَذَاكَ خَيْرُ حَـــــال

نجح محمد في تحقيق هدف والده، إذ أصبح فقيها بارزا يشار إليه بالبنان، ومدرسا مشهورا يفد إليه الطلبة من كل المناطق، كل ذلك خوله منزلة خاصة عند السلطان المولى عبد الله[281].

- **عبد الملك البوعصامي**: مكناسي الدار والقرار، حلاه المنالي بقوله: «**الشيخ المربي، الذاكر القانت الصابر**»[282]، أدرك جاها وقدرا بفضل اشتهاره بالزهد والتقشف، واهتمامه

---

[277]– العلمي، **الأنيس المطرب في من لقيته**، ص. 191.

[278]– الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 112.

[279]– هو أبو العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني المكناسي، عاش خلال القرن 9هـ/ 15م، هو أحد أقطاب الطريقة الجزولية ومن أشهر شيوخها ورئيس طائفتها في مكناس، ذاع صيته بين الناس وقصده الطلاب، فكثر أتباعه ومريديه من أبرزهم الشيخ محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية، والشيخ عمر بن مبارك الحصيني. توفي حوالي سنة 910هـ/ 1504م. الهاروني، **الأضرحة والمزارات**، ص. 102– 103.

[280]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 157.

[281]– ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 182.

[282]– المنالي الزيادي، **سلوك الطريق الوارية**، ص. 236.

بالتربية الصوفية من خلال اتباعه للطريقة القاسمية المعروفة وضبطه لمبادئها حتى صار من شيوخها الأفاضل العارفين بالأحوال الربانية[283]. كان خدوما لمجتمعه شديد التفاعل مع هموم أفراده. خلف ولدا اسمه أحمد كان مجذوبا مهيبا كثير التنقل بين مكناس وفاس إلى أن توفي بهذه الأخيرة سنة 1209هـ/ 1794م.

بيت البيجري:

بباء مكسورة وياء ناشئة عنها.

من أعرق البيوتات المكناسية وأشهرها علما ومجدا، تعود أصولها إلى الأندلس[284] وبالضبط من مدينة صغيرة تدعى "بيجرة" قرب غرناطة، ومن ثم لقب أفرادها نسبة إليها[285]، نزحوا إلى المغرب غداة اندلاع حروب الاسترداد نهاية القرن 9هـ/ 15م، فاستقروا بمدينة فاس ثم بعد ذلك مدينة مكناس، وهذا ما أشار إليه أحد أعلامهم محمد البيجري «**ولما خرجنا من الأندلس كان نزولا –أولا– مع أهل بيتنا بفاس البيضاء في دار العيون إلا أن جدنا لم يطل مكثه معهم، بل انتقل إلى مكناسة الزيتون فاستوطنها**» [286].

تبوأت هذه الأسرة الصدارة العلمية بمدينة مكناس، أهل أفرادها لتولي خطط رفيعة من قضاء وإفتاء وتدريس وخطابة، أكسبتهم وجاهة عظيمة داخل المجتمع، من أبرزهم الأخوين أحمد وعبد السلام، ومنها تفرح أعلام البيت البيجري.

- **أحمد بن محمد البيجري:** كان من نبهاء الطلبة وفضلائهم بمدينة مكناس، تفقه على يد جماعة من علمائها، وطمعا في الإستزادة والتعمق في المعرفة رحل إلى فاس، فأخذ عن أعلامها

---

[283]– نفسه، ص. 237.

[284]– أشار الأستاذ محمد المنوني أن في مخطوط "المنزع اللطيف" ذكرت نسبتهم إلى بلاد الأندلس، لكن في المطبوع خلى من هذا الذكر. للمزيد انظر: المنوني،«البيجريون بمكناس»، ضمن **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص. 11.

[285]– نفسه، نفس الصفحة.

[286]– نفسه، ص. 22. لا يزال في حي رقاق القرموني بمكناس درب يحمل اسم "البيجري"، غير أن الكاتبين لهذا الإسم حرفوه وبدلوا الجيم بالزاي.

الكبار منهم الشيخ عبد القادر الفاسي[287]، عاد إلى مسقط رأسه فقيها عالما متخصصا في الكتابة الإنشائية، خولته منزلة رفيعة بين الناس. أنجب ولدا سماه عبد الرحمان اشتهر بمدينة فاس كطالب نجيب وذكي.

- **عبد السلام البيجري**: حلته بعض مصادر ترجمته بـ «**الإمام الطود الهمام أبو محمد البيجري سيدي عبد السلام، شيخ حسن التقرير، جيد التعبير، يلحق المبتدى بالمنتهى في الزمان القصير والأمد اليسير**»[288] وبـ « **الفقيه العالم المحقق المشارك المدرس (...)كان صدرا في زمانه، مقدما في الإدراك والتحصيل على أقرانه، ولم يكن يقاربه أو يقارنه، ويوازيه، ويوازنه إلا العلامة القاضي أبو مدين السوسي** »[289] و« **فقيه علامة، بحر زخار، ناقد فاضل مهذب متقن متضلع** »[290].

يتبين من خلال الشهادات التي أوردنا كما هي، أن عبد السلام أدرك شأنا عاليا وشأوا كبيرا بين المكناسيين خاصتهم وعامتهم، بفضل مجالسته لكبار العلماء في مقدمتهم أبو أحمد بن مبارك السجلماسي ومحمد بن الحسن بناني، إضافة إلى ما حصله من علوم شتى كالفقه والأصول والنحو والصرف، فانتفع بعلمه خلق كثير. توفي في مكناس سنة 1132هـ/ 1719م، خلف ولدين هما:

- **الطيب**: كان علما في اللغة العربية بارعا في الخط والإنشاء والترسيل، تعاطى للتدريس ببعض مساجد مكناس حيث ورد اسمه ضمن العلماء الذين كانوا يقضون المرتب الحبسي مشاهرة من ناظر أحباس المدينة سنة 1149هـ/ 1736- 1737م[291]، درس على يديه جماعة من

---

[287]- عبد الله بن محمد الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ص. 203.

[288]- البصري المكناسي، **منحة الجبار ونزهة الأبرار**،

[289]- المنوني،«البيجريون بمكناس»، ص. 23.

[290]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 424.

[291]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 182.

الصفوة مثل نائب القاضي المجدوب ابن عزوز والعالم محمد بن عبد الوهاب بصري[292]، نال حظوة كبيرة ومكانة رفيعة.

- **محمد:** يعتبر واسطة عقد بيت البيجري بمدينه مكناس وأحد الفقهاء المشهورين والمدرسين البارزين المشهود لهم بالنزاهة والنباهة والمشاركة في أنواع من العلوم النقلية والعقلية[293]، تتلمذ على والده وغيره من شيوخ الجماعة، منهم العلامة الحسن بن رحال والقاضي سعيد العميري. اشتهر بسرعة حفظه وشدة فهمه، مما أهله ليصبح صدرا ومرجعا في الفتوى تولي الإمامة والخطابة بالقصبة السلطانية، فكان من جملة العلماء الذين يقبضون المرتب الحبسي مشاهرة من ناظر الأحباس بمكناس سنة 1149هـ/ 1736- 1737م[294]، ثم اصطفاه السلطان المولى عبد الله كقاضي بنفس المدينة[295]. توفي بالزلزلة التي ضربت مسقط رأسه سنة 1169هـ/ 1755م.
- **محمد بن محمد بن عبد السلام:** -ابن المترجم قبله- نعته صديقه ومرافقه السفير ابن عثمان «**الفقيه الكامل العالم الفاضل، سلالة الأكابر والصلحاء المشاهر، الأديب اللبيب الحسيب النسيب**[296] »، نشأ في أحضان أسرة أصيلة، فحفظ القرآن الكريم وتفقه في مختلف العلوم خاصة ما يتعلق بفنون اللغة، ثم تنقل بين حواضر المغرب فاس ومراكش، ولما عاد إلى بلدته صار «**نسيج وحده نظما ونثرا وأدبا وخبرا**»[297]، تخرج على يديه ثلة من الأعيان منهم محمد بن محمد بصري. واعترافا بأفضال أسرته وامتنانا لأعلامها وصيانة مجدها

---

[292]- المنوني،«البيجريون بمكناس»، ص. 34- 35.

[293]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 160.

[294]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 182.

[295]- المنوني،«البيجريون بمكناس»، ص. 31.

[296]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، دار السويدي للنسر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003م، ص. 343.

[297]- ابن عبد الوهاب المكناسي، **إحراز المعلة والرقيب**، ص. 344.

تقييدا وسمه بـ **"تقييد في عائلة البيجري"**[298]. توفي سنة 1205هـ/ 1791م ودفن بضريح مولاي عبد الله بن حمد.

أسرة التاجموعتي:

بيت علم ورياسة أصله من تافيلالت[299]، تقدم فيه أعلام نبغوا في علوم القرآن والحديث والفقه، فبلغوا منزلة عالية ومرتبة سامية، برز منهم محمد بن مروان بن عبد العزيز السجلماسي الذي كان من الأولياء والزهاد النساك، خلف ثلاثة أبناء هم أحمد[300] ومحمد[301] وعبد الملك، وهذا الأخير هو من حظي بشهرة واسعة ووجاهة كبيرة داخل مدينة مكناس.

وصف في بعض الوثائق الأصيلة بـ .«**الفقيه العلامة الحجة الفهامة القدوة القاضي الأعدل**»[302].نشأ في مسقط رأسه تافيلالت تربى على يد كبار شيوخ زمانه أمثال: محمد بن سعيد المرغيتي وعبد القادر الفاسي وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق بغرض الحج فانتهز الفرصة للقاء الكثير من العلماء الذين أخذ عنهم وأجازوه ، عاد إلى المغرب متمكنا من علوم النقل والعقل ضابطا لمناهجها[303].

اتصل خبر المترجم بالسلطان المولى إسماعيل فقرر الاستعانة به في الأمور التسييرية، إذ قلده خطة القضاء بعاصمته مكناس، إلى جانب تكليفه بمهمة تحرير المخاطبات السلطانية[304]، حتى صار من وجهاء المدينة ذوي السيرة المحمودة والقبول الحسن عند خاصة المجتمع ومن دونهم. توفي سنة 1118هـ/ 1706م.

---

[298]– توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية تحت رقم 13748. نشرها الأستاذ محمد المنوني بعنوان: " **البيجيريون بمكناس**".

[299]– الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 210.

[300]– إمام محدث عالم محقق، عارف بأحكام القراءات وأصول الفقه. توفي 1080هـ/ 1670م. القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 184.

[301]– عالم لبيب فاضل نبه في علم اللغة مات مغدورا بملوية. نفسه، نفس الجزء، ص. 222.

[302]– حوالة الأحباس الكبرى، رقم 5، م.و.م.م، الرباط ، قسم المخطوطات والوثائق تحت رقم **116**، ص. 143– 144

[303]– الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، ص. 498.

[304]– القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 162.

بيت التراب:

أسرة مكناسية تنتسب إلى قبيلة رجراجة، وردت في سجل ديوان السلطان المولى إسماعيل الذي جمع فيه الأسر التي كانت تستقر بعاصمة ملكه مكناس، وجاء ذكرها على النحو التالي" **أولاد التراب رجراجة"**[305]، أول من دخل منهم إلى مكناس هو مسعود التراب الركراكي[306] سليل سيدي واسمين المستقر بمنطقة الشياظمة[307]، ومنذئذ نجحت ذريته في الاندماج مع سكانها والتعايش معهم حتى اكتسبوا شهرة كبيرة لما عرف عنهم من صلاح ووقار ومتانة دين. ومع مرور الزمن تفرعت من هذه الأسرة فرق أبرزها:

- **الحسين التراب**: فقيه عالم مشارك في كثير من العلوم، عاش خلال القرن 13هـ/ 19م، ولد بمكناس ونشأ بها ودرس على كبار علمائها، اشتهر بأمانته ونزاهته ومسارعته في تقديم العون للضعفاء والمساكين، تصدر التدريس بمساجد مدينته فتتلمذ على يديه خيرة الطلبة، فصار من الشخصيات المتميزة التي اكتسبت مكانة مرموقة بين أفراد المجتمع، أورثها لأبنائه.
- **العربي**: كان من كبار أعيان مكناس وخاصة وجهائها مقتفيا أثر والده، ومما يستدل به على سمو منزلته أنه كان من جملة الموقعين على عقد بيعة السلطان المولى الحسن مع خاصة المجتمع المكناسي بتاريخ 27 رجب من عام 1290هـ/ 20 شتنبر 1873م[308]، وكذا تقليده خطة النظارة على الأحباس بزرهون سنة 1288هـ/ 1871- 1872م.
- **المكي**: ,ولد سنة 1259هـ/ 1845م، فقيه حيسوبي ميقاتي من أهل الفضل والصلاح، تربى في حجر والده الذي لحظه بعناية خاصة، براعته في علوم الحساب واتصافه بالأخلاق

---

[305]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 241.

[306]- كان يمتلك هذا الولي مكانة رفيعة، بفضل ما تمتع به من بركة خاصة، تجلت في إمكانياته لشفاء الجروح عن طريق مزج تراب بقطران نباتي، حيث تمكن من شفاء العديد من الجرحى. هذه البركة التي امتلكها ورثها عنه أولاده، حيث إن سيدي عبد مالك كان يمتلك بركة تخصيب الأرض، والفلاحون يتبركون به من خلال الحصول منه على قبضة من البذور لضمان إنتاج جيد. للمزيد انظر:

Marthe et Edmond GOUVION, **Kitab Aayane al- Marhib l'Akça**, Libraire orientaliste Paul GEUTHNER, Paris, 1939, p. 648

[307] - Ibid, p. 648.

[308]- **مجلة الوثائق الملكية**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، المجموعة الثالثة، ص. 144.

الحميدة أهلاه لتولي خطة النظارة على الأحباس الكبرى بمكناس وزرهون[309]، فقام بها أحسن قيام، كما انتدبه السلطان المولى الحسن ليكون ناصحا لابنه وولي عهده المولى عبد العزيز[310]؛ وعندما تسلم الحكم عينه ضمن ممثلي مدينة مكناس في مجلس الأعيان.

- **المفضل**: وجيه مبجل جليل المقدار، اشتهر بسعة اطلاعه ومعرفته وإتقانه لجملة من العلوم، تشرف بمرافقة الشيخ العارف بالله عبد القادر العلمي وملازمة دروسه والنهل من معينه. تمتع بمكانة عالية ومنزلة سامية لدى خاصة المكناسيين وعامتهم، تجسدت في طلب نقيب الأدارسة الشبهيين أحمد بن السعدي يد ابنته السيدة عائشة، فأجاب بالموافقة[311].

وبالجملة حظي بيت التراب داخل المجتمع المكناسي بالجاه والوجاهة والنفوذ، توارثوها أبا عن جد وهو ما عكسه الظهير الذي أصدره السلطان المولى عبد العزيز في 28 محرم عام 1317هـ/ 7 يونيو 1899م، وفيه تنويه بمنزلتهم، ومما جاء فيه: «**جددنا لحملته كافة أولاد التراب القاطنين بمكناس، حكم ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن إقرارهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، أخص منهم خديمنا الأرضي الناظر الطالب المكي وأولاد أخيه المرحوم الحاج (...) وابن عمه الطالب عبد الوهاب، وولدي أخيه الطالب المهدي (...) عمهم الحاج عبد الرحمان، وأخاه أحمد، والمعلم محمد النجار، والمعلم محمد البناء، (...) بمكروه، ولاتنتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه (...) فلا تخرق عليهم في ذلك عادة**»[312].

---

[309]- المنوني، مادة التراب، **معلمة المغرب**، ج 7، ص. 2323.

[310] - GOUVION, **Kitab Aayane al- Marhib l'Akça**, OP-Cit, p. 649.

[311]- المنوني، مادة التراب، **معلمة المغرب**، ج 7، ص. 2323.

[312]- نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

بيت حميش:

بفتح الحاء وتشديد الميم المخفضة. وأحيانا يدعى حميص، من البيوتات المكناسية العريقة، لا نعلم أصلها ولا محل استيطانها الأول؛ لكن المعلوم أنهم حلوا بمكناس منذ زمن بعيد. كانت لأفرادها مساهمة مهمة في تنشيط الحياة داخل المدينة، وأول من برز منهم أبو الحسن علي بن أحمد حميش المتوفى عام 1074هـ/ 1663- 1664م[313]، تفرع من هذا البيت أعلام نبغوا في مجالات عدة: الأمانة والخطابة والعدالة والتوثيق، من أشهرهم:

- **العياشي بن محمد حميش**: من فقهاء مكناسة الزيتون المشهورين بالفضل والصلاح، الماهرين في الحساب والتوقيت، ترشح لتقلد خطة الأمانة، حيث عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في جملة الأمناء المكلفين بمراقبة المسار المالي للأحباس و الأملاك المخزنية[314].
- **محمد بن عبد الواحد**: فقيه عالم ومدرس متمكن، نشأ بمدينة مكناس وتتلمذ على شيوخها الفطاحل، تميز طيلة فترة دراسته بذكائه ونباهته وقدرته العجيبه في الفهم، لذلك تم انتقاؤه من جملة المدرسين المشرفين على تعليم الطلبة وتكوينهم، فعلى قدره وارتفع شأنه داخل المجتمع.
- **عبد الرحيم بن العربي**: حلته بعض مصادر ترجمته بـ «**البركة الجليل ذو الخلق الجميل، الفاضل الأمجد الفقيه**»[315]،كان من مريدي الطريقة التجانية وخاصة أتباعها، درس على شيوخها وحفظ أورادها وطالع كتبها وضبط مناهجها، فصارت له منزلة سامية ضمن أتباع الطريقة حتى قيل فيه:

ومنهم بد العلا عبد الرحيم حميش من سار على النهج القويم
له عظيم الحب في التجـــــاني ونال منه غاية الأمـــــاني

---

[313]- فقيه برع في علوم الأصول والحديث وسائر المعقول والمنقول، توفي ببلده مكناس. الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي**، ص. 205.

[314]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 408.

[315]- ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب**، ص 525.

وكان موصـــــوفا بحســـن الأدب زيادة عما له من حســـب[316]

هذه المكانة الصوفية جعلته يبرز داخل المجتمع المكناسي كأحد وجهائه المبجلين الملحوظين بالرعاية والاهتمام.

لقد حظيت أسرة حميش بالشهرة وسط المكناسيين، بفضل اندماج أفرادها في المجتمع وبروز بعضهم كوجهاء لهم نفوذ كبير، وهو ما عكسه الظهير الذي أصدره السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان والمؤرخ في ربيع الثاني عام 1276هـ/ نونبر 1859م، ومما جاء فيه: «**جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لأولاد الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد الواحد حميش المكناسي حكم ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد طيب الله ثراه، المتضمن توقيرهم واحترامهم، وحملهم على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، مراعاة لنسبتهم للعلم الشريف**» [317].

بيت زغبوش:

بيت مجد وحسب وديانة، استقر أفراده منذ زمن قديم لما كانت حوائر مكناسة خاصة حارة تاورا[318]، نبه فيه الفرع المنتسب إلى بني حماد خلال عصري المرابطين والموحدين[319]، من أعلامه محمد بن حماد[320] وولداه عبد الله[321] وأحمد[322] وحفيده علي[323] والقاسم[324]. وبعد تعرض تاورا

---

[316]- ابن العياشي سكيرج، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب**، ج 4، ص 27.

[317]- المنوني، مادة حميش، **معلمة المغرب**، ج 11، ص. 3608.

[318]- كانت مدينة مكناس تضم حوائر كثيرة: بنو عطوش- بنو برنوس- بنو شلوش- بنو موسى- تاورا، وهذه الأخيرة سيدت على ضفتي وادي فلفل وادي أبي العمائر، تقع شرقا عن يمين من باب البرادعيين الذاهب إلى زرهون. ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص. 53- 54**.

[319]- الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 170.

[320]- فقيه مبرز، تعرض للتضييق والاضطهاد على يد والي مكناي يدر بن ولجوط. للمزيد انظر: ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص. 66- 67**.

[321]- من أهل المعرفة والنباهة، كان مؤيدا للدعوة الموحدية. للمزيد انظر: ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، ص. 80- 81.

[322]- فقيه جليل نزيه ورع، من الماهرين في الحساب والتعديل. للمزيد انظر: نفسه، ص. 108- 109.

للخراب والإندراس[325] اضطروا إلى النزوح، فانتقل بعضهم إلى مدينة مكناس واستقر بها، اشتهر منهم الشيخ عبد المغيث المعروف بـ "سيدي مغيث"[326] والملقب بأبي الفضائل (من أهل القرن 8هـ/14م)، ومنه تفرق أعلام هذا البيت، ومن أبرزهم:

- **أحمد الخضر بن محمد بن عبد القادر زغبوش**: من أشهر الفقهاء بمدينة مكناس ومشيختها، نجهل تاريخ ولادته ووفاته، وعموما كان على قيد الحياة خلال العهد الإسماعيلي، أقبل على العلم منذ صغره إذ تتلمذ على علماء بلدته، كان طالبا متميزا في دراسته نبيهها في تحصيله، فنجح في الإرتقاء إلى أعلى مراتب المعرفة بوأته شهرة واسعة، وصل مداها إلى السلطان المولى إسماعيل، فبعث في طلبه وقربه لحضرته ونظر إليه «**بعين الإكبار، مسبولا عليه من لدنها رداء الوقار والفخار، وناهيك بمن يبجله ذلك الإمام، وأعظم بمن كان له منه ذمام**»[327] .

نال المترجم مكانة خاصة عند السلطان رفعته إلى درجة وجهاء المجتمع وصفوته، عكسه الظهير الذي أصدره في حقه وهذا نصه « **يستقر بحول الله وقوته بيد الأرضى الأحظى المرضي الأحفل الأنبل خديم الجناب الأسمى والملاذ الأهمى أبي العباس أحمد الخضر بن الفقيه العدل أي عبد الله محمد نجل الفقيه العدل أحمد بن عبد القادر دعي بزغبوش حفيد الولي الصالح**(...) **سيدي مغيث نفعنا الله ببركاته** (...) **إنعاما عليه بالعناية والتوقير**

---

[323]- شغل خطة القضاء بمكناسة. للمزيد انظر: ابن غازي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ص. 109.

[324]- كان فقيها عالما، ولي خطة القضاء في عدة مناطق بالمغرب. للمزيد انظر: نفسه، ص. 80- 81.

[325]- تضررت تاورا في فترة الانتقال الموحدي المريني، ونالها من الدمار والتخريب على غرار باقي حواثر مكناسة، غير أن النسبة إليها ظلت باقية إلى أواخر العصر المريني القرن 9هـ/ 15م. حسن الفكيكي، مادة تاورا، **معلمة المغرب**، ج 7، ص 2236- 2237.

[326]- من العلماء الزاهدين المهتمين بالتصوف، اشتهر بالولاية والصلاح والكرامات، بعد وفاته أصبح ضريحه مزارة مقصودة للتبرك. الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 71.

[327]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**،ج 1، ص. 390.

الذي لاينسخ حكمه ولايبيد بحول الله وقوته على تعاقب الأيام رسمه، رعيا لما له من الخدمة والسبقية النصيحة »[328].

- **أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد المغيث:** مكناسي المولد والنشأه، يعد من الفقهاء الوجهاء الملحوظين بالاحترام والتقدير من كافة أفراد المجتمع[329]، نشأ في بيئة علم وصلاح تحت أنظار والده الذي كان من أهل الفقه والعدل، فعنه طلب العلم وعكف على مدارسة القرآن الكريم والتفقه في مختلف العلوم الشرعية.
- **الطيب بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن عبد القادر بن عبد المغيث:** كان من أهل الوجاهة والنباهة، فقيه علامة مشارك بارع في علوم الفقه والتفسير وقواعد الأصول والمنطق، درس على يد كبار شيوخ بلدته مكناس، وبعد استكمال تحصيله أدرج في مرتبة العلماء المدرسين، وصفه ابن زيدان بقوله «**كان رحمه الله من أماثل أهل زمانه ديانة وجلالة ونبلا وشرف نفس وطهارة عرض، مقتفيا سنن سلفه الأماجد السراة**» [330]. توفي بمسقط رأسه سنة 1211هـ/ 1796م[331].

أسرة السنتيسي:

أسرة مكناسية معروفة ذات علم وثروة، أصلها بربري من منطقة سوس، استقر بعض أفرادها بمدينة مكناس، وهم أهل تجارة و مال ومعاش وحرفة[332]، اشتهروا داخل مجتمعهم بالسمعة الطيبة والسيرة النقية، مكنتهم من تقلد خطط رفيعة ارتقت بهم إلى مصاف وجهاء المدينة، فكان لهم حضور مهم من خلال مشاركتهم الفاعلة في تنشيط الحياة بها. برز من أفراد هذا البيت:

---

[328]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 120- 121.

[329]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 346.

[330]- نفسه، ج 3، ص. 118.

[331]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 83.

[332]- محمد حجي، مادة السنتيسي، **معلمة المغرب**، ج 15، ص. 5135.

- **الغالي بن المكي السنتيسي**: فقيه أديب وكاتب بارع ذو أسلوب بديع وخط جميل[333]، نشأ بمدينة مكناس في وسط علمي يعود له الفضل في تكوينه، حيث أخذ عن علمائها أمثال: القاضي أحمد بن سودة والشيخ المفضل السوسي والفقيه المفضل بن عزوز والمحقق المختار بن الحبيب الأجراوي، كما كان له اهتمام بالتصوف وأهله خاصة بالطريقة الأحمدية التجانية فتلقاها على يد أكابر مقدميها وأفاضل أوليائها حتى صار أحد علمائها البارزين الذين يعتد بهم في ميدان التصوف سلوكا وتأليفا. وهو ما نستنتجه من خلال موقفين: الأول أنه نظم أبياتا نقشت في مقابل ضريح الولي التجاني يمدحه ويعظمه ومما ورد فيها[334]:

هَـذا المزَار فَخُذ لِلقَلْبِ مَشْوَاه * وَأَبْشِر بِنَيْلِك مَا تَرْجُو وَتَهْوَاه
وَابْسُط يَمِينك وَالأُخْرَى قُبَالَة مِن * مَقَامِه مَنْزِل المُخْتَـــارِ مَأْوَاه
ذَاكَ التِّجَانِي أَبُو العَبَّاسِ سَيِّدنا * مَلاَذُنَا أَحْمَد بُشْرَى بِلُقْيَــاه
خَتَمَ الوِلاَيَة سِرّ الحَقّ مَظْهَــره * بَحْرُ المَعَارِف حَقّا رَبّ رِضَاه
رَدَّ وِرْده وَتَضْمَخ مِن عَوَاطِــرِه * وَامْلأ بِفَاتِحَة وَقْتًا لِيَرْضَـــاه

والثاني وصف نفسه في رسائل وجهها إلى الشيخ أحمد بن العياشي سكيرج، ختمها بعبارة «**خديم الأعتاب التجانية، تراب نعال أصحابها**»[335]، شهره معاصره الشيخ أحمد العبدلاوي[336] في قصيدة[337] الشاهد فيها:

ألا وهو الغالي الذي جل قــدره * فصار ملحوظا في الورى بجـلال
فيا غالي المقدار بين ذوي النهى * لقد نلت من عليك أقصى سؤال
فلا زلت في حفظ الإله موفقــا * محوطا بتأييد على كل حـــال

---

[333]- ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 63.

[334]- ابن العياشي سكيرج، **الرحلة الزيدانية**، ص. 95.

[335]- نفسه، ص. 110.

[336]- هو أحمد بن محمد بن قويد العبدلاوي ولد سنة 1230هـ/ 1815م، وتوفي سنة 1328هـ/ 1910م.من فقهاء وأولياء الطريقة التجانية، ساهم مساهمة كبيرة في نشر مبادئها. ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب**، ص. 200- 204.

[337]- ابن العياشي سكيرج، **الرحلة الزيدانية**، ص. 111.

إن ما اكتسبه المترجم من صفات ساعدته على التدرج في الوظائف، فاشتغل بداية كاتبا عند محتسب مكناس الحاج محمد بن العربي أجانا، ولما صقل مواهبه وراكم تجاربه وولي خطة الكتابة في عهد السلطان المولى الحسن وابنه المولى عبد العزيز، الذي خصه بعناية كبيرة ورعاية فائقة، فكان ملازما ومصاحبا له في حركاته، ثم رقي إلى خطة النظارة في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ، حيث عينه ناظرا على الأحباس بمدينة مكناس وهي الخطة التي ظل يشغلها إلى أن توفي سنة 1338هـ/ 1920م ودفن بالزاوية الكنتية بمسقط رأسه.

بيت السوسي:

أسرة مكناسية مشهورة بالعلم والفضل، أصلها من جنوب المغرب وبالضبط هشتوكة[338]، وأول علم منها استوطن المدينة منذ القرن 12هـ/ 18م هو:

- **أبو العباس أحمد بن علي السوسي**: كان على قيد الحياة في النصف الأول من القرن 19م، فقيه نزيه من العباد النساك الماهرين في علم الأوفاق والحروف[339]، اعتنى منذ صغره بتفقه نفسه فدرس على يد كبار علماء وقته، ثم رحل إلى المشرق بقصد الحج والتقى بعدد من الشيوخ فأفاد واستفاد. ولما عاد إلى المغرب استقدمه السلطان المولى سليمان من بلدته في الصحراء إلى مدينة مكناس، ومن هنا كانت بدايات بروزه كوجيه، بفضل اعتناء السلطان به عناية كبيرة وشرف بمعرفته قدره، فأنزله بمدرسة الجامع الأزهر، تصدى للتدريس إذ قصده الطلبة للتعلم على يديه، كما زوجه بإمراة شريفة ليبقيه في حضرته.

[338]- تقع بدائرة انزكان في اقليم أكادير.

[339]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 419.

بلغ المترجم شأوا عظيما وأضحت مدرسته منارة شهيرة، وصار من الأعيان ويرغب خاصة المجتمع في التقرب منه ومجالسته والاستفادة من علمه على رأسهم الولي العارف بالله عبد القادر العلمي[340]. خلف ابنا هو:

- **المكي بن أحمد**: فقيه عالم من العدول المبرزين، تربى تربية صالحة في بيئة علمية أهلته لتولي خطة التدريس، تهافت الطلبة على دروسه فأخذوا عنه علوم الفقه والسير والنحو والبلاغة، ثم رشح لخطة

الشهادة بسماط العدول[341]. اكتسب منزلة عالية لدى الخاصة والعامة.

- **المفضل بن المكي السوسي**: المشهور بـ "فضول"، نوهت به بعض المصادر بالقول إنه «**كان صدرا شهيرا علاما أصيلا، جم التحصيل، قوي الإدراك، منطلق اللسان، مشارك نقاد، حسن العبارة، مقتدر على التفنن في أفانين التعبير، إماما في العربية، ذا هيبة وجلال، وحزم وعزم**» [342]، ولد بمدينة مكناس ونشأ في حجر والده الفقيه العدل المبرز المكي، وعنه حفظ القرآن الكريم ثم درس عند وجهاء علماء بلدته، أمثال القاضيان العباس بن كيران و المهدي بن سودة والفقيه الهادي بادو وغيرهم، أهله تضلعه في العلوم لتولي خطة التدريس، فازدحم على حلقات دروسه طلبة كثيرون أصبح بعضهم من فقهاء مدينته المشهورين، مثل المعطي بن عبود والغالي بن المكي السنتيسي والوزير أحمد بن موسى، هذا الأخير سيكون سببا في نقله إلى الخدمة المخزنية التي أتاحت له فرصة الاتصال بالسلطان المولى عبد العزيز حتى نال وجاهة عنده، إذ صار من الملازمين له حضرا وسفرا يعتمد على رأيه في اتخاذ قراراته[343]، ظل على هذا الحال إلى أن توفي.

---

[340]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 420.

[341]- نفسه، نفس الجزء، ص. 361.

[342]- نفسه، ج 4، ص. 380.

[343]- نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

- **محمد بن أحمد بن المكي بن أحمد السوسي**: ولد بمكناس سنة 1285هـ/ 1868-1869م، نشأ في وسط بيت فاضل كان أثره عليه واضحا في مساره العلمي والوظيفي، شرع في تلقي العلوم منها النحو والصرف والعروض وعلوم الفقهيات والتفسير والحديث والسير والتاريخ، على مشيخة مدينته وأعلامها الكبار أمثال عمه المفضل السوسي ومحمد المفضل بن عزوز وقاضي مكناس أحمد بن سودة[344].

تبوأ المترجم مرتبة عالية بشهادة معاصره الفقيه أحمد بن العياشي سكيرج الذي وصفه بـ « **العلامة الأمجد، الفاضل الأسعد، من اتصف بالأخلاق الحميدة،حتى نال الفضائل العديدة، فكان واسطة عقد أقرانه، في عصره وزمانه**»[345]. انتصب للتدريس إلى حين وفاته، فأخذ عنه طلبة كثيرون استفادوا منه كإدريس المطهري والنقيب راشد السعيدي وغيرهما، كما أسندت إليه خطة العدالة بسماط مكناس سنة 1311هـ/ 1893م، ثم رقي إلى منصب نائب القاضي أبي العباس أحمد بن بوبكر السلاوي، وفي الأخير عين قاضيا بمدينته سنة 1346هـ/ 1927م[346].

كما اشتهر داخل المجتمع المكناسي أعلام حملوا لقب "السوسي" بحكم انتمائهم لمنطقة سوس، واكتسبوا وجاهة عظيمة منهم[347]:

- **أبو مدين محمد بن الحسين**: السوسي الأصل المكناسي الدار والإقبار، وصف في إحدى الرسوم بـ «**الفقيه الأجل، العالم العلامة، الأفضل المدرس، البركة الحجة القدوة**» [348]. ترعرع بمدينة مكناس وأخذ عن خيرة علمائها، وبعد أن اكمل تكوينه تصدر للتدريس حيث لزم حلقاته طلبة كثيرون أمثال: محمد بن عبد الرحمن بصري وعبد الوهاب العرائشي وغيرهما،

---

[344]- دعوة الحق، العدد السابع، السنة السادسة عشر، ص. 152.

[345]- ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 76.

[346]- محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، **إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ص. 162.

[347]- لم نستطع تحديد وجه القرابة بين أسرة السوسي السابقة الذكر وبعض الشخصيات التي برزت داخل مدينة مكناس حملت لقب السوسي.

[348]- **حوالة الأحباس الكبرى**، رقم 5، ص. 138.

ذيوع صيته وصل مداه إلى السلطان المولى إسماعيل الذي خصه بعناية كبيرة وحفه بالاهتمام، وبفضل تضلعه في علوم الفقه وأصوله وأحكامه وقواعده ولاه خطة القضاء بحضرته، فقام بها خير قيام بنزاهة وانضباط، أهلته لحمل لقب **"قاضي الجماعة"**[349].

إضافة إلى تميزه في القضاء، برع المترجم في فن الخطابة والتعبير والإنشاء، فهو «**مقتدر على الترسيل، فصيح بليغ سيال القلم، خطيب مصقع خطب بل أخطب أهل زمانه**»[350]، فأسند إليه السلطان خطة الخطابة، وكان من الحريصين المواظبين لحضور خطبه نظرا لشدة إعجابه بشخصيته وفصاحة لسانه.

ورغم المكانة المرموقة التي تبوأها أبو مدين فقد تعرض للعزل عن خطتي القضاء والفتيا سنة 1088هـ/ 1677م دون سبب معلن، لكن سرعان ما أعيد لمنصبه فازدادت منزلته شفوفا، وأصبح من أخص الوجهاء ذوي الكلمة المسموعة، وهذا ما نستشفه من خلال دوره الكبير في النزاع الذي وقع بين علماء عصره حول حكم غنيمة العرائش، حيث ألف تأليفا سماه **"السهم الرائش في حكم غنيمة العرائش"**[351]. بقي ملحوظا بالتقدير والتبجيل إلى أن توفي سنة 1120هـ/ 1708م عن عمر ناهز 84 سنة، وأقبر بضريح الولي الصالح عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين أحد أبواب مكناس[352].

- **الحسن بن مبارك السوسي**: فقيه صوفي من أهل الولاية والأحوال[353]، اشتهر بورعه وكثرة عبادته وكراماته المتعددة، جعلت الناس يعتقدون فيه فيقصدونه لالتماس البركة منه، ومن ثم

---

[349]- ابن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة**، ص. 195.

[350]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 107.

[351]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م، ج 1، ص. 306.

[352]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 107.

[353]- المنالي الزيادي، **سلوك الطريقة الوارية**، ص. 403.

صار له نفوذ روحي وسلطة رمزية بوآه الزعامة والوجاهة داخل مجتمعه، توفي سنة 1175هـ/ 1761- 1762م، ودفن ضريح سيدي عمرو بوعوادة[354].

بيت الشاوي:

بيت مكناسي ترجع أصوله إلى العرب الحجازيين الذين دخلوا المغرب زمن الموحدين (بني هلال وبني سليم)[355]، سكنوا منطقة الشاوية ومنها نزحوا إلى مدينة مكناس -على الأرجح- بداية حكم السلطان المولى إسماعيل، ولعل سبب حلولهم بها رغبة هذا الأخير في الاستعانة بهم لتشكيل جهاز الدولة الجديدة في العاصمة[356].

بدأ هذا البيت منذئذ يكتسب شهرة وسمعة داخل المدينة، بفضل ما ميز أفرادها من صفات حميدة وخصال رفيعة، وأول علم برز منهم:

- **عبد الرحمن بن محمد الفاسي الشاوي:** فقيه ماهر في علم الحساب والتوقيت والتعديل، من كبار أهل العلم والفضل والولاية بمدينة مكناس، أسند إليه السلطان المولى إسماعيل رئاسة خطة التوقيت في المسجد الأعظم، فأقام بها على أكمل وجه وبلغ فيها شأوا كبيرا حتى صار يلقب بـ "مزوار المؤذنين"[357]، كما عرف بميله للتصوف والمؤانسة بأهله، وبهذا جمع بين العلم و الصلاح.

صار للمترجم جاه كبير داخل المجتمع المكناسي، وهو ما دل عليه الظهير الإسماعيلي الصادر في 13 ذي الحجة من عام 1123هـ/ 22 يناير 1712م وهذا نصه بعد الافتتاح

---

[354]- ينسب إلى الولي العارف بالله المتبرك به الشيخ عمرو بن محمد بن عوادة العثماني المتوفة مطلع القرن 11هـ/ 17م، يوجد ضريحه في الحومة المنسوبة له على يمين الداخل من ساحة الهديم. الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 66-67.

[355]- القادري، **نشر المثاني**، ج 1، ص. 130.

[356]- الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 181.

[357]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 344.

«يتعرف من يقف عليه أننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرنا الشريفة، الطاهرة المنيفة، وأقررناه على وظيفه الشريف، الغني بشهرته عن التعريف، وبسطنا يده على أمور وظيفه وتكليفه الديني على عادة الموقتين والمزاوير قبله، ليجتهد في شؤونه غاية الاجتهاد مستغرقا في العبادة والطاعة نهاره وليله، جاريا في ذلك على قانون النقباء والمزوار السالفين، في رعي الأوقات (...) **»** [358].

إن المكانه المرموقة التي أدركها عبد الرحمن ساهمت مساهمة فعالة في إشعاع بيت الشاوي داخل الوسط المكناسي، وهو ما برز في عقبه الذين استفادوا من إرثه لتكريس شهرتهم والمحافظة على سؤددهم؛ في مقدمتهم:

- **محمد بن عبد الرحمن:** حلاه شيخه محمد بن عبد الرحمن الفاسي بـ «**الفقيه النجيب، الفاضل اللبيب**»[359]، اشتهر بصلاحه ومتانة دينه ودماثة أخلاقه، والفضل يرجع لأسرته التي هيأت له ظروف التعلم، فكان له بعلم التوقيت والتعديل أوفر نصيب بشهادة بعض شيوخه مثل العلامة محمد العربي بن عبد السلام بن ابراهيم الدكالي الذي أجازه في علم التوقيت، ومما جاء في نصها: «**من إجازته للشاب الفقيه النبيه الأزكى الأحظى الموقت الأديب الزكى المرتضى سيدى محمد** (...) **الفاسى لقبا المكناسى دارا وقرارا في التآليف التوقيتية والآلات الفلكية، فإنه لجدير بأن يجار في ذلك، وأحق بأن يؤذن له في سلوك تلك المسالك، لحذاقته ونبله، وقوة إدراكه** (...) **»** [360].

إن علو كعب المترجم في ميدانه مكنه من تولى وظيفة رئيس التوقيت بالمسجد الأعظم بمكناس، بموجب ظهير أصدره السلطان المولى إسماعيل بتاريخ 29 ذي الحجة من عام 1128هـ/ 13 دجنبر 1716م، وهذا نصه بعد الافتتاح: « **يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك**

---

[358]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 123- 124.

[359]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 112.

[360]- نفسه، نفس الجزء، ص. 111.

بيد حامله المتمسك بالله ثم به الفقيه الوجيه، المعزاوى النزيه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا الشاوى أصلا، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، ولیناه خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرتنا العالية بالله(...) » [361].

حظي المترجم باحترام وتقدير كبيرين من لدن خاصة المجتمع المكناسي وعامته، فعد من وجهائه وأعيانه إلى أن توفي سنة 1169هـ/ 1755م في الزلزال الذي ضرب المدينة.

- **عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن:** فقيه صالح ناسك جليل القدر نبيل من العباد ذوي الكرامات، تربى في كنف والده فأخذ عنه علوم الفقه والتوقيت والحساب والفلك، ثم عمق معارفه بتلك العلوم من خلال مجالسته لكبار علماء عصره منهم العلامة العربي بن عبد السلام الفاسي الذي اقر له باليد الطولى في فن التوقيت والآلات الفلكية والأزياج التعديلية والمعرفة بفن التعديل[362]. توفي مع والده في زلزال سنة 1169هـ/ 1755م.
- **عبد القادر بن عبد الرحمان بن سعيد بن عبد القادر:** كان على غرار أسلافه فقيه ميقاتي متمكن من فن الحساب والتعديل، أقره السلطان المولى سليمان على وظيف رئاسة التوقيت في المسجد الأعظم بمكناس، بمقتضى ظهير مؤرخ في 8شوال من عام 1225هـ/ 5 نونبر 1810م ومما جاء فيه بعد الافتتاح: «**يستقر بيد حامليه الطالب الموقت السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن البركة المرحوم السيد سعيد الفاسى وأخيه، ويعلم منه أننا بحول الله وقوته أبقيناهما على ما كان عليه أسلافهما مع أسلافنا الكرام؛ من التوقير والاحترام، والرعى المستدام؛ وأفردناهما بالتوقيت في المسجد الأعظم من محروسة**

[361]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 108- 109.
[362]- نفسه، الجزء 5، ص. 395.

مكناسة.(...) » [363]. ثم أقره السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام على منصبه. توفي سنة 1257هـ/ 1870- 1871م.

بيت ابن شقرون:

من البيوتات المكناسية المنحدرة من قبيلة المنابهة العربية، دخل أفرادها إلى المغرب زمن الموحدين، فاستوطنوا في مناطق الغرب والشاوية ودكالة، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس حيث شكلوا فرقا كثيرة[364]، دخل بعضها لمدينة مكناس وهي فرقة:

- **عبد القادر بن العربي المنبهي المدغيري المكناسي**[365]: المعروف بـ "ابن شقرون"، يعد من أشهر الأعلام الذين خلفوا آثارا عظيمة في صناعة الطب بمدينة مكناس، نوه به معاصروه أمثال الشيخ صالح بن المعطي الشرقي[366] بأبيات[367] جاء فيها:

أَشَيْخُنَا النَّحْـــرِير حُلْوُ المَنْطِــق المتزيى بِمَزَايَا المَشْـــــرْق
يَا مَنْ عَلَا الأَتْرَاب والأَقْرَانـــــا كَمَا سَمَا الدَّهْر بِه وِزَانـــــا
يَا نَجْلُ شَقْرُون الجَلِيلُ القَـــــدْرِ وَمَنْ غَدَا بِحُسْنِه كَالبَـــــدْر
قَيَّدَ لَنَا فِي الطِّب مَا لِلْأَغْذِيَـــــة أُرْجُوزَة مُفِيدَة سَنـــــيَّـــة
مِنْ نظْمِكَ العَذْبِ البَلِيغ الأَشْهَى فَهُوَ مِنَ العِقْد النَّضِيد أَبْـهـى

---

[363]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 397- 398.

[364]- عبد الكبير الكتاني، **زهر الآس**، ج 1، ص. 550.

[365]- هو غير الشيخ المشهور عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون، فصاحب الترجمة مكناسي متقدم، وأما الثاني فهو فاسي متأخر من العلماء المتميزون بمدينه فاس خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/ 18- 19م، اشتغل بالتدريس ثم تقلد القضاء في علم الحديث وكان من شيوخ المجالس السلطانية للمزيد انظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 1، ص. 98- 99. عبد الكبير الكتاني، **زهر الآس**، ج 1، ص. 550- 551.

[366]- هو محمد الصالح بن محمد المعطي الشرقي، من ذرية سيدي محمد الشرقي، تو سنة 1139هـ/ 1726- 1727م، نشأ في بيئة دينية وعلمية تحت رعاية والده، ثم ارتحل إلى مراكش وفاس لطلب العلم. تتلمذ على يد الشيخ الحسن اليوسي ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ووصل إلى تامكروت، وبطلب من شيخ الزاوية الناصرية عاد إلى زاوية أبي الجعد فأحيى معالمها، حيث أضحت قبلة للطلبة والمريدين وكبار علماء العصر من بينهم الطبيب عبد القادر بن شقرون. للمزيد انظر: أحمدج بوكاري، **الزاوية الشرقاوية: زاوية أبي الجعد إشعاعها الديني والعلمي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1985م، ج 1، ص. 103- 107.

[367]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 386

كما أثنى عليه القاضي أبي القاسم العميري التادلي بقوله «**الفقيه النحوي الأديب اللغوى الحكيم الأريب**»[368]. درس على شيوخ وعلماء عصره ببلدته مكناس منهم القاضيان أبو مدين السوسي وسعيد العميري والشيخ أحمد بن يعقوب الولالي ومحمد بن عبد السلام البيجري والطبيب أبو اسحاق ابراهيم الأندلسي، ثم رحل إلى مدينة فاس لتعميق مداركه.

تمكن ابن شقرون من التضلع في مختلف العلوم خصوصا علم الطب واعترف له الجميع برياسته في هذا الفن، حيث ألف فيه تآليف عديدة أبرزها "الأرجوزة الشقرونية في الطب"، ، وهذا ما أشار إليه صاحب الأنيس المطرب بقوله: «**وضم إلى علم الأديان، علم الأبدان، فركب الأدوية، وانتشرت له بين الحكماء أي ألوية، وعرف الأمراض، وأرسل سهام الرقى فأصابت الأغراض**»[369]. فارتفع شأنه و علا قدره وصار من وجوه أهل زمانه ومن خاصة أعيان أقرانه، مسموع الكلمة مقبول الشفاعة، وظل كذلك إلى أن أدركته الوفاة سنة 1143هـ/ 1730م.

أسرة ابن الشيخ:

أسرة عريقة بمكناس تنسب إلى الوالي الصالح المتبرك به أحمد بن الشيخ، أنجبت أعلاما كان فيهم العلماء والكتاب والعدول[370]، على رأسهم:

- **عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ**: مكناسي الأصل والمنشأ والدار، فقيه علامة، تربى في بيئة ساعدته على التعلم، درس عند خيرة فقهاء بلدته أمثال أبي علي بن رحال المعداني ومحمد بن

[368]- أبو القاسم العميري، **فهرسة العميري**، تقديم وتحقيق أحمد دجوغ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص. 209.

[369]- العلمي، **الأنيس المطرب**، ص. 210.

[370]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 558.

عبد الرحمن بصري وغيرهما، ثم شد الرحال إلى الزاوية الشرقاوية[371] للإستفادة من شيوخها[372]، فتفوق في تحصيل العلوم وصار من المتضلعين في العلم، مما مكنه من تصدر واجهة مجتمعه.

نال عبد الوهاب من الحظوة والشهرة بين أهل عصره ما لم يدركه إلا القليل، تجسدت في الوظائف التي أسندت إليه، حيث تصدر للتدريس والإمامة والخطابة، ليرتقي إلى منصب قاضي الجماعة بمكناس ومفتها الأشهر[373]. توفي سنة 1150هـ/ 1737م.

بيت ابن عبود:

أسرة ذات أصول بربرية، كانت تتكون من فرق كثيرة توزعت في مدن المغرب كفاس وتطوان ومكناس، لم نقف على تاريخ استقرارهم بهذه الأخيرة، كما نجهل أول من قدم منهم إليها، وعلى العموم فإن هذه الأسرة ذاع صيتها بالمدينة ابتداءا من القرن 12هـ/ 18م، حيث برز فيها أشخاص تميزوا بصلاحهم واستقامتهم، كان لهم الفضل في وجاهة بيتهم،و أول علم اشتهر منه:

- **علي بن عبد الرحمان بن عبود:** ولد ونشأ بمدينة مكناس في أحضان أسرته خاصة والده الشيخ عبد الرحمان الذي تعلم منه، فحفظ القرآن الكريم وتفقهه في كثير من العلوم كالفقه والحديث واللغة على يد شيوخ عصره، إلى أن غدا عالما متبحرا، ثم قرر الذهاب إلى المشرق لأداء فريضة الحج، و هناك انتهز الفرصة فالتقى بمجموعة من العلماء الفضلاء نهل منهم، و لما عاد إلى مسقط رأسه عهد إليه بخطة العدالة.

---

[371]- أسسها الشيخ أبو عبيد الله محمد الشرقي (المتوفى سنة 1010هـ) بأبي الجعد، كان لها صيت كبير أواخر القرن 10هـ/ 16م، لكنها تقهقرت بعد وفاة مؤسسها، لتعود إلى الظهور من جديد مع الشيخ محمد المعطي (المتوفى سنة 1180هـ/ 1766م)، وتبلغ أوج عظمتها مع الشيخ محمد الصالح.**حظيت الزاوية الشرقاوية بعناية خاصة من طرف السلاطين العلويين، فقد زارها مولاي اسماعيل وأمر بترميم ضريح شيخها**. بوكاري، الزاوية الشرقاوية: زاوية أبي الجعد.

[372]- محمد الصغير الإفراني، **ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها**، تحقيق ودراسة عبد الحي السعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص. 44.

[373]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 467.

أدرك علي من الشهرة ما لم يدركه إلا الوجهاء، إذ وصفه العلامة علي العكاري بـ«**الفقيه الأديب، الخاضع المنيب، و هو من أهل الخير والدين، ومن السادات المعتبرين، عليه مخايل الكمال، تميز بها عن هؤلاء الرجال، مجتهد في الدروس، مورد في تقريره ما تطيب به النفوس**»[374]. توفي ببلدته سنة 1174هـ/ 1760م.

- **الغازي بن العربي بن عبود**: مكناسي النشأة والدار والإقبار، فقيه عالم وعلامة محقق من أهل الخير والفضل، تدرج في طلب العلم بدأه بحفظ القرآن الكريم وحفظ المتون الفقهية واللغوية، ثم وسع معارفه من خلال ملازمة حلقات دروس علماء وقته، فتخرج عالما تميز من بين معاصره بإتقان أصول الفقه حتى صار مرجعا فيها[375]، مما أهله لتقلد خطة التدريس، إذ ظل مواظبا علىها دؤوبا على إفادة المتعلمين، حتى نال محبة في قلوب الخاصة والعامة، خوله جاها عظيما احتفظ به إلى وفاته سنة 1187هـ/ 1773م.
- **محمد بن الهادي بن عبود**: كان عالما متمكنا وعدلا مبرزا فصيح اللسان، اشتهر بزهده وورعه وإعراضه عن زينة الحياة الدنيا، هذه الخصال الحميدة أهلته لتولي خطة نيابة القضاء عن القاضي أبي العباس بن كيران ومن بعده أبي عيسى المهدي بن سودة[376]، تمتع بحظوة كبيرة بين أفراد المجتمع المكناسي. عن عمر يناهز تسعين سنة، وأقبر بمسجد أبي العباس أحمد الشبلي.
- **المعطي بن محمد بن الهادي**: حفيد الفقيه المترجم قبله، حلاه ابن زيدان بقوله: «**عامل خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب في النبي وآله، وسائر المتعلقين بأذياله، فاضل متبثل واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضي، عارف بالتوثيق**» [377]. أخذ عن أعلام وشيوخ وقته ببلده مكناس، ومن هؤلاء الفقيه فضول السوسي والقاضي العباس بن كيران والمهدي بن سودة، فاستطاع أن يجمع علوما متفرقة صقلت تكوينه العلمي، برز في كثرة

[374]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 554.
[375]- نفسه، نفس الجزء، ص. 587.
[376]- نفسه ، ج 4، ص. 302.
[377]- نفسه، انفس الجزء، ص. 366.

تلامذته الذين صاروا من أعيان المدينة منهم عبد القادر بن أحمد العرائشي والغالي سنتيسي و أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب مشيش الشبيهي.

بلغ المترجم شأنا كبيرا تشهد عليه الوظائف التي تقلدها من إمامة وخطابة ونيابة القضاء بالحضرة المكناسيه، وكذا حضوره مع جملة من الشهود خلال مبايعة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان[378]، إضافة إلى أنه كان له مجلس خاص من بين المجالس العلمية التي كانت تعقد أيام السلطان المولى الحسن[379]، ظل على هذه المكانة إلى أن توفي عام 1330هـ/ 1912م بمسقط رأسه بمكناس.

- **محمد بن عبد السلام بن عبود:** ولد بمدينة مكناس عام 1272هـ/ 1856م، فقيه صوفي مقبل على العبادة ميال إلى الزهد، نوه به تلميذه ابن سودة «**الشيخ الإمام الولي الصالح الصالح، الخير الذاكر، المرشد الناصح الصالح بقية السلف، الفصيح المذاكرة، الكثير الحجة، الواسع المعرفة والإطلاع، الغواص عن الحقيقه كثير الأتباع**» [380].

عرف منذ صغره باجتهاده في تحصيل العلم، حيث تتلمذ على يد عدد كثير من علماء مكناس أمثال الشيخ عبد الله بن عزوز والمختار الأجراوي والحاج محمد العياشي ومحمد العربي المدغري العلوي، وعن هذا الأخير تلقى الطريقة الدرقاوية[381]، فحظي باحترام وتقدير لدى خاصة المجتمع المكناسي وعامتهم، وصار من وجهاء قومه وصفوته. توفي سنة 1344هـ/ 1925م.

بيت العرائشي:

[378]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص. 20.

[379]- السعيد بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1417هـ/ 1996م، ج 2، ص. 33.

[380]- محمد حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثانية، 2008م، ج 8، ص. 2948.

[381]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 291.

أسرة نابهة فاضلة بمكناس، استوطنوا بداية مدينة العرائش ثم التحقوا ببلاد "تلاجدوت"[382] صحبة الولي الشهير عبد الله بن حمد لدى قدومه إليها من مدينة فاس، مكثوا بها فترة من الزمن ليقرر الشيخ المذكور الإنتقال إلى مدينة مكناس أوائل القرن 10هـ/ 16م[383] فرافقوه ومن ثم لقبوا بالعرائشين نسبة إلى منطقة استقرارهم الأول.

أنجبت هذه الأسرة أعلاما جمع بعضهم بين العلم والتصوف، شغلوا خططا كثيرة من قضاء ونظارة وحسبة وتدريس، فاستطاعوا نيل شهرة واسعة ومكانة مرموقة ليس فقط داخل مدينة مكناس بل حتى خارجها، ويعود الفضل إلى السيد محمد العرائشي في إشعاع هذه الأسرة، كان فقيها نبيها جليل القدر عظيم الشأن اتبع طريق التصوف، حظي باهتمام كبير من لدن السلطان المولى إسماعيل حيث كلفه ببناء ضريح المولى عبد الله بن حمد، وأسند اليه النظارة على أحباس الشيخ حسب نقيشة موضوعة عند رأس قبره ونصها «**هذا ضريح خديم هذا الولي العالم الصالح سيدي عبد الله بن حمد نفع الله به، وناظر أحباسه والذي بنى هذه الروضة المباركة عن أمر المولى إسماعيل نصره الله، وهو الحاج محمد العرائشي**»[384]، توفي سنة 1098هـ/ 1686م، خلف ابنا ورث مكانته هو:

- **أبو اليمن عبد الوهاب**: يعتبر واسطة عقد أسرة العرائشي الذي أكسبها جاها ووجاهة لدى العامة والخاصة، حلاه ابن زيدان بـ «**علامة أصيل، متقن محصل جليل، فقيه متفنن مشارك نحوي، ماهر خطيب، بليغ مصقع، فاضل جليل مطلع**»[385]. هذه الخصال الفريدة بوأته مرتبة عند السلطان المولى إسماعيل الذي شمله بعنايته وخصه بعطفه، فأسند إليه أولا

[382]- تكتب أيضا بالكاف المعقودة "تلاكدوت" قرية صغيرة بأحواز مكناس وبالضبط غرب المدينة الحالية، ظل اسمها متداولا إلى غاية منتصف القرن 12هـ/ 18م، اشتهرت بالنشاط الزراعي إضافة إلى إشعاعها العلمي والذي مثله الشيخ أبي الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي المدعو بسيدي علي بن يشو العالم الشهير. ابن غازي، **الروض الهتون**، ص. 56. محمد اللحية، مادة تلاجدوت، **معلمة المغرب**، ج 8، ص. 2517- 2518.

[383]- نفسه، نفس الجزء، ص. 2518.

[384]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 56.

[385]- نفسه، ج 5، ص. 468.

وظيفتي الخطابة والتدريس معا بجامع النجارين، ثم استتبعه بخطة النظارة على أحباس المساكين التي وفاها كامل حقها، إلى أن رفعه لأعلى المراتب بتعيينه قاضي الجماعة بالحضرة المكناسية.

إن هذه الخطط المتعددة حقق فيها المترجم غايات طيبة ومنافع كثيرة باعتراف من السلطان[386]. توفي عبد الوهاب سنة 1127هـ/ 1715م، ودفن بضريح الوالي عبد الله بن حمد خارج باب البرادعين، برز من حفدته علمين هما:

- **أحمد بن عبد القادر**: كان من أهل الخير والكرم، فقيه نجيب في فنون الحساب والتوقيت والتعديل وأحكام النجوم، مقدما على أقرانه تقلد منصب الأمين على أمراس خزن الحبوب والزيوت المجباة من أعشار مناطق المغرب، ثم رقي إلى كاتب محتسب محمد العربي أجانا وهي الوظيفة التي ظل يمارسها حتى طلب إعفاءه ليقبل على تدريس مايتقنه من علوم[387]. توفي عام 1318هـ/1900م ودفن بالزاوية الناصرية بمكناس.
- **محمد بن الحسين بن عبد القادر**: ولد عام 1280هـ/ 1863م، عالم جليل من أكابر علماء مكناس، وصفته مصادر ترجمته بـ «**الفقيه الوجيه، العلامة النزيه، ذو الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، المحب الصادق، والخليل الموافق**»[388] وأيضا «**شيخ الجماعة الفقيه العلامة المشارك النحوي الصالح الحيسوبي الموقت**»[389]. أخذ العلم بمسقط رأسه عن جماعة من خيرة علماء عصره كالعلامة الطاهر بوحدو المكناسي وعمه أحمد بن عبد القادر العرائشي –السالف الترجمة– والقاضي أحمد بن سودة، كان معدودا من الطلاب النجباء المتميزين في شتى أصناف العلوم، تعاطى في أول بدايات حياته التدريس بمساجد مكناس وزواياها، خاصة الكتانية، مدة قاربت أربعين سنة، تخرج على يديه جماعة من الأشياخ مثل الفقيه الحسن بن محمد المنوني والمختار بن المفضل السوسي والنقيب عبد الرحمن

386– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء5، ص. 469.

387– ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 349.

388– ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 69.

389– ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 2، ص. 463.

بن زيدان، كما أسندت إليه خطط التوقيت بالجامع الأعظم والخطابة في جامع قصبة هدراش والعدالة عام 1314هـ/1896م، ثم نائبا عن قاضي أحواز مكناس[390].

بلغ المترجم مكانة مرموقة وصار من الوجهاء المحظيين، ولما توفي ببلدته مكناس سنة 1351هـ/1933م شيعه جمع غفير من سكان مكناس على إختلاف طبقاتهم، تقدم للصلاة عليه نقيب الأشراف الأدارسة محمد الشبيهي ثم أقبر بالزاوية الكنتية بحي سدراتة.

بيت ابن عزوز:

من الأسر القديمة التي استقرت بمكناس، ترتقي في نسبها إلى الجد الأعلى عبد العزيز المدعو بـ "عزوز" الصنهاجي[391]، اشتهر من هذه الأسرة الشيخ أبي الحسن علي بن عزيز المكناسي الأصل[392]، رحل إلى فاس ومنها إلى منطقة زغوان[393] من بلاد تونس .كان يتصف بالولاية والصلاح والخير والفضل، فأسس زاوية اتخذها مكانا للتعبد والتأمل إلى أن توفي ودفن بها. أما من برز من هذه الأسرة داخل مكناس خلال الفترة موضوع دراستنا فهم:

- **محمد بن المجذوب**: زكاه ابن زيدان بقوله «**فقيه علامة، جليل مشارك نقاد، دراكة، نبيل عدل مبرز مدرس نفاع، نحرير ذو خط بارع**»[394]، نشأ بمكناس ودرس فيها على يد مشايخها وعلمائها الكبار أمثال القضيان العباس بن كيران والمهدي بن سودة والفقيه مبارك وغيرهم. وبعد تمكنه من مختلف العلوم تصدر للتدريس فتخرج عليه أعيان مدينته منهم الغالي

---

[390]- المنوني، **دعوة الحق**، العدد التاسع عشر، السنة الحادية عشرة، جمادى الأولى 1388هـ/ غشت 1968م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 112- 113.

[391]- المنوني، مادة ابن عزوز، **معلمة المغرب**، ج 18، ص. 6056.

[392]- محمد بن محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، ص. 369.

[393]- زغوان –بفتح الزاي وسكون الغين وفتح الواو- منطقة من بلاد تونس الحالية.

[394]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 304

السنتيسي ومحمد العرائشي. ومن ثم ذاع صيته وانتشر خبره بين الناس وصارت له وجاهة وحظوة وجلالة قدر، توفي سنة 1297هـ/ 1882م ودفن بزاوية علي بن عبد الرحمان[395].

- **محمد المفضل بن عبد الهادي بن أحمد بن محمد المجذوب**: يعد أهم شخصية في هذه الأسرة، فقيه جليل القدر وعالم رفيع الشأن، أخذ عن شيوخ مدينته مكناس كالعربي بصري والمهدي بادو والقاضيان العباس بن كيران و المهدي بن سودة وغيرهما، علوم الفقه والتفسير والحديث و علوم البلاغة وقرض الشعر، تميز بذكاء وفطنة وسرعة بديهة، وهي صفات أهلته لممارسة خطة التدريس، تتلمذ على يديه جماعة من علماء المغرب وقتئذ أمثال محمد بن عبد السلام الطاهري ومحمد بن العربي المنوني ومحمد العرائشي، وكانت مجالس دروسه يزدحم عليها الطلبة من مختلف مناطق البلاد، اكتسب شهرة واسعة ووجاهة عظيمة ساعدته على تولي منصب نيابة القضاء بمكناس، حيث «**انتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها**»[396].

نوه به وبمنزلته معاصروه بأبيات[397] نذكر منه:

مَا مِثْلُ قَاضِينَا ابْن عَزُّور المفَضَّل حسن رَوْض عَاطِر فينـــــان
أَعْطَاه رَبّي رِفْعَة وَسِيَـــــــادَة وَكَلَاءَة مِنْ صَوْلَة الأَزْمَـــان
أَو مَا هُوَ ابْنُ الأَوْلِيا وَكَرِيمُهـــم هَذَا المُهَذَّب سَيِّدُ الأَقْـــرَان
أَو مَا مَوَاهِب رَبِّنَا هذى الَّتِـــي ظَهَرَتْ عَلَيْه مِن رِضَى الرَّحْمَن
خَالِ الصَّفا فَتَواصَلَت أَمْدَاحُـــه فِي كُل قَلْبٍ نَيِّر وَلِسَـــان
لَو لَمْ يَكُن أَهْلاً لِكُلِّ جَلِيلَـــة مَا أُوتِي الفَضْل المَزِيح الـرَّان
لَمَّا تَصَدَّى لِلْحَدِيث فَفَاز مِـــنْ ـهُ السَّامِعُون بِرِقَّة وَحَنـــَان

[395]- مؤسس الطريقه الرحمانية المعروفة في مكناس بالزاوية العلوية، تقع على يمين الداخل لزنقة حمام مولاي عبد الله بن حمد من حي التوتة.
[396]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 369.
[397]- نفسه، نفس الجزء، ص. 375.

توفي المترجم سنة 1319هـ/ 1901م ودفن بالزاوية الكنتية بحومة سدراتة. وقد أومأ إلى وفاته تلميذه ابراهيم المسطاسي بأبيات[398]:

هَذَا ضَرِيحُ سَلِيلُ الأَكْرَميـــن وَمِن قَدْ فَاقَ مَجْدِا وَعِلْمِا سَائِرَ العُلَمَـاء

هَذَا المفَضَّل نَجْل القَرْم مَنْ فَخِرت بِه الدُّنْيَا فَامْتَطَى مِن فَخْرِه السّنـــما

عَبْد الهَادِ بن عَزُّوز وَذَلِك مِـــــن غَدَا وَحِيد الدُّهُور مُفْرَدًا عِلْـــــما

وَإِنْ ترد عَلَى عَام القَض فَابْغ تَجِـد (حَمْدًا وَشُكْرًا وَزُهْدًا حَازَ) فَاكْتَتَما

- **أحمد بن محمد بن عزوز**: من وجهاء مدينة مكناس المبرزين وعدولها الموثوق بهم، تبحر في العلوم النقلية والعقلية ونبغ في علوم الحساب والتوقيت والفقه والنوازل، حتى أصبح من رجال العلم الذين أدركوا أعلى المراتب، وتمتعوا بالاحترام اللازم وصار مقصد أعيان بلده ومن دونهم[399]. توفي سنة 1323هـ/ 1905م ودفن بالزاوية الجلالية[400] بمكناس.

بيت العميري:

بفتح العين وكسر الميم.

أسرة مكناسية عالمة ماجدة تنسب إلى قبيلة بني عمير من قبائل تادلة[401]، اشتهر أفرادها بالعلم والصلاح، تولوا خططا شرعية من قضاء وخطابة وتدريس، واتصلوا بالمخزن العلوي منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، ومنئذ حازوا الوجاهة والنفوذ لدى الخاصة والعامة، دلت عليها الأدوار التي اضطلعوا بها ، ولم يمنع شفوف مكانتهم من تعرضهم لمحن غداة وفاة السلطان المذكور. من أبرز أعلام هذا البيت:

---

[398]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 379- 380.

[399]- نفسه، ج 1، ص. 536.

[400]- تسمى كذلك بالقادرية، تقع في حومة الصباغين أسسها بعض الأشراف القادرين بمكناس.

[401]- عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/ 1968م، ج 1، ص. 434.

- **أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم**: يعتبر عقد واسطة البيت العميري فهو أول من انتقل من العمريين إلى مدينة مكناس، فقيه من أعيان القضاة المحققين والمشاركين في مختلف الفنون، كان للزاوية الدلائية البكرية دور كبير في تكوينه العلمي والخلقي، درس فيها على يد جماعة من كبار شيوخها أمثال محمد بن سعيد المرغيتي وأبي بكر بن يوسف السكتاني أبي علي الحسن اليوسي الذي تأثر به تأثرا كبيرا، تفوق في علوم القرآن والفقه واللغة.

بلغ درجة علمية رفيعة جعلت السلطان المولى إسماعيل ينتقيه من علماء حضرته ويحفه بعنايته الخاصة، إذ ألزمه ملازمة الجامع الأعظم والتدريس فيه[402]، فكان يتردد على مجالسه وحلقات دروسه كبراء علماء مكناس وغيرهم، تخرج على يديه فقهاء أجلاء كالحسن بن رحال المعداني وأحمد الشدادي وأولاده[403].

اتصف سعيد بالعلم والورع واتساع المدارك، وهي الصفات التي بوأته مكانة الصدارة بين أقرانه، فقلده السلطان خطة القضاء لما يعلم من كفاءته ونباهته ودماثة أخلاقه، حيث استقضاه في أول أمره بتادلة ثم بفاس العليا قبل أن يستقدمه لمكناس[404]، وما زال ملحوظا برعايته حتى «**كان لا يستطيع أن يفارقه إلا لقضاء ضروريات الإنسان، واتخذه محل ثقته ومشورته في مهمات دينه ودنياه**» [405].

نال المترجم جاها عظيما داخل المجتمع المكناسي، وصار الأعيان والعوام يتمنون لقياه والتحدث معه والأخذ برأيه إلى أن توفي سنة 1131هـ/ 1718- 1719م، خلف ثلاثة أولاد هم أحمد وعلي وأبي القاسم الذين ورثوا مكانته ونفوذه.

---

[402]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 238.

[403]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 142- 153.

[404]- أبو القاسم العميري، **فهرسة العميري**، ص. 42.

[405]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 141.

- **أحمد بن أبي القاسم**: من صفوة فقهاء العهد الإسماعيلي[406]، تربى في حجر والده وعنه أخذ مختلف العلوم مما أهله لتولي خطة التدريس، حيث كانت حلقاته تعج بالطلبة أمثال محمد بن محمد بصري وغيره، فكان من عينة العلماء الذين وردت أسماؤهم من ذوى المرتب الحبسي على يد ناظر أحباس مكناس سنة 1149هـ/ 1736- 1737م[407] .أدرك المترجم درجة مرموقة بين أفراد مدينته، ومن تمامها أنه هو من تكلف بتغسيل السلطان المولى إسماعيل حين وفاته[408]. توفي المترجم سنة 1150هـ/ 1738م.
- **علي بن سعيد**: فقيه من صدور علماء الدولة الاسماعيلية، نوه به معاصره الشيخ علي بن محمد العكاري بقوله: «**ذو اللسان الفصيح الفقيه الأديب، الحاذق اللبيب ذو لسان، وذو عبارة مرونقة بالبيان، مولعا بالأدب والتاريخ والسير، ذو تثبت**» **[409]**، نشأ في أحضان والده وعنه درس وتعلم حتى أضحى من ذوي الحظوة والشهرة، برهنت عليها الوظائف التي تقلدها، حيث كلفه السلطان المولى إسماعيل بمهمة الإشراف على الأوقاف الحبسية، وفي عهد ابنه المولى المستضيء عينه وزيرا ومستشارا[410] يعتمد عليه في قراراته. توفي المترجم سنة 1150هـ/ 1738م ودفن ببلدته مكناس.
- **أبو القاسم بن سعيد**: حلاه تلميذه أبو محمد المكي الناصري بـ «**العالم العلم، الجامع بين اللسان والقلم، الصدر البليغ الأوجه الأوحد، قاضي قضاة العصر**» **[411]**. ولد بفاس ثم رحل إلى مكناس منذ صغره رفقه والده وبها نشأ تحت رعايته[412]، حفظ على يديه القرآن الكريم وأتقن العديد من العلوم كالفقه والتفسير والنحو والصرف، ثم درس على مشيخة بلدته أمثال البهلول البوعصامي وأحمد الشدادي و أبي العباس الولالي والحسن بن رحال المعداني

---

[406]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 399.

[407]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 182.

[408]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج 1، ص. 328.

[409]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 552.

[410]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 182.

[411]- أبو القاسم العميري، **فهرسة العميري**، ص. 84.

[412]- نفسه، ص 40.

وعبد القادر بن شقرون، كما عرف بميله للتصوف فأخذ الطريقة الناصرية[413] عن الشيخ المعطي بن الصالح، اشتغل أول أمره بالتدريس وهي الوظيفة التي مارسها لمدة طويلة تخرج على يديه خلق كثير من أعلام مكناس وفاس وغيرهما.

نال المترجم شهرة واسعة وصل مداها إلى مسامع السلطان المولى عبد الله، الذي خصه بحظوة كبيرة إذ قلده خطة القضاء في المدينة، كما شرفه بمرافقة والدته خناثة بنت بكار وحفيدها سيدي محمد وثلة من الوجهاء إلى المشرق بغرض أداء فريضة الحج سنة 1143هـ/ 1730م، وانتهز الفرصة لمجالسة كبار لعلماء والاستفادة من علمهم خاصة الشيخ محمد شريف الصديق الكردودي أبو السرور البهوتي الحنبلي.

ورغم المكانة التي تمتع بها أبو القاسم إلا أنه تعرض لمحن ونكبات إبان الصراع حول السلطة الذي اندلع بين أبناء المولى إسماعيل، وحالات الفوضى والاضطرابات التي تسبب فيها جيش عبيد البخاري، فحيكت ضده مؤامرات ودسائس عرضته للعزل عدة مرات، اضطر معها لمغادرة بلدته مؤقتا قاصدا جبال غمارة بالريف، ولما هدأت الأوضاع عاد إليها. توفي سنة 1178هـ/ 1764م عن عمر ناهز 75 سنة، ودفن بضريح أحمد بن خضراء[414] بمكناس.

---

[413]- تنسب إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفى 1085هـ/ 1674م، تأسست بتامكروت وبفضل طريق الزهد والبساطة تمكنت من نسج خيوط المريدية بمكناس ابتداء من القرن 12هـ/ 18م، بعد مجيء أحد أبنائها واستقراره بها وهو الشيخ محمد بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر الدرعي، فأصبح لها بعض الأتباع منهم المترجم. الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 205 -206- 207.

[414]- ينسب إلى أبي العباس أحمد بن بلعيد المدعو بابن خضراء من الصلحاء المشهورين والمجاذيب ذوي الأحوال الربانية، توفي سنة 1075هـ/ 1665م بمكناس وضريحه من المزارات الكبرى بها، يقع في الحي الذي ينسب إليه على يسار الداخل للدرب المعروف باسمه. نفسه، ص. 59-60.

أسرة العناية:

تنحدر هذه الأسرة من أولاد بوحدو السلاويين، انتقل بعض أفرادها إلى مكناس على رأسهم الولي الشهير عبد الله الجزار[415]، برز من ذريته:

- **الطاهر بن الهادي**: المعروف بـ "بوحدو"، كان من علماء مكناس اللامعين المشهود لهم بالعلم والفضل والورع، برع في فنون الفقه واللغة والأدب[416] أخذها عن مشيخة مدينته منهم القاضيان العباس بن كيران و المهدي بن سودة، تصدر للتدريس وتخرج على يديه جماعة من الفقهاء كمحمد العرائشي ومحمد الشبيهي والغالي السنتيسي وغيرهم.

اتصف المترجم بصفات حميدة و تحلي بأخلاق كريمة شهد بها معاصروه من الأعيان مثل العلامة أبي العباس أحمد بن قاسم جسوس الذي حلاه بأبيات[417] ومما جاء فيها:

رئيس بليـــغ لوذعى ذكـــــاؤه ينسيك إياسا أخا الحل والعـــــقد
تخاله إن تلقــاه يومـا هو الورى ولا نكر كون الناس في رجل فـــــرد
أيا طاهرا والطهــر بعض صفـاته فدتك نفوس في المصـــــادر والورد
أيا مخجلا سحبان بالله عطــفة لصب بثغر يشتفـــــــــى به من كد
ويأيها الشهم الرفيع مكانـــــــة تفضل بذاك النظم ذى الطر بالشهد

إن هذه الصفات رفعت من قدره وجعلته محل تقدير واحترام من لدن أطياف المجتمع المكناسي، حتى وصف بأنه «**إنسان عين**»[418]، فرشح لتولي خطة الإشهاد، هذه المنزلة العالية التي نالها جعلته عرضة لدسائس خصومه الذين رموا للإطاحه به، من خلال أسلوب الوشاية المغرضة

---

[415]- من صلحاء مكناس المشهورين، لقب بالجزار بحكم المهنة التي كان يزاولها في أول حياته، انتسب للطريقة الجزولية الصوفية، اشتهر بأحواله الغريبة وكراماته العجيبة، توفي سنة 1061هـ/ 1651م، ودفن في الحومة المنسوبة إليه داحل المدينة القديمة. الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 119 -120.

[416]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 303.

[417]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 141.

[418]- نفسه، نفس الجزء، ص. 127.

التي أسهمت في تدهور علاقته بالسلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، فكانت النتيجة انقلاب أحواله وتأزم أوضاعه في آخر حياته [419] إلى أن توفي سنة 1306هـ/ 1889م.

أسرة العوفي:

أسرة عالمة نابهة بمدينة مكناس، كان محل استيطانها الأول في مدينة سلا، تنسب إلى الجد على الأعلى الشيخ عمرو بن عوف بن مالك السلاوي[420]. تسلسل في عقبه أفراد انتشروا في مناطق المغرب من بينها مكناس، حيث احتل فيها بعضهم مكانة بارزة، وأصبحت لهم وجاهة ومنزلة وكلمة مسموعة داخل أوساط مجتمعهم، نخص بالذكر:

- **الكبير بن أحمد العوفي**: فقيه شهير كانت له معرفة في شتى العلوم: الفقه والحديث والتفسير والبلاغه والنحو، مما أهله لتولي منصب نائب قاضي الجماعة بمكناس[421]، فتبوأ شأنا كبيرا لدى العامة والخاصة.
- **محمد بن احمد بن الكبير**: حلاه ابن زيدان بقوله «**فقيه جليل، علامة نبيل، صدر نحرير، فاضل كامل، قدوة بركة شهير، حافظ حجة إمام خطيب**»[422]. ظهرت نجابته منذ صغره فكان كثير التردد على مجالس العلم بمكناس، والتي يشرف عليها ثلة من الفقهاء الكبار المتمكنين من علوم التفسير والحساب، تصدر خطة الإمامة والخطابة بمساجد بلدته، فكان ذلك بداية ذيوع صيته بين الناس ليتم ترقيته إلى رتبة قاضي المدينة أيام حكم السلطان المولى سليمان.

تمتع المترجم بمكانة مرموقة وصار صدرا من صدور الوجهاء في زمانه إلى حين وفاته بوباء الطاعون سنة 1230هـ/ 1814م، فأقبر بروضة الولي عبد الله بن حمد.

---

[419]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 128.

[420]- أحمد بومزكو، مادة العوفي، **معلمة المغرب**، ج 18، ص. 6208.

[421]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 283.

[422]- نفسه، ج 4، ص. 209.

بيت ابن فقيرة

أسرة علمية عريقة بمدينة مكناس، ينحدر أفرادها من الأنصار ذوي الأصول العربية، حيث جاء ذكرهم بهذه الصفة ضمن ترجمة أولاد العرب في ديوان تحقيق أحساب وأنساب ساكنة المدينة في العهد الإسماعيلي. نجهل تاريخ قدومهم، وكذا أول من دخل منهم إليها، اشتهروا بتميزهم في علوم شتى، وحظوا بجاه عريض، نذكر منهم:

- **محمد بن محمد بن فقيرة:** مكناسي المولد والمنشأ والدار، شهره ابن زيدان بقوله: «**فقيه علامة، متقن محرر متبحر، مدرس نفاع، ذو سر وبركة**»[423]. طلب العلم بمسقط رأسه على يد كبار العلماء مثل القاضي العباس بن كيران، فنبغ في الفقه واللغة كما أتيحت له فرصة اللقاء بالشيخ العارف الولي الصالح أبي العباس أحمد التجاني، ومنذئذ سلك طريق التصوف فأصبح من مريديه المقربين الملازمين له سفرا وحضرا[424]، أخذ عنه علوم الظاهر وأسرار الباطن وحصل منها قدرا كبيرا. أهلاه لبلوغ منزلة عالية بين صلحاء وقته وارتقى إلى مصاف الوجهاء الكبار، وذلك بشهادة مؤرخي الطريقة التجانية فهذا الشيخ أحمد بن العياشي سكيرج وصفه بأنه «**كان فقيها وجيها وعدلا نزيها، يتحرى الشبهات، وكان في فن الوثائق لا يضاهى**»[425]، إضافة إلى الشيخ محمد الحجوجي الذي قال عنه «**صاحب السر الأحمدي**

---

[423]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 306

[424]- يحكي أحمد سكيرج عن لقاء المترجم بشيخه وتنويه هذا الأخير به في أبيات جاء فيها:

وَمِنْهُم مُحَمَّد المَكْنَاسِـــــى ابْن فَقِيرَة ملين القَاسِـــــي
أَتَى إِلَى الشَّيْخ بِشَوْق مُزْعِج سَارَ بِه عَلَى قَوِيم مَنْهَـــــج
فَوَسَّعَ الشَّيْخُ لَهُ فِى المَجْلِس وَهُوَ بِجِلْبَابِ الحَيَاءِ مُكْتَسَى
وَقَالَ يَا شَيْخُ انِلْنِى مَقْصَدِى بِاللهِ بِاللهِ فَخُذْلِى بِاليَـــــد
فَقَالَ أَهْلاً بِكَ فَالْـــزَم وِرْدِى بِشَرْطِهِ تَحْظَى بِكُلّ قَصْـــدا
وَبَعْدَ أَخْذِ العَهْدِ عَنْهُ لَقَّـــنَه وِرْدًا بِسِحرِه وَجَهْرًا تقنـــــه

ابن العياشي سكيرج، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب**، ج 3، ص. 199.

[425]- ابن العياشي سكيرج، **كشف الحجاب**، ص. 506.

الفاضل النبيه البركة الوجيه (...) كان بحر علم لا يدرك شاطئه، وطود فضل لا ينال قريبه وقاصيه»[426]. توفي المترجم له سنة 1274هـ/1857-1858م ودفن بروضة الشيخ موسى بمكناس[427].

- **عبد الواحد بن محمد بن فقيرة:** ولد بمدينة مكناس وفيها ترعرع، أخذ عن العديد من شيوخها الأفاضل، كما تخرج له عدد من أهل الفضل والصلاح، خصته بعض المصادر بتحلية جاء فيها «**فقيه محقق، عدل موثق، ذو خط بالحسن موصوف، وتقدم في النوازل معروف**» [428] و «**حاد الذكاء سريع الإدراك، جيد الإصابة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، غزير الإطلاع، فقيه نبيه، عدل رضي، موثق ماهر، ناظم ناثر**»[429].

تبوأ عبد الواحد مكانة مرموقة اكتسب معها وجاهة عظيمة عند كل طبقات المجتمع المكناسي، بفضل تحصيله العلمي وتفوقه الأدبي خاصة في فن الخط، وهو ما تشهد عليه الوظائف التي أسندت إليه حيث استكتبه المولى الحسن في ديوانه وأدمجه ضمن المكلفين بنسخ الكتب، ثم انتظم في سلك كتاب الحضرة السلطانية بالصدارة. لكن هذه الحظوة لم يحافظ عليها بسبب دخوله في مناوشات وصراعات مع بعض الوجهاء مثل القاضي المكناسي أحمد بن سودة، إضافة إلى سلوكه المشين المتمثل في تزوير وثائق سلطانية[430]. توفي سنة 1310هـ/ 1892م ودفن بروضة الشيخ محمد بن عيسى.

---

[426]- محمد بن محمد الحجوجي، **فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام**، تقديم وتحقيق أنور ترفاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ص. 129.

[427]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 213.

[428]- محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، المطبعة الجديدة، فاس، الطبعة الأولى، 1347هـ، ص. 204.

[429]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 464.

[430]- نفسه، نفس الجزء، ص. 465.

بيت ابن كيران

بيت اشتهر بالعلم والجاه، كان منه العلماء والقضاة والنظار والخطباء، انتشرت منه فرق كثيرة استوطنت مدنا مثل فاس والرباط وطنجة ومكناس، وبهذه الأخيرة استقر الفقيه العلامة العباس بن كيران[431] الذي له الفضل في إشعاع هذا الفرع في أوساط المجتمع المكناسي، حيث نال العباس الحظوة والنفوذ والوجاهة والنفوذ.

هو أبو الفضل العباس بن محمد بن عبد الكريم الشهير بابن كيران، ولد بمدينة فاس لم نقف على تاريخ ولادته. حلي في رسم مؤرخ في ذي الحجة من عام 1254هـ/ فبراير 1839م، بـ «**الفقيه الأجل العالم الأفضل المدرس الأكمل الصدر المشارك الأمثل قاضي الحضرة المكناسية**»[432]، كما وصفه ابن زيدان بقوله «**عالم زمانه وفريد عصره وأوانه، حامل لواء التحقيق، المشار له في الإتقان والتدقيق، مشارك نفاع، غزير المعارف كثير الاطلاع، له اليد الطولى في سائر العلوم**»[433].

طلب العلم بمسقط رأسه على يد جماعة من أكابر العلماء، فحفظ القرآن الكريم واستتبعه بدراسة الفقه والحديث والسير والنحو، اشتهر بسرعة حفظه وشدة ذكائه، فأصبح متمكنا ضليعا بشهادة مدرسيه المغاربة والمشارقة، وفي هذا السياق أجازه الشيخ محمد صالح السمرقندي (من أبرز علماء المدينة المنورة) خلال زيارته للمغرب إجازة عامة سنة 1260هـ/ 1844م، حيث أشاد به وبعلمه « **العلامة الأشهر، والبدر المنير الأزهر، الشيخ البركة، الحميد السكون والحركة قاضي مكناس الزيتون**»، وفي ختام إجازته يقول «**وبالجملة أجزته أن يروى عني**

---

[431]- الكتاني، **زهر الآس**، ج 2، ص. 129.

[432]- الحريف، **أسرة الحريف**، 32.

[433]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 479.

الكتب المتداولة المعروفة الحديثية والتفسيرية وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، وأرجو الله عز وجل أن ينفع به عباده من حيث أنه ينشر العلم النافع ابتغاء مرضاته»[434].

انتقل العباس إلى مدينة مكناس، فتبوأ فيها مكانة سامية بين سكانها، سمع به السلاطين العلويين الذين عاصرهم، فقربوه إليهم وخصوه بمزيد من العطف والرعاية وأصبغوا عليه الكثير من النعم، فهذا السلطان المولى سليمان اختاره من جملة الوفد الرسمي الذي بعثه إلى الزعماء الوهابيين سنه 1225هـ/ 1811م برئاسة ابنه مولاي ابراهيم[435]، أما السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ولاه خطة قضاء مدينة مكناس، حيث باشرها بعفة تامة وسيرة حسنة إذ لم يحفظ عليه في ذلك ما يثير ولا ما يعاب[436]، كما اتخذه السلطانان المذكوران شيخ مجالسهما الحديثية.

تتلمذ على يديه جموع غفيرة من الفقهاء أمثال: القاضيان المهدي بن سودة وحميد بناني وفضول السوسي وفضول بن عزوز والمختار الأجراوي وغيرهم. وكلهم برزوا كوجهاء بمدينة مكناس[437] .

لقد حقق العباس بن كيران جاها كبيرا ونفوذا عظيما عند صفوة المجتمع ومن دونهم، أورثها لأبنائه الذين خلفهم بمكناس وهم الطيب والعربي ومحمد[438] . توفي بمكناس سنة 1271هـ/ 1855م بعد إصابته بوباء الطاعون.

---

[434]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 480- 481- 482- 483.

[435]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 291.

[436]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 205

[437]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 483.

[438]- الكتاني، **زهر الآس**، ج 2، ص. 130

بيت اللب:

من البيوتات الشهيرة بمكناس وأمجدها، تعود أصولها إلى الأندلس وبالضبط من غرناطة[439]، استقر بعض أفرادها بمكناس واشتهروا بالعلم والصلاح والثراء والمقام الرفيع عند عامة الناس وخاصتهم[440]، ازدادت نباهتهم بفضل ولوجهم الخدمة المخزنية.

يعتبر **أحمد اللب** أهم شخصية جسدت علو مكانة هذا البيت، إذ كان من أبرز خدام السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، الذي قلده أمانة الصائر بمكناس ومحتسبها[441]، وفي بيان منزلته وعلو شأنه قال ابن زيدان «**هذا الرجل كان الأمين الخاص والصدوق المخلص (للسلطان) ولم ينل أحد في دولته ما ناله من ثقة الأمير به**» [442]. لم يكن ليدرك هذه المرتبة لولا ما اتصف به من خصال جليلة مثل الصدق والأمانة والنزاهة والتفاني في القيام بواجبه على أكمل وجه، ولازال على هذا الحال إلى أن توفي.

بيت المجاصي:

سمي هذا البيت بالمجاصي نسبة إلى "مجاصة" إحدى قبائل تازة الواقعة بأهل بودريس[443]، وهي بطن من بطون قبيلة غياثة البربرية الكبرى، انتمى إليها العديد من الفقهاء والعلماء والقضاة والخطباء، من أشهرهم بمدينة مكناس:

- **محمد بن الحسن المجاصي**: مكناسي الدار والوفاة، وصف في بعض الوثائق والمصادر بأوصاف منها « **الفقيه الإمام العالم العلامة الحافظ القدوة البركة القاضي الأعدل**

[439]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 216.

[440]- الكتاني، **زهر الآس**، ج 2، ص. 144.

[441]- الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ج 1، ص. 352.

[442]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 283.

[443]- محمد الأمراني، **ابن برّي التازي إمام القراء المغاربة**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م، ص. 27.

ومفتي الإسلام » [444] و«**الفقيه الأجل العلامة الأفضل، المدرس البركة، الدراكة الفهامة الحجة المشارك**»[445] و «**من الفقهاء الثقات والعلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم**»[446]، و «**القاضي الشيخ الفقيه العلامه المفتي الناقد البصير الخطيب النبيه الواعظ المحقق المحرر الحافظ**»[447].

نستخلص من هذه الشهادات التي قصدنا نقلها كما هي، المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة التي تبوأها المترجم ليس داخل المجتمع المكناسي فحسب، نالها بفضل حرصه على التفقه والتعلم حيث درس عند جماعة من الأشياخ المعتبرين، كالعلامة عبد القادر الفاسي وغيره. فحصل على مرتبة رئاسة العلم برهنت عليها غزارة تآليفه، أهلته لتولى وظائف سامية من تدريس وإمامة وخطابة وقضاء.

عينه السلطان المولى الرشيد قاضيا على فاس مدة قصيرة[448]، وبعد وفاة هذا الأخير استقدمه خليفته المولى إسماعيل الي حضرته المكناسية وقلده الخطة إياها، فأقام بها على أكمل وجه حيث لقب بـ "**قاضي الجماعة**"[449].

صار المجاصي من المبجلين لدى السلطان المذكور الملحوظين بالاهتمام الكبير الملازمين لها، يأخذ برأيه ويعمل بمشورته ويحضر دروسه ويوصي الفقهاء بالجلوس بين يديه[450]، هذه المكانة

---

[444]- **حوالة الأحباس الكبرى**، رقم 5، ص. 143- 144.

[445]- **حوالة أحباس المساكين**، رقم 3، ص. 3.

[446]- فاطمة خليل القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، جمع وتحقيق ودراسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م، ص. 243- 244.

[447]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 55.

[448]- الضعيف، تا**ريخ الضعيف**، ص. 54. كان هذا التعيين سنة 1079هـ/ 1668م.يذكر القادري أن هذا التعيين جاء بعد عزل المولى الرشيد للقاضي حمدون المزوار، بسبب الوشاية التي تعرض لها حيث شكاه أحد المتخاصمين للسلطان لأنه تأخر في إصدار الحكم مدعيا أن السبب يعود لقرابة خصمه من القاضي، فاعتقد أنه يداهنه. للمزيد انظر: القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 55- 56.

[449]- **حوالة أحباس المساكين**، رقم 3، ص. 3.

[450]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 55.

جعلته من أصحاب الوجاهة العظيمة والكلمة المسموعة لدى كل شرائح المجتمع إلى أن توفي سنة 1103هـ/ 1691م، فدفن بروضة الولي أحمد الحارثي المعروفة حاليا بروضة الشيخ الكامل.

بيت مزطاري:

أسرة يكتب اسمها مرة بالزاي "مزطاري" وأخرى بالسين "مسطاري" وأحيانا بالصاد "مصطاري"[451]، أسرة مكناسية أصيلة ورد ذكرها في الديوان الإسماعيلي بعبارة «أولاد المزطاري أمويون»[452]. ولعل أول من اشتهر منهم هو:

- **محمد بن أحمد المزطاري**: ولد بمكناس 1635هـ/ 1634- 1635م، نوه به المرادي بقوله: «**الشيخ العارف بالله تعالى المسلك المرشد الصوفي الواصلين وأستاذ الأساتذة وشيخ الطائفة**» [453]، كان من المهتمين بتزكية النفوس الباحثين في حقيقة الأشياء وأسرارها، انتظم في الطريقة الشاذلية فتلقى مبادئها على يد شيوخها. أدرك درجة رفيعة داخل المجتمع المكناسي مهاب الجانب، اشتهر بحب التجوال والسياحة، حيث زار بلاد الشام ومكة المكرمة حيث أدركته الوفاة بها سنة 1107هـ/ 1695- 1696م[454].
- **محمد بن المعطي المزطاري**: من فقهاء مكناس المبجلين وعدولها المبرزين الموثوق بعلمهم ودماثة أخلاقهم، ذوي الحظوة والتقدير عند خاصة مجتمعه وعامته، ملحوظ بالعناية الفائقة من طرف السلطانين المولى محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن، استخدماه في بعض الوظائف المخزنية منها كاتب مكلف بتحرير المراسلات والخطابات الرسمية، لما عرف عنه من الفصاحة

[451]- الكتاني، **زهر الآس**، ج 2، ص. 188.

[452]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 214.

[453]- محمد خليل بن علي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1408 هـ / 1988 م، ج 4، ص 33.

[454]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 69- 70.

والبلاغة وحسن التعبير[455]، بوأته وجاهة مرموقة احتفظ بها إلى حين وفاته بمسقط رأسه سنة 1305هـ/ 1888م.

أسرة المزوار:

برز من هذه الأسرة أبي محمد التهامي بن المهدي المزوار، مكناسي النشأة والدار والقرار، شهره ابن زيدان بـ« **نابغة أديب أريب، وجيه لبيب، ناظم ناثر، واعظ فصيح اللسان، عدل رضي مبرز**»[456] ، تفقه في علوم الفقه والحديث واللغة على يد أكابر شيوخ عصره بمكناس منهم: القاضيان العباس بن كيران والمهدي بن سودة، والعلامة محمد المهدي وغيرهم.

تبوأ المترجم مكانة علمية بارزة بين أقرانه، أتاحت له فرصة التدرج في الوظائف المخزنية، ابتدأها بمهمة الوعظ ثم التدريس بالمسجد الأعظم، فخطة العدالة بمكناس سنة 1292 هـ/ 1875م، كما ساعده نبوغه في قواعد اللغة ونظم الشعر في الترشح لتولي منصب كاتب في الديوان[457] الملازم للسلطان المولى الحسن سفرا وحضرا، حتى صار من شعراء دولته العظام الذين لهم الحظوة والجاه لدى خاصة المجتمع المكناسي وعامته إلى أن توفي سنة 1310هـ/ 1892م.

بيت المسطاسي:

أسرة فاضلة معروفة بمدينة مكناس، تنحدر من مسطاسة[458] البربرية وهي إحدى قبائل غمارة بالريف شمال المغرب، تنتسب إلى الجد الأول "مسطاس"، وأول من عرف من أفرادها هو أبو زكريا يحي بن أبي بكر المسطاسي (من علماء القرن 8هـ/ 14م)[459]، ثم ظهر علم ثان خلال القرن 10هـ/ 16م هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون كان من الفقهاء المعتبرين

---

[455]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 7، ص. 62.

[456]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 117.

[457]- محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء**، ص. 195.

[458]- من القبائل الصنهاجية المنتشرة في أقصى الريف الساحلي من جهة الغرب، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وجنوبا قبيله بني جميل وغربا قبيلة متيوة وشرقا قبيلة بني بوفراح، استوطنت التراب الغماري منذ زمن بعيد، شهدت عبر تاريخها تطورات هامة منذ العصر المرابطين. للمزيد انظر: عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج 1، ص. 313. أحمد قدور، مادة مسطاسة، **معلمة المغرب**، ج 21، ص. 7132- 7133.

[459]- المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1420هـ/ 2000، ص. 306.

تولى قضاء مكناس سنة 905هـ/ 1499- 1500م[460]. نجحت هذه الأسرة في البروز داخل مكناس بحكم الحضور المتميز لبعض أعلامها نخص بالذكر منهم:

- **أبو القاسم بن عبد الواحد:** فقيه مدرس متمرس، اشتهر بتقلده خطة النظارة بمكناس في عهد السلطان المولى إسماعيل، ورغم فترات الاضطراب السياسي التي أعقبت وفاة هذا الأخير فقد حافظ على وظيفته، بل وتم توسيع مجال نفوذه ليشمل جميع المدن والقرى من قبل السلطان المولى عبد الله بموجب ظهير أصدره في جمادى الثانية عام 1143هـ/ دجنبر 1730 وهذا نصه بعد الافتتاح « **بيد خديمنا وحبيب أبوابنا الأرضى، الخير الأقرب، السيد بلقاسم المسطاسى ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة في أمور الأحباس في جميع الأقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر، وبسطنا له اليد الطولى على جميعهم بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش في الأدنى والأقصى**» [461]. وحتى بعد هذا السلطان وتولية أخيه المولى علي استمر على نفس الوظيف.

نستخلص إذن؛ أن أبا القاسم يعتبر أهم شخصية أسهمت في وجاهة ومكانة أسرة المسطاسي داخل المجتمع المكناسي وأكسب أفرادها احتراما وحضورا فيه. وقد سار على نهجه ابنه:

- **الطيب:** فقيه فاضل متمكن من علوم النقل والعقل، تولى خطة النظارة خلفا لوالده، فأداها بصدق وأمانة وانضباط، وهو ما عكسته الظهائر السلطانية الموجهة إليه للقيام بمهمات محددة، حيث كان يحلى فيها بـ **الناظر الأرشد**[462] **والناظر الأوحد**[463].

---

[460]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 371.

[461]- نفسه، نفس الجزء، ص. 545- 546.

[462]- **حوالة الأحباس الكبرى بمكناس والأحمدية**، بتاريخ 1193هـ/ 1779م. نصها ضمن **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م، ص. 85.

[463]- ظهير المولى سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 1202هـ/ 1788. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 234.

بيت المشنزائي

بفتح الشين وسكون النون وفتح الزاي.

أسرة مكناسية عريقة، أصلها من قبيلة مشنزاءة[464] وهي إحدى قبائل عرب دكالة الذائعة الصيت، فلقب سكانها بالمشنزائيين من باب التسمية باسم المحل[465]. اشتهرت في مدينة مكناس بالعلم والصلاح والرياسة والجلالة[466]، بفضل ما حازه شيخها ومنبع سر حظوتها أبي عثمان سعيد بن أبي بكر[467] المتصل نسبه بالولي العابد شيخ الحقيقة أبي محمد صالح الدكالي.

احتل أبو عثمان مكانة متميزة داخل المجتمع الكناسي، حيث أضحت زاويته[468] مزارة مقصودة في حياته وبعد مماته تشد إليها الرحال لما لها من حرمة كبيرة لدرجة «**أن الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات، ويلجأ إلى ساحة الزاوية فلا يتبعه أحد**»[469]. هذه المنزلة العالية التي كانت للزاوية دفعت السلاطين العلويين المتعاقبين على تخصيصها بعناية مميزة، تمثلت في إدخال إصلاحات على معمارها وتعيين مشرفين ومؤتقين عليها. وقد ورث عقب أبي عثمان مكانته، وصار لبعضهم وجه داخل مجتمعهم، نخص بالذكر منهم:

---

[464]- إحدى القبائل الست التي تشكلت منها دكالة وهي: صنهاجة- بني دغوغ- بني ماجر- هزمير- رجراجة- مشنزاءة. كانت تعتبر أكبر قبيلة في دكالة خلال القرن 16م، امتد نفوذها على مجال شاسع، تعرضت للتخريب في أوائل العصر المرينى ومازالت أطلالها شاهدة في موقع يسمى اليوم "الغربية" بين آسفي والجديدة. أحمد بوشرب، **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ص. 81- 82. بوعبيد التركي، مادة مشنزاءة، **معلمة المغرب**، ج 21، ص. 7158.

[465]- الكتاني، **زهر الآس**، ج 1، ص. 59- 60.

[466]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 313.

[467]- ولد أبو عثمان سعيد سنة 874هـ/1469- 1470م وتوفي سنة 959هـ/ 1551- 1552م، أفاض ابن عسكر الشفشاوني في ترجمته ومما وصفه به أنه مدح به «**الولي صاحب البركة الظاهرة، والخوارق الباهرة نزيل مكناسة، كان من عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين، متواضعا زاهدا متقشفا كثير الخشية لا يفتر عن ذكر الله تعالى، يطعم الطعام ويكفل الضعفاء والأيتام... كثير الصمت والفكرة، وله موضع بزاويته يلازم الجلوس فيها**» .محمد ابن عسكر الشفشاوني الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، 1397هـ/ 1977م، ص. 77

[468]- توجد هذه الزاوية خارج باب وجه عروس من مكناسة الزيتون، وبها قبره.

[469]- ابن عسكر الشفشاوني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ**، ص. 78.

- **محمد سعيد بن عبد السلام بن حمد بن سعيد المشنزائي:** فقيه ناسك فاضل كان السلطان المولى إسماعيل يكن له كل التقديرا والاحترام، وهو ما عكسه عليه الظهير الذي أصدره في حقه والمؤرخ في ربيع الأول عام 1102هـ/ شتنبر 1690م ومما جاء فيه بعد الافتتاح «**يستقر هذا الظهير الكريم (...) للسيد سعيد بن عبد السلام بن أحمد بن أبي بكر الشيخ البركة سيدي سعيد بن أبي بكر (...) يتجدد له بمعهود الاعتناء، على ما توارثه الأبناء عن الآباء بما يحمل به على الكرامة والمبرة والرتبة السامية المستمرة (...)رعيا لما اشتهر به لدينا من صلابته في اقتفاء سلفه الكريم ومحبته، ويتحاشون به هو وأهل بيته وزاويته وجميع من تمسك بحرم ضريح السلف الصالح واستظل بحمايته من سائر الوظائف الطارئة والكلف الناشئة، محاشاة تتصل باتصال الأيام (...) ، بحيث لا سبيل لمن يطرق ساحة هذه الزاوية المباركة بهتك حرم أو خرق عادة أو يروم حماها إلا المنع بحدوث زيادةكذا(...) »** [470]، وقد جدد له هذا الظهير بتاريخ رجب عام 1126هـ/ 1714م.

- **محمد بن محمد بن عبد القادر:** الشهير بـ "منصور"، وصفته بعض المصادر «**مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح، وأحوال خارقة، تفد الناس لزيارته والتبرك به**»[471]. اشتغل أول أمره مدرسا للأولاد مسجد زاوية جده أبي عثمان، ثم آثر الإنزواء متفرغا لتربية النفس على العبودية وتصفية الباطن من الرذائل والتحلية بأنواع الفضائل، تتلمذ على يد كبار رجال التصوف في مكناس ونواحيها في مقدمتهم العارف بالله عبد القادر العلمي والشيخ عبد الكريم بن الراضي الوزاني[472]، وكان هذا الأخير هو سبب جذبه حيث ألبسه قميصا له فغاب من حينه عن حسه، ولما أفاق وجد أخباره قد انتشرت بين الناس فصاروا يلجؤون إليه

[470]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 126- 127- 128.

[471]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 345.

[472]- ولد في وزان ونشأ بها وأخذ التصوف فيها، ثم انتقل إلى مدينة فاس ومنها إلى مكناس، برز كشخصية لها حضور فاعل اشتهر بولايته وجذبه وكراماته العجيبة، استقر في نهاية ترحاله بمدينة زرهون جوار الضريح الإدريسي وإلى أن توفي سنة 1295هـ/ 1878م. الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 147- 148.

لاعتقادهم في بركته والانتفاع بنفحاته. قد يبدو هذا الحادث مبالغ فيه، ومع ذلك يظل جزءا من الذهنية الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك.

حظي المترجم بتعظيم وتبجيل ليس فقط من عامة الناس بل حتى كبار رجال السلطة من وجهاء المدينة، وفي هذا الصدد نورد ثلاثة مواقف تؤكد ذلك:

- ✓ الأول: قربه من السلطان المولى عبد العزيز الذي لحظه باهتمام خاص من خلال منحه ظهيرا مؤرخا في 16 شعبان عام 1325هـ/ 27 يوليوز 1907م نوه به وبزاوية أسرته، ومما جاء فيه بعد الافتتاح «**يستقر بيد ماسكيه المجذوب المتبرك به سيدي محمد بن منصور وابن أخيه الارضى السيد محمد المدعو ابن الحاج آل الولي الكامل الإمام الكبير الواصل أبي عثمان سيدي سعيد بن أبي بكر دفين خارج مكناسة الزيتون (...) أقررناهما على ذلك فلا يهضم لهما جناب ولا تهان لهم بحال (...) قائمين في ربوع المهابة والعناية والوقار مخيمين في أفياء التمييز والتبجيل والاعتبار ولا يشملهم وظيف ولا يسامون بأدنى تكليف وأبقينا جلباب الحرمة والتعظيم والأمان ملقى على زاويتهما في سائر الدهور والأيام**» [473]
- ✓ الثاني: اعتراف أقرانه بعلو شأنه وسمو قدره، وكمثال على ذلك ما أنشده الشريف عبد السلام بن زيدان من أبيات طويلة[474] نظمها سنة 1323/ 1905- 1906 يمدحه ومما جاء فيها:

هُوَ ابْنُ أَبِي عُثْمَان وَالوَارِثُ الرِّضَا وَهَلْ يَرِثُ اللَّيْثُ الهَصُور سِوَى الشَّبْـل
مَنَاقِبِه كَالشَّمْسْ فِي رَوْنَق الضُّحَى وَأَسْرَارِه مِثْلُ الكَوَاكِب فِي اللَّيْـــل
وَفَرْعُ عَلَى أَقْوَى الأُصُول نَبَاتُـــه وَأَطْيَبها وَالطَّيِّب فِي الفَرْع بِالأَصْـــل

[473]- ظهير السلطان المولى عبد العزيز يتعلق بتوقير واحترام بيت المشنزائي، بتاريخ 16 شعبان 1325هـ/ 27 يوليوز 1907م. هاروني، الأضرحة والمزارات في مكناس، ص. 395.

[474]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 346- 347.

أَمَوْلِانَا يَا مَنْصُور إِنِّى رَضِيعُكُـــم فَحنُّوا فَإِنَّ الأُمَّ تَحْنُو عَلَى الطِّفْـــــل

وَإِنِّى بِلَا رَيْب مُحِبُّكُم الَّـــــذِي بِرَابِط رَاجَ مِنْكُم صِلَة الوَصْـــــــــل

وَإِنِّى لَخَفَّاق الجَنَاحِ إِلَيْكُـــــــم عَلَى نَصِّه فِي الشَّوْقِ صِرْت لَدَى شُغْل

فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَن لَيْلَـــــة وَأُصْبِحُ فِي مَكْنَاس حَطَّت بِكُم رَحْلِي

✓ الثالث: لما توفي حضر لتشييع جنازته حشد كبير من أعيان مدينة مكناس ووجهائها ولم يتخلف عنهم أحد.

بيت المعداني:

أسرة مرابطية شرقاوية، كانت تستوطن منطقة تادلة أواخر القرن 11هـ/ 17م[475] ، اشتهر من أعلامها بمدينة مكناس:

- **أبو الحسن بن رحال المعداني**: يعتبر من أعيان فقهاء مكناس المتمكنين وقضاتها المبجلين، تتسم حياته بغموض كبير فالمصادر التي ترجمت له لم تتحدث إلا بإشارات قليلة جدا عن أصوله وأجداده وتاريخ ولادته ومكانها[476].

وصفه القادري بـ «**الفقيه الكبير، العالم العلامة الحافظ الشهير، صاعقة الفقه المالكي، وصاحب التدريس ونادرة الزمان في كشف الأوهام**» [477].نشأ في أسرة تجل العلم وأهله، مما جعله يتردد على مدينة فاس ومكناس للأخذ عن شيوخها الكبار أمثال أبي علي الحسن اليوسي وعبد السلام القادري وسعيد بن أبي القاسم العميري.

---

[475]- ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1397هـ/ 1977م، ص. 212.

[476]- أبو علي الحسن بن رحال المعداني، **كشف القناع عن تضمين الصناع**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر،تونس، الطبعة الأولى، 1986م، ص 18.

[477]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 294.

اشهر المترجم بذكائه وحسن فهمه، فعلت شهرته وارتفع شأنه فتبوأ مكانة بارزة تجلت في تصديه للتدريس بالمدرسة المتوكلية[478] بفاس، ثم رقي إلى رتبة قاضي المدينة، ولما علم السلطان المولى إسماعيل بأخباره وسمع بأخلاقه حيث كان « **كثير الإنصاف والتواضع، سليم الصدر كريم الأخلاق، بعيدا من التصنع مصيبا في الكلام، مفضالا جوادا**»[479]. قرر تعيينه قاضيا على عاصمته، وأولاه عناية خاصة أكسبته وجاهة داخل المجتمع المكناسي، ولعل رمزية إمامته لصلاة الجنازة على السلطان المذكور أكبر دليل على تلك الحظوة والمنزلة. توفي سنة 1140هـ/ 1727م، ودفن بضريح أبي عثمان سعيد المشنزائي خارج باب وجه العروس[480].

أسرة ابن ناجي:

يرجع أصل هذه الأسرة إلى سجلماسة دخل أفرادها إلى مدينة فاس –على الأرجح– منذ العصر المريني، اشتهروا بالعلم والصلاح والاشتغال في التجارة، لمع منهم في مدينة مكناس:

- **أبو العباس أحمد بن ناجي**: عاصر السلطان المولى إسماعيل، وصفه ابن زيدان «**فقيه علامة محقق مشاور، معظم العلم وذويه، ذو جاه ووجاهة، و علو مكانة، ونفوذ كلمة عند سائر الطبقات**» [481]

ولي خطة القضاء أولا بمدينة فاس سنة 1114هـ/ 1702م، ثم انتقل إلى مكناس وفيها برز كأحد وجهاء المجتمع حيث صار «**من خواص الحضرة الاسماعيلية ومن علماء وجوه الدولة والأتباع**» [482]. توفي سنة 1122هـ/ 1710م ودفن بضريح السيدة عائشة.

---

[478]– أخذت اسمها من لقب السلطان "المتوكل على الله" (حكم ما بين ما بين 749– 759هـ/ 1348– 1358م)،كما تسمى "البوعنانية" تبعا لاسم نفس السلطان، استغرق بناؤها 5 سنوات (751– 756هـ/ 1350– 1355م).كان الهدف من تشييدها دعم الحركة العلمية التي شهدها المغرب خلال تلك الفترة. محمد عبد الحي الكتاني، **ماضي القرويين ومستقبلها**، ضبط وتعليق عبد المجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م، ص. 89– 90– 91– 92.

[479]– القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 294.

[480]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 17.

[481]– الكتاني، **زهر الآس**، ج 1، ص. 84.

بيت الولالي:

تنسب هذه الأسرة إلى قبيلة بني ولال البربرية وهي من فروع قبيلة آيت عطا الكبرى بالصحراء، اضطر جدها الأول إلى النزوح عنها ليستقر بأقصى جبال ملوية في بني ولال حوالي منتصف 10هـ/ 16م، ومن ثم صار يلقب بالولالي، اشتهر بالصلاح والفضل والزهد[483].

ويعود الفضل في إشعاع هذه الأسرة إلى حفيده محمد، الذي تربى في أهم مركز علمي وقتئذ وهي الزاوية الدلائية[484]، حيث درس عند شيوخها الفطاحل مثل الشيخ عبد الله بن حسون السلاوي وابن امبارك التستاوتي[485] . فتمكن من العلوم وأتقن الفنون حتى صار من أهل الولاية. أنجب ولدا ورث مكانته ويحقق الوجاهة داخل مدينة مكناس اسمه:

- **أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي**: زكاه ابن زيدان بقوله «**فقيه نبيه، علامة وجيه نزيه، قدوة مشارك، دراكة فهامة ناسك، أحد الأعلام علما وعملا ومتانة دين**»[486]، تربى في حجر والده محمد فدرس على يديه فأتم حفظ القرآن الكريم، دفعه تعطشه الكبير لتحصيل أكبر قدر من العلم إلى شد الرحال للزاوية الدلائية في حدود أواسط سنة 1060هـ/ 1650م، فشرع في تلقي العلوم على شيوخها المشهورين أمثال أبي علي الحسن اليوسي و

---

[482]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 392.

[483]- أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999م، ص. 232- 233- 234.

[484]- تسمى أيضا بالزاوية البكرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلائي، عرفت إشعاعا كبيرا خلال القرن قصدها الطلبة من مختلف مناطق المغرب للتعلم والدراسة، فتخرج منها الكثير من العلماء والصلحاء منهم الحسن اليوسي وأحمد المقري ومحمد العكاري والمترجم أحمد الوالي. استغل أقطابها الظروف العصيبة التي عاشها المغرب عقب وفاة أحمد المنصور السعدي، حيث أصبحت لهم طموحات سياسية، فنجحوا في تأسيس إمارة امتدادها إلى شمال المغرب من وادي أم الربيع إلى تطوان. ومع قيام الدولة العلوية دخلت مرحلة التقهقر إلى أن انهارت على يد المولى الرشيد، فاضطر سكانها للهجرة نحو تلمسان. للمزيد انظر: محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1988م، ص. 74- 122.

[485]- الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، ص. 256- 257.

[486]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 395.

الولي العارف محمد بن عبد الله السوسي وغيرهما، برع في علوم الفقه والتوقيت والتعديل و المنطق، حتى صار من العلماء المشهود لهم بالولاية والصلاح.

اضطر الولالي إلى مغادرة الزاوية المذكورة بعد تعرضها للتخريب من طرف السلطان المولى الرشيد سنة 1079هـ/ 1668م، فانتقل إلى فاس والتقى بكبار علمائها، ومن هنا بدأ أولى خطواته نحو الشهرة والبروز، حيث استدعاه السلطان المولى إسماعيل إلى حضرته المكناسية وعهد إليه بخطة التدريس في مسجد القصر وغيره من مساجد المدينة[487]، اجتمع حول حلقات دروسه جم غفير من الطلبة ليأخذوا عنه جملة من العلوم والمعارف، فتخرج على يديه خلق من الفقهاء والعلماء من أشهرهم عبد القادر بن العربي بن شقرون والعربي بن محمد بصري وأبو القاسم سعيد بن أبي القاسم العميري والأمير محمد بن السلطان المذكور المعروف بمحمد العالم[488]، وبهذا يكون قد ساهم في نقل إشعاع الزاوية الدلائية إلى الحاضرة الإسماعيلية[489].

أدرك الولالي الجاه والنفوذ والسطة وأضحى من الأعلام البارزين المبجلين والموقرين داخل المجتمع المكناسي.توفي سنة 1128هـ/ 1716م بمكناس.

أسرة اليازغي:

تنحدر هذه الأسرة من قبيلة يازغة الزناتية بأحواز صفرو، تجاورها قبائل بني وراين و بني سادن، كان محل استقرارها الأول ما يسمى حاليا مدينة فاس الحالية، وبعد أن قرر المولى ادريس بناء مدينة فاس نزح أفرادها صوب الجنوب الشرقي ليستقروا بموطنها الحالي المسمى المنزل[490] .

---

[487]- الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، ص. 37.

[488]- نفسه، ص. 41.

[489]- الإفراني، **ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها**، ص. 261.

[490]- محمد شدادي، « تاريخ بني يازغة بين الواقع والخيال»، الجزء الأول، http://www.almostaquilla-press.com/articles/15547، تاريخ الإطلاع 19/ 12/ 2018م.

أنجبت هذه الأسرة أعلاما برزوا في شتى المجالات واضطلعوا بأدوار هامة خاصة في مدينتي فاس[491] ومكناس، حيث اشتهر منهم:

- **أبو زيد عبد الرحمن بن الحسن**: المعروف بـ "الشبر"، فقيه صوفي وولي صالح من شيوخ الزاوية الوزانية ومقدمها بمدينة مكناس، حلاه معاصره العلمي بـ «**التقي الأشهر، النقي الأطهر**»[492]، اشتغل أول أمره كاتبا عند القائد علي بن يشو الزموري مكلفا بمراقبة وإحصاء الأعشار التي كانت تدفعها القبائل بمكناس والمشرف على تخزينها في مخازن السلطان المولى إسماعيل[493]، ظل يمارس وظيفته إلى أن التقى بالشيخ محمد بن عبد الله بن الشريف الوزاني عندما وفد على مكناس، وشكل هذا اللقاء نقطة تحول جذرية في حياة عبد الرحمن، إذ سرعان ما طلب إعفاءه من منصبه ليتفرغ لمصاحبة الشيخ وملازمة حلقات دروسه، فاعجب به وتشوفت نفسه للإستزادة والتعمق في علم التصوف وتربية النفس، فارتحل إلى مدينة وزان قاصدا الزاوية لمواصلة طلب العلم على يد شيخه.

عرف المترجم بنباهته وقدرة عجيبة على الاستيعاب، الأمر الذي أهله للإرتقاء في سلم المشيخة وتسلق أعلى مراتب التصوف. تزامن هذا وفاة مقدم فرع الزاوية الوزانية بمكناس، فوجدها الشيخ فرصة مواتية لتنصيب عبد الرحمان مكانه لما علمه من أهليته وكفاءته وأحقيته[494].

تمتع المترجم بمكانة مرموقة بين أهالي مكناس، حيث ذاع صيته وعلا شأوه حتى سار من الوجهاء ذوي الكلمة النافذة والأعيان ذوي الشفاعة المقبولة والأولياء ذوي الكرامات الخارقة. توفي عام 1150هـ/ 1737م وأقبر في الدار المجاورة للزاوية الوزانية التهامية بمكناس[495].

---

[491]- منهم: أحمد بن علي اليازغي أحد كبار قادة جيش عبيد البخاري والعامل على أحواز فاس المتوفى سنة 1139هـ/ 1727م، وعبد الكريم بن علي اليازغي الفقيه المدرس المتوفى سنة 1199هـ/ 1785م، وابنه محمد الأستاذ المدرس المشارك في مختلف العلوم المتوفي سنة 1238هـ/ 1823م.

[492]- العلمي، **الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب**، ص. 156.

[493]- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 240.

[494]- نفسه، نفس الجزء، ص. 240.

المبحث الثالث: البيوتات المخزنية بمكناس: هي تلك الأسر والعائلات التي نجحت في البروز واكتساب الوجاهة بفعل تكوينها المخزني في كنف السلطة. نذكر منهم:

بيت آجانا

أسرة مكناسية فاضلة تنسب إلى صنهاجة طيط بدكالة، حسب الديوان الإسماعيلي الذي جمعه قائده أحمد بن أبي يعزى العرائشي يضم أحساب وأنساب ساكني عاصمته[496]، نزحوا صوب هذه الأخيرة بعد سيطرة البرتغاليين على منطقتهم أوائل القرن 10 هـ/16م في إطار الغزو الإيبيري لأرض المغرب، لكنه لم يبرز كأفراد مؤثرين إلا أواخر القرن 12 هـ/18م[497]، فكان منهم الفقهاء والتجار، وانتظم بعضهم في الخدمة المخزنية.

حظيت هذه الأسرة بمكانة اجتماعية مهمة، بفعل اندماج أعلامها داخل المجتمع المكناسي حتى أصبحت من أكثر الأسر وجاهة ونفوذا، وهذا ما يستفاد من الظهائر السلطانية العديدة التي نتوفر عليها منذ عهد السلطان المولى سليمان إلى عهد المولى عبد الحفيظ –وفقنا في الحصول على عدد منها– توزعت مواضيعها كما يلي: التوقير والإحترام لأفرادها وإعفائهم من الوظائف والكلف المخزنية ومعاقبة كل من يتعرض لهم بسوء، إضافة إلى الإنعام على البعض منهم بامتيازات، وفي هذا السياق نورد ظهيرا مؤرخا في 22 شعبان عام 1207هـ/ 3 أبريل 1793م أصدره المولى سليمان ومما جاء فيه بعد الافتتاح: «**يستقر بيد ماسكه الطالب السيد عبد الهادي آجانا والطالب السيد محمد آجانا والسيد علي والسيد محمد السعيدي النسب وأولاد عمهم ليعلم منه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته أنهم عندنا محترمون وموقرون لتقديم خدمتهم**

---

[495]– أشار ابن زيدان أن عبد الرحمان دفن بالزاوية الوزانية، لكن بعد تولي المولى علي بن اسماعيل الحكم أمر بإخراجه من قبره، مبررا ذلك بأن الدفن بين الدور السكنية والبناء على القبور بدعة، فلما أعيد المولى عبد الله مكانه أمر برد المترجم لقبره الأول والبناء عليه. وأوضح القادري سبب فعلة المولى علي أنه أمر بذلك انتقاما من أهل وزان، فسلط الله عليه جيش عبيد الرمل الذين عزلوه اضطر معها إلى الفرار نحو سجلماسة، وعد ذلك من كرامات الشيخ. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 341.

[496]– ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 214.

[497]– المنوني، مادة أجانا، **معلمة المغرب**، ج 1، ص. 134.

الخاصة والعامة (...) » [498]، ثم جدده لهم السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان. اشتهر من هذه الأسرة:

- **عبد الوهاب بن عبد الرحمان:** يعتبر واسطة عقد بيت آجانا، ولد بمدينة مكناس في تاريخ غير محدد، فقيه علامة مقرئ محدث، كانت له وجاهة وحظوة اكتسبها بفعل إشرافه على تعليم السلطان المولى سليمان[499]، حيث حفظه القرآن الكريم ودرسه مختلف العلوم من قراءات وتوحيد وسير، و ملازمته إياه في كل الأحوال سفرا وحضرا[500]، وهذا ما نستشفه مما يستدل من الظهير الذي ذكرناه آنفا والشاهد فيه عبارة **"شيخنا الفقيه البركه السيد عبد الوهاب"**، كما وصفه السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان في الظهير الذي جدد فيه لأسرته «**شيخ أسلافنا الفقيه البركة المرحوم السيد عبد الوهاب**»[501].

انتقل المترجم إلى مدينة مراكش وحظي بنفس القدر الذي كان له في مكناس، حيث استأمنه السلطان المذكور على أولاده فكلفه بمهمة تأديبهم وتعليمهم[502] ، وحتى بعد وفاته سنة 1210هـ/ 1795م احتفظ له السلطان بمحبة خاصة في قلبه ظهرت من خلال عنايته بأبنائه وإحسانه إليهم إذ أقطعهم دارا وجنانا.

- **ادريس بن التهامي:** من كبار الفقهاء الأولياء النساك ذوي الجاه والنفوذ، اشتهر بأعمال الخير التي كان يقدمها لعامة سكان مدينة مكناس من خلال إعانتهم على قضاء حوائجهم وتفريج همومهم[503]، حيث كان يهدف بهذه الأعمال إشاعة المحبة بين أفراد المجتمع والتأليف بين

---

[498]- ظهير سليماني ينص على توقير وتعظيم بيت آجانا، بتاريخ 22 شعبان1207هـ/ 1 أبريل 1793م. انظر الملحق رقم 2.

[499]- الزياني، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ، 126.

[500]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 478- 479.

[501]- ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان، مؤرخ بتارخ 7 ربيع الأول النبوي السنة 1282هـ/ 30 يوليو 1865م. انظر الملحق رقم 6.

[502]- الزياني، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان**، ص. 126.

[503]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 35.

قلوبهم وفي نفس الوقت تشجيع الأعيان على التفاعل مع محيطهم، توفي أوائل عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

- **التهامي آجانا**: فقيه وجيه وعلامة مدرس من الأعلام الفضلاء الذين كان لهم حضور كبير داخل مكناس، والتي توفي فيها أواسط المائة الثالثة بعد الألف[504].
- **محمد بن العربي**: يعد من أبرز شخصيات بيت آجانا وأشهر محتسبي مدينة مكناس، تقلد هذه الوظيفة الحساسة في الفترة ما بين سنة 1298هـ/ 1881م إلى سنة 1306هـ/ 1889م من طرف السلطان المولى الحسن بموجب ظهير ومما جاء فيه بعد الافتتاح: «**ولينا خديمنا الأنجد، الطالب الأرشد: الحاج محمد بن العربي أجانا، خطة الحسبة بهذه الحضرة المكناسية صانها الله، لما رأينا من أهليته لها، وتوسمنا فيه من القيام بحقها. وجعلنا له النظر في الباعة وأهل الحرف والأسواق، وكل ما شملت الخطة على العموم والإطلاق، وبسطنا له يبد التصرف على الجميع. ونأمر بمراعاة حق الضعفاء والمساكين، في الأسعار والمكاييل والموازين، وحسم مادة الغش والتدليس والتطفيف**(...») [505].

اضطلع هذا المحتسب بأدوار رئيسية ساهمت في تنشيط الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس، منها إشرافه على صناعة البارود الذي كان يتم بدار سميت باسم "دار البارود"، وحزمه في محاربة الغش ومراقبة أسعار التجار خاصة اليهود وغيرهم. وبحكم وظيفته الخطيرة وقعت له مشاحنات وصراعات مع بعض وجهاء المدينة وأعيانها، وصل بعضها لدرجة تطلب معها تدخل السلطان لمنع تفاقمها، نذكر على سبيل المثال ما حصل مع باشا بلدته حم بن الجيلالي اليهودي البارز يعقوب أحنا.

---

[504]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 133.

[505]- المنوني، «خطة الحسبة في المغرب»، **مجلة المناهل**، العدد الرابع عشر، السنة السادسة،، ربيع الثاني 1399هـ/ مارس 1979م، ص. 230.

بيت أدراق:

بفتح الهمزة والدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة وسكون القاف.

من بيوتات الفضل والحسب والثروة بمكناس، تنحدر من منطقة سوس، وكلمة أدراق هي تحريف للكلمة العربية "دراق" التي تعني ترياق (دواء)، وهذا الإسم عرفوا به نظرا لاشتهارهم بحرفة الطبابة في مدينة فاس التي استقروا بها أواخر القرن 10 هـ/16م وأول من برز فيه:

- **أبو عبد الله محمد أدراق:** إليه يرجع الفضل في تسلسل تلك المهنة بين أفراد أسرته، مارسها في أول الأمر دون أن تكون له دراية كافية بها، إذ كان يقصده الناس طلبا للعلاج ويخشى أن يردهم، ومع مرور الزمن فتح الله عليه فانتفع به خلق كثير، حتى صار طبيبا ماهرا تفد إليه الوفود للإستشفاء[506]. لم يقتصر إشعاع هذه الأسرة على فاس بل تعداه ليشمل مكناس، حيث ظهر أحد أعلامها هو:
- **عبد الوهاب بن أحمد بن محمد:** تربى في حضن والده الطبيب الماهر والفقيه النابه الذي كان يتمتع بمكانة خاصة عند السلطان المولى إسماعيل (المتوفي سنة 1116هـ/ 1704م)[507]، وهو سبب انتقاله إليها.

نبغ عبد الوهاب في فنون شتى من فقه ولغة خاصة صناعة الطب التي أتقنها بكفاءة عالية، والفضل يعود إلى والده الذي أشرف على تعليمه وتكوينه، عقد له القادري ترجمة مستفيضة ومما حلاه به «**الفقيه العالم الطبيب الماهر، الأديب البليغ، الناظر الناثر، المشتهر اشتهار الشمس في الآفاق، أحد أكابر الأعيان، له معرفة بالنحو واللغة والشعر وغير ذلك، وأما الطب الذي هو فنه فانتهت إليه رياسته... مع همة ووقار، وسمت وعلو مقدار، له صيت**

---

[506]- القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 106.

[507]- وصفه السلطان في الظهير الذي أنعم به على ابنه عبد الوهاب بتاريخ 4 صفر 1137هـ/ 22 أكتوبر 1724م: بالفقيه النزيه الحكيم الوجيه. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 471.

كبير وذكر شهير»[508]. كانت تشد إليه الرحال للتلمذ على يديه والنهل من علومه، حيث زاره الشيخ الجزائري ابن حمادوش[509] ومدحه في قصيدة طويلة ما جاء فيها:

أيا سيدي عبد الوهاب تحيـــــة وبشرى لكم أهدى وأندى من الطل

أتيتك يا ملجا البرية كلـــــــها تنولني علما فنبرأ من الجهـــــــل

وخلفت أمي والعيال وصيـــــة كأنها أفراخ الحمام لدى الوصـــــل[510]

نال المترجم مكانة متميزة عند السلطان المولى إسماعيل، حيث كان يصفه بـ «**الفقيه الأجل، العالم الأكل، الحكيم الأنبل، محبنا وأعز الناس لدينا، وأحبهم علينا**» [511]. اتخذه طبيبه الخاص الذي يرافقه في ظعنه وإقامته ويلازمه في حركاته وسكناته، وتتويجا لهذه المنزلة أنعم عليه بعطاياه وحفه بعطفه ورعايته من خلال منحه ظهائر، وفي هذا السياق أصدر في حقه ظهيرا مؤرخا في 4 صفر سنة 1137هـ/ 22 أكتوبر 1724م، يتضمن الإنعام عليه بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بعاصمته المكناسية، وهذا نصه بعد الافتتاح: «**كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد خديمنا الفقيه الأجل، الحكيم الأنبل، السيد عبد الوهاب ابن الفقيه النزيه، الحكيم الوجيه، السيد أحمد أدراق (...) أننا أنعمنا عليه بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بملاح مكناسة حرسها الله وزدنا له في (...) بها إعانة له على ما هو**

---

[508]- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 53.

[509]- هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ/ 1695م، ويجهل تاريخ وفاته. حبه لطلب العلم دفعه إلى اتباع طريق الرحلة للأخذ عن كبار فقهاء عصره ،وفي هذا الإطار زار المغرب حيث تنقل بين مدن فاس وتطوان ومكناس، وتتلمذ على يد علمائها الأفاضل منهم الطبيب عبد الوهاب أدراق الذي درسه الطب، خلف مؤلفات علمية وأدبية ورحلات أهمها كتابه المعنون "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال: والمعروف أيضا "رحلة ابن حمادوش" سجل فيه أهم مشاهداته حول أهم الأحداث التي عرفها المغرب خلال القرن 18م. للمزيد انظر : أبو القاسم **سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ج 2، ص. 425- 426.

[510]- أبو القاسم **سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2، ص. 275.

[511]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 473.

بصدده من ملازمتنا، وخدمة جنابنا العالي بالله على مقتضى حكمته، وشريف صنعته، إنعاما تاما (...) »[512].

- **أحمد ادراق**: وصفه الضعيف بـ «**الفقيه الحاذق والطبيب الأديب الخاص بالسلطان محمد بن**

عبد الله»[513]، هو من المقربين في النسب للطبيب عبد الوهاب[514]، حظي بدرجة عالية عند السلطان المذكور، حيث كان يلازمه في أغلب الأوقات خاصة وقت الحاجة، منها على سبيل المثال لا الحصر لما مرض هذا الأخير إبان حركته إلى تادلة، أشرف على علاجه إلى أن شفي، فكافئه بمبلف مالي قدره ألف دينار، ثم زاده مثلها[515]. توفي سنة 1098هـ/1686-1687م.

أسرة ابن الأشقر:

أسرة أندلسية عريقة استقرت بمكناس، حيث ورد ذكرها في في الديوان الإسماعيلي. من أشهر أعلامها الذين حظوا بالجاه والنفوذ:

- **محمد بن الأشقر**: وصف في حوالة حبسية بالرئيس الأجل الباشا[516]، كان محل ثقة السلطان المولى إسماعيل يستشيره في القضايا الكبرى ويأخذ برأيه وكلفه بالمسؤوليات العظام، ومن تجليات مكانته الرفيعة أن عينه عاملا على بلاد زرهون وجعل له النظر في جميع الأراضي المخزنية والمشرف على تجهيز الجيش والمكلف بجمع أعشار البوادي والمدن[517]. تعرض بعد

[512]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس** ج 5، ص. 471.

[513]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 164.

[514]- ذكر أكنسوس أن المترجم ليس من صلب الحكيم عبد الوهاب، بل هو من قومه وقبيلته. **الجيش العرمرم**، ج 2، ص. 116.

[515]- أكنسوس، **الجيش العرمرم**، ج 2، ص. 116.

[516]- **حوالة الأحباس الكبرى**، رقم 5، ص. 210- 211.

[517]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 117.

وفاة السلطان المذكور لفتنة انتهت باغتياله من لدن السلطان المولى أحمد الذهبي بتحريض من بعض عناصر جيش عبيد البخاري سنة 1139هـ/ 1727م.

- **عبد الواحد ابن الأشقر**: شيخ صوفي حلي في بعض التقاييد بالقطب الواضح[518]، درس علوم التصوف على كبار الشيوخ حتى صار له مقام عالي في معارف الظاهر وعلوم الباطن، بلغ شهرة واسعة في حياته ومماته حيث أصبح قبره مزارة يقصدها المحبون لجنابه[519]. توفي سنة 1157هـ/ 1744م.
- **العربي بن الأشقر**: وصفه صاحب زهر الآس بالحازم الأرشد[520]، شغل خطة النظارة على أحباس المساكين حوالي سنة 1224هـ/ 1809م.

بيت البخاري:

شخصيات عسكرية متمرسة وشهيرة، استقر معظمها في مدينة مكناس طيلة الحكم العلوي، تعود أصول عناصرها إلى الزنوج الذين جاؤوا للمغرب في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي من السودان، عرفوا بعبيد البخاري[521]، كانوا في بداية أمرهم أفرادا مغمورين، نشأوا تنشأة عسكرية صارمة ودقيقة تحت الإشراف المباشر من السلاطين العلويين الذين وثقوا فيهم ، واعتمدوا عليهم في تسيير دواليب السلطة، إذ أسندوا إليهم مناصب عسكرية وأخرة مدنية، فأبان بعضهم عن كفاءة عالية وقدرة كبيرة في القيام بالمهام الموكلة إليهم على أحسن وجه.

---

[518]– الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات**، ص. 69.

[519]– يوجد قبره في الجهة المقابلة للدرب الذي يقع فيه الضريح السابق من حومة القبابين. نفسه، نفس الصفحة.

[520]– الكتاني، **زهر الآس**، ج 1، ص. 84.

[521]– جيش أسسه السلطان مولاي اسماعيل باقتراح من كاتبه محمد بن قاسم عليلش، اعتمد فيه على عناصر من الزنوج، وكانت أسباب تشكيله هو رغبة السلطان في إنشاء جيش نظامي يدين له بالولاء والإخلاص، وقد أثارت قضية تكوينه معارضة كبيرة تزعمها علماء فاس خاصة، مما جعلهم عرضة لغضب السلطان الذي نجح في الأخير ن تأسيسه، فأطلق عليهم عبيد البخاري لأنهم أقسموا على كتاب صحيح البخاري. لعب هذا الجيش أدورا كبيرة في تاريخ الدولة العلوية. للمزيد من التفاصيل انظر: محمد المهناوي، **التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي الأول**، أعده للنشر أحمد المكاوي وعبد المجيد بميني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، الطبعة الأولى، 2018م.

لقد كان المخزن العلوي يختار من البواخر كبار وزرائه وحجابه ومستشاريه وولاته وقواده منذ عهد السلطان المولى إسماعيل[522]، ونجح بعضهم في الإرتقاء والصعود حتى صاروا من العناصر الفاعلة والمؤثرة داخل المجتمع المكناسي خاصة والمغربي عامة، مستندين على أنهم كانوا يعتبرون من أولاد **"دار المخزن"**، تربوا في أحضان الدولة مع الأمراء من حيث التهذيب والتعليم[523] الموثق بولائهم وإخلاصهم للسلاطين الذين كانوا لا يترددون في إظهار إعجابهم بهم والتنويه بحزمهم وضبطهم، فهذا السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام في رسالة وجهها الى رؤساء الجيش بمكناس يشيد بهم قال فيها: «**بأنهم رؤساء الجيش وأنهم عماد الدولة، وعليهم مدار أمرها فيكونوا ذاة واحدة (هكذا) ولا بغضاء، ولا حسد ولا خلاف يكون بينهم، لما في ذلك من الخير واجتماع الكلمة** (...) » [524]. وبهذا حصل بعض أفراد البواخر مكانة مرموقة وحازوا جاه عظيما ونفوذا كبيرا، نذكر منهم:

- **علي بن صانبة البخاري**: أحد أعلام مدينة مكناس المحققين وفضلائهم النبيهين، من موالي السلطان المولى إسماعيل، اشتهر بتضلعه في الفقه والأدب والشعر، كان من الشغوفين بطلب العلم وتحصيله المواظبين على حلقات الدروس، وردت في حقه شهادات تعترف بعلمه وفضله وكفاءته، نقتصر على ذكر اثنين منها: الأولى من السلطان المولى سليمان الذي تتلمذ على يديه فوصفه بـ «**شيخنا العلامة الأديب والأستاذ المحقق**»[525]، والثانية من رفيق دربه في الدراسة هو محمد بن محمد بن عبد السلام البيجيري الذي شهره بـ «**الفقيه المدرس المفتي**»[526]، وهي شهادتان لهما قيمتهما الرمزية فالأولى صادرة من السلطان تدل على الشرف العظيم الذي حازه المترجم لم يكن ليحظى به لولا علو كعبه، والثانية مقدمة من زميل

---

[522]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 36.

[523]- عبد الرزاق الصديقي، «آل بن موسى في سياق التاريخ من الاسترقاق المنزلي إلى الوصاية على الحكم»، ضمن **وقفات في تاريخ المغرب**، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001م، ص. 450.

[524]- العربي المشرفي، **مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان**، م.خ.ح، رقم 12082، ص. 285.

[525]- أبو الربيع مولاي سليمان العلوي، **عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد**، م.خ.ح، رقم 1254.

[526]- المنوني،«البيجريون بمكناس»، ضمن **متنوعات محمد حجي**، ص. 17.

له، وأمر له أكثر من دلالة، فغالبا ما يقع بين الزملاء والأقرن تنافس وتسابق في تحصيل العلوم وما يترتب عن ذلك من ظهور بعض بوادر الحقد والضغينة، إذ يعمد بعضهم إلى تشويه صورة البعض الآخر، وهذا ما لا نلمسه في هذه البيجري مما يدل على مكانة المترجم، أهلته لتولي خطة عدول سماط مدينة مكناس، مكتسبا بذلك جاها كبيرا وقدرا رفيعا، إلى أن توفي سنة 1220 هـ/ 1820م[527].

- **الجيلاني بن بوعزة المكناسي**: قائد عسكري عينه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام باشا على مدينة مكناس، بعد عزله للقائد محمد بن العواد الخلطي، يعتبر خامس الباشوات منذ اعتلاء السلطان الحكم[528]، وأشهر العمال وجاهة ونفوذا، نظرا لامتلاكه صفات خاصة كحسن القيادة والتدبير وشدة الحزم والانضباط، جعلته يحظى بثقه السلطان وينال تقديره وتعظيمه، ففي رسالة طويلة وجهها هذا الأخير إلى ولي عهده الأمير محمد في 4 جمادى الأولى سنة 1258هـ/ 22 غشت 1842م نوه في جزء منها بالمترجم بقوله: «**واستخرنا الله تعالى فيمن نوليه على الجيش ممن يسعى في جبره، وينصح لله ولرسوله وللمؤمنين في سره وجهره، فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد الجيلاني بن بوعزة لما بلوناه من نصحه ومحبته، وعلمناه من دينه ومروءته، نسأل الله تسديده وتوفيقه، وإلهامه الرشد وطريقه** (...) »[529].

بلغت منزلة الرجل درجة عالية، إذ كان السلطان يستشيره ويطلعه على أدق تفاصيل قراراته، يعتمد عليه في تسيير شؤون المدينة والقبائل المحيطه بها[530]، إضافة إلى تقليده مهمة الاعتناء

---

[527]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 100.

[528]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 274.

[529]- نفسه، ج2، ص. 139

[530]- الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ج 2، ص. 167.

بالجيش السعيد الذي يعد من الركائز الأساسية للدولة المغربية، وكذا تكليفيه بتأديب أبنائه وبناته خاصة الأميران بناصر واسماعيل[531].

- **ادريس بن المكي البخاري المكناسي**: اشتهر بإتقانه لفنون الحساب والفلك والتوقيت، ودرايته الواسعة بخبايا أمور السياسة، فرشح لتولي رئاسة الجيوش المخزنية والمشرف على تأطير وتكوين عناصرها، و هي المهمة التي رفعته إلى درجه المقربين من دار الملك، كان لا يفارق السلطان محمد بن عبد الرحمان يستأنس بمجالسته ويسعد بمحادثته، فتبوأ شأنا عظيما وشأوا كبيرا لدي خاصة المكناسيين وعامتهم «**ولم يكن ذلك لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر**»[532]. توفي سنة 1288هـ/ 1871م ودفن في الزاوية الناصرية بمسقط رأسه بمكناس.
- **الجيلاني بن حم البخاري المكناسي**: فقيه ماهر في علوم الحساب والتوقيت وأحكام النجوم، من فقهاء مكناس المعتبرين الذين انخراطوا في سلك الجندية، فأبان عن مواهبه ودهاءه حتى وصف بأنه «**بطل شجاع عارف بالكر والفر ومكايد الحروب**»[533]. تأثر بالأحداث الدامية التي اندلعت بمكناس أواخر فترة حكم المولى سليمان، حيث اضطر لمغادرة المدينة مدة من الزمن ثم عاد بعد استتباب الأمن خلال عهد المولى عبد الرحمان بن هشام.

اتصل خبره بالسلطان المذكور الذي أعجب بسيرته، فقربه منه ولحظه بعين العطف والرضى، إذ أسند إليه قيادة مشوره السعيد بمكناس[534]، وهو المنصب الذي أقره عليه ابنه وخليفته المولى محمد في بداية الأمر، قبل أن يعينه عاملا على مراكش ثم زرهون، ولما ولي المولى الحسن ولاه عمالة بفاس لكن سرعان ما أخر عنها بعد ثوره الدباغين سنة 1290هـ/ 1874- 1875م. توفي سنة 1295هـ/ 1878م.

---

[531]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص. 79.

[532]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 40.

[533]- نفسه، نفس الجزء، ص. 137.

[534]- نفسه، نفس الجزء، ص. 138.

- **الجيلاني المدعو القصعة البخاري المكناسي**: من صلحاء مكناس ونساكها الزهاد المشهود لهم بالخير والفضل والكرامات العجيبة[535]، كان يحظى باحترام وتبجيل أهل العدل والدين ومن دونهم، عكستها ثلاثة مواقف حصلت معه: الأولى لما مرض مرض الموت اعتنى به محتسب مكناس الأشهر محمد بن العربي أجانا حيث أسكنه معه في داره، وثانيها لما توفي سنة 1304هـ/ 1887م حضر تشييع جنازته جم غفير من الناس على اختلاف طبقاتهم خاصة الوجهاء، وثالثها تقدم للصلاة عليه نقيب الشرفاء الأدارسة العلامة المختار الشبيهي[536].
- **حم بن الجيلاني**: يعتبر من أبرز الشخصيات البخارية التي أسهمت بأدوارا هامة في تدبير شؤون مدينة مكناس وأحوازها إبان فترة حكم السلطان المولى الحسن، الذي عينه باشا على نفس المدينة سنة 1296هـ/ 1879م[537] مكان القائد ادريس بن محمد خنيشش، ثم أضاف له منصب قائد الجيش السعيد، حيث نعت في بعض المراسلات السلطانية بـ **"الباشا الأنجد القائد"**[538].

اشتهر بالصيت الطيب والذكر الحسن لما امتلكه من قدرات ومؤهلات مميزة بشهادة السلطان المذكور، حيث قال فيه «**وأما ما أخذت به في جمع العسكر من الحزم، فهو المعروف فيك والمعود منك، أصلحك الله، وأما المتوقع الذي أعاقك، فلأجله أرحناك وءاثرناك هناكم، وإلا فلا يستغني عنك لحزمك، وضبطك، ونجدتك، ونصحك أصلحك الله**»[539].

---

[535]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 296.

[536]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 139.

[537]- نفسه، جنفس الجزء، ص. 235.

[538]- رسالة من القائد المطيري الحرزلاوي إلى السلطان المولى الحسن، تاريخ 22 ذي الحجة 1302هـ/ 1 أكتوبر 1885م، و.خ.ح، رقم 147.

[539]- رسالة مولاي الحسن إلى حم بن الجيلاني، بتلريخ 1 صفر 1311هـ/ 14 غشت 1893م، م.و.م.م، المحفظة 2.

إن تقلب المترجم في مناصب سامية بوأته وجاهة كبيرة عند جميع فئات المجتمع المكناسي، لكن ما لبث أن ضعف نفوذها بوفاة المولى الحسن، حيث برز الحاجب باحماد الذي أصبح صدرا أعظما، فعزله من وظائفهم، ونفاه إلى تارودانت التي استقر بها إلى أن توفي سنة1900هـ/1318م.

- **الجيلاني بن محمد بن جيلاني البخاري المكناسي**: فقيه نجيب وأديب بديع وكاتب ماهر مشارك في كثير من المعارف[540]، كان من أعيان علماء مكناس، تربى في حجر والده الباشا حم، عرف بحبه الشديد لتحصيل العلم، فدرس عند جماعة من علماء مدينته منهم الفقيه عبد السلام الطاهري والمفضل السوسي والطاهر بوحدو وغيرهم، لكن شغفه الكبير جعله يشد الرحال إلى مدينة فاس حاضرة العلم وقتئذ، فأخذ عن كبار فقهائها كالقاضي محمد بن رشيد العراقي. ولما حقق مراده قفل راجعا إلى مسقط رأسه ليتم تعيينه خليفة للباشا صالح بن بنعيسى بداية حكم السلطان المولى عبد الحفيظ. توفي سنة 1922هـ/ 1341م[541].
- **بنعيسى بن عبد الكريم البخاري**: ولد سنة 1275هـ/ 1858م، باشا مكناس[542] من وصفان عبيد البخاري، تربى تربية مخزنية حيث كان أبوه أحد قواد الجيش، اتصف بالنباهة والدهاء السياسي مما ساعده على تسلق أعلى مراتب الهرم المخزني بسرعة كبيرة، فتقلب في وظائف عديدة بدأها كمساعد لوزير الحربية المهدي المنبهي، اكتسب منها خبرة مهمة أهلته لأن يكون أحد أعضاء الوفد المغربي المكلف بترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب سنتين 1901- 1902م[543]، ثم بعدها بمهام كثيرر منها مشاركته في إخماد الثورة التي شهدتها شراردة، إضافة إلى دوره البارز في الحملة الفرنسية على مكناس سنة 1911م، جعلت شأنه

---

[540]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 141.

[541]- نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

[542]- نفسه، الجزء 6، ص. 239- 330.

[543]- بوشتى بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة التأسيس- البنيات الادارية- التاناقضات 1911- 1939م**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1994- 1995م،(مرقونة)، ص. 329.

يعلو ومكانته تسمو داخل الجهاز المخزني العلوي، وفي هذا الإطار أصدر السلطان المولى عبد الحفيظ ظهيرا في 3 جمادى الأولى عام 1329هـ/ 1 ماي 1911م أنعم بمقتضاه على المترجم بوسام، ومما جاء فيه «**أنعمنا على وصفها الأنجاد الطالب بنعيسى بن عبد الكريم البخاري بالمرتبة الرابعة من وسامنا الحفيظي السعيد وحليناه به عنوانا على نجدته وإخلاصه في كل ما ارتبط به من خدمات جنابنا الشريف واستحقاقه بذلك رضا مقامنا**»[544].

ورغم هذه المكانة المرموقة التي حصلها الباشا إلا أن نفوذه بدأ في التراجع ابتداء من سنة 1333هـ/ 1915م، بسبب تصادم مصالحه مع فرنسا والتي اتهمته بالتآمر، فعزل من منصبه سنة 1337هـ/ 1918م وصدورت أملاكه ونفي إلى مدينة الجديدة.

- **المعطي بن العناية البخاري**: ينتسب إلى أولاد علال السفياني، صالح فاضل حاذق في فن الحساب والتوقيت، انتدبه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام من جملة المؤقتين المصاحبين له في سفره وترحاله، ازدادت مكانته عنده ليسند إليه مهمة إقراء بناته[545]. نال شهرة كبيرة ومكانة مهمة تمتع بهما إلى حين وفاته سنة 1276هـ/ 1859م ودفن بروضة الولي أحمد الضاوي. أنجب أبناء لمع منهم:
- **عبد القادر**: عالم فقيه ماهر في الحساب والتوقيت والقراءات السبع[546]، تتلمذ على يد أشهر علماء مكناس أمثال أحمد العرائشي والطاهر بوحدو والغالي السنتيسي. ولاه السلطان المولى عبد الحفيظ خطة الإشهاد بفاس مدة من الزمن ثم نقله إلى مكناس، حيث تفرغ للتدريس بالمساجد وتلقين الطلبة مختلف المعارف. اكتسب وجاهة ونفوذا عند صفوة المجتمع ومن دونهم. توفي سنة 1342هـ/ 1924م.

---

[544]- بوشتى بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة التأسيس- البنيات الادارية- التناقضات 1911- 1939م**، ص. 329.

[545]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 364.

[546]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 2، ص. 435.

بيت السلاوي البخاري:

نبه من هذا البيت محمد بن عبد السلام فقيه فاضل وكاتب بارع، انتمي إلى بيت عريق في الخدمة المخزنية فهو أحد موالي المولى سليمان، نشأ في دار الإمارة ولد عن والد[547]، اشتغل في بداية أمره كاتبا لمولاي الطيب خليفة أخيه السلطان بطنجة، فأبان عن مهارة كبيرة و قدرة عالية على التسيير رفعت من شأنه حتى وصل خبره إلى السلطان، فلحظه بعنايته الخاصة وقربه إليه واتخذه من أهل مشورته والكاتم لأسراره. أهله لتقلده وظائف مخزنية رفيعة مثل الحجابة[548] والوزارة مكلف بالشؤون الخارجية والحربية، ورئاسة المناطق الشمالية للمغرب مثل العرائش وطنجة وتطوان[549].

بلغ الوزير محمد مبلغا عظيما لدرجة أنه صار ينعت بعمود دولة السلطان المولى سليمان، وبموته تلقى المخزن ضربة قاسية بفقدانه أحد رجالاته العظام الذين تفانوا في خدمة بلدهم. توفي بمكناس سنة 1230هـ/ 1815م.

بيت بوسلهام الخلطي:

بيت أدب ووجاهة وعلم وديانة، ينحدر من أولاد المؤذن وهي أحد بطون قبيلة الخلط، انتقل بعض أفرادها إلى مدينة مكناس حيث برز منهم:

- **بوسلهام بن علي المؤذن:** من أكابر أعيان مكناس، انتسب إلى جيش عبيد البخاري، قال عنه ابن زيدان «**فقيه أستاذ حيسوبي ميقاتي كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة على**

[547]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 220.

[548]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 329.

[549]- جرت عادة السلاطين العلويين الاعتماد على عناصر غير محلية في تسيير بعض المدن التي كانت تعتبر مصدر قلق بالنسبة لهم على سبيل المثال مدينة تطوان، فخلال 19م تعاقب على حكم المدينة قواد وباشوات ينتمون إلى العائلات المخزنية المستقرة بمكناس. العساوي، **أعيان تطوان**، ص. 92.

علماء الميقات في زمنه عند السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام»[550]. حفظ القرآن الكريم وأخذ علم القراءات عن العلامة الأشهر محمد بن الخليفي فأتقن القراءات السبع، كان له قدرة كبيرة على الاستيعاب والفهم والإدراك، ظهرت نباهته مما جعل شيخه يصاهره ابنته[551] أنجب منها ولدا سماه محمد- الآتي الترجمة-.

ذاع صيت بوسلهام داخل المجتمع فاختاره السلطان لمجلسه العلمي، وانتدبه من جملة طلبة عبيد البخاري لتعليم التوقيت والفلك والحساب تحت إشراف العالم عبد الرحمان بن محمد بصري، كان أذكاهم وأفطنهم، ثم استقدمه السلطان لبلاطه[552] وقربه إليه وظل ملازما له حضرا وسفرا، يحب سماع القرآن بصوته فيغدق عليه من نعمه ويكرمه حتى صار من الوجهاء مسموعي الكلمة إلى أن أدركته الوفاة سنة 1265هـ/ 1848م ودفن بروضة الشيخ الكامل بمكناس.

- **محمد بن بوسلهام**: فقيه جليل وأستاذ متمرس نبيه في علوم الهندسة والحساب والتوقيت والتعديل[553]، إتقانه لهذه الفنون رفعت قدره وعلت من شأنه، نظرا للأهمية التي كانت تكتسيها في زمانه، لدرجة أن السلطان المولى الحسن كلفه بتأليف كتاب يتحدث عن المراحل التي ينزل بها عند سفره وترحاله «**بسوائعها ودقائقها ومقامه بها وما وقع فيها من أمور المهمات وعدد الحركات**» [554].

حظي محمد بمكانة معتبرة عند السلطان المذكور، فكان لا يفارقه في جميع تحركاته، يسند إليه مهاما عديدة في مختلف مناطق المغرب كالعرائش وتافيلالت ومراكش والشاوية، وفي كل مهمة كان يحمل معه رسائل تكليفه فيها توصية لأعيان تلك المناطق بضرورة احترامه وتعظيمه ومساعدته في عمله، ونورد هنا نموذجا من تلك الرسائل وهي رسالة مؤرخة في 23 رمضان

---

[550]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ح 2، ص. 97.

[551]- المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر»، ص. 38.

[552]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ح 2، ص. 97.

[553]- المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر»، ص. 47.

[554]- نفسه، ص. 48.

1310هـ/ 9 أبريل 1893م «**كافة خدامنا الأرضين: أعيان آيت عطه: وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد: فنأمركم أن تستوصوا خيراً بحامله الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي الموجه لاختبار طريق تافلالت، واتقفوا معه فيما يعرض له من جهتكم من كل ما يرجع لعمله بقصده، وقوف حزم واعتناء به وبمن معه** (...) » [555].

إن هذه المكانة التي أدركها المترجم أقره عليها السلطان المولى عبد العزيز، حيث أرسله إلى مراكش وأسند إليه خطة التوقيت بمنار جامع المنصور[556] بنفس المدينة بمقتضى ظهير مؤرخ في 24 ربيع الثاني هام 1318هـ/ 20 غشت 1900م ومما جاء فيه «**كلفنا وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام البخاري بأمر التوقيت بمنار جامع المنصور بالمنشية، بالحضرة المراكشية السمية، وطوقناه القيام بوظيفة على العموم والإطلاق، والشمول والاستغراق. على أن يسلك فيه مسلك المعتبرين من الموقتين ، ذوي الإصابة في تعديلهم وتوقيتهم المحققين، حتى يجعل ذلك في حصن التحصين، ويقوم بواجبه قيام عارف حازم ضابط أمين**(...) » [557]، أنعم عليه بامتيازات كثيرة منها ما نص عليه الظهير الصادر في 24 ربيع الثاني 1318هـ/ 20 غشت 1906م، وهذا نصه «**أنعمنا على وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي: بالدار المعروفة لولد سيدي عياد ببوطويل بالمنشية السعيدة، التي كانت بيد عياد الجمال وبيد النزق بعده،وسوغنا له الانتفاع بها من غير كراء يلزمه فيها**» [558].

---

[555]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ص. 450.

[556]- بناه السلطان يعقوب المنصور ما بين سنتي 581- 586هـ/ 1185- 1190م.

[557]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 452.

[558]- نفسه، نفس الجزء، ص. 452- 453.

سالم الدكالي:

لقب بالباشا[559] هو أحد رؤساء عبيد مشرع الرمل[560] أقوى جيش عبيد البخاري، لعب أدوارا هامة في الصراع الذي اندلع بين أبناء السلطان المولى إسماعيل، حيث كان مناصرا للسلطان المولى أحمد الذهبي، مارس سلطة مطلقة على سكان مدينة مكناس ونواحيها، وصفه الريفي بالجبار العنيد[561] والطاغية[562]. اشتهر بدسائسه الكثيرة التي حاكها ضد كل من يقف في وجه طموحاته، انتهى به المطاف إلى السجن بعد تولية السلطان المولى عبد الله، ثم أعدم سنة 1149هـ/ 1736م[563]

بيت ابن عثمان:

أسرة مكناسية ذات علم وفضل ورئاسة ووجاهة، تعود أصولها إلى قبيلة مسطاسة، توارث بعض أفرادها خططا جليلة من وزارة وسفارة وكتابة ونظارة وخطابة وعدالة، أول من عرف منهم الفقيه عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عثمان المكناسي عاش خلال القرن 10هـ/ 16م[564]، أما من اشتهر من هذا البيت بعلو مكانته وسمو منزلته فهو:

- **محمد بن عبد الوهاب بن عثمان:** ولد بمكناس من أسرة نابهة، تهذب في أحضان والده الفقيه عبد الوهاب الذي كان يتعاطى الوعظ والخطابة بأحد مساجد المدينة، حفظ القرآن الكريم على يديه وأخذ عنه بقية الفنون من نحو وصرف، تمكنه من تلك العلوم أهله لخلافة والده في مهامه[565]، كانت بداية اشتغاله في الوظيف المخزني زمن السلطان المولى محمد بن عبد

[559]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 398.

[560]- مشرع الرمل يقع على وادي تيفلت ضمن مجال قبيلة بني حسن شمال مدينة سلا. اتخذه السلطان مولاي إسماعيل كمركز عسكري لتدريب وتكوين جيش عبيد البخاري. للمزيد انظر : الفقيه الإدريسي، مادة مشرع الرملة، **معلمة المغرب**، ج 21، ص . 7153- 7154.

[561]- الريفي، **زهر الأكم**، ص. 239.

[562]- نفسه، ص. 240.

[563]- الضعيف، تاريخ **الضعيف**، ص. 120.

[564]- المنوني، مادة ابن عثمان، **معلمة المغرب**، ج 18، ص. 5978.

[565]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 192.

الله، حيث عينه ساردا للكتب بالقصر السلطاني، سرعان ما ررقاه إلى رتبة كاتب حضرته[566]. كما اتخذه مربيا لأبنائه خاصة الأميران مولاي علي ومولاي عبد السلام، حيث كان نعم الصاحب والناصح لهما بشهادة هذا الأخير الذي كتب في حقه تحلية جاء فيه «**الفقيه محمد بن عثمان حسن البديه، قوي العارضة (...) وهو الذي جذب بطبعه، ورفع من قدره**» [567].

أسهمت كفاءة المترجم ومؤهلاته وحظوته لدى السلطان في أن يصبح من رجالات المخزن ووجهائه الموثوق في إخلاصهم والتفاني في عملهم، لذلك اضطلع بأدوار حساسة في تاريخ المغرب خلال النصف الثاني من القرن 18م، وهي الفترة التي تميزت بنهج سياسة الانفتاح على الخارج والقائمة على ربط علاقات دبلوماسية وتجارية عبر تبادل السفارات مع الدول المعنية. وفي هذا السياق برز ابن عثمان كشخصية محورية في تلك السياسة، حيث أوفده المولى محمد بن عبد الله على رأس ثلاث بعثات سفارية: الأولى إلى اسبانيا سنة 1193هـ/ 1779م بقصد تحرير الأسرى الجزائريين وعقد معاهدة صلح بين المغرب والدولة المضيفة، ومكافأة له على نجاحه في المأمورية رقاه السلطان إلى مرتبة الوزير[568]، وكتب بهذه المناسبة رحلة عنونها بـ "**الإكسير في فكاك الأسير**"[569]. والثانية إلى مملكتي مالطا ونابولي سنة 1196هـ/ 1782م بهدف افتكاك الأسرى المسلمين وإبرام اتفاقية مع ملك هذه الأخيرة، ألف في هذه السفارة رحلة أخرى وسمها بـ "**البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر**"[570]. والثالثة إلى الدولة العثمانية سنة 1200هـ/ 1785م وكان المراد منها وضع حد للتهديدات التي تتعرض لها حدود

---

[566]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص 192.

[567]- مولاي عبد السلام بن محمد بن عبد الله العلوي، **اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار**، م.خ.ح، رقم 106، ص. 490.

[568]- محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، حققه وعلق عليه محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م،

[569]- قام بتحقيقها الإستاذ محمد الفاسي، ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، 1965م.

[570]- حققتها الأستاذة مليكة الزاهيدي في جزئين، نسخة مرقونة كلية الآداب والعلوم الإنسانيه الرباط نيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، السنة الجامعية 1994- 1995م.

المغرب الشرقية، وقد انتهز ابن عثمان الفرصة لتأدية فريضة الحج ولقاء كبار علماء المشرق، دون هذه الرحلة سماها "**إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب**"[571].

إن المكانة المرموقة التي أدركها ابن عثمان زمن السلطان المولى محمد بن عبد الله احتفظ بها من بعده، إذ رشحه السلطان الجديد المولى اليزيد على رأس سفارة نحو اسبانيا باقتراح من هذه الأخيرة، حيث توجه إليها سنة 1205هـ/ 1790م، لكنه أخفق في مأموريته ليتم إعفاؤه من منصبه فظل في اسبانيا إلى حين اعتلاء المولى سليمان الحكم، الذي دعاه إلى العودة وأسند إليه مهمة المكلف بجميع أمور أجناس النصارى بحكم تجربته في التعامل معهم[572]، انتهت حياته الدبلوماسية بالتوقيع على معاهدة مكناس بين المغرب واسبانيا سنة 1213هـ/ 1799م.

إضافة إلى المسؤوليات الخارجية التي أنيطت بابن عثمان، فقد كلف في بعض الأحيان بمهام داخلية، لعل أبرزها تدخله في قضية القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدي المؤيد والمبايع لأخ السلطان المولى هشام، فأوكل المولى سليمان إلى المترجم حل هذه المسألة حيث نجح في إقناع القائد المذكور بالتراجع عن رأيه وتقديم الاعتذار للسلطان[573].

لقد حصل ابن عثمان وجاهة عظيمة ونفوذا كبيرا ليس داخل المجتمع المكناسي فحسب، ويمكن الاستدلال على ذلك بجملة من الشواهد نذكر منها: الأوصاف الجليلة التي كان ينعته بها السلاطين الذين عاصرهم مثلا «**الفقيه الجليل الأمين على سرنا كاتب أوامرنا**»[574]،كما مدحه بعد معاصريه مثل الفقيه محمد البيجري المكناسي «**المبرز في العلى المحرز للمعلى، محبي**

---

[571]– حققها وقدم لها الأستاذ محمد بوكبوط، منشورات المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2003م.

[572]– رساله وجهها ابن عثمان إلى وزير اسبانيا أراندة. عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، 1408هـ/ 1988م، المجلد التاسع، ص. 129.

[573]– الناصري، **الاستقصا**، ج 8، ص. 101.

[574]– رسالة اعتماد ابن عثمان في نابولي سنة 1195هـ/ 1871م. التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، المجلد 9، ص. 280.

فصاحة الأوائل ومعيي سحبان وائل كرم الله طلعته وحتم على الدهر طاعته»[575]، ثم أنشد أبياتا[576] جاء فيها:

تَاقَ قَلْبِي فَمَا لَـــهُ اسْتِقْرَار مُنْذُ جَاءَت مِنْ تُونس أَخْبَـار

تَوْقَان وَأنس اجْتَمَعَ الضِّدَّان عِنْدِي فَلَمْ يَسَع إِنْكَـار

بِاشْتِيَاقِي لمُفَرّد فِي العَـــالِي تَتَرَامَى دَأْبًا بِه الأَسْـفَـار

وَالتَّأَنُّس بِالتَّفَكُّر فِي أَوْصَافِه قَدْ تُؤْنس الأَفْكَـــــار

قَمَر المَجْدِ سَارَ فِي فَلِكِ السَّعْدِ فَذَاك السَّيَّار وَالدَّوّار

وَتَحَرَّكَ ذَا بِتَحْرِيـــك هَذَا لَيْسَ فِي غَايَة لَهُ إِقْـصَار

أَتُرَى يَسْمَحُ الزَّمِـــانُ بِقُرْب مِنْهُ مُتَّصل وَتَدْنُو الـــدَّار

إضافة إلى أبي القاسم الزياني الذي قال في حقه[577]:

ثُمَّ مُحَمَّد ابْن عُثْمَان الوَزِير أَخَذَ مِنْ وَفْرِ وَدُرّ كَثِير

توفي ابن عثمان سنة 1214هـ/ 1799م[578] بالوباء الذي ضرب المغرب، فاستصفى السلطان المولى سليمان أمواله وأملاكه[579].

- **الطاهر ابن عثمان**: من حفدة السفير ابن عثمان؛ فقيه فاضل نبيه ذو جاه ووجاهة[580]، اشتهر بتصوفه وزهده حيث انخرط في الزاوية العلمية بمكناس، وكان من المحظيين المبجلين عند السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، الذي يعتبر خديمه الأرضى[581]. عهد إليه بخطة النظارة

---

[575]- ابن عثمان، **إحراز المعلى والرقيب**، ص. 345.

[576]- نفسه، ص. 344.

[577]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 146.

[578]- تضاربت الآراء حول تاريخ وفاة ابن عثمان، فالزياني يجعله سنة 1212هـ/ 1798م، وهو ما ذهب إليه ابن زيدان، لكن الأستاذ محمد الفاسي رجح أن الوفاة كانت سنة 1214هـ/ 1799م مستندا على وثائق. انظر مقدمة تحقيق الأستاذ الفاسي لكتاب **الإكسير في فكاك الأسير**، ص. ف- ق.

[579]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 466.

[580]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 126.

[581]- رسالة وجهها السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام إلى الباشا الجيلاني بن بوعزة، بتاريخ 1266هـ/ 1850م. نفسه، ج 5، ص. 401.

على الأحباس بالمدينة والمشرف على زاوية العارف بالله عبد القادر العلمي والمتصرف في المتروك الذي خلفه الولي المذكور، لم نقف على تاريخ وفاته لكن المؤكد أنه كان على قيد الحياة سنة 1276هـ/ 1860م.

أسرة العلام:

برز من هذه الأسرة ادريس بن العلام الذي شغل منصب قائد المشور بمكناس في عهد السلطان المولى الحسن، إذ عينه مكان القائد المتوفى محمد يعيش[582]، كان يعد من وجهاء القواد المقربين من دار الملك حيث كان ينعت بكبير المشور السلطاني[583] المسؤول عن جيش عبيد البخاري. نشأ في حجر والده القائد العربي أيام السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام.

اطلع بأدوار قيادية كبرى حيث أسندت إليه مهام عظمى، فكان هو من هيأ ظروف إعلان وفاة المولى محمد بن عبد الرحمان وبيعة المولى الحسن[584]، كما ساهم في إنهاء أزمة الأمين الحاج محمد بن المدني بنيس بفاس، إضافة إلى مشاركته الفعالة في إسقاط أسرة الجامعي من الصدارة العظمى.

وصفته مصادر ترجمته بـ «**الفارس المقدام، الثابت الأقدام، إذا حمي الوطيس وتميزت الأبطال بالتقدم والإقدام، وتعوطيت كؤوس المنون، وكثر الإرجافات وبطلت الظنون، تباهى المشور السعيد، وخاف سطوته القريب والبعيد**»[585] .

نال المترجم منزلة رفيعة وحظي بثقة خاصة دائرة المخزن، أضاف له المولى عبد العزيز وظيفة عمالته على فاس إلى جانب احتفاظه بمنصبه كقائد المشور. توفي سنة 1318هـ/ 1900

---

[582]- الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، **التنبيه المعرب عما كان عليه الآن حال المغرب**، تقديم وتصحيح محمد المنوني، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م، ص. 35.

[583]- المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر»، ص. 53.

[584]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 156.

[585]- محمد بن أحمد بن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية**، م.خ.ح، رقم 481، ص.62

بيت اعليلش:

بيت مجد ورياسة مشهور بالعلم والخدمة المخزنية، اشتهر منه: **محمد**[586] **بن قاسم**: تربي تربية مخزنية حيث كان والده كاتبا عند السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي[587]، وقد احتفظ عقبه من بعده بهذه الخطة التي رفعت من شأن أسرتهم ومنزلتها وجعلتها محل تقدير وتعظيم من لدن العامة والخاصة. حلاه ابن زيدان «**فقيه جليل، عالم علامة، دراكة فهامة، متفنن متقن مشارك، حازم ضابط قوال للحق، جامع ما افترق في غيره من المحامد عدل رضي، تقي نقي، حيي أريحى، خير دين فاضل كامل، موثق ماهر**»[588].

نشأ المترجم بمدينه مراكش و بها تفقه في علوم مختلفة على يدي كبار علمائها وعدولها، وأول اتصال له بالمخزن كان في عهد السلطان المولى إسماعيل حينما زار المدينة المذكورة حيث التقى به وأعجب بعلمه فاجتباه لخدمته ومنذئذ وهو يحظى بالمنزلة الرفيعة، إذ كان حافظا لأسراره عاملا بمشورته أسند إليه نيابة القضاء، وإليه يرجع الفضل في جمع العبيد الذين شكلوا نواة جيش البخاري[589].

بيت ابن العواد:

تنحدر هذه الأسرة من قبيلة الخلط العربية، وهي تجمع لتحالفات مختلطه من حيث النسب، تنتمي إلى قبائل جشم التي تعتبر من شعوب بين بني هلال، دخلوا المغرب منذ العصر

---

[586]- تضاربت المصادر حول اسمه الحقيقي، فبينما اكنسوس والمشرفي يذكرانه بإسم "عمر"، فإن الضعيف وابن زيدان سمياه "محمد"، وقد رجح الأستاذ محمد الفاسي الإسم الأخير اعتمادا على رسالة خطية للباشا عليليش وقعها بإسم محمد وجهها الى الوزير اليحمدي. محمد الفاسي، «رسائل إسماعيلية»، **مجلة تطوان**، 1962، ص. 63.

[587]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج 1، ص. 298.

[588]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 103.

[589]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 125.

الموحدي، حيث أسكنهم السلطان يعقوب المنصور منطقة تامسنا، ثم انتقل في مرحلة موالية إلى أحواز العرائش[590].

كان أول اتصالهم بالمخزن العلوي زمن حكم السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، إذ أدمجهم ضمن فرقة الكيش للاستفادة من خبراتهم القتالية، فنقل بعضهم إلى سهل سايس ومنه إلى مدينة مكناس[591] ، وفيها برز منهم فرع حمل اسم محمد بن العواد.

تكتنف حياة هذا الرجل غموض كبير، نظرا لقلة المعلومات المتعلقة به، ولانعلم عنه سوى أنه كان أحد الضباط المنتمين إلى جيش عبيد البخاري، حيث نجح في إظهار كفاءته وتمرسه جعلته يحظى بإعجاب السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ويكسب ثقته، فقرر تعيينه باشا على مكناس سنة 1256هـ/ 1840م، فاضطلع بالمسؤوليات المسندة إليه على أحسن وجه ولعل أبرزها إنقاذ المدينة من الهجمات التي شنتها قبائل البربر المستقرة بالأطلس المتوسط[592].

إن نجاح المترجم في مهامه رفع قدره وأكسبه شهرة ووجاهة ونفوذا داخل المجتمع المكناسي، لكنه فشل في الاحتفاظ بها وصيانتها بسبب ما استحدثه من أفعال مشينة وممارسته لأمور شنيعة، عرضته للعزل من منصبه.

ورغم الصورة السلبية التي تشكلت عن هذا الباشا داخل مكناس، إلا أنه حظى ببعض التقدير حيث لا زالت توجد زنقه تحمل اسمه درب ابن العواد[593].

---

[590]- ابن منصور، **قبائل المغرب**، ج 1، ص. 420.

[591]- حسن الفكيكي، مادة الخلط، **معلمة المغرب**، ج 11، ص. 3794.

[592]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 271.

[593]- يوجد أسفل حي الكدية قريبا من سوق الدقاقين وسوق الجزارين. المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر »، ص. 72.

أسرة العياشي:

تنتسب هذه الأسرة إلى قبيلة سفيان العربية القادم من منطقة الغرب. نبه منها **أبو عبد الله محمد بن العياشي**[594] **المكناسي**، من أعيان قواد الجيش، لم تشر المصادر التي ترجمة له إلا لمعلومات مقتضبة جدا عن أطوار حياته قبل شهرته، وعلى العموم عرف عنه شغفه بطلب العلم وتميزه في الحفظ والاستظهار من مختلف الفنون، حيث أتقن علم الفقه وسار من جهابذة زمانه لا ينافسه أحد[595].

ذاع صيت المترجم وبلغت أخباره السلطان المولى إسماعيل، فاستدعاه إلى حضرته وأكرم منزلته وجعله من خاصة كتابه الملازمين لخدمته لما علم عنه من ذكاء ونباهة، كما عهد إليه بخطة القضاء وسار يلقب بـ"**قاضي القضاة**"[596].

أفلح ابن العياشي في كسب ثقة السلطان، حيث كان يعتمد على مشورته في القضايا الكبرى ويأخذ بنصيحته، خاصة في فترات الفتن والقلاقل، ولعل أبرز دليل على ذلك هو الدور الكبير الذي لعبه في قضية تكوين جيش عبيد البخاري. فنال مكانة مرموقة داخل مدينه مكناس «**فلا يقدر أحد من القضاة أن يفصل بينهما سوى صاحب الترجمة، خوفا منه، ومن تكلم في ذلك من القضاة عزله ويولي غيره**»[597]. توفي ببلدته سنة 1139هـ/ 1726م.

---

[594]- رجح الاستاذ عبد الهادي التازي أن ابن العياشي له صلة بالمجاهد العياشي المتوفي سنة 1051هـ/ 1641م، فهو عربي من سفيان. عبد الهادي التازي، «القبائل العربية بالمغرب حسب مخطوطة ابن العياشي»، **مجله مجمع اللغة العربية**، العدد 84، 1419هـ/ 1999م، ص. 187. للمزيد من التفاصيل حول المجاهد العياشي راجع: عبد اللطيف الشاذلي، **الحركةالعياشية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1982.

[595]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 35.

[596]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 119.

[597]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 36.

بيت غريط:

به يكتب نسبهم أو غرنيط وبه تنطق الألسن. من البيوتات النابهة بمكناس، المعدود أفرادها من الشعراء والكتاب والأدباء، أصلهم من الأندلس، هاجر إلى المغرب هربا من الإضطهاد الإيبيري، فاستوطنوا مكناسة الزيتون، وكان لهم فيها شهرة واسعة اكتسبوها منذ عهد السلطان المولى إسماعيل الذي خصهم بتقدير خاص واحترام كبير، وما يشهد على ذلك الظهير المؤرخ في جمادى الثانية عام 1126هـ/ يونيو 1714م، ومما جاء فيه بعد الافتتاح «**جددنا بحول الله وقوته (...) لخديمنا الفقيه السيد عبد السلام بن خديمنا السيد عبد الواحد غريط الأندلسي وأولاده السيد محمد العربي والسيد عبد الواحد المدعو الكبير والسيد محمد الطيب ومحمد على التوقير والاحترام والتنزه عن كل مسألة أو تباعة يخاطب بها العوام فقد أسقطنا عنه وعن أولاده جميع المطالب والكلف والوظائف والتبعات جلت أم قلت شملت أم عمت من غير متابع لهم ولا مطالب في قلامة ظفر على الدوام**» [598].

تدرج أفراد هذا البيت في الخدمة المخزنية، إذ تقلبوا في مناصب عديدة من طب وكتابة ووزارة وأدب. من أشهرهم:

- **محمد بن ادريس غريط**: يعتبر عقد بيت آل غريط ومنه تنسل مشاهير أعلامها، ولد ونشأ بمدينة مكناس، حلي بـ «**الفقيه الأجل، النزيه الأفضل، الطبيب الماهر الأشهر، القيم الدين الأنور، الحائز من العلوم أجلها وأعلاها ومن الصنائع أرقاها و أغلاها**»[599]، بدأ حياته التعليمية في وقت مبكر، حفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم النقلية الشرعية عن أبرز شيوخ بلدته، فنبغ في قرض الشعر وعلم الطب حيث كانت له معرفه بخواص النباتات، عظم شأنه وعلا قدره حتى لحظه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام وتفضل باختياره طبيبا خاصا

[598]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 12.

[599]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 2، ص. 55.

به «**له فيه الثقة الكاملة، يعتقده ويعظمه ويقدره، ويأتمنه على حياته، لا يفارق على بابه، يظعن بظعنه ويقيم بإقامته**»[600].

كما عرف المترجم بميله لأهل الصلاح والتصوف، ملازما لخدمتهم، متبركا بمجالستهم، في مقدمتهم الولي العارف بالله عبد القادر العلمي الشهير بسيدي قدور. توفي 1271هـ/ 1855م، وخلف أبناء أبرزهم:

- **محمد بن محمد بن ادريس**: اشتهر بلقب "بوغنبور"، المكناسي النشأة والدار، فقيه علامة وكاتب مقتدر له إلمام بالشعر، نوه به حفيده صاحب فواصل الجمان بقوله «**رجل الوقار والجد، أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه، كاتب حسن الشمائل،ذو رأي لا متاود و لا فائل، وحاله عن العرض الزائل مائل، وخط تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، تبتهج العيون برونقه**»[601].

اجتهد في تحصيل العلم بمسقط رأسه وطمعا في الإستزادة انتقل إلى فاس، فظهرت فطنته ونجابته، استكتب في أول أمره عند الوديني (عامل فاس) في ديوانه، ولما شاع ذكره اختاره السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام من جملة كتابه وخاصة مستشاريه، ثم رقاه إلى منصب الصدر خلفا للوزير العربي بن المختار الجامعي سنة 1269هـ/ 1853م، شغله مدة من الزمن إلى أن طلب إعفاءه مبررا ذلك بأنها خطة «**محك القول ومحط الأهواء وهدف سهام الوشاة والأعداء وصاحبه على غرر**»[602]. مقترحا على السلطان تعيين محمد الصفار بدلا عنه وكذلك كان.

---

[600]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 285.

[601]- محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء**، ص. 63.

[602]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 293.

ومع ذلك احتفظ بمكانته كرجل محظي عند السلطان إلى أن توفي سنة 1280هـ/ 1863- 1864م، لكن سرعان ما صدق قوله، حيث تعرض لتحرشات من قبل عبيد البخاري بمكناس، ففكر في الهجرة إلى فاس وفي هذا الصدد أنشأ بيتا جاء فيه:

وعار على الحر المقام ببلدة يكون بها نذل العبيد شريفا[603]

خلف المترجم ثلاثة أبناء محمد ومحمد المفضل ومحمد المهدي.

- **محمد**: فقيه وعالم مشارك وأستاذ مبرز، انتفع به خلق كثير لاتساع معارفه وسلاسة أسلوبه، كان يمتلك قدره هائلة على الكتابة نظما ونثرا، وذلك ما أكده ابن أخيه صاحب فواصل الجمان بقوله «**أديب نافذ البراعة، نافق البضاعة، شاعر مليح المساجلة، رجيح المجاملة ذو خط كالدرر المنظومة، والدبر المرموقة**»[604] اختاره السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان لتولي خطة الكتابة عند وزيره محمد الصفار، ومن بعده السلطان المولى الحسن لدى حاجبه موسى بن أحمد ووزيره محمد الجامعي[605].
- **محمد المفضل**: يدعى "السي فضول"، عالم فاضل وأديب شاعر، كان آية في الدهاء، خبير في الدسائس، مستبد بالسلطة، التحق منذ صغره بالمخزن، حيث تدرج في المناصب، اشتغل أول مرة مساعدا لولي عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان المولى الحسن، فأبان عن كياسة وحسن التدبير زادت من سمو مكانته، و لما أصبح سلطانا رفعه إلى مرتبة الوزير المكلف بشؤون البحر[606]، فصارت له وجاهة عظيمة، وهو ما نلمسه من الأدوار المتعددة التي أسهم بها طيلة توليه المنصب، وكذلك من شهادة كابرييل الذي جاء في بعثة سفارية فرنسية إلى السلطان المولى الحسن سنة 1885م إذ قال: «**فبمجرد ما نراه يتقدم بتكتم خلف الوزير الأعظم،**

---

[603]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 298.

[604]- محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء**، ص. 163.

[605]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 268.

[606]- الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 2، ص. 55.

أدركنا فيه أنه رجل أفضل من كل الذين رأيناهم في المغرب. هذا الإنطباع الأولي لم يكن كاذبا» [607].

- غير أنه بوفاة السلطان سيتعرض لمحن بسبب الصراع الشديد بين أسرتي آل موسى وآل الجامعي حول السلطة، لكن سرعان ما استرد نفوذه، بعد انتهاء ذلك الصراع بوفاة باحماد سنة 1900م، إذ عهد إليه منصب الصدارة العظمى.
- **الطيب بن عبد الرحيم**: فقيه من أعيان الحضرة المكناسية، ولاه السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان خطة النظارة على الأحباس 1857م، وجعل له النظر في أمور الحسبة، فقام بها على أكمل وجه، وبعد تولي المولى الحسن الحكم أقره في منصب المحتسب، وهو من المناصب الرفيعة التي توصل صاحبها إلى أعلى المراتب، حيث حظي بشهرة واسعة ووجاهة كبيرة داخل المجتمع المكناسي، عكستها حضوره ضمن جملة المبايعين للسلطان المذكور سنة 1290هـ/ 1873م[608].

بيت الغساني:

بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون وياء النسبة.

أسرة أندلسية الأصل وهي قبيلة كبيرة من الأزد، لقبوا بالغساني نسبة إلى غسان باليمن[609]، انتقلت إلى المغرب منذ زمن بعيد، تنحدر من الجد أبي القاسم الغساني الملقب بالوزير، لأنه تقلد خطة الوزارة أيام السلطان المولى أحمد المنصور الذهبي السعدي، وصفه ابن القاضي بالأديب الناظم، الناثر المشارك المتفنن[610].

---

[607] - Gabriel CHARMES, **Une Ambassade au Maroc** , Calmann Lévy, Editeur, Paris, 1887, p.170.

[608]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص. 24.

[609]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 60.

[610]- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1391هـ/ 1971م، المجلد الثالث، ص. 285.

استوطن أفراد هذه الأسرة مدينة فاس ومنها انتقل بعضهم إلى مدينة مكناس، وبرز منهم محمد بن يحي الغساني الذي كان من وجوه المدينة وأعيانها، اشتهر بعلمه الواسع وإتقانه لعلوم الفقه واللغة والطب، حلاه تلميذه ابن غازي بقوله «**الأستاذ المقرئ الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا** (...) **ذو التصانيف الحسبان والقصائد العجيبة**» [611]. أنجب ابنا ورث منه صفاته هو محمد، كان يتحلى بالذكاء والفطنة والتضلع في العلوم. أما خلال فترة دراستنا؛ فقد نبه من أسرة الغساني:

- **محمد بن عبد الوهاب الوزير**: حلاه القادري بقوله «**الفقيه المشارك المتقن الدراك المتقن الأرفع**»[612]. نشأ في حجر والده الفقيه المدرس التمكن والعدل المبرز[613]. حيث حصل علوما كثيرة حتى أضحى متبحرا ذائع الصيت، علم بأخباره السلطان المولى إسماعيل فقربه إليه واستكتبه بقصره.

زادت هذه التولية من مكانة المترجم عند السلطان لما أظهره من كفاءة عالية وقدرة عجيبة على الإنشاء والترسيل، فقد كان يتفنن في انتقاء الكلمات المناسبة للغرض المرجو مع الحرص على جمال الصياغة ودقة التعبير وسرعه الكتابة.

ظلت منزلة محمد في تصاعد مستمر حتى أصبح السلطان يعتمد عليه في معالجة بعض القضايا منها إرساله في رحلة سفارية إلى اسبانيا لملاقاة ملكها دون كارلوس سنة 1102هـ/ 1690م، حاملا معه رسالة هامة حول قضية الأسرى المسلمين وتخليص مكتبة السلطان المولى اليزيد التي استولى عليها القراصنة الإسبان في عهد فيليب الثالث سنة 1021هـ/ 1612م[614].

---

[611]- ابن غازي، **الروض الهتون**، ص. 114.

[612]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 173.

[613]- فقيه علامة ومدرس نفاعة عدل مبرز تعاطى لتدريس القرآن الكريم وتلقين قواعده، توفي سنة 1071هـ/ 1661م، الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، ص. 174.

[614]- التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، المجلد التاسع، ص. 108- 109.

وبهذه المناسبة ألف رحلة سماها "**رحلة الوزير في افتكاك الاسير**"[615]. كما تم اختياره ضمن السفارة التي بعثها السلطان إلى الجزائر سنة 1103هـ/ 1693م لعقد هدنة مع الأتراك وترسيم الحدود[616].

لقد اكتسب محمد الغساني جاها عظيما وقدرا رفيعا لدى العامة والخاصة بحكم الأدوار العديدة والحساسة التي نهض بها. توفي سنة 1119هـ/ 1707م.

- **أحمد بن عبد الوهاب**: فقيه صوفي وأديب مشهور وبرع في صناعة الإنشاء والترسيل[617]، كان من ذوي النفوذ الديني والاجتماعي، حيث اشتهر بتضلعه في علوم الحديث والفقه والأدب والتاريخ والطرق الصوفية. خلف إنتاجا مهما أغلبه في التصوف. توفي سنة 1146هـ/ 1733م ودفن بفاس.

بيت الفشار:

ينحدر هذا البيت من قبيلة سفيان العربية التي دخلت المغرب زمن الحكم الموحدي حوالي 584هـ/ 1188م، استوطن أفرادها أولا أحواز أسفي ثم انتقلوا في مرحلة موالية إلى الغرب[618]، انخرط بعضهم في أجهزة الدولة السعدية على عهد أحمد المنصور الذهبي. غير أن إشعاعهم اقترن بفترة حكم السلطان المولى إسماعيل، حيث تزوج من السيدة حليمة السفيانية وأصبح ابنها المولى زيدان تربطه مع القبيلة نسب الخؤولة[619].

قدم بيت الفشار العديد من الأعلام اشتهروا في مدينة مكناس بالخدمة المخزنية، أبرزهم:

---

[615]- حررها وقدم لها نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

[616]- محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075- 1311هـ/ 1664- 1894م)**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977م، ص. 156.

[617]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 364.

[618]- ابن منصور، **قبائل المغرب**، ج 1، ص. 420.

[619]- محمد بن العياشي المكناسي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**، تحقيق ودراسة أحمد قدور، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 19

- **بوعزة بن العربي الفشار**: مكناسي النشأة والدار والقرار والإقبار، فقيه كبير حافظ شهير وأستاذ ميقاتي، كان من أهل الخير والورع والزهد[620]، كانت له شهرة واسعة داخل المجتمع المكناسي زاد من تكريسها قربه من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، الذي أحاطه بعناية خاصة حتى صار لايعتمد إلا عليه في دقائق الأمور وعظيمها، فقلده مسؤوليات عديدة منها: كبير أمناء جيش عبيد البخاري المكلف بالإنفاق عليه سواء من خلال تسديد رواتب جنوده أو تلبية احتياجاته، فقام بها أحسن قيام، جعلت منزلته تسمو أكثر، ليتم ترقيته إلى أمين القصر السلطاني بمكناس[621].

إن نجاح بوعزة في المهام المسندة إليه جعله يحظى بثقة السلطان، حيث عينه وصيا على أبنائه والمشرف على تأديبهم وتهذيبهم، فتبوأ مكانة رفيعة وتمتع بوجاهة عظيمة، خاصة وأنه عاصر ثلاثة سلاطين: المولى عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد وحفيده المولى الحسن، لدرجة أصبح كل أمناء صائر القصر «**يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، مفوضا إليه في تنفيذ كل ما يحدث من زيادة أو نقص في المؤن والرواتب الشهرية بالدار السلطانية بالحضرة المكناسية**»[622]. توفي عام 1300هـ/ 1882م، ودفن بجامع الأقواس المعروف اليوم بالزاوية الدرقاوية. خلف ولدين ورثا مكانته هما:

- **محمد**: اشتهر بنزاهته وحزمه وورعه، حل محل والده في منصب أمين العتبة الشريفة على عهد السلطان المولى الحسن، حيث أصدر ظهيرا بتاريخ 4 ذي القعدة عام 1301هـ/ 25 غشت 1884م قلده بموجبه أمانة قصري المدرسة والمحنشة بمكناس، والشاهد فيه «**أقررنا –بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته– حامله وصيفنا الأرضى، الطالب، محمد بن بوعزة الفشار، على ما كان مكلفا به والده –رحمه الله– من أمور جانبنا العالي بالله بهذه**

---

[620]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 98.

[621]– ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 1، ص. 280.

[622]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 98.

الحضرة المكناسية صانها الله: من كل ما يحدث بالمدرسة والمحنشة حرسهما الله بعزه وعنايته، وألبسهما رداء نصره وهيبته (...) » [623]. كما عهد إليه بدفع مرتبات العلماء و توزيع صلتهم السنوية[624].

- **عبد السلام**: عرف بسمو أخلاقه وشدة ذكائه، تقلد وظيفة أمانة القصر بمكناس بعد وفاة أخيه، فأبان عن حسن تدبيره ودقة عمله، ساعدت على بروزه كأحد الأعيان الذين لهم حضور قوي ومؤثر، حتى صار من «**أكابر رجال المخزن**» [625].

أسرة الفلالي:

ترجع أصول هذه الأسرة إلى منطقة تافيلالت، نجهل تاريخ قدومها لمدينة مكناس، اشتهر منهم أبي زيد عبد الرحمان الفلالي، احتل مركزا مرموقا داخل الجهاز المخزني الاسماعيلي، ذكرته بعض المصادر بأوصاف منها: "**الوزير**" و "**الكاتب الأعظم**"[626]، تمتع بسلطة ونفوذ كبيرين داخل المجتمع المكناسي، لكنه استغلاهما بشكل سيئ، إذ اشتهر باستبداده وتعسفه وجوره وخيانته للأمانة، الأمر الذي دفع السلطان المولى إسماعيل إلى إعفائه من مناصبه، بل ومعاقبته بعقوبة مشددة هي الإعدام الذي نفذ فيه سنة 1089هـ/ 1678م[627].

أسرة الفلوسي:

أسرة استقرت بمدينة مكناس منذ فترة طويلة، قدمت من جبل زرهون، لم نقف على تاريخ قدوم أفرادها. برز منهم السيد المفضل بن أحمد الفلوسي مكناسي النشأة والدار والمقام، نوه به ابن زيدان بقوله «**فقيه عالم، أصبح علمه واضح المشاعر والمعالم، خاتمة المحققين، وأوحد**

---

[623]- المنوني، «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر ، ص. 83- 84.

[624]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 165.

[625]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج 2، ص. 479.

[626]- الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله**، ص. 165.

[627]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 61.

النقاد المحررين المدققين(...) وكان من العدول المبرزين والقادات المميزين »[628]. تقلد خطة الإشهاد بالأحباس حوالي سنة 1151 هـ و1152هـ/ 1738م و1739م، كما كان المشرف العام على الكتب المخزنية في الجامع الكبير بمسقط رأسه. اشتهر بالوجاهة العظيمة والدرجة الرفيعة، إذ كان من الشخصيات الملحوظة بعناية خاصة من لدن السلاطين المولى إسماعيل وابنه المولى عبد الله وحفيده سيدي محمد.

بيت القيسي:

أسرة أندلسية تنتمي إلى أولاد سيدي عبد الله القيسي الأندلسي[629]، حل بعض أفرادها بمدينة مكناس عبر فترات متلاحقة، اشتهر منهم:

محمد بن محمد الكاتب: ولد في بيت علم ودين ورئاسة ونباهة، كان والده فقيها صالحا متصدرا للتعليم والإرشاد وتقديم النصائح، الأمر الذي ساعده على تكوين شخصيته وصقل موهبته، لحظه السلطان المولى اسماعيل بعين الرضا والقبول، فقلده خطة النظارة العامة على الأحباس والأمانة الكاملة على داره و بناءاته السلطانية، وهذا مقتطف من نص ظهير تعيينه « **فوقف أمله السلطاني على من هو عنصره من ذوي الأمانة** (...) **أبي عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب الأندلسي نجارا الفاسي نشأة ودارا المكناسي موطنا وقرارا، من ذرية الولي الشهير سيدي عبد االله القيسي الأندلسي، فقلده النظر العام المطلق الشامل التام فيه وفي سائر أوقافه على اختلاف أنواعها، وفي جميع أوقاف مساجدها** (...) »[630].

---

[628]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 368.

[629]- قيس قبيلة عربية ذائعة الصيت، هاجر بعض أفرادها من المشرق واستقروا في بلاد الأندلس، نالوا الوجاهة والشهرة أينما حلوا وارتحلوا، فتقلدوا خططا سامية صانت وجاهتهم، نزحوا إلى المغرب بعد اندلاع حروب الاسترداد وسقوط الأندلس، فانتشروا في مدنه مثل مكناس وفاس وتطوان.

[630]- **حوالة الأحباس الكبرى**، رقم 5، ص. 28- 31.

تمتع المترجم بمكانة رفيعة داخل المجتمع المكناسي، إذ كان أول ناظر للأحباس بالمغرب مكرما عند السلطان مقربا لديه يعتمد عليه في المهمات العظام ويكلفه بأدوار جسام، تلك المنزلة نستشفها من خلال بعض الوثائق الحبسية، حيث وصف بـ "الناظر الأفلح، الأمين الوجيه، الأشهر الأنجح، الفقيه النزيه، الأريب النبيه، الفقيه النبيه، – الناظر الأشهر الفاضل الأظهر(...)[631].

بيت بن مبارك:

من الأسر المخزنية الشهيرة التي ذاع صيتها خلال القرنين 18 و19م، خاصة منذ عهد السلطان المولى سليمان. ينتمي أفراد هذه الأسرة إلى جيش عبيد البخاري، نجحوا في تسلق هرم السلطة المخزنية، والفضل يرجع إلى جدهم الأول "مبارك" حيث كان هو وأبناؤه ممالك لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي قدمه لإبنه المولى سليمان[632].

إن نشأة أفراد هذه الأسرة في كنف المخزن كان أهم عامل ساهم في إشعاعهم وبروز مكانتهم داخل المجتمع المكناسي خاصة والمجتمع المغربي عامة، ذلك أنه بعد تولي المولى سليمان الحكم سطع نجم الأسرة؛ ومنذئذ توارث أبنائها العديد من المناصب الكبرى، ولم «**يزل كعبهم في صعود، وجدهم في سعود، حتى استولوا على أنفس الوظائف، واحتووا على أشرف الذخائر واللطائف وصوبت إليهم عيون الأعيان، وصار ذكرهم سمو المجالس وحديث الركبان**»[633].

وأول من اشتهر من هذا البيت:

- **أحمد بن مبارك**: يعتبر أهم شخصية ساهمت في بروز أسرته، اتصف بالصلاح والزهد والفضل والعدل والنزاهة[634]، كان «**أوحد زمانه صدقا وأمانة ونصحا وإخلاصا لمخدومه، مع متانة**

---

[631]– **حوالة الأحباس الكبرى**، رقم 5، ص. 151.

[632]– السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 2، ص. 404.

[633]– غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، ص. 90.

[634]– الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 307.

دين ولين جانب»[635]. نشأ في كفالة السلطان المولى سليمان ورعايته، فتطبع بطباعه وتحلى بأخلاقه وتأدب بأدبه، ساهمت هذه البيئة في تكوين شخصيته وصقل موهبته أهلته لاحتلال منزلة سامية ودرجة رفيعة، وهكذا بعد تسلم السلطان الحكم مباشرة عينه حاجبا وزيرا له، وهما منصبان شغلهما مدة طويلة ناهزت ثلاثين سنة، الأمر الذي إنعكس على وضعه الإجتماعي داخل المجتمع المكناسي حتى صار يدعى الوزير الأكبر والحاجب الأشهر.

تمتع أحمد بن مبارك بصفات خاصة جعلته من وجهاء مدينة مكناس، وخاصته، فباستقراء المصادر التي ترجمت له يمكن القول بأن هذا الرجل امتلك مؤهلات كثيرة أسهمت في سمو قدره وعلو شأنه، نجملها فيما يلي:

- ✓ الكياسة وحسن التدبير: كان السلطان يعتمد عليه اعتمادا كليا في تسيير شؤون دولته، ويسند إليه القيام بمهام عظيمة، حتى أصبح يوصف بأنه هو السلطان في حقيقة الحال[636].
- ✓ التواضع وخفض الجناح للفقراء والمحتاجين: وفي هذا الإطار يقول ابن زيدان «**وأما مباشرته للناس وملاقاة الضعفاء وذوي الحاجات والضرورات فكان أرحم وأرفق بهم من الوالدة بولدها، ولا يخاطبهم إلا بالسيادة والتبجيل، وأما أن يقهر أحدا أو يسبه فإنه في البعد الأبعد عن ذلك»**[637].
- ✓ الورع والزهد: فعلى الرغم من وجاهة الرجل واتساع نفوذه لم يغره ذلك ولم يجعله من أصحاب الأطماع الذين يستغلون مناصبهم في تكديس الثروات والتعسف على الخلق، بدليل أنه لما مات لم يترك خلفه لا مالا ولا عقارا سوى لباسه الذي كان يلبسه، بل حتى عندما أرادوا تجهيزه للدفن لم يجدوا ما يجهزونه به إلا من مال السلطان المولى سليمان[638].

---

[635]- ابن زيدان، **إتحاف إعلام الناس**، ج 1، ص. 424.

[636]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 2، ص. 404.

[637]- ابن زيدان، **إتحاف إعلام الناس**، ج 1، ص. 425.

[638]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، 274.

إن جلال القدر الذي حصله ابن مبارك، لم تكن تتناسب وبعض السلوكات المشينة التي كان يمارسها بعض أفراد الجيش السلطاني، حيث إستشرى فيهم الفساد والتعسف، فدبروا مؤامرة لإغتياله، وقد نجحوا في ذلك سنة 1235هـ/ 1820م، وبموته تهدم جانب من ملك السلطان[639]. خلف احمد ولدان نبه منهما المدعو:

- **موسى**: الوجيه الأوحد الفقيه الوزير درة الصدق وروضة السرور[640]، اشتهر بتدينه وعفته وأمانته وحزمه، وهي صفات ورثها عن والده ومن كثرة مصاحبته وقربه من السلطان محمد بن عبد الرحمان، فولاه خطة الوزارة التي قام بأعبائها أحسن قيام، وقد أقره خليفته من بعده المولى الحسن في منصبه، على اعتبار أنه من أهل الدار، ولما أبان عليه من شدة ذكاءه وحسن تقديره للأمور، إذ كان هو من رتب ظروف بيعته «**فشكره وأكد رعيه، وبالغ في إكرامه ونبه على تعظيمه واحترامه**»[641].

اضطلع موسى بمسؤوليات كبيرة ولعب أدورا مهمة في تدبير شؤون الحكم حتى وصف بأنه «**نظام ملك الدولة المحمدية والحسنية، وقطب الفرائد العلمية، ومحط رحال الحوائج الملكية** (...) **شيد الملك العلوي بتدبير كبير حماطة جلجلانه، وقلد جيد الملك قلائد عقيانه وعقود جمانه**»[642]، ومن عظيم منزلته أنه لما توفي سنة 1296هـ/ 1879م شيع السلطان جنازته شخصيا. خلف موسى خمسة أبناء برز منهم أحمد بن موسى.

- **المختار بن عبد الله**: حفيدالوزير أحمد بن مبارك من جهة ابنه عبد الله، حلاه ابن زيدان بقوله «**عالم علامة فاضل نحرير، مشارك بشوش، كريم الأخلاق، وحسن السمت والبزة، كثير الصمت** (...) **ناقد بصير سياسي ماهر**»[643]، تربى في بيت تمرس أفراد على السياسة

---

[639]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 307.

[640]- ابن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية**، ص. 39.

[641]- نفسه، ص. 41.

[642]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 7، ص. 306.

[643]- ابن زيدان، **إتحاف إعلام الناس**، ج 4، ص. 356.

والتدبير، عهد إليه السلطان المولى الحسن خطة الوزارة مع ابنه مولاي عمر، فأظهر قدراته ومؤهلاته رفعت مكانته، ليرقيه إلى منصب الصدر الاعظم بعد وفاة ابن عمه باحماد، ثم ما لبث أن واجهته محن كثيرة خاصة عندما كان بمراكش، فكانت النتيجة عزله من منصبه، وبعد هذا فقد جاهه ونفوذه وأصبح عرضة للإنتقام والمهانة، تجلت عندما قرر العودة إلى بلدته مكناس تعرض في طريقه للسرقة ولم يبق معه ما يستر به عورته[644]، خاصة في ظل اشتداد هجمات البرابرة بداية الحكم الحفيظي، فدخل مسقط رأسه وظل فيه إلى أن توفي سنة 1335هـ/ 1917م ودفن بالزاوية الكنتية[645].

أسرة مرجان:

غاب عنا كل شيء يتعلق بجذور هذه الأسرة وتاريخ نزوح أفرادها إلى مدينة مكناس، ولم نتمكن من التعرف إلا على علم حمل اسم مرجان الكبير، كان من وجهاء جيش عبيد البخاري وكبار أعيانه[646] المقربين من السلطان المولى إسماعيل وخاصة مستشاريه وأحد أعمدة دولته، اشتهر بنباهته وفطنته وانضباطه وصدقه وأمانته، هذه الصفات خولته مكانة عالية داخل المجتمع المكناسي، عكستها الخطط والمسؤوليات التي أوكلت إليه، فهو الحاجب الأمين على بيوت المال والخزائن السلطانية[647] والمكلف بتوزيع الصلات الجارية في المناسبات، كما تجلى علو شأنه وقوة نفوذه أنه لما قتل «**اختل النظام وضربت الفوضى والاستبداد الأطناب، ووقع من العامة استخفاف عظيم بأمر المملكة، واشتد النهب في الطرقات وأغلقت المسالك**»[648].

---

[644]- ابن زيدان، **إتحاف إعلام الناس**، ج 4، ص. 357.

[645]- ابن العياشي سكيرج، **غاية المقصود**، ص. 92.

[646]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 109.

[647]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 261.

[648]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 318.

مساهل:

برز مساهل بن مسرور الدكالي كأحد كبار ضباط جيش عبيد البخاري[649]، كان له نفوذ كبير في عهد السلطان المولى أحمد الذهبي، حيث ساهم بشكل رئيسي في الأحداث التي عرفها المغرب عامة ومدينة مكناس خاصة عقب وفاه السلطان المولى اسماعيل، مستفيدا من انتمائه العسكرى ودهائه السياسي، قال عنه بيلو أن في اليوم الذي توفي السلطان قام بتقديم مفاتيح مدينة مكناس إلى مولاي أحمد الذهبي[650]

هذه السلطة اختفت بمجرد بيعه المولى عبد الله اذ تعرض للقتل في فاتح محرم من عام 1149هـ/ 1736م.

بيت اليحمدي:

بفتح الميم لا بكسرها كما هو شائع. ينسب هذا البيت إلى قبيلة بني يحمد وهي قبيله معروفة قرب جبال غمارة شمال المغرب[651]. أبرز علم اشتهر من هذا البيت بمدينة مكناس هو:

- **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد اليحمدي:** طغى اسم جده "أحمد" على اسمه الأصلي "محمد"، والسبب هو أن المولى اسماعيل كان يناديه بإسم جده، حتى صار لا يعرف إلا به إيثار لما فعله السلطان[652]. ولد سنة 1060هـ/ 1650، نشأ في بلدته بني يحمد تحت رعاية والده الفقيه الحسن، حبه لطلب العلم وتحصيله جعله يشد رحاله صوب مدينة فاس، فأقام بها مدة وأخذ عن جماعة من مشايخها الجلة كالإمام أبي المحاسن عبد القادر الفاسي وأبي العباس أحمد بن حمدان وغيرهما، عرف بذكائه وفطنته وسرعة حفظه وشدة

[649]– القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 320.

[650] - Morsy MAGALI, **La Relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au XVIIIe siècle**, Éd. Recherche sur les civilisations, Paris, 1983, p. 139.

[651]– تابعة حاليا لإقليم شفشاون، تجاورها قبائل بني مسارة وبني زروال وغزاوة.

[652]– علي بن أحمد مصباح الزرويلي، ***سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي***، تحقيق ودراسة فدوى أهليعش، أطروحة دكتوراه في الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، السنة الجامعية 2011– 2012م، ص. 138.

حذقه، علا شأنه إذ أصبح عالما متبحرا في علوم الفقه والأصول واللغة بارعا في الإنشاء والترسيل.بعض المصادر بالفقيه الكاتب الجليل من أهلل الفضل والوقار والأمانة.

أدرك اليحمدي من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يدركه إلا الجهابذة الأعلام، اتصل خبره بالسلطان المولى إسماعيل الذي أعجب بشخصيته وسعة اطلاعه وفصاحة لسانه وأناقة أسلوبه، فولاه خطتي الصدارة والكتابة معا، ومن ثم صار «**الوزير الأكبر، والرئيس الأعظم، المقدم الباسط يد الأمر على سائر الكتاب، العزيز القدر، المنيع الجناب**»[653].

لقد كان للمترجم حظية كبرى عند السلطان، يعتمد عليه في المهمات الصعاب ويأخذ بمشورته في الأمور العظام، وما يشهد على سمو مكانته أنه بقي وزيرا لمدة تزيد عن أربعين سنة، وأن السلطان استشاره في أخطر قضية والمتعلقة باختيار ولي العهد، إضافة إلى تكليفه بتدوين الخطابات السلطانية الموجهة للأعيان، ثم تعيينه أمينا على خزانته الغنية بالتصانيف والكتب[654].

إن المنزلة الرفيعة التي نالها الوزير استمرت حتى بعد وفاة السلطان، حيث ظل محل تقدير وتبجيل من طرف أبنائه من بعده، وهو ما ظهر في ثناء المولى محمد بن إسماعيل عليه بقوله «**حيا الله تعالى بمنه مقام ركن الدولة الإسماعيلية وسميرها، ومنتقى هاتيك الحضرة السامية ووزيرها، مطلع أنوارها، ومعدن أسرارها. فوالله ما اجتبى لتلك المثابة العالية العلوية حتى كان لها أهلا** (...) » [655]. توفي في حدود 1132هـ/ 1720م، أنجب أبناء ورثوا مجده وقدره من أشهرهم:

---

[653]- مصباح الزرويلي، ***سنا المهتدي* إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي**، ص. 133.

[654]- نفسه، ص. 136.

[655]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 99.

- **أبو علي الحسن**: وصفه القادري بالفقيه الأديب اللبيب الأريب[656]، تولى خطة الكتابة أيام السلطان المولى عبد الله، حيث كان يكلفه بالمكاتبات نظرا لحسن خطه وبراعة أسلوبه وسرعة إجابته.
- **أبو عبد الله محمد**: كاتب أديب له نظم كثير، كان قيما على الخزانة المولوية مدة ستة وأربعين سنة، عرف بغزارة تآليفه[657]، هو الذي انتسخ كناشة والده بأمر من السلطان المولى عبد الله المعروفة بكناشة اليحمدي والمعنونة ب "مدد التأييد في ترتيب المحفوظات والتقاييد".

أسرة يشو:

لم نقف عن أصول هذه الأسرة بسبب شح الأخبار المتعلقة بها، وما علمناه أنها كانت تستقر في أزمور، لذلك حمل أفرادها لقب الزموري نسبة إلى محل إقامتهم. نبه من هذه الأسرة بمدينة مكناس علي بن يشو الذي كان من أعيان قواد المخزن وكبار خدام السلطان المولى إسماعيل[658]، شغل منصب قائد أهل الديوان ورئيس العمال[659].

نشأ وتربى تربية مخزنية تحت إشراف والده الذي كان من وجهاء الدولة الاسماعيلية وأشهر قادة جيشها المجربين والمنضبطين[660]، فلا غرابة إذا وجدنا المترجم يحظي بمنزلة رفيعة داخل المجتمع المكناسي، دلت عليها المهام المسندة إليه والأدوار التي قام بها سواء فيما يتعلق بالحفاظ على الأمن في عاصمة الدولة وخارجها، أو من خلال رعايته للأملاك الحبسية وتدبير شؤونها. اشتهر بجديته وحزمه وتفانيه في عمله، وما يبرهن على مكانة الرجل أنه وبمجرد وفاته سنة 1139هـ/ 1727م عمت الفوضى والاضطرابات المناطق التي كان مشرفا عليها.

656- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 100.

657- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 6، ص. 62.

658- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 109.

659- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 255.

660- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 79.

أنجب هذا القائد ابنا سماه محمد، ورث صفات أبيه الذي أحسن تربيته إذ كان يتصف بالخلق الحسن والسمت والوقار والكياسة[661]، فتبوأ مكانة مرموقة داخل الجهاز المخزني، حيث عينه السلطان المولى عبد الله عاملا على مدينة فاس.

بيت يعيش:

أسرة مكناسية وجيهة تعود أصولها إلى الجنوب المغربي وبالضبط الساقية الحمراء حيث كان يستقر جدهم الأول سيدي يعيش ومنها نزح إلى منطقة الغرب خلال القرن 11/17م، وبحكم إهتمامه بالعلم ونشره قام بتأسيس رباط سماه "رباط أولاد يعيش"[662]، ضم في المرحلة الأولى أتباعه المخلصين ثم سرعان ما أصبح قطبا جذابا لأبناء القبائل المحيطة به، ومن هنا بدأ صيت هذه الأسرة يذيع، حتى بلغت شأنا كبيرا. وفي مرحلة موالية ارتبط اسم بعض أفرادها بالمخزن العلوي والفضل يعود إلى عيسى بن عبد القادر بن محمد بن عبد الصادق بن علال بن يعيش؛ حيث عينه السلطان المولى سليمان قائدا لرحى الجيش فاستقر بمكناس[663]، وبحكم وظيفته فقد شارك في كل الحركات التي استهدفت عودة الأمن والإستقرار إلى مناطق المغرب، إذ أبلى بلاءا حسنا ساهم في تزايد حظوته لدى السلطان،و التي أورثها لعقبه، إلى أن أصبح أفراد هذا البيت من الخدام النبهاء الذين تقلبوا في وظائف مخزنية مهمة، من أشهرهم:

- **محمد بن يعيش**: أحد أبناء عيسى اشتهر بالكفاءة والحزم والفطنة، تربى تربية مخزنية ولما شب أسند إليه المولى محمد بن عبد الرحمان قيادة مشوره بمكناس[664] محل القائد الجيلاني بن حم، وهو المنصب الذي احتفظ به بعد تولية المولى الحسن السلطة.

---

[661]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 464.

[662]- عبد القادر بوراس، مادة يعيش، **معلمة المغرب**، ج 22، ص. 7672.

[663]- الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 43.

[664]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 657.

تمتع بهبة كبيرة ومنزلة رفيعة تجلت في حضوره مراسيم بيعة السلطان المذكور ضمن القواد الكبار المبايعين، حيث ورد اسمه بعبارة "**الخليفة القائد الحاج بن يعيش البخاري**"[665]. ومن تمام البر به أنه بعد وفاته عام 1296هـ/ 1879م حرص السلطان على تنفيذ وصيته المتعلقة برغبته أن يدفن بضريح عمر الحصيني.

- **إدريس**: خلف أباه في منصب قائد المشور[666]، تدرب منذ صغره على الخدمة المخزنية وصقل مواهبه إلى أن أصبح متمرسا مجربا، وهي الصفات التي شجعت السلطان المولى عبد العزيز يثق في تعيينه عاملا على مدينة وجدة عام 1895م نظرا لما كانت تتعرض له الحدود الشرقيه للمغرب من تهديدات فرنسية، فاضطلع بهذه المهمة على أتم وجه في بداية الأمر قبل أن يتعرض للخيانة من قبائل بني يزناسن، وكانت النتيجة عزله من منصبه. توفي 1326هـ/1908م.

مدح بأبيات جاء فيها:

جَرَى ابْن يَعِيش فِي سَمَاء سُعُـــــودِه وَأْوَرى بُرُوقًا فِي سَحَاب رُعُودِه
وَشَيَّدّ فَخْرًا شَامِخًا مُتَصَاعِـــــــدًا بِأُفُق المَعَالِي سَامِكًا لعمُـــــودِه
وَحَالَف خل الصِّدْقُ وَالوَعْدُ وَالوَفَــا فَعُدَّ وَفِيًّا مُنْجِزًا لوُعُـــــــــودِه

ثم:

تَحَفّى أَمِير المُومِنِين بِشَأْنِـــــــه وَوَلَّاهُ عرض جَيْشِه وَجُنُـــــودِه
فَقَامَ بِأَمْر المَالِك السَّعِيد وَاعتَـنَى بِمَا حده لَمْ يَتْنَقِل عَن حُـدِودِه
وَحَاوَلَ تَنْفِيذ الأَوَامِر جُهْـــــــدَه يُنَاوِل قُرْبًا حِائِدًا عَنْ صُـــدُور

---

[665]- م.و.م.م ، رقم 305. **تقييد من حضر بيعة السلطان مولاي الحسن ووافق عليها بتاريخ 18 رجب الفرد عام 1290هـ/ 10 شتنبر 1873م.**

[666]- حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج 8، ص. 2854.

المبحث الرابع: الأسر التجارية:

بيت بناني:

بفتح الباء وتشديد النون. أسرة فاسية الأصل تنسب إلى بني بنان وهي قرية بافريقية قرب باجة[667]، دخلوا المغرب أوائل القرن 3 هـ/ 9م، واستوطنوا مدينة فاس باعتبار حاضرة المغرب وعاصمة الدولة الإدريسية آنذاك، وبالقدر الذي شهدت فيه المدينة تطورا عبر تاريخها في مختلف الميادين، عرفت هذه الأسرة تجذرا داخل المجتمع الفاسي، وأصبحت من العائلات المتكررة في عدد أجيالها، فإذا كان جيلها الأول إهتم بالعلم والدين إنسجاما مع الوظيفة الأولى للمدينة، فإن إشعاع المدينة التجارية خاصة في العصر المريني جذب أنظار أجيالها التالية للإنفتاح على ممارسة النشاط التجاري، حيث استطاعوا تكوين ثروات كبيرة بوأتهم مكانة كبيرة لدى الخاصة والعامة. شجعتهم على الإنتشار في مختلف مناطق البلاد منذ العهد الإسماعيلي[668]، وهكذا انتقل بعضهم إلى مدينة مكناس وكان أول من وفد منهم هو الحاج عبد الرحمان بن محمد بناني في أواسط القرن 13 هـ/19م[669]. وسرعان ما نجح بمساعدة أبنائه الثلاثة عبد الكريم ومحمد فتحا ومحمد ضما من البروز داخل مجتمعه الجديد، بفضل اشغالهم بالتجارة ، فصاروا يتمتعون بمكانة سامية ودرجة عالية، خولتهم تقلد مناصب مخزنية مهمة أورثوها لأعقابهم، فكان السعيدي بن محمد فتحا هو

---

[667]- المنصور، مادة بناني، **معلمة المغرب**، ج 5 ص. 1473.

[668]- نشير أن هذا الإنتشار لم يقتصر على مناطق المغرب بل تعداها إلى الخارج فمثلا في مصر اشتهر منهم الحاج العربي بن محمد بناني وابن عمه عبد القادر بن عبد القادر بناني ومحمد بن عبد الواحد بن عبد الخالق بناني ابتداء من 1124هـ/ 1712م، تعاطوا للتجارة واكتسبوا شهرة فائقة، جعلت الجبرتي يصفهم بأنهم من « **أعيان التجار والثروة بمصر**». عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، الجزء الأول، ص. 588. ولمزيد من التفاصيل حول أسرة بناني بمصر راجع: سليم رجب، «البيوتات التجارية الفاسية في مصر 1700- 1800م»،**جامعة عمر المختار، كلية الآداب– قسم التاريخ**، 2011- 2012م، ص. 109 -110- 111.

[669]- المنوني، مادة البنانيون، **معلمة المغرب**، ج 5، ص. 1485.

المكلف بصنع القبب والخزاين الطراحيات التي يحتاجها المخزن في عهد المولى الحسن[670]. في حين تولى الطالب بن محمد ضما خطة الحسبة بمكناس في عهد المولى عبد الحفيظ.

كما برزت بمكناس فرقة ثانية من أسرة بناني هي فرقه محمد فتحا بن أحمد المتوفى سنة 1341هـ/ 1923م شغل منصب محتسب مكناس سنة 1327هـ/ 1909م كان أبوه من أفاضل الأعيان وأفاضل الزمان له القدم الراسخة في العلم[671]. إضافة إلى فرقة ثالثة تنسب إلى المدني بن عبد الكريم بن عبد السلام بناني المتوفى سنة 1341هـ/ 1923م، تقلد وظيفة ناظر الأحباس الكبرى بمكناس[672].

لقد حظي أعلام أسرة بناني بالوجاهة المرموقة والكلمة المسموعة، وهو ما أكده المشرفي بقوله: «**ومن البيوتات المشاهير بها– الآن– في هذه الدولة المحمدية (دولة محمد الرابع) (...) دار أولاد بناني بيتهم سعد وسؤدد، و حرز مركز مجد، ووجاهة وجاه وعز**»[673].

بيت غريط:

- **السعيدي بن الطيب**: أحد كبراء مدينة مكناس وخاصة أعيانها، مهر في النشاط التجاري، تلبس بالحماية القنصلية باعتراف والده، حيث سئل بمجلس باشا مكناس حمو بن الجيلاني البخاري عن هذا الأمر «**فأجاب بأن ولده الحاج السعيدي بينه وبين النصارى مخالطات، ولهم عليه مال له بال وضمنه فيها، وأخذ الحماية من جنس صبنيول**»[674]، الأمر الذي شكل حرجا لبيت غريط خاصة والده الذي تم إعفاؤه من خطة الحسبة، غير أن الضغط

---

[670]– الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ج 1، ص. 371.

[671]– أحمد بن العياشي سكيرج، **رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى**، ج 2، ص. 45

[672]– المنوني، مادة البنانيون، **معلمة المغرب**، ج 5، ص. 1486.

[673]– المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب العجز في الناطق**، ص. 168.

[674]– **مجلة الوثائق**، مديرية الوثائق الملكية، المجموعة التاسعة، المطبعة الملكية، الرباط، 1418هـ/ 1997م، ص 71.

الأجنبي على السلطان المولى الحسن جعله يتراجع عن متابعته، بل وعينه ناظرا لبعض أحباس مكناس عام 1888م[675].

أسرة ميموران:

أسرة يهودية مغربية يعتبر أفرادها من رجال المال والتجارة، اشتهر منها "يوسف/ جوزيف" عاصر السلطان المولى إسماعيل؛ إذ كان من أقرب المقربين إليه ملحوظا بالعناية والاحترام، هذه الخظوة حازها بسبب الظروف التي شهدها المغرب عقب وفاة المولى الرشيد، حيث سارع إلى تقديم دعم مالي مهم للمولى إسماعيل حتى يتسنى له تجهيز الجيش الذي مهد الطريق لتعيينه كسلطان جديد في مدينة فاس سنة 1082هـ/ 1672م[676].

لقد اضطلع ميموران بأدوار ريادية خاصة فيما يتعلق بالسياسية الخارجية للمغرب، حيث أسند إليه السلطان مهمة مباشرة الاتصالات مع دول أوروبا خاصة هولندا وفرنسا، فنهض بمسؤولياته سواء فيما يتعلق بقضايا الأسرى أو عقد اتفاقيات تجارية. اكتسب معها نفوذا كبيرا بوأبه منزلة مرموقة داخل المجتمع المكناسي؛ ومن تمام هذه المنزلة أن السلطان كان يأخذ برأيه ويستمع لنصائحه. وبعد وفاته اضطلع ابنه أبراهام بأدوار ذات أهمية بالغة تهم علاقات المغرب الخارجية مع دول أوربا، وخاصة دولة هولندا.

---

[675]- مصطفى بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، تقديم عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1404هـ/ 1984م، ج 3، ص. 1190.

[676]- روبير أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ترجمة علي الصقلي ومحمد كليزم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997م، ص. 42.

أسرة العطار:

عائلة يهودية من أصول اسبانية، نزح بعض أفرادها نحو المغرب خلال القرنين 14- 15م اهتموا بالمجال التجاري[677]، وفي هذا الإطار علم حمل اسم "موشي" اتصف بالذكاء والدهاء وسرعة البديهة حتى عد من أشهر يهود البلاط الاسماعيلي[678]؛ اتخذه السلطان مستشارا ومكلفا بإدارة الأعمال التجارية، أهله لتحصيل الجاه والنفوذ[679].

أسرة طوليدانو:

أسرة مكناسية يهودية متخصصة في التجارة الخارجية مع دول أوروبا في مقدمتها هولندا[680]، ساعدها على احتلال مركزا مهما داخل المجتمع المكناسي، من أشهر أفرادهما الأخوان يوسف وحياييم، استخدمهما السلطان المولى إسماعيل في علاقاته الخارجية مستفيدا من صلاتهم القوية مع الأوروبيين؛ وفي هذا الإطار بعث يوسف في رحلة سفارية لغرض تجاري تجلة في إبرام اتفاقية مع هولندا سنة 1094هـ/ 1683م[681]

أسرة عمار:

أسرة يهودية عريقة بمكناس، كان مجال اشتغال أفرادها التجارة؛ حيث حققوا ثروة كبيرة خاصة في القرن 19م، لمع منهم شلوم وأبنائه الثلاثة مسعود وميمون وإسحاق؛حظوا بالتقدير

---

[677]- عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م، ج 2، ص. 289.

[678] - MAGALI**, Rolation**, OP-Cit, p. 73.

[679] - Albert GUIGUI, Histoire dz la Communauté Juive de Meknès, Colloque International de L'institut d'histoire d'autre mer, Paris, C.N.R.S, 1990, p. 119.

[680]- أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ص. 46.

[681]- التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، المجلد التاسع، ص. 187.

والاحترام عكسه الظهير الذي أصدره السلطان المولى الحسن في فاتح رمضان 1302هـ/ 13 يونيو 1885م[682].

أسرة اللويري:

عائلة يهودية أندلسية الأصل، اشتهر أفرادها بالثراء والغنى. انتقلوا إلى المغرب واستقر بعضهم بمكناس من أبرزهم ميمون بن هارون وشمويل وشلوم، تمتعوا بتقدير خاص من السلطان المولى الحسن، أصدر في حقهم ظهيرا ينوه بهم وبمنزلة أسرتهم[683].

أسرة يعقوب أحنا:

أسرة يهودية لمع نجمها بمكناس إبان حكم السلطان المولى الحسن، اهتم أفرادها بالتجارة والنشاطات المرتبطه بها، من أشهرهم يعقوب أحنا الذي كان نائبا عن البنك الفرنسي TRANSATLANTIQUE في الفترة الممتدة من 1882 إلى 1884م[684]

---

[682]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 138.

[683]- نفسه، نفس الجزء، ص. 139.

[684]- اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 212.

توزيع وجهاء المجتمع المكناسي حسب انتمائهم الأسري/ العائلي

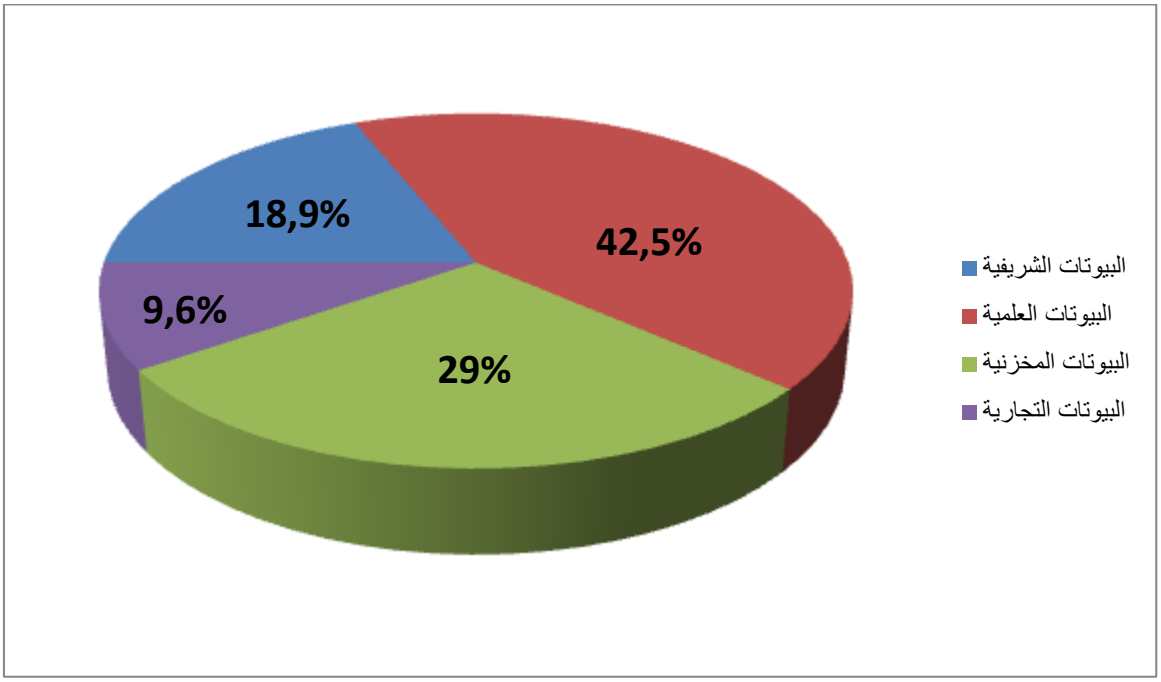

يتضح من خلال الرسم البياني أعلاه أن مدينة مكناس ضمت أربعة أصناف من البيوتات اختلف مستوى إشعاعها من بيت إلى آخر، وهكذا شكلت البيوتات **العلمية** أهم صنف بنسبة 42.5 %، تلتها **المخزنية** بنسبة 29.00 %، ثم **الشريفة** بنسبة 18.9 %، **فالتجارية** بنسبة 9.6 %.

ويمكن تفسير هذا التفاوت بحسب العوامل المتحكمة في ارتقاء الأفراد داخل المجتمع المكناسي، حيث كان تحصيل العلم والاشتغال به يعد أهم ركيزة تؤهل صاحبها لإدراك المكانة والمنزلة، لأنه متاح أمام جميع الأفراد كيفما كان أصلهم ونسبهم ووضعهم الاجتماعي، عكس العوامل الأخرى. أما بالنسبة لقلة البيوتات التجارية بمكناس فهو راجع بالدرجة الأولى إلى الوظيفة الأساسية التي كانت للمدينة باعتبارها عاصمة سياسية وقلعة عسكرية، وهو أمر لم يساعد على انتعاش التجارة بالشكل الذي يسمح بتشكل فئة التجار الكبار (بروز بعض الأسر اليهودية تحكمت في النشاط التجاري بتفويض من السلاطين).

وختاما لهذا الفصل؛ يمكننا استنتاج طبيعة العلاقات التي جمعت أعلام البيوتات الوجيهة في مكناس بالسلطة الزمنية، والتي اتسمت –في الأغلب الأعم– بالتفاهم والتواصل والتعاون، جسدها تقلدهم لوظائف وخطط مكنتهم من الاضطلاع بأدوار مهمة بصمت تاريخ مدينة مكناس خاصة والمغرب عامة، كما نلفت النظر إلى أن تلك الأدوار والمهام حددت كثيرا، وبشكل أساسي، مسار الوجاهة لدى تلك البيوتات، فبقدر ما ارتكز بناؤها وتشكلها على مقومات معنوية ومادية، بقدر ما كانت مهددة بالتقويض والاندثار نتيجة سوء تدبير أصحابها للمهام المنوطة بهم، من خلال قيامهم بسلوكات خاطئة وممارسات غير منضبطة. وهو الأمر الذي سنعمل على توضيحه بشكل مفصل في الفصول التالية.

ولا يفوتنا في هذا الإطار الإشارة إلى ملاحظة أساسية تتعلق بالمصنفات التي اعتمدناها في التعريف بوجهاء المجتمع بمكناس، صحيح أنها قدمت لنا معلومات قيمة وإشارات ثمينة، مكنتنا من الإلمام بهذه الطبقة، وتبيان مواقفها وأعمالها وطبيعة العلاقات التي انتظمت فيها، إلا أنه ينبغي التنبيه لبعض المسائل فيها، منها: أن بعض هذه المصنفات أسهب بشكل مبالغ فيه في تحلية بعض وجهاء مكناس؛ خاصة أهل التصوف والصلاح؛ من خلال إضفاء عدد من الأوصاف التي تخالف المعهود، أو سرد حكايات تناقض المألوف، وهو ما نجد له تبريرا بالنظر إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية المنتشرة خلال الفترة المدروسة، ذلك أن الذهنية السائدة أحاطت الأولياء بهالة من التعظيم والتبجيل، حتى وصل إلى الاعتقاد بامتلاكهم خوارق وكرامات خارجة عن العادة. إضافة إلى الأسلوب الموظف في صياغة تحليات وجهاء المجتمع بمكناس، من خلال توظيف المحسنات البديعية المتصفة بجمل نثرية مترادفة (الجناس– السجع)، الأمر الذي يضفي زينة لفظية على الكلام المراد التعبير عنه، بهدف التأثير في النفوس، وهذا الأسلوب كان شائعا خلال فترة موضوع دراستنا. لأجل ذلك اقتضى منا الأمر التعامل منهجيا مع ما أوردته تلك المصنفات من معلومات بحذر شديد واحتراس كبير، فعمدنا إلى تجاهل الإشارة للأحوال الغريبة، وحتى عندما نورد تحلية لأحدهم تبدو أنها غير عادية، نحاول التنبيه عليها.

صفوة القول؛ على الرغم من المؤاخذات التي سجلناها –حسب ما بدا لنا– عن بعض المصنفات، إلا أنها على العموم يبقى ما أوردته من معطيات لها أهميتها، ساعدتنا في رسم الكثير من ملامح وجهاء المجتمع بمكناس.

الفصل الثاني:

وجهاء المجتمع بمكناس والوظائف العامة

لا تكتمل صورة حديثنا عن وجهاء المجتمع المكناسي دون التطرق إلى الوظائف[685] التي شغلوها، تبوؤوا من خلالها مكانة أبرز ومنزلة أرفع داخل مجتمعهم. لقد ارتبط ظهور الوظائف بوجود الدول، على اعتبار أنها من أسس النظم في أي مجتمع من المجتمعات البشرية؛ وإحدى الركائز الداعمة للسلطة. وقد تميز نظام الحكم في الدول الإسلامية عبر العصور بكونه «**مراتب خادمة ووظائف تابعة تتعين خططاً وتتوزع على رجال الدولة وظائف، فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم، فيتم بذلك أمره، ويحسن قيامه بسلطانه**»[686].

عرف المغرب كغيره من الدول نظام الوظائق منذ المرحلة الوسيطية، حيث اهتمت به كل الأسر التي تعاقبت على حكمه، ليشهد دقة في الترتيب والتدقيق مع العصر العلوي؛ سواء من حيث التقسيم أو التطوير، مستلهمين أصوله البعيدة من النظم الإسلامية الممتدة إلى الدولة الأموية؛ وأصوله القريبة من نظم الدول التي حكمت بلاد الأندلس والغرب الاسلامي.

إن نهوض السلاطين بمهامهم اقتضى منهم بالضرورة الاستعانة بأشخاص كانوا محل ثقتهم قلدوهم مسؤولية تولي هذه الوظائف، على اعتبار «**أن السلطان في نفسه ضعيف، يحمل أمرا ثقيلا، فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه. وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه، فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده**» [687]. وبالتالي فإن حاجتهم إلى مساعدين ضروري في إطار تكريس حكمهم.

---

[685]– الوظائف لغة مأخوذة من وظف الوَظِيفَةُ، وَجَمْعُهَا الوَظَائِفُ والوُظُفُ. ووَظَفَ الشيءَ عَلَى نَفْسِهِ ووَظَّفَه تَوْظِيفاً: أَلزمها إِيَّاهُ،. واصطلاحا «**عمل مشروع دائم يقلده الإمام أو من ينيبه لشخص طبيعي أهل له برضاه على سبيل الدوام والاستقرار في خدمة مرفق عام مشروع تديره الدولة بشكل مباشر**».مختار عيسى سليمان مصطفى، **الوظيفة العامة في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله؛ جامعة الأردن، كلية الدراسات العليا، عمان 1998م، ص.13. ونشير إلى أن هناك مصطلحات تستعمل مناظرة لمصطلح الوظائف هي الولاية والخطط والرسوم.

[686]– عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004، ج 1، ص. 400.

[687]– نفسه، نفس الجزء، ص. 423.

وفي هذا السياق عمل السلاطين العلويين على تقريب أبناء البيوتات المكناسية ذات الأصول العريقة؛ بحكم امتلاكهم قيما ذاتية ومكتسبة[688]، فاعتمدوا عليهم في تدبير شؤون الحكم سواء على المستوى المركزي أو المحلي؛ عبر تعيينهم في مناصب سامية ساعدتهم على البروز أكثر، حيث انتشرت أخبارهم وذاع صيتهم، وفي نفس الوقت حرصوا على القيام بمسؤولياتهم بإخلاص وتفاني، اقتناعا منهم بأنها الطريقة الرئيسية لصيانة جاههم وعلو منزلتهم[689].

إن تولي بعض الشخصيات المكناسية للوظائف العامة مكنها من الإسهام بأدوار مهمة في مختلف مناحي الحياة، حتى صاروا مرتبطين بالمخزن ارتباطا وثيقا مشكلين بذلك إحدى الركائز التي رسخت نفوذ السلاطين. وحري بنا الإشارة في هذا الصدد أن الوظائف لم تساعد فقط البيوتات النبيهة عل الاشتهار، بل أيضا ساهمت في ترقي بعض الأشخاص المغمورين الذين لم يكونوا في أول أمرهم يمتلكون مؤهلات خاصة؛ لكنهم برزوا بالخدمة والولاء أهلهم لتحصيل الجاه الاجتماعي[690].

وعليه؛ يمكن القول بأن الوظائف والخطط اعتبرت أحد أهم الوسائل التي حرصت البيوتات المكناسية على تقلدها، لما تشكله من أهمية قصوى في اكتساب الجاه والعمل على صيانته وترسيخه؛ إذ بفضلها يصبح لهم نوعا من السلطة على الناس.

وهذا يدفعنا إلى طرح بعض التساؤلات من قبيل: ما هي أهم الوظائف التي شغلها وجهاء المجتمع المكناسي؟ وما هي الشروط التي أهلتهم لممارستها؟ وكيف كانت تتم عملية إسناد تلك المناصب؟

---

[688]- ريمي لوفو، **الفلاح المغربي المدافع عن العرش**، ترجمة محمد بن الشيخ، منشورات وجهة نظر، الرباط، الطبعة الأولى، 2011م، ص. 249.

689 Abdesselam CHEDDADI , «Le Système du Pouvoir en Islam d'Après Ibn Khaldûn», Annales **E.S.C**, Paris, Mai-Aout 1980, p. 543.

[690]- مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، مطبعة فضالة، المحمدية الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م، ص. 109

قبل البدء في استجلاء معالم تساؤلاتنا، نود الإشارة إلى مسألة منهجية أننا قمنا بتصنيف الوظائف التي شغلها وجهاء مدينة مكناس إلى قسمين: سلطانية إدارية ودينية شرعية[691]. فالوظائف السلطانية الإدارية هي تلك الوظائف والخطط التي تندرج تحت مفهوم الخلافة ونظام الملك المتمثل في التنظيم والتسيير والتدبير. أما الوظائف الدينية الشرعية فهي تلك الخطط المتصلة بالدين الإسلامي من حيث استنباط أحكامها وتحديد ضوابطها وأدوارها[692]. هذا التصنيف الذي اعتمدناه فقد هو تصنيف إجرائي من أجل تسهيل عملية البحث والاستقصاء.

المبحث الأول: الوظائف السلطانية الإدارية:

أولا: الوزارة:

يشتق لفظ الوزارة إما من الوزَر وهو الملجأ؛ ذلك لأن الوزير يلتجأ إليه، أو من الوِزْر الحمل الثقيل، فالوزير يشارك الملك في تحمل المسؤولية والصعاب، أو من المؤازرة وهي المعاونة والمساندة والمؤازرة[693]، ولا يخرج معناها الاصطلاحي عن اللغوي؛ فالوزير هو ذلك الشخص الذي يشارك الحاكم في تحمل أعباء السلطة من خلال إعانته ومساعدته في اتخاذ القرارات لمواجهة صعوبات التسيير. وعلى هذا الأساس، اعتبرت الوزارة من أهم الخطط السلطانية وأعلاها مكانة، نظرا لحاجة السلطان إلى من يشد أزره، ويشاركه تدبير شؤون الحكم[694].

عرف المغرب هذه الوظيفة منذ عصر الدولة الادريسية، وإن لم يطلق عليها اسم "وزارة"؛ حيث كان للسلطان هيئة خاصة مكونة من أشخاص محل ثقته يعتمد عليهم في مباشرة الأمور[695]

---

[691]- استقينا هذا التصنيف من كتب الآداب والاحكام السلطانية، مثلا: علي بن محمد الشهير بالماوردي، **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2006م. .أبو العباس **القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ.

[692]- ابن خلدون، **مقدمة**، ج 1، ص. 418.

[693]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 5، ص. 281- 282.

[694]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج 2، ص. 173.

[695]- عبد الحميد احساين، مادة الصدر الأعظم، **معلمة المغرب**، ج 16، ص. 5526.

غير أن أول استخدام للفظ "وزير" كان في عهد السلطان المريني عبد الحق (823- 869هـ/ 1420- 1464م)، ثم تطور أكثر بشكل مؤسسي مع الدولة العلوية.

نظم السلاطين العلويون جهازهم الإداري منذ عهد المولى إسماعيل بشكل دقيق، كان على رأس هذا الجهاز بعد السلطان وزير حمل لقب "**الوزير الأعظم**" باعتباره الوزير الأوحد في الجهاز المخزني[696]، ثم صار يدعى" **الصدر الأعظم**" خلال القرن 19م، نظرا لتصدره مجلس السلطان وتقدمه على حاشيته[697]. وفي النصف الثاني من القرن المذكور ستشهد الوزارة تحولا كبيرا خاصة مع السلطان المولى الحسن؛ فنتيجة للضغوطات الاستعمارية المتعددة التي تعرض لها المغرب، فرض إدخال إصلاحات في شتى المجالات من بينها خطة الوزارة، حيث صارت تتكون من خمسة وزراء[698]: الوزير الأعظم، وزارة الخارجية[699]، وزارة الحرب[700]، وزارة الشكايات[701]، وزارة المالية[702].

لقد شكلت الوزارة حجر الزاوية في الجهاز المخزني العلوي؛ حيث أنيط بمتوليها مسؤوليات ومهام كبيرة؛ منها: تقديم المشورة للسلطان ومساعدته في اتخاذ القرارات، والإشراف على الشؤون

---

[696]- الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 29.

[697]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج 1، ص. 206.

[698]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج 1، ص. 43.

[699]- وزارة الخارجية: تعرف أيضا بوزارة البحر أو وزارة الشؤون البرانية، يتكلف صاحبها بالمراسلات مع ممثلي الدول الأجنبية وعقد مفاوضات معهم سواء في مسائل الأسرى أو التجارة، إضافة إلى الإشراف على شؤون المحميين. الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 29. محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1290- 1311هـ/ 1873- 1894م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م، ص. 79.

[700]- وزارة الحرب:أحدثت في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام بعد معركة إيسلي سنة 1844م وما أظهرته من خلل كبير في الجيش المغربي، لذلك قرر تعيين شخص مكلف بإعادة تنظيمه والعمل على تطويره.

Mohamed LAHBABI, **Le Gouvernement Marocain à l'Aube du XXe Siècle**, Editions Maghrébines, Casablanca, 1975, p. 137.

الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. .36

[701]- وزارة الشكايات: تعرف بالعدلية، مهمة صاحبها متابعة الشكايات والمظالم المرفوعة للسلطان وتقديم المشورة لهذا الأخير فيما يتعلق بأمور العدل. ابن زيدان، **العز والصولة**، الجزء الثاني، ص. 272. الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 38.

[702]- وزارة المالية: أهم الوزارات التي أولاها السلاطين عناية فائقة، يحمل صاحبها لقب "أمين الأمناء" أو "مول الشكارة"، يتمتع بنفوذ كبير يتولى مهمة الإشراف على المداخيل والنفقات وضبطها في سجلات خاصة. ، ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 273. معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن**، ص. 78.

الداخلية للبلاد من خلال مراقبة باقي موظفي المخزن (باشوات وقضاة ونظار...)، إضافة إلى دوره كوسيط بين السلطان ورعيته[703].

ونظرا إلى هذه الأدوار الحساسة، فقد حرص السلاطين على اختيار شخصيات ذات كفاءة عالية ومؤهلات كبيرة تساعدهم على الاضطلاع بمهامهم على أحسن وجه، بعض من هذه الشخصيات كان ينتمي إلى مدينة مكناس؛ فتولوا مناصب وزارية من صدارة عظمى ووزارة الخارجية والبحر ووزارة الحرب.

جدول 1: أسماء الوجهاء الذين شغلوا خطة الوزارة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	طبيعة المنصب	العهد
عبد الرحمان الفلالي	مخزني	وزير	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الوهاب الغساني	مخزني	وزير	المولى إسماعيل
محمد بن الحسن اليحمدي	مخزني	وزير	المولى إسماعيل
حفص عمر الحراق	شريفي	وزير	المولى إسماعيل
علي بن سعيد العميري	علمي	وزير	المولى المستضيء
محمد بن عبد الوهاب بن عثمان	مخزني	وزير الشؤون الخارجية	سيدي محمد بن عبد الله
محمد بن عبد السلام البخاري	مخزني	وزير الشؤون الخارجية	المولى سليمان
أحمد بن مبارك البخاري	مخزني	وزير	المولى سليمان

[703] - LAHBABI, **Le Gouvernement Marocain à l'Aube du XXe**, OP-Cit, p.143 .

محمد بن ادريس العمراوي	علمي	وزير	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن ادريس غريط	مخزني	صدر أعظم	المولى محمد بن عبد الرحمان
موسى بن أحمد البخاري	مخزني	صدر أعظم	المولى محمد بن عبد الرحمان
محمد المفضل غريط	مخزني	صدر أعظم ووزير البحر	المولى الحسن

ساهم تقلد بعض وجهاء المجتمع المكناسي خطة الوزارة في صيانة وجاهتهم وتعزيز نفوذهم وتكريس سلطتهم؛ إذ صار لهم حضور مؤثر وفاعل سواء على مستوى السلطة السياسية أو البنية الاجتماعية، فتبوؤوا مكانة مرموقة ومنزلة سامية، لدرجة أن بعضهم نجح في الاحتفاظ بمنصبه الوزاري مدة طويلة، وهي عادة دأب عليها السلاطين مع الوزراء الذين برهنوا على كفاءتهم[704]. وعلى الرغم من مكانتهم هاته فقد كانت مهامهم تنفيذية؛ حيث لا يستطيعون التصرف إلا وفق الصلاحيات التي يمنحها لهم السلاطين[705].

[704] - Henri de LA MARTINIERE, «La Règne de Moulay el Hassan», Revue des deux Mondes, LXIV, 4 Période, Tome 125, Paris, septembre 1894, p. 399.
[705] - LAHBABI, **Le Gouvernement Marocain à l'Aube du XXe**, OP-Cit, p. 73.

ثانيا: الحجابة:

الحجابة لغة مأخوذة من الحجاب: الستر، يقال حجب الشيء يحجبه حجبا ستره[706]، ونفسه المعنى الاصطلاحي؛ فمتوليها يسمى "الحاجب" هو الذي يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ولا يسمح بالدخول عليه إلا حسب المصلحة الضرورية[707].

عرفت هذه الخطة منذ العصور القديمة، فمنذ تشكيل الدول حرص الملوك على تعيين رجل يتكلف بتنظيم مراسيمهم لإضفاء طابع الهيبة، وفي العصر الإسلامي استحدثها الأمويون على عهد معاوية بن أبي سفيان، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بلاد الأندلس حيث أصبحت مؤسسة قائمة الذات سنة 351هـ/ 962م[708]، إلى أن دخلت المغرب مع الدولة المرينية إبان حكم السلطان يوسف بن يعقوب[709]، لتتكرس أكثر مع العلويين.

تعتبر الحجابة من الخطط الإدارية الرفيعة، على اعتبار أن صاحبها يكون من خاصة ملازمي السلطان لا يفارقه إلا في حالات الضرورة والمطلع على أسراره؛ فهو بمثابة العين التي يرى من خلالها ما يحصل خارج القصر، وما يدور في أجهزة الدولة، لذلك يحتل صاحبها منزلة سامية داخل الجهاز المخزني.

يتكلف الحاجب بمهام حساسة منها: خدمة السلطان داخل قصره، والإشراف على أمور الدولة بكل تفاصيلها، ورفعه لتقارير حول سير عمل مختلف أجهزتها، إضافة إلى إخطاره للمسؤولين بالأوامر السلطانية ومتابعة تنفيذها، كما ينسق تنظيم زيارات واستقبالات السلطان[710].

---

[706]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 298.

[707]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج 1، ص. 188.

[708]- يعتبر الخليفة المستنصر 350- 366هـ/ 961- 976م، هو من استحدث منصب الحجابة، وأول من تولاها هو جعفر بن عثمان الصقلبي. آمنة محمود عودة، **الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس 316- 422هـ/ 928- 1030م**، رسالة ماجيستير، جامعة مؤتة، كلية الآداب، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1999- 2000م، ص. 61.

[709]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/ 2000م، ج 2، ص. 103.

[710]- الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 39.

جدول 2: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الحجابة بمدينة مكناس

الاسم	البيت	العهد
مرجان الكبير	مخزني	المولى إسماعيل
العربي الغشام	مخزني	المولى إسماعيل
عبد الملك المهدي	مخزني	المولى إسماعيل
محمد بن عبد السلام البخاري	مخزني	المولى سليمان
أحمد بن مبارك البخاري	مخزني	المولى سليمان
موسى بن أحمد البخاري	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان

نلمس من خلال الجدول أن أغلب متولي خطة الحجابة من أصل بخاري مخزني، وهذا راجع إلى أنهم تربوا تربية مخزنية تحت إشراف مباشر من السلاطين؛ جعلتهم محل ثقة كبيرة خاصة وأن منصب الحجابة يعد من المناصب الخطيرة في بنية المخزن المغربي.

إن تولي الحاجب هذه المسؤوليات الجسيمة تجعل أمر اختياره يخضع لشروط دقيقة وصارمة؛ فلا يعين في هذا الوظيف إلا الأعلام المشهود لهم بالكفاءة العالية والأخلاق الحميدة؛ كالأمانة والصدق والإخلاص والوفاء والتفاني في العمل، تلك الشروط قد توفرت عند بعض وجهاء المجتمع المكناسي، حيث نجحوا في كسب ثقة السلاطين، فنالوا مكانة مرموقة زادت من نفوذهم ووجاهتهم، وارتقوا إلى أعلى مراتب الجهاز المخزني.

ثالثا: الكتابة:

الكتابة مصدر كتب، يقال كتب الشيء يَكْتُبه كَتْبا وكتابا وكتابة وكَتَّبه أي خطه، واستكتب فلان فلانا أي سأله أن يكتب له[711]. ومعناه اللغوي هو نفسه معناه الاصطلاحي. تعتبر الكتابة السلطانية من أعلى رتب الكتابة وأرفعها مقاما، لا يمكن الاستغناء عنها نظرا لما تشكله من أهمية قصوى داخل جهاز الدولة، فجميع مرافقه لا تشتغل بشكل منظم ولا يستقيم عملها إلا من خلالها.

ظهرت خطة الكتابة بالمغرب منذ العصر الإدريسي، فأول كاتب هو أبو الحسن بن عبد الله بن مالك الأنصاري، عينه مولاي إدريس الثاني كاتبا في ديوانه[712]، ترسخت أكثر خلال العصر العلوي، حيث أولاها السلاطين عناية كبيرة تجلت في طريقة انتقاء أصحابها والتي كانت تتم بشكل صارم نظرا لحساسيتها؛ إذ إن المترشح لها لابد أن يكون من أهل الدين واللغة والأدب والخط الجميل والأسلوب الأنيق[713]. إن امتلاك هذه الصفات من شأنها مساعدة صاحبها على النهوض بمسؤولياته المتعددة والمتمحورة في تحرير المراسلات السلطانية[714] إلى قواده وكبار موظفيه واستقبال المخاطبات الواردة إليه، وكذا مكاتبات ضبط العلاقات الخارجية (تجارية ودبلوماسية)[715].

وبناء على ما ذكر؛ نستنتج أن الكاتب كان يحتل موقعا متميزا داخل الجهاز المخزني، استمده من قربه من السلطان وحساسية منصبه، فهو صاحب سر السلطان « **ومستقر أسراره،**

---

[711]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 698.

[712]- هو الذي أشرف على عقد شراء الأرض من بني يرغش التي بنيت عليها مدينة فاس. ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض** القرطاس **في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص. 32.

[713]- القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 1409هـ، ص. 93- 117.

[714]- كانت الأدوات التي يستعملها الكاتب تتكون من القلم والدواة (تصنع من أجود العيدان) والمداد والخرقة (أو الوقيعة) والمقص والسكين. للمزيد انظر: الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 2، ص. 193- 198.

[715]- نصيرة طيطح، **الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316- 422هـ/ 929- 1031م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران، معهد التاريخ وعلم الآثار، السنة الجامعية 2008- 2009م، ص. 31.

ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته وأقطار بلاده، ومخصوص بقربه ولزومه، دون غيره من الوزراء، فيعرف له ذلك من حاله ويبالغ في اختياره» [716].

ومن جملة الكتاب الذين انتقاهم السلاطين العلويون بعض الأعلام من مدينة مكناس، ساهم تقلدهم لخطة الكتابة في رفع شأنهم وسمو شأوهم داخل مجتمعهم؛ وبالتالي اكتسبوا وجاهة عظيمة عملوا على صيانتها وترسيخها.

جدول 3: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الكتابة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
عبد الرحمان الفلالي	مخزني	المولى إسماعيل
محمد بن الحسن اليحمدي	مخزني	المولى إسماعيل
أبو علي الحسن اليحمدي	مخزني	المولى عبد الله
محمد بن عبد الوهاب بن عثمان	مخزني	سيدي محمد بن عبد الله
محمد بن عبد السلام البخاري	مخزني	المولى سليمان
محمد بن ادريس العمراوي	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن محمد بن ادريس غريط	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن المعطي المزطاري	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد التهامي المزوار	علمي	المولى الحسن

[716]– محمد ابن سماك العاملي الأندلسي، **رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير**، تقديم وتحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص. 40

رابعا: النظارة:

النظارة مشتقة من نظر ينظر نظرا، والنظر تأمل الشيء بالعين[717]. واصطلاحا هي مؤسسة تسهر على تسيير أملاك الأوقاف[718] أطلق على صاحبها اسم" الناظر". وقد عرف المغرب هذه الخطة منذ القدم وإن كان بشكل غير مؤسسي؛ فمع دخول الإسلام شهدت الحركة الوقفية نشاطا مطردا، خاصة منذ العصر المريني مع بروز أوقاف الملوك الكثيرة[719]. ومع تسلم العلويين مقاليد الحكم ستشهد هذه الخطة تطورا كبيرا؛ حيث ارتقت إلى الطابع المؤسساتي في عهد السلطان المولى إسماعيل الذي نظمها بشكل دقيق من خلال تعيين موظف عام مكلف بالإشراف على كل أحباس المملكة يستقر بعاصمته مكناس، ويعتبر محمد بن محمد الكاتب الأندلسي المكناسي أول شخص تولى هذه الخطة بموجب ظهير مؤرخ في سنة 1110هـ/ 1699م[720]، كما تم تعيين نظار على رأس مختلف المؤسسات الحبسية بالمدينة[721]. ويعود السبب في هذا التنظيم إلى خشية السلطان من ضياع الأوقاف التي كثرت بشكل واسع، وكذا الرغبة في الاستفادة من مداخيلها وقت اللزوم. ثم عززها ابنه وخليفته المولى عبد الله من خلال الظهير الذي أصدره سنة 1143هـ/ 1730م[722].

---

[717]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 5، ص. 215.

[718]- مفرد وقف لغة مصدر وقفت وقفا، وقفته توقيفا، ووقف الأرض على المساكين وقفا: حبسها. واصطلاحا «هو تسبيل منفعة شيء مدة وجوده لصالح مستفيد يمكن أن يكون شخصا أو أشخاصا أو مؤسسة دينية أو اجتماعية تخدم المصلحة العامة كالملاجئ والمساجد والمدارس والأسواق والمستشفيات، ويكون ذلك على وجه التأبيد بغية التقرب إلى الله مع منع بيع ذلك الشيء أو رهنه أو توهيبه أو نقله بالميراث». وهو من أنواع الصدقات الجارية التي حث عليها الإسلام، وقد أقبل المغاربة منذ زمن بعيد على هذا النوع من أعمال البر. ابن منظور، **لسان العرب**، ج 9، ص. 359. مصطفى بنعلة، **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2007م، الجزء الأول، ص. 49. بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، ج 1، ص. 17- 19.

[719]- المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص. 124.

[720]- أوردنا نص الظهير في الصفحة 193.

[721]- رقية بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082- 1139هـ/ 1672- 1727م**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م، ج 2، ص. 427.

[722]- محمد المكي الناصري، الأحباس **الإسلامية في المملكة المغربية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992، ص. 17- 18.

كانت مهام الناظر محددة بشكل مضبوط نجملها فيما يلي[723]: البحث والتفتيش والمحافظة على الأملاك الوقفية- استرجاع الأموال المغصوبة- تسديد الرواتب لأصحاب الخطط الدينية؛ كالإمامة والأذان والأحزاب والوعظ والتدريس- تسجيل الأملاك المحصية في دفاتر وسجلات خاصة تسمى الحوالات الحبسية[724]- الإشهاد على المستفيدين من أموال الوقف- محاسبة النظار[725]- الإنفاق على الأحباس سواء في ترميمها أوإصلاحها أوتجهيزها أو صيانتها- اقتناء عقارات جديدة.

ونظرا لثقل مسؤولية الأوقاف الإدارية؛ حرص السلاطين العلويون على اختيار الأشخاص المناسبين لتقلد خطة النظارة من ذوي الاستقامة والفضل والصلاح و النزاهة والثقافة الفقهية[726]، ومن وقع عليه الاختيار يعين بموجب ظهير شريف، وهو ما يعكس مكانته السامية في المجتمع. وقد تولى هذا الوظيف بعض أعلام مدينة مكناس.

---

[723]- استقينا هذه المهام من: المكي الناصري، الأحباس **الإسلامية في المملكة المغربية**، ص. 17- 197- 198. بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل**، ج 2، ص. 418. بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب**، ج 1، ص. 97.

[724]- هي دفاتر تدون فيها الأملاك المحبسة سواء العقارية أو المنقولة، ومستفاداتها ونفقاتها، ويجب أن تدرج فيها العناصر التالية: السنة- نوع العقار- مكانه- الشخص المحبس- وجهة المحبس عليها- اسم الناظر المشرف على عملية التحبيس- إمضاء الشهود. يعتبر المرينيون هم أول من استخدم نظام الحوالة الحبسية لضبط الأحباس. عبد الله الداودي، **بيوتات طنجة في القرن 18 من خلال حوالة أحباسها: دراسة وثائقية**، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 18.

[725]- ذكر الونشريسي طريقة المحاسبة بقوله: «**المحاسبة أن يجلس الناظر والقباض والشهود وتنسخ الحوالة كلها من أول رجوع الناظر إلى آخر المحاسبة، وتقابل وتحقق ويرفع كل مشاهرة أو مسانهة أو كراء أو صيف أو خريف، وجميع مستفادات الحبس حتى يصير ذلك كله نقطة واحدة، ثم يقسم على المواضع، لكل حقه، ويعتر المرتبات وما قبض ومن تخلص ومن لا، وينظر في المصير ولا يقبل ذلك إلا جميع شهود الأحباس، وكذلك جميع الإجارات من لقط زيتون وآلة ونفض، ويطلب كل واحد بخطته ومن أفسد شيئا لزمه غرمه، ومن تعدى على غير خطته أو ضيع منها شيئا وأخذ عليها مرتبا غرمه، ومن ضيع شيئا من ذلك من شهود الأحباس وجب القيام به عليهم وتعجيل ذلك**». أحمد الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1401هـ/ 1981م، ج 7، ص. 302.

[726]- حجي الدينية بالمغرب في القرنين السادس عشر والثامن عشر» ، **مجلة الناهل**، العدد الثامن عشر، السنة السابعة، رمضان 1400هـ/ يوليو 1980، ص. 112.

جدول 4: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة النظارة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
محمد بن محمد الكاتب القيسي	مخزني	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن أحمد أدراق	مخزني	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن محمد العرائشي	علمي	المولى إسماعيل
علي بن أبي القاسم المنوني	شريفي	المولى إسماعيل
أحمد بن محمد السلوي	مخزني	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن محمد حجاج	مخزني	المولى إسماعيل
عبد الواحد المسطاسي	علمي	المولى إسماعيل + المولى عبد الله
الطيب بن عبد الواحد المسطاسي	علمي	المولى محمد بن عبد الله
الطيب بن عبد الرحيم غريط	مخزني	المولى محمد بن عبد الله
الطيب بن ادريس المنوني	شريفي	المولى الحسن
السعيدي بن الطيب غريط	مخزني	المولى الحسن
محمد بن محمد المنوني	شريفي	المولى الحسن
المكي التراب	علمي	المولى عبد العزيز
الغالي بن المكي السنتيسي	علمي	المولى عبد الحفيظ
المدني بن عبد الكريم بن عبد السلام بناني	تجاري	المولى عبد الحفيظ+ مولاي يوسف

خامسا: الباشوية:

هي إحدى الخطط الرئيسية في الجهاز التنظيمي على المستوى المحلي، يشرف عليها موظف يحمل اسم "باشا"[727] أو "عامل". ظهرت في المغرب إبان الحكم الوطاسي، وانتشر استخدامها بشكل ملحوظ خلال العصر السعدي[728]، لتتعزز أكثر مع السلاطين العلويين الذين حرصوا على تفويض بعض الأشخاص سلطة الإشراف وتسيير أقاليم ومناطق محددة، ومن هنا صاروا يعدون من كبار رجال المخزن الملحوظين بالعناية والرعاية الموكول إليهم مهام كبيرة تأرجحت بين ما هو عسكري وما هو مدني.

إن أبرز مسؤوليات الباشاوات هي: مراقبة الفرق العسكرية المرابطة داخل مجال نفوذهم، والإشراف على تدريبهم وتوفير مؤونتهم والتكلف بنفقاتهم، كما تقع عليهم مسؤولية الدفاع عن المدينة والمساهمة في استتباب الأمن، إضافة إلى التدخل في القضايا التي تمس النظام ومعاقبة مرتكبيها في إطار ما يخوله القانون، ورئاسة الحركات نحو القبائل، والمسؤول عن جمع الزكاة والأعشار ودفعها للدولة، كل هذه المهام المتعددة كانت تتم في إطار المراقبة المباشرة للسلطان[729].

يتبين من خلال المهام الموكلة للباشا أن أهميته داخل الجهاز المخزني كبيرة جدا؛ فهو يوجد على رأس الإقليم كممثل فعلي للسلطة السياسية وأحد ركائز التدبير المحلي[730]، لذلك حرص السلاطين العلويون على انتقاء أكفأ الشخصيات لتولي هذه الخطة من بين قادة ورؤساء الجيش المشهود لهم بالإخلاص والوفاء والتفاني في العمل، الذين تربوا تربية مخزنية فصاروا ينعتون بـ "أهل

---

[727]- أصل كلمة باشا فارسي مركبة من "با " أي قدم أو ساق، ومن "شاه" أي الملك أو السلطان، فيكون المعنى مساعد الملك، استخدمه العثمانيون ثم انتقل إلى المغرب. أدى شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، الطبعة الثانية، 1987-1988م، ص. 16.

[728]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الثاني، ص. 349.

[729]-العربي اكنينح، **آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر : نموذج قبيلة بني مطير (آيت انظير)** ، مطبعة انفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2004، ص. . الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 45.

[730]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج 1، ص. 39.

الدار"، فيقلدونهم مسؤولية مباشرة الحكم في مدن المغرب خاصة الكبرى مثل فاس ومراكش ومكناس[731].

جدول 5: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الباشوية بمدينة مكناس

الاسم	فترة التولية	العهد
محمد بن القاسم اعليلش	مخزني	المولى إسماعيل
محمد الأشقر	مخزني	المولى إسماعيل
سالم الدكالي	مخزني	المولى أحمد الذهبي
مساهل	مخزني	المولى أحمد الذهبي
العربي بن العلام	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن العواد	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
الجيلاني بن بوعزة	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
الجيلاني بن حم	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
المجذوب بن الغنيمي	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن خنيشيش	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
حمان الصريدي	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
محمد بن يعيش	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
ادريس بن العلام	مخزني	المولى الحسن

[731]- عبد اللطيف فضل الله، مادة باشا، **معلمة المغرب**، ج 3، ص. 1000.

حم بن الجيلاني	مخزني	المولى الحسن
صالح بن بنعيسى	مخزني	المولى الحفيظ
بنعيسى بن عبد الكريم البخاري	مخزني	المولى الحفيظ+ مولاي يوسف

وفي هذا الإطار حظي باشوات مكناس بمكانة سياسية واجتماعية مرموقة، على اعتبار أهمية المدينة كإحدى العواصم التاريخية الثلاث؛ ومستقر جيش عبيد البخاري وموقعها الإستراتيجي القريب من مكان استقرار برابرة الأطلس الذين كانوا يشكلون خطرا دائما على كيان الدولة. فكان مجال نفوذهم يمتد إلى أحواز المدينة يساعدهم قواد يأتمرون بأمرهم وينتهون عند نهيهم. وفي المقابل لحظهم السلاطين بعناية خاصة، حيث منحوهم امتيازات مهمة تزيد من علو شأنهم وتعزز هيبتهم.

هكذا أسهم تولي خطة الباشوية بمكناس في رفعة أشخاص مغمورين من البروز كوجهاء للمجتمع المكناسي؛ وخاصة أعيانه الذين لهم حضور قوي ومؤثر في الحياة داخل المدينة.

سادسا: الأمانة:

هي تلك الخطة التي يتكلف صاحبها "الأمين"[732] بجباية واستخلاص مختلف أشكال الضرائب الشرعية (الزكاة والأعشار) وغير الشرعية (الهدية[733] والسخرة[734] والمؤونة[735] والحركة[736])

[732]- كما يستخدم هذا المصطلح في وصف رؤساء الطوائف الحرفية، يقابله في المشرق العربي "العريف". عبد العزيز بنعبد الله، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1401هـ/ 1981م، ج 4، ص. 129.

[733]- واجب تقدمه القبيلة لبيت المال نقدا أو عينا في المناسبات الدينية: أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي، يتحدد قدرها حسب كل قبيلة. نعيمة هراج التوزاني، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290- 1311هـ/ 1873- 1794م: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1979م، ص. 171- 172.

[734]- أجر نقدي تدفعه القبيلة لمن أدى فيها خدمة مخزنية ما، كسخرة الرقاصة (حملة البريد) وسخرة فرق الجيش. نفسه، ص. 172.

وتوظيف مداخيلها في الإنفاق والتصيير على مختلف مرافق الدولة[737]. من خلال هذا التعريف؛ نستخلص أهمية وظيفة الأمانة في الإدارة التنظيمية للدولة، لذلك خصها السلاطين العلويون باهتمام بالغ، تمثل في إشرافهم شخصيا على اختيار الأشخاص الذين يتولونها من ضمن لائحة الأسماء المرشحة لتلك المهمة[738]، بدقة شديدة لأنها الأمانة تتعلق بمرفق حيوي يشكل أحد أعمدة الجهاز المخزني. وبحكم تشعب مصادر مداخيل الدولة تم تقسيم وظيفة الأمانة؛ إلى ثلاثة أقسام هي:

- ✓ **أمانة المستفاد**: هي المداخيل التي تحصل من المدن والمناطق المجاورة لها، المتكونة من الضرائب الداخلية والأملاك المخزنية من دكاكين وفنادق وأهراء وأروى وحمامات وبساتين وحقول وغيرها، وبعض الواجبات الشرعية مثل تركة من لا وارث له[739] والأعشار[740]. يطلق على متولي هذا المنصب اسم "أمين المستفاد"؛ يتكلف بتحصيل تلك المصادر وصيانتها والحفاظ عليها واستثمارها من خلال عملية التأجير وتسجيل كل المداخيل في دفاتر خاصة تختم وتحفظ في أماكن محددة.
- ✓ **أمانة الصائر**[741]: سميت بهذا الاسم لأنها الجهة المكلفة بالإنفاق الداخلي على مستوى القصر الملوكي؛ فيما يتعلق بالسلطان وأسرته ومقربيه وخدامه، يشرف عليها موظف يسمى "أمين الصائر"، اختصاصه فقط متعلق بالتصيير وليس بالتحصيل؛ ومن ثم فعمله مكمل لعمل أمين المستفاد. فإذا كان هذا الأخير يقوم بجمع المداخيل وإنفاقها على المستوى الخارجي؛ فإن الأول مكلف بإنفاقها في الوجوه المعلومة؛ مثل دفع أجور موظفي القصر بمختلف مكوناتهم

---

[735]– هي المواد الضرورية التي يجب على القبائل توفيرها لكل من ينزل أو يمر بها من رجال الدولة في مهمة رسمية. نفسه، ص. 173.

[736]– مصطلح مخزني يعني تلك العمليات العسكرية الداخلية التي تنظمها السلطة المركزية لإثبات سيادتها وبسط سلطتها على منطقة من مناطق المغرب.، عبد الإله الفاسي، مادة الحركة، **معلمة المغرب**، ج 10، ص. 3378– 3379.

[737] - -Henri GAILLARD, **Une Ville de L'islam : Fès**, Jean André, paris, 1905, p.149.

[738] - Eugène AUBIN, Le Maroc d'aujourd'hui, édit. Armand Colin, Paris, 1904,p. 247.

[739]– يتكلف بتحصيلها موظف يطلق عليه اسم "أبو المواريث"، ثم يقوم بدفعها لأمين المستفاد.

[740]– التوزاني، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن**، ص. 113 و130 و135.

[741]– حول مسطرة عمل أمناء الصائر انظر الملحق رقم 11.

ومراكزهم، وكذا الأشخاص الموصى لهم من أصحاب التنافيذ والجيوش المستقرة بمكناس وأحوازها والتي تعرف بـ "الجرايات"[742]. كانت عملية الإنفاق تتم بأشكال منها المشاهرة والمسانهة[743].

✓ **أمانة الداخل**: يعتبر المشرف عليها هو المسؤول عن تخزين ما حصله من ضرائب مالية وعينية، إما في بيت المال الذي كان يوجد في المدن الكبرى؛ ومنها مدينة مكناس أو في الأقواس. وعن الفرق بينهما يقول ابن زيدان عند حديثه عن قوس مكناس «**عبارة عن بيت كبير يدخل فيه ما هو معد للصوائر اليومية والشهرية، أما بيوت الأموال فلا يخرج منها شيء، وإذا عمرت تغلق غلقا محكما وربما بنى على أبوابها**» [744]. الاختلاف بين القوس وبيت المال أن الأول يبقى مفتوحا لأنه مرتبط بالنفقات المستمرة، عكس بيت المال.

بناءا على ما سبق؛ نستخلص أن الشخص المسؤول عن خطة الأمانة يحتل مكانة مرموقة داخل الجهاز المخزني، لما يضطلع به من أدوار رئيسية، الأمر الذي يجعله يتمتع بالاحترام والتقدير اللذين يرفعانه إلى مصاف الوجهاء. وفي هذا السياق حظي بعض أعلام مكناس بشرف تولي هذه الخطة؛ وهو ما أسهم في بناء وجاهتهم وتعزيز نفوذهم داخل المجتمع.

جدول 6: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الأمانة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
مرجان الكبير	مخزني	المولى إسماعيل
الطاهر بن العربي بادو	علمي	المولى سليمان
بوعزة بن العربي الفشار	مخزني	المولى عبد الرحمان بن هشام
المدني الحلو	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام

[742]- التوزاني، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن**، ص. 227- 228- 229- 230.

[743]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 163.

[744]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 536.

عبد الرحمان النسب	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
محمد بن بوعزة الفشار	مخزني	المولى الحسن
أحمد بن عبد القادر العرائشي	علمي	المولى الحسن

سابعا: السفارة:

السفارة مأخوذة من سفر يسِفر سفرا سفارة؛ أي أصلح، والسفير هو الماشي بين القوم في الصلح[745]، واصطلاحا هي فن تمثيل الدول للقيام بمهمة محددة في الزمان والمكان[746] .تعتبر خطة السفارة من أهم أشكال الاتصال والتواصل بين دول العالم منذ القدم، حيث اعتمدت كإحدى الآليات لحل الأزمات ومعالجتها دون اللجوء إلى الحروب كمخرج وما يترتب عنها من خسائر وأضرار، إضافة إلى تسهيل المبادلات التجارية وتقوية الروابط الإنسانية.

عرف المغرب كغيره من دول العالم هذه الخطة، فقد أولاها السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب عناية كبيرة خاصة في العصر العلوي؛ حيث تبوأت مكانة أساسية في علاقات المغرب الخارجية مع مختلف الكيانات المجاورة له، فرضتها عوامل متعددة منها ما هو مرتبط بالتحولات التي شهدتها أوروبا وانعكاساتها على دول حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها ما ارتبط بحركة "القرصنة البحرية" والتي عرفت نشاطا مطردا بين ضفتي المتوسط، نتج عنها كثرة الأسر سواء في صفوف المسلمين أو المسيحيين[747]، حتم الدخول في مفاوضات بهدف تسوية الخلافات، ومنها ما تعلق بالرغبة في تجاوز الأزمات التي أصابت المغرب؛ خاصة المالية منها، خلال القرنين

[745]– أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، ج 2، ص. 717.

[746] - Alphonse RIVIER, Principes du Droit des Gens, Arthur Rousseau, paris , 1896, Tome 2, p. 432

[747] – Fernand Braudel, **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II,** Armand Colin, paris, 1949, p. 694.

18 و19م من خلال توجيه التجارة الخارجية مع أوروبا للاستفادة من المداخيل وعقد معاهدات تجارية[748]. وفي هذا السياق تبادل السلاطين العلويين منذ عهد المولى إسماعيل البعثات السفارية مع بعض الدول الأوروبية والخلافة العثمانية، والتي كانت تمتد لمدة مؤقتة مرهونة بإنجاز المهمة، فاستقبلوا عدة سفارات؛ وفي المقابل أرسلوا عدة بعثات أسندوا رئاستها إلى أشخاص أكفاء يثقون في إخلاصهم ونفاذ رأيهم ورجاحة عقلهم[749]، كان من جملتهم بعض وجهاء المجتمع المكناسي

جدول 7: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة السفارة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
يوسف ميموران	تجاري	المولى إسماعيل
يوسف طوليدانو	تجاري	المولى إسماعيل
حاييم طوليدانو	تجاري	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الوهاب الغساني	مخزني	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الوهاب بن عثمان	مخزني	سيدي محمد بن عبد الله+ المولى اليزيد+ المولى سليمان

[748]- محمد البوزيدي الشيخي، **العلاقات المغربية الخارجية في القرن الثامن عشر من خلال المصادر المغربية**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1999- 2000م ،(مرقونة)، ج 2، ص. 622.

[749]- هذه نماذج من تبادل السفارات بين المغرب وبعض الدول الأوربية خلال الفترة موضوع دراستنا، استقيناها من كتاب، التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المجلد التاسع، ص 72-75-77-80-90-94-90-97-90-107-108-119-166-167-170-171-173.

البلد	سفراء أجانب حلوا بالمغرب	سفراء مغاربة بعثوا إلى الخارج
فرنسا	دوسان أمان de Saint Amans سنة 1682م	محمد تميم 1682م
	دو سانت أولون de Saintolon 1690م	عبد الله بن عائشة 1698م
انجلترا	السير أندروليك Andrew Leak 1704م	عبد القادر بيريس 1723م
	شارل ستيوارت Charles Stewart 1721م.	محمد بن علي أبغلي 1725م
	هايد ياركير Hide Parker 1756م	عبد القادر عديل 1762م.
اسبانيا	فييرا دي ليكو Viera de Lugo 1690م	أحمد بن المهدي الغزال 1766- 1767م

الطاهر بن العربي بادو	علمي	المولى سليمان

إن قيام بعض وجهاء مدينة مكناس بمهام سفارية ساعدهم على صون وجاهتهم وتعزيز نفوذهم؛ حيث صاروا يحظون باحترام وتقدير كبيرين لدى عامة المجتمع المكناسي وخاصته، كيف لا وهم تصدروا واجهة المغرب الخارجية من خلال اضطلاعهم بمسؤوليات عظمى تمثلت في مفاوضة المسؤولين الأجانب، ومحاولة تحقيق الأهداف المحددة لهم من طرف السلاطين.

المبحث الثاني: الوظائف الدينية الشرعية:

أولا: القضاء:

القضاء مأخوذ من قضاي، لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف هُمِزَت، والجمع الأقضية. والقضاء هو: الحكم، واستقضي فلان أي جعل قاضيا يحكم بين الناس[750]، واصطلاحا لا يخرج عن معناه اللغوي؛ فهو الفصل والحكم في الدعاوى والخصومات الواقعة بين الناس بحكم الشرع[751].

تعتبر خطة القضاء من أرفع الوظائف وأسماها شأنا وأخطرها شأوا، فهي من ضروريات الإجتماع البشري عبر العصور والتي لا يستقيم إلا بها[752]. وعلى غرار كل الدول عرف المغرب هذه الخطة منذ أمد بعيد تكرست أكثر مع تعاقب الأسر الحاكمة خاصة الأسرة العلوية، فقد اعتنى بها السلاطين عناية فائقة نظرا لأنها أساس الملك مستندين على النظام القضائي الإسلامي في خطوطه وأصوله[753]. وقد تجلت في:

---

[750]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 15، ص. 186.

[751]- محمد حمد الغرايبة، **نظام القضاء في الإسلام**، دار الحامد للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م، ص. 47.

[752]- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج 1، ص. 400.

[753]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 424.

- ✓ التحري في انتقاء من يتولى منصب القاضي من بين كبار الفقهاء أهل العلم والدين والصدق والورع والاستقامة، نظرا لما يتوقف عليه تطبيق الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة، وإذا وقع الاختيار على أحد الشخصيات يعينونه بمقتضى ظهير[754].
- ✓ الاهتمام بأحوال القضاة المهنية والمعيشية، من خلال تخصيص رواتب لهم من الأحباس وإجراء الجرايات عليهم في المناسبات ومنحهم أعطيات تحفظ كرامتهم و تصون هيبتهم، إذ كانوا يعتبرون من كبار موظفي الدولة الذين يستمدون سلطتهم من السلطان مباشرة.
- ✓ حرصهم على تنظيم خطة القضاء بشكل هرمي، يوجد على قمته "قاضي الجماعة" أو "قاضي الحضرة"[755]؛ يستقر في المدن الكبرى مثل فاس ومراكش ومكناس، يعين بظهير سلطاني توكل إليه مهام النظر في القضايا الكبرى، وتفقد أحوال القضاة الذين يشرف عليهم ويراجع أحكامهم ،كما يشرف على موارد الأحباس ويتولى الخطابة والإمامة في حضرة السلطان[756]. يليه مباشرة القضاة الذين يتكلفون بالفصل في المنازعات، وفض الخصومات، واستيفاء الحقوق، وتنفيذ الوصايا، وتصفح عمل الشهود والعدول والأمناء. ثم يليهم نوابهم الذين يمارسون نفس مهام القضاة في المناطق المجاورة للمدن الكبرى.
- ✓ إدخال إصلاحات على خطة القضاء كلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ فعلى سبيل المثال قام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بإصدار ظهائر ومراسيم لمواجهة الوضعية المتأزمة التي أصابت الجسم القضائي بالمغرب بعد وفاة جده المولى إسماعيل، والتي من مظاهرها ضياع

---

[754]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 9.

[755]- يرجح أن تسمية قاضي الجماعة تعود جذوره إلى بلاد الأندلس، وأول من تسمى بهذا الإسم هو يحي بن يزيد التجيبي، وفي هذا السياق يقول الخشني: «أنه لما دخل عبد الرحمان الداخل قرطبة في سنة 138هـ/ 755م ألفى فيها يحي بن يزيد قاضيا فثبته على القضاء وكان من قبل ذلك يقال له وللقضاة قبله فلان قاضي الجند (...) وأن تسمية القاضي بقاضي الجماعة محدث لم يكن في القديم ». هوبكنز، **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1780، ص. 206- 207.

أضيف إليه لقب "الجماعة" إما القصد منها جماعة القضاة باعتباره رئيس القضاة وكبيرهم؛ أو جماعة المسلمين لأنه يقوم بالفصل في الخصومات بين أفراد المجتمع، وهو لقب يرادفه في المشرق لقب قاضي القضاة. أبو الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، ص. 21. أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1349هـ/ 1931م، ج 14، ص. ص. 241.

[756]- حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص. 281.

حقوق الناس واستفحال ظاهرة النصب، فاتخذ إجراءات منها: إلزام القضاة بتسجيل الأحكام وتزويد المتحاكمين بنسخ من القرار- الاعتماد على فقهاء المذهب المالكي المعتبرين للاستنباط الأحكام- تحديد درجات التحاكم في خمسة أقسام: متفق عليه، والراجح، والتساوي، والمرجوح، والشاذ[757]. كما وضع المولى الحسن ضابطا عدليا متعلقا بالمعاملات وضبط العلاقات بين التجار الأجانب والمغاربة.

كانت مكناس من أهم المدن التي تكرس فيها النظام القضائي منذ عهد المولى إسماعيل، فباعتبارها إحدى العواصم الثلاث للمغرب، درج السلاطين على تعيين قضاة من خيرة علماء المدينة وجهابذة فقهائها المنتمين إلى أسر عريقة في العلم في منصب "قاضي الجماعة"، متمتعين بصلاحيات واسعة امتدت على مجال شاسع؛ فقد كان نفوذهم يمتد من وادي النجا[758] إلى غاية قبيلة بني حسن و زمور من جهة؛ ومن بني مطير إلى زرهون، يساعده نواب كثيرون وهذا ما يتضح من خلال الجدول التالي[759]:

جدول 8: أسماء نواب قاضي مدينة مكناس

المنطقة	أسماء النواب
بني حسن	أبو بكر بن علي المحمدي الخليفي+ أحمد بن سليمان الشباني+ محمد بن الجيلالي الحسنوي المختاري+ محمد بن علي السحيمي.
زمور الشلح	عيسى القبلي+ عبد السلام الغرباوي
قصبة أكوراي	أحمد شاموش + العربي بن أحمد شاموش.
بني مجيلد	محمد حدو

[757]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء 3، ص. 224- 226. إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف من الزمن**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1994م، ص. 131.

[758]- واد يقع في سهل سايس على بعد 20 كلم شرق فاس، ويشكل الحد الفاصل بين مدينتي مكناس وفاس. ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 19.

[759]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 20- 21.

شراردة	الصادق الزراري+ عمر الشباني+ العربي بن الكايسي
زرهون	محمد بن عمر العلوي+ أحمد الخطابي+ أحمد الهبطي+ محمد بن الفاطمي الشبيهي

بناء على ما سبق؛ نستخلص أن تولي خطة القضاء كانت ترفع متوليها إلى مصاف الوجهاء ذوي السلطة والنفوذ والكلمة المسموعة والأوامر المنفذة، محاطين بهالة من التعظيم والتبجيل لدى أعيان الدولة ومن دونهم، حيث كان السلاطين يحثون عمالهم وقوادهم على تطبيق أحكامهم دون مناقشة أو تهاون[760]. فلا غرابة إذا وجدنا أن منصب القاضي كان محل تنافس وصراع بين العلماء، لما يضمنه من مكانة اعتبارية داخل المجتمع وصون الوجاهة.

جدول 9: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة القضاء بمدينة مكناس

اسم القاضي	طبيعة البيت	العهد
أبو مدين محمد بن الحسين السوسي	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن الحسن المجاصي	علمي	المولى إسماعيل
أبو مروان عبد الملك التاجموعتي	علمي	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن محمد العرائشي	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن العياشي	مخزني	المولى إسماعيل
الحسن بن رحال المعداني	علمي	المولى إسماعيل
سعيد بن أبي القاسم	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الواحد البوعناني	علمي	المولى إسماعيل

[760]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 28.

أبو القاسم بن سعيد العميري	علمي	المولى محمد ولد عربية
محمد بن عبد السلام البيجري	علمي	المولى محمد ولد عربية
عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ	علمي	المولى محمد ولد عربية
محمد بن أحمد العوفي	علمي	المولى سليمان
التهامي الحمادي	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
العباس بن كيران	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
المهدي بن سودة	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام+ المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
أحمد بن سودة	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن+ المولى عبد العزيز.

ثانيا: النقابة:

النقابة مصدر من فعل نَقابة فهو نقيب، بمعنى العريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم ويفتش عليها[761]، وهذا المعنى اللغوي يتطابق مع المعنى الاصطلاحي، فهي تلك الخطة التي تنظر في الأنساب الشريفة وتعمل على تحقيقها وتحفظها من الدخلاء مدعي الانتساب إلى الجانب النبوي، وترعى شؤون السادة الأشراف[762].

تعتبر هذه الخطة[763] قديمة بالمغرب مر تطورها بمراحل؛ ففي أول الأمر ظهرت بشكل بسيط مع الأدارسة، إذ تم تعيين رجل شريف تولى أمور الشرفاء العلميين هو أحمد بن حيدرة، حمل لقب

[761]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 769.

[762]- القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 343. ابن زيدان، **العز والصولة**، الجزء الثاني، ص. 74.

[763]- كان للأشراف أحكام خاصة بهم في الفقه الإسلامي، نقتصر على مثال متعلق بمسألة قبولهم الصدقة، إذ نص العلماء على جواز أخذهم للصدقة الفرض (الزكاة)، أما صدقة التطوع فلا يجوز أخذهم إياها. للمزيد انظر: حسن النجار، **الأشراف**، القاهرة، 1938م، ص. 30 – 31.

"المزوار"؛ بمعنى النقيب[764]. ثم استمرت على هذا الشكل إلى حين وصول المرينيين للسلطة؛ حيث ستشهد هذه الخطة تطورا ملحوظا ارتبط مع تزايد أهمية الشرفاء داخل النسيج الاجتماعي المغربي؛ فأصبح لهم حضور قوي بفضل عناية السلاطين بهم، الذين وجدوا فيهم سندا يضفي الشرعية على حكمهم، وفي هذا الصدد عملوا على جمع شمل الأشراف الأدراسة[765] وتمتيعهم بامتيازات مادية توارثوها؛ تجلت في تخصيص جرايات شهرية وسنوية، وإعفائهم من الضرائب غير الشرعية، وإشراك بعضهم في تسيير دواليب الدولة من خلال تقليدهم مناصب مهمة[766]، كما اهتموا بحفظ أنسابهم وتسجيلها في ديوان خاص. وظل الحال هكذا مع الدولة السعدية حتى وفاة أحمد المنصور سنة 1603م؛ حيث انقلبت الأوضاع العامة بالمغرب ومعها خطة النقابة؛ حيث صار يتولاها «**من لا علم له ولا معرفة بالأنساب، بل صارت منصبا دنيويا يتوارث ولدا عن والد، ويتولاها جهلة الناس ومن لا يخاف الله**» **[767]**.

ومع بروز الدولة العلوية ستعرف النقابة تحولا كبيرا بارتقائها إلى مؤسسة قائمة الذات، خصها السلاطين منذ المولى الرشيد بعناية فائقة، فكانوا «**لا يرشحون لمنصب النقابة إلا وجوه أهل الدين المتين، والخشية والمراقبة الذين لهم معرفة وإشراف على تحقيق كل حسب ونسب يرجع لهذه النسبة الطاهرة**»**[768]**. إضافة إلى الاهتمام بالأشراف من خلال رعي مصالحم ومنحهم امتيازات عديدة، وكذا اتخاذهم إجراءات أكثر صرامة للتدقيق في نسب الشرفاء. وفي هذا الإطار وضع السلطان المولى إسماعيل ديوانا خاصا جمع فيه طبقات الأشراف[769]، كما قام حفيده

---

[764]- عمراني، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية**، ص. 68.

[765]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 85.

[766]- محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ/ 12- 15م**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1999م، ص. 244.

[767]- الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 89.

[768]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 78.

[769]- صنف الديوان الأشراف إلى طبقات بعضها فوق بعض « فأول ترجمة فيه بالمشاهير الذين عد شرفهم من المتواتر، ثم أهل الرسوم الذين لا يتوجه الى أهلها طعن ولا يتطرق للمتمسك بها احتمال، أهل الرسوم التي توجه الطعن إليها. وقد ضرب لهم الآجل عليها. ثم أهل الظهائر والتحلية

المولى سيدي محمد بن عبد الله بسن قواعد مشددة للتنقيب في صحة الرسوم المملوكة للأشخاص، بحكم انتشار ظاهرة المتشرفة الذين يدعون بهتانا الانتماء إلى النسبة الشريفة [770].

ومن هذا المنطلق؛ حاول السلاطين تنظيم خطة النقابة لما لها من دور أساسي في التمييز بين الأشراف والمتشرفة، وما يستتبع ذلك من وظائف مخزنية وامتيازات كبيرة تمتع بها ذوو النسبة الشريفة، جعلت مسألة ادعاء النسب تكثر خاصة في فترة الأزمات والقلق. وقد استند هذا التنظيم إلى أسس منها:

- ✓ تحديد شروط خاصة لمن يتولى خطة النقابة: مثلا أن يكون من خاصة الأشراف العارفين بعلم الأنساب والتواريخ والوفيات، والماهرين في قراءة الخطوط وفك توقيعات الشهود[771].
- ✓ ضبط مهام النقيب[772] من خلال: البحث عن أصول الشرفاء وفصولهم أينما وجدوا- الاطلاع على ما بأيديهم من رسوم وعقود وتحري الدقة باتباع منهج الأئمة الأعلام والعمل به للتحقق من قوي النسب الشريف وضعيفه- الوقوف على أحكامهم وسائر أحوالهم وضرورياتهم- النيابة عنهم في المطالبة بحقوقهم- إرشادهم إلى الخير تنزيههم عن الرذائل ومنعهم من ارتكاب المحرمات- الفصل بينهم في منازعاتهم وخصوماته.

وتأسيسا على ما سبق؛ نستنتج أن النقيب يتمتع بحضور فاعل ومؤثر داخل المجتمع، بوأه مكانة مرموقة لدى رجال الدولة ومن دونهم، وعلى غرار مدن المغرب ضمت مدينة مكناس مؤسسة النقابة، على اعتبار أنها كانت مستقرا لأعداد غفيرة من الأشراف بمختلف فروعهم، تطلب الأمر من السلاطين التدخل لتنظيم شؤونهم ورعاية أحوالهم عن طريق اختيار أعيانهم كنقباء

التي ربما يكون بها عبرة في الظاهر، ثم أهل الدعاوي المجردة وهم في الكثرة أجناد مجندة. ثم أهل الدعاوي الكاذبة.» ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 246.

[770]- الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 92.

[771]- القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 343.

[772]- استقينا هذه المهام من الظهير الذي أصدره السلطان المولى إسماعيل بتاريخ منتصف المحرم الحرام عام 1117هـ/ ماي 1705م، م.و.م.م، محفظة فاس، رقم سجل 5882.

حظوا بجاه عظيم ونفوذ كبير لدى الخاصة والعامة، أدركوه أولا بنسبهم الشريف، وثانيا بتوليهم خطة النقابة على الأشراف.

جدول 10: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة النقابة بمدينة مكناس

اسم النقيب	البيت	تاريخ التعيين	العهد
عبد القادر بن عبد الله	الشبيهي	1083هـ/ 1672م	المولى إسماعيل
محمد بن عبد القادر	الشبيهي	1111هـ/ 1699م	المولى إسماعيل
الطيبي بن عبد القادر	الشبيهي	1141هـ/ 1728م	المولى عبد الله
محمد بن الطيب	الشبيهي	1188هـ/ 1774م	سيدي محمد بن عبد الله
السعيدي	الشبيهي	1198هـ/ 1784م	سيدي محمد بن عبد الله
أحمد بن السعيدي	الشبيهي	1235هـ/ 1820م	المولى سليمان
المختار بن أحمد الشبيهي	الشبيهي	1248هـ/ 1832م	المولى عبد الرحمان
مشيش بن المختار	الشبيهي	1307هـ/ 1890م	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز
راشد السعيدي	الشبيهي	1311هـ/ 1893م	المولى الحسن
راشد بن علال	الشبيهي	1327هـ/ 1909م	المولى عبد الحفيظ

ثالثا: الإفتاء:

يقال أفتاه في الأمر أي أبانه له، وأوضح له الحكم في المسألة[773]، واصطلاحا هو إخبار بحكم الله تعالى عن دليل شرعي لمن سأل عنه في أمر نازل[774].

[773]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 15، ص. 147.

تعتبر خطة الإفتاء من أبرز الخطط الدينية جليلة القدر التي تحظى بعناية قصوى قديما وحديثا، وقد اعتنت الدول التي حكمت المغرب بهذه الخطة، بحكم دورها الكبير في توجيه الحياة العامة وفق منهج الشرع؛ سواء على مستوى الفرد (ضمان استقراره الروحي) أو المجتمع (تحصينه من الانحرافات التي قد تؤدي إلى تفككه) أو الدولة (ضبط العلاقات بين الحاكم والمحكومين). وعلى هذا الأساس فهي من المهام الحساسة التي تجعل متوليها "المفتي" يتمتع بمكانة مرموقة داخل البنية الاجتماعية الحضرية بالمغرب[775].

ظهرت خطة الفتيا مع الدولة السعدية في عهد السلطان محمد الشيخ (946- 964هـ/ 1539- 1556م)، اقتبسها من العثمانيين، وكان أول من تصدى لها محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس[776]، ثم تكرست أكثر مع اعتلاء العلويين كرسي السلطة؛ حيث اهتم بها السلاطين اهتماما بالغا، وذلك من خلال:

- ✓ الحرص على تعيين أكفأ العلماء ونخبة الفقهاء لتقلدها، وإحاطتهم بهالة من التقدير والاحترام لما يمثلونه من رمزية تمثيل الشرع وتبليغ الأحكام عن رب العالمين[777]، فقربوهم إليهم واعتمدوا على رأيهم في اتخاذ القرارات والوقوف عند مشورتهم.

---

[774]- محمد سليمان الأشقر، **الفتيا ومناهج الإفتاء: بحث أصولي**، مكتبة المنار الإسلامية، حولي (الكويت)، الطبعة الأولى، 1396هـ/ 1976م، ص. 9.

[775]- يقول ابن القيم عن أهل الفتيا: «**فَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ إلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ بِنَصِّ الْكِتَابِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الامْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلا} النساء: 59**». محمد ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**،تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1991م، ج 1، ص. 8.

[776]- عبد العزيز بنعبد الله، «القضاء المغربي وخواصه: الفتاوي والنوازل والوثائق» ، **ندوة الإمام مالك: إمام دار الهجرة**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1400هـ/ 1980م، ج 3، ص. 232.

[777]- أحمد متفكر، **من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 14.

- ✓ إدخال بعض الإصلاحات على خطة الإفتاء كلما رأوا حاجة إلى ذلك، كما فعل السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر ظهيرا مؤرخا في 27 جمادى الأولى 1203/ 22 فبراير 1789م، انتقد فيه اعتماد الفقهاء في فتاويهم على المختصرات[778].

لقد تمتع المفتون بقدر عظيم وتبجيل كبير لدى صفوة المجتمع وعامته، بفضل حضورهم المؤثر في شتى مجالات الحياة، برز منهم في مدينة مكناس نخبة من العلماء الفطاحل الذين بلغوا شأنا رفيعا، ليس فقط داخل المجتمع المكناسي بل المغربي عموما، وهذا ما يتضح من خلال ظهير السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي أوصى فيه باتباع فتوى الوجيه المكناسي القاضي المهدي بن سودة حول قضية بيع عرصتين بمراكش، وعدم الأخذ بالفتاوى الصادرة عن غيره من العلماء؛ الشاهد فيه: «**فالعمل على ما أفتى به في النازلة، ولا يلتفت إلى غيره، ومن أفتى فى هذه النازلة أو غيرها من النوازل التى أفتى فيها أو حكم فيها السيد المهدى المذكور**»[779] .

جدول 11: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الإفتاء بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
محمد بن الحسن المجاصي	علمي	المولى إسماعيل
أبو مدين محمد بن الحسين السوسي	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن الطيب بن عبد السلام البيجري	علمي	المولى عبد الله
علي بن صانبة البخاري	مخزني	المولى عبد الرحمان
محمد بن عبد السلام بن الطيب الطاهري	شريفي	المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ

[778]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص 239- 240.

[779]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 56.

رابعا: الحسبة:

لغة يقال حَسِبْتُ الشيء أحسَبُه حسابا احتسابا والإحتساب: طلب الأجر، والاسم الحِسْبَة وهو الأجر[780]، أما اصطلاحا فهي «**رقابة إدارية تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين، على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق والدين والاقتصاد والمجتمع، تحقيقا للعدل والفضيلة، وفقا للمبادئ المقررة في الشرع الإسلامي والأعراف في كل بيئة وزمن**»[781].

برزت خطة الحسبة بالمغرب مع الدولة الإدريسية؛ إلا أنها مع العصر العلوي ستشهد تنظيما دقيقا وتخطيطا جليا، حيث رعاها السلاطين رعاية كبيرة، إذ أن الضرورة تقتضي الاهتمام بحاجيات الناس والتناصف بالمعاملات التي تحفظ الحقوق، استنادا إلى الشريعة الاسلامية، حيث اعتبروها ركيزة أساسية في الجهاز الإداري لدولتهم مكملة لخطة القضاء، فهي تتوافق معها «**في إلزام المدعي عليه برد الحق الذي عليه وتقصر عن القضاء في كونها تنظر في الدعاوي المتعلقة بالمنكرات دون الخصومات مع التمييز بالنظر في القضايا التي لا يوجد فيها خصة يستعدي مع استعمال المحتسب للتعزير والرهبة مما لا يجوز للقاصي**» [782].

نستخلص إذن؛ أن هناك تشابها واضحا بين خطتي الحسبة والقضاء. لكن الخيط الرفيع بينهما أن الأولى تقصر عن الثانية كونها تنظر في القضايا المرتبطة بالنزاعات والخصومات. ونظرا لخطورة الحسبة، فقد أشرف السلاطين بأنفسهم على انتقاء الأعلام الذين يلمسون فيهم القدرة على النهوض بها في الحواضر السلطانية والمدن الكبرى من ضمنها مدينة مكناس؛ حيث وقع اختيارهم على بعض الشخصيات المكناسية بناء على معايير دقيقة منها: العلم والإخلاص والفطنة

---

[780]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، 314.

[781]- عبد العزيز بن محمد مرشد، **نظام الحسبة في الإسلام: دراسة مقارنة**، رسالة ماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الدراسات العليا، المعهد العالي للقضاء، ص. 14.

[782]- عبد العزيز بنعبد الله، **الحسبة بالمغرب**، www.abdelazizbenabdallah.org، تاريخ الاطلاع 27/ 01/ 2019. http://www.abdelazizbenabdallah.org/oeuvres/docs/Oeuvres_Hisba.pdf، بتاريخ 20/ 01/ 2019، ص.2.

والصدق والأمانة والحلم وعدم التعجل، لتولي وظيفة الحسبة بموجب ظهير شريف يحدد فيه صلاحياتهم ومسؤولياتهم وعواقب التهاون في عملهم. وهذا ما نستشفه من الظهير الذي أصدره السلطان المولى الحسن 1298هـ/ 1881م، وبمقتضاه تم تعيين الحاج محمد بن العربي أجانا محتسبا على مكناس. والشاهد فيه: « **وجعلنا له النظر في الباعة وأهل الحرف والأسواق، وكل ما شملت الخطة على العموم والإطلاق، وبسطنا له يد التصرف على الجميع. ونأمر بمراعاة حق الضعفاء والمساكين، في الأسعار والمكاييل والموازين، وحسم مادة الغش والتدليس والتطفيف، وعقوبة من ارتكب شيئا منها بما يراه من سجن أو ضرب أو تطويف، وإقصاء من لم ينته عن فعله السخيف، وعليه بتقوى الله ومراقبته، في سره وعلانيته. ونأمر الباشا أن يشد عضده فيما يتعلق بخطته، ونطلب الله له التوفيق والتسديد، والسلام**»[783].

وفي الوقت نفسه، أحاطوهم بالاحترام والتقدير من خلال تخصيص رواتب مهمة تحفظ هيبتهم وتصون مكانتهم، لأنهم يمثلون الدولة؛ وهذا ما عكسه الظهير الصادر عن السلطان المذكور للمحتسب نفسه، بتاريخ 8 جمادى الأخيرة عام 1299هـ/ 26 أبريل 1882م، ومما جاء فيه بعد الافتتاح: «**خديمنا الأرضى (...) فقد وصل كتابك، أخبرت فيه بأنك لم تقبض راتب الحسبة منذ توليت، وقدره أربعين مثقالا في الشهر، وطلبت أمرنا الشريف للناظر يمكنك منذ مدة توليتك، ويدفع لك الريال بحساب خمسين أوقية. فها نحن كتبنا للناظر في ذلك، وعلى الريال بما يروج في الوقت، والسلام**»[784].

لقد كان للمحتسبين أدوار مفصلية ومهام كبيرة تلامس حياة الناس في شتى المجالات بشكل مباشر، مما أهلهم لاحتلال مكانة مرموقة داخل الجهاز الإداري المخزني، ملحوظين بالشأن الرفيع والجاه العظيم لدى عامة المجتمع وخاصته.

---

[783]- نص الظهير كاملا سبق أن أوردناه في الفصل الأول، ص 164.

[784]- المنوني، «خطة الحسبة في المغرب»، ص. 231.

جدول 12: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الحسبة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
الطاهر بن العربي بادو	علمي	المولى سليمان
ابنه الحاج محمد بادو	علمي	المولى سليمان+ المولى عبد الرحمان بن هشام.
أحمد اللب	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام.
أحمد بن الطاهر بادو	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
ابنه ادريس بادو	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام
الطيب بن عبد الرحيم غريط	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام+ المولى الحسن
المختار بن أحمد بن بادو	علمي	المولى الحسن
محمد بن العربي آجانا	مخزني	المولى الحسن
إدريس بن زينة البخاري	مخزني	المولى الحسن
محمد بن أحمد بناني	تجاري	المولى عبد العزيز
الطالب بناني بناني	تجاري	المولى عبد الحفيظ

خامسا: التوقيت:

مشتق من الوقت: مقدار من الزمن، والجمع: أوقات وهو الميقات: الوقت المضروب للفعل والموضع[785]. واصطلاحا هو العلم الذي يتعرف أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها لمعرفة أوقات العبادات، وتوخي صحتها ومقادير الظلال والإرتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها[786].

[785]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 2، 107

[786]- محمد العربي الخطابي، **علم التوقيت أصوله ومناهجه**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1407هـ/ 1986م، ص. 3.

أولى الإسلام عناية كبيرة بالوقت[787]، وجعل الكثير من العبادات مرتبطة به ارتباطا وثيقا؛ إذ أن لكل عبادة ميقاتا خاصا بها لا يجوز مخالفته، وعلى هذا الأساس اعتبرت خطة التوقيت من أشرف وأهم الخطط الشرعية، بها تنتظم حياة الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية.

وقد اهتم المغاربة كغيرهم من المسلمين بهذه الخطة منذ الفتح الإسلامي خاصة في العصر العلوي، حيث اعتنى السلاطين العلويون بها وحرصوا على ضبطها ورعايتها. ويمكن الوقوف على هذا الاهتمام من خلال تشجيعهم وحثهم على دراسة العلوم المساعدة على إتقانها، وإشرافهم شخصيا على ترشيح أفضل الطلبة وأنجبهم لتعلمها، إضافة إلى تعيين أشخاص يتداولون ممارستها يطلق عليهم "مؤقتين" ، بعد التيقن من ضبطهم لقواعد هذا الفن والتمكن من طرقه.

ومن جملة المؤقتين الذين برزوا خلال العصر العلوي؛ بعض الأعلام المكناسيين الذين حظوا بمنزلة سامية عند السلاطين تليق بوظيفتهم الشريفة؛ سواء من خلال السهر على تكوينهم بإصدار أوامرهم لرؤساء الجيش لاختيار أنبه الطلبة لتعلم هذا العلم، وجعل بعضهم من الملازمين لهم لا يفارقونهم في جميع أحوالهم سفرا وحضرا، أو عبر تعيين من أتقنها مؤقتا في مساجد المدينة بموجب ظهير شريف يحدد مهامهم وأدوارهم؛ وهذا ما نلحظه من خلال الظهير الذي أصدره السلطان المولى الحسن بتاريخ 12 ربيع الثاني 1309هـ/ 14 نونبر 1891م بمقتضاه تم إسناد خطة التوقيت في الجامع الأعظم بمكناس للوجيه الطالب السعيدي بن محمد المنوني والشاهد فيه: «**أن يسلك في حسن القيام بذلك المسلك المعتبر، ويجري فيه على الضابط المقصود والشرط المقرر، ويلازم المقابلة في التعديل بتحرير المناط وتصحيح النظر: من تعرف الأزمنة وأحوالها، والمواظبة على استخراج المطالب التي تحدث مدة انقلابي الشمس وتنعدم عند**

---

[787]- أقسم الله سبحانه وتعالى بالزمن في قوله: {وَالْعَصْرِ إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (1) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ (2) وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ (3)} . سورة العصر. يقول فخر الرازي في تفسيرها: «**إن الدهر والزمان في جملة أصول النعم، فلذلك أقسم الله به، ولأن الزمان والمكان هما أشرف المخلوقات عند الله، كان القسم بالعصر قسما بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته**».فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م، ج 32، ص. 84.

اعتدالها، واستدامة أخذ الارتفاعات، وارتصاد تفاوت المطالع البلدية بالدقائق والدرجات، واختلال الظلال والميل والفضلة والغايات، لتحقيق تعديل الساعات، وتقويم مواقيت الصلوات، المبنية على عرض البلد، الذى عليه يعتمد، وإليه يستند، مع استحضار ما يراد من تعديل الكواكب والدراري، المسخرة في المنطقة الفلكية بالقدرة الأزلية وتأثير الباري»[788].

نستخلص إذن؛ أن مهمة المؤقت خطيرة جدا نظرا لارتباطها بالعبادات: ضبط أوقات الصلوات من خلال قياس الزمن عبر ما يسمى "ساعة الظل" أو "الساعة الشمسية"، وتحديد سمت القبلة (اتجاهها) وتنصيب المحراب والتعرف على بداية الشهور القمرية، إضافة إلى دوره الرئيسي في الحركات السلطانية حيث يتكلف بتقسيم الطرق لمراحل بالساعات والدقائق ووصفها من أجل تعيين أماكن الاستراحة[789].

ولنجاح مهمة المؤقتين، كانوا يستعينون بمجموعة من الآلات يستخدمونها للنهوض بمسؤولياتهم لخصها الصنهاجي[790] في:

- ✓ الإسطرلاب: هي الآلة التي يتعرف بها عن أحوال الكواكب والنجوم وتحديد مواقعها في السماء، وتحديد الساعة ليلا ونهارا.
- ✓ المسطح: جسم من المعدن يشمل على صفائح مستديرة رسمت فيها خطوط مستقيمة ومستديرة تامة وناقصة متوازية وغير متوازية تعرف به الساعات.

---

[788]- المنوني، **وثائق ونصوص**، ص. 133

[789]- عبد الإله الفاسي، مادة الحركة، **معلمة المغرب**، ج 10، ص. 3379.

[790]- شهاب الدين الصنهاجي القرافي، **اليواقيت في علم المواقيت**، دراسة وتحقيق جراح بن نايف الفضلي، رسالة لنيل درجة الماجيستير في الفقه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1428هـ، ص. 91- 92.

✓ المزولة الشمسية: عبارة عن ساعة شمسية تتكون من عدة نقاط وخطوط، رسمت على صفيحة عريضة، في وسطها قائم أو وتد تقع عليه الشمس، فتترك وراءه ظلا متحركا على النقاط والخطوط، وبمراقبة هذا الظل كانوا يعرفون ساعات النهار.

كانت هذه الآلات توجد في أهم مساجد مكناس مثل الجامع الأعظم وجامع لالة عودة.

وبناء على ما سبق؛ يمكن القول إن خطة التوقيت كانت من أرفع الخطط التي تجعل صاحبها يكتسب شهرة وسمعة ومكانة بين الناس، محاطا بهالة من التقدير والاحترام، تؤهله للارتقاء إلى صفوة المجتمع ووجهائه، وبالتالي كانت محل تنافس شديد بين أعلام البيوتات العريقة في مدينة مكناس.

جدول 13: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة التوقيت بمدينة مكناس

اسم المؤقت	فترة التولية	المكان	العهد
عبد الرحمان بن محمد الشاوي	1123هـ/ 1712م	الجامع الأعظم	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الرحمان الشاوي	1128هـ/ 1716م	الجامع الأعظم	المولى إسماعيل
محمد بن أحمد المنوني	1223هـ/ 1809م	الجامع الأعظم	المولى سليمان
عبد القادر بن عبد الرحمان الشاوي	1225هـ/ 1810م	الجامع الأعظم	المولى سليمان
محمد بن محمد بن أحمد المنوني	1276هـ/ 1859م	مسجد النجارين	المولى عبد الرحمان بن هشام
المعطي بن العناية البخاري		مصاحبة السلطان	المولى عبد الرحمان بن هشام

محمد السعيد المنوني	1309هـ/ 1891م	الجامع الأعظم	المولى الحسن
محمد بن الحسين بن عبد القادر العرائشي	1313هـ/ 1895م	الجامع الأعظم	المولى عبد العزيز

سادسا: العدالة:

مأخوذة من العدل؛ وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور[791]. واصطلاحا عرفها ابن خلدون بقوله: «**وظيفة دينية تابعة للقضاء، ومن مواد تصريفه، وهي القيام بإذن من القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، تحملا عند الإشهاد، وأداء عند التنازع، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم**»[792].

نستشف من هذا التعريف جملة من الملاحظات نجملها فيما يلي:

- ✓ أن خطة العدالة من أهم الخطط الشرعية، فوجودها ضروري لتحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع، يتكلف بها أشخاص يسمون بـ "العدول" هم بمثابة أعوان للقضاة يشتغلون تحت إشرافهم يستعينون بهم لقبول الشهادة، وهذا ما نلمسه في الضابط العدلي الذي وجهه السلطان المولى الحسن سنة 1299هـ/ لقاضي مكناس الوجيه أحمد بن سودة، والشاهد فيه: «**وهذا رسم يفسخ من الآن، فدخل على الناس من ذلك الاحتمالات فى العقود، وخرجت الألفاظ الشرعية عن مقتضاها بسبب الشهود، فنأمرك أن تستعمل ما يجب شرعا فى ذلك مع التحري والاحتياط، بحيث لا تقبل الشهادة بتفويت ما هو من ذلك للناس أو للمخزن إلا من عدول المدينة المبرزين، ممن قال الله فيهم فى كتابه المين (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وهم المعينون بالمرضيين أو من ماثلهم من شهود**

[791]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 11، 430.

[792]- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج 1، ص. 406

أهل البادية الذين هم محط الحاجة ورأس الخطية فلا يتقدم للإشهاد بين المتعاقدين وكذا لتعمير الذمم إلا من سلمت معرفته، وعلمت ديانته من الخاصة المتقين» [793]، هذه المرتبة لا يدركونها إلا بعد تمرسهم وقبول السلطان بتعيينهم بعد التحقق من أن المترشح يستحقها[794].

- ✓ تقوم خطة العدالة على ركنين: الشهادة والإشهاد، وهما أقوى أنواع التوثيق، بدونهما تضيع الحقوق، وبهذا يناط بالعدول القيام بالتحريات اللازمة وجمع المعلومات المطلوبة حول قضية من القضايا المتداول في شأنها؛ سواء تعلق الأمر بضمان حق أو فض نزاع، ثم يرفع كل ذلك إلى القاضي المباشر من أجل المصادقة.
- ✓ ينتهي عمل العدول بتسجيل المعطيات المتحقق منها في سجلات خاصة يطلق عليها "الوثائق". وحتى تصبح تلك الوثائق معتدا بها لابد من تضمينها للعناصر التالية: الإبتداء بالبسملة والحمدلة، وضوح الخط، تحصين الوثيقة من إمكانية التزوير، تحديد موضوع الوثيقة والتعريف بالأشخاص والتاريخ والتوقيع والختم والطابع[795].

كان هؤلاء العدول يمارسون عملهم في أمكنة معروفة للناس يطلق عليها "سماط[796] الشهود". ونظرا لحظوة هذه الخطة أولاها السلاطين أهمية قصوى نظرا لارتباطها بالحقوق، فكانوا يشترطون فيمن يتقلدها أن يتصف بمتانة الدين وحسن الخلق وشدة الورع وصدق الأمانة. وفي هذا الإطار عينوا بعض الأعلام من مدينة مكناس على رأس هذه الخطة حيث أصدروا في حقهم ظهائر التولية.

---

[793]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 46.

[794] - M. A PERETIE, **Les Medrasas de Fès**, Archives marocaines, Ernest Leroux, Paris, tome XVIII, 1912, p. 320.

[795]- عبد الرزاق وورقية، **مدخل إلى علم التوثيق في المذهب المالكي**، مطبعة أنفو- برانت، فاس، 2015م، ص. 94- 107

[796]- السماط: هي عبارة عن زقاق أو شارع توجد به دكاكين العدول للقيام بعملية الشهادة والتوثيق عن كل العمليات يطلق عليه في المشرق اسم "المصاطب". زليخة بنرمضان، مادة سماط العدول، **معلمة المغرب**، ص. 5111. سعود بن سعد آل دريب، **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1419هـ/ 1999م، ص. 295.

جدول 14: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة العدالة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
المفضل بن أحمد الفلوسي	علمي	المولى عبد الله
المكي بن أبي القاسم العميري	علمي	المولى سليمان
علي بن صابنة البخاري	مخزني	المولى سليمان
الطيب بن محمد بصري	علمي	المولى عبد الرحمان
المكي بن أحمد السوسي	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
محمد بن إدريس الشبيهي	شريفي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
محمد بن المعطي المزطاري	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
أحمد بن محمد بن عزوز	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن الطاهر الأمراني	شريفي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
محمد بن المهدي المنوني	شريفي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز
محمد السعيد المنوني	شريفي	المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ
محمد بن عبد السلام بن الطيب الطاهري	شريفي	المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ
علي بن الشاد بن محمد الأمراني	شريفي	المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ

خولت هذه الوظيفة لمتوليها فرصة تصدر المجتمع؛ إذ صاروا «**من صدور أعيان عدول سماط مكناس ووجهائها الموثوق بدينهم وأمانتهم**»[797].

سابعا: التدريس:

مشتقة من درس، يقال درس الكتاب يَدْرُسه ويَدْرِسه درسا ودراسة؛ أي قرأه، والمدرس: الكثير الدرس[798]، واصطلاحا يتطابق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي. تعتبر خطة التدريس من أسمى الوظائف وأعزها شرفا نظرا لأهميتها الكبيرة، فهي الأساس الذي يعتمد عليه المجتمع في إنجاب الأشخاص الذين يتصدرون واجهته ويكسبونه قوة وتماسكا من خلال تدبير شؤون شرائحه وتسيير أمورهم في شتى المجالات. ومن هذا المنطلق احتل المدرسون مكانة رفيعة داخل التشكيلة الاجتماعية المغربية منذ عصر المرابطين، تعززت بشكل ملحوظ مع وصول العلويين إلى الحكم.

لقد أولى السلاطين العلويون للتعليم عناية كبيرة خاصة ما تعلق بالشأن الديني[799]، فجعلوه طريقا وحيدا لتولي المناصب الإدارية في الدولة، وفي نفس الوقت اعتبروه دعامة رئيسية لسلطتهم السياسية، الأمر الذي شكل دافعا قويا لازدهار الحركة العلمية وتنوعها بالمغرب عموما ومدينة مكناس خصوصا؛ حيث كانت هذه الأخيرة من أهم مراكز التدريس وقتئذ بحكم أنها إحدى الحواضر السلطانية.

وفي هذا الإطار تصدى كثير من الأعلام لخطة التدريس بمدينة مكناس؛ حيث برزوا كمدرسين متضلعين وأساتذة[800] متمكنين، تهافت الطلاب من مختلف المناطق على حلقات دروسهم، كما تشرفوا بتدريس بعض السلاطين وأبنائهم وبناتهم وباقي مكونات الجهاز المخزني ،

---

[797]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 358.

[798]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 544- 545.

[799]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 148.

[800]- استخدمت بعض مصادر فترة دراستنا لقب "أستاذ" في مواطن كثيرة؛ والمقصود به هو ذاك الشخص المتقن للعلوم النقلية والعقلية، يعمل على تلقينها لطلابه في إطار مجالس العلم سواء في المساجد أو المدارس أو الزوايا، أهلته لتحصيل منزلة رفيعة داخل المجتمع، ملحوظ بالتقدير والتعظيم من لدن كافة فئات المجتمع. ومن هذه المصادر نذكر: محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر المواعظ والعبر من أعيان المائة والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**.

فاكتسبوا شهرة واسعة وصاروا معظمين عند الخاصة والعامة ومحل أنظار السلاطين الذين خصوهم بتقدير كبير واحترام جليل.

ومن تجليات هذه المكانة المرموقة التي تبوأها المدرسون بمدينة مكناس أنهم أصبحوا من المقربين إلى مركز السلطة، متمتعين بامتيازات مهمة؛ مثل تلقيهم رواتب تعينهم على التفرغ والانقطاع لأداء واجبهم، والتي تدفع بأشكال منها: مشاهرة أو مسانهة أو عند رأس كل ستة أشهر[801]، إضافة إلى إعفائهم من دفع الكلف المخزنية والوظائف السلطانية[802].

تمكن المدرسون من الوصول إلى أعلى مراتب الخطط داخل الدولة؛ من وزارة وحجابة وكتابة وقضاء وحسبة وغيرها، كما تخرج على أيدهم عدد كبير من أعيان مكناس ووجهائها. وإجمالا ؛يمكن القول إن التدريس شكل أحد وسائل الترقية الاجتماعية، ساعد صاحبه على إدراك الجاه والنفوذ والسلطة داخل المجتمع المكناسي.

جدول 15: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة التدريس بمدينة مكناس

الإسم	طبيعة البيت	العهد
محمد بن الحسن المجاصي	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن أحمد المزطاري	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الوهاب الغساني	مخزني	المولى إسماعيل
محمد بن الحسين السوسي	علمي	المولى إسماعيل
محمد بن عبد الرحمان البوعصامي	علمي	المولى إسماعيل
سعيد العميري	علمي	المولى إسماعيل
الحسن بن رحال المعداني	علمي	المولى إسماعيل

[801]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 163.

[802]- التوزاني، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن**، ص. 171.

الطيب بن عبد السلام البيجري	علمي	المولى إسماعيل+ المولى عبد الله
المفضل بصري	علمي	المولى إسماعيل+ المولى عبد الله
محمد بن عبد الواحد بن محمد البوعناني	شريفي	المولى إسماعيل+ المولى عبد الله
عبد الملك البوعصامي	علمي	المولى سليمان
الفاطمي الشبيهي	شريفي	المولى سليمان
علي بن صانبة البخاري	معخزني	المولى سليمان
عبد القادر العلمي الشهير بسيدي قدور	شريفي	المولى عبد الرحمان بن هشام
العباس ابن كيران	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد المكي بادو	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن محمد بن فقيرة	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
المهدي بن سودة	شريفي	المولى عبد الرحمان بن هشام وابنه المولى محمد وحفيده المولى الحسن
أحمد بن سودة	شريفي	المولى عبد الرحمان بن هشام وابنه المولى محمد وحفيده المولى الحسن
بوعزة بن العربي الفشار	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان + المولى الحسن
الطاهر بن العناية	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان + المولى الحسن
أحمد العرائشي	علمي	لمولى محمد بن عبد الرحمان + المولى الحسن

محمد بن محمد غريط	مخزني	المولى محمد بن عبد الرحمان + المولى الحسن
محمد بن العربي المنوني	شريفي	المولى الحسن
محمد بن بوسلهام الخلطي	مخزني	المولى الحسن وعبد العزيز
محمد بن المهدي المنوني	شريفي	المولى الحسن وعبد العزيز
المعطي بن عبود	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن والمولى عبد العزيز
الغالي السنتيسي	علمي	المولى عبد الحفيظ

ثامنا: الخطابة:

مأخوذة من الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يَخْطُبُ خطابة واسم الكلام الخطبة[803]. واصطلاحا هي فن نسج الكلام المستنبط من الشرع الإسلامي، وإلقائه بتصرف مبدع في فنون الفصاحة والبلاغة للتأثير في نفوس المتلقين أو وعظهم أو إقناعهم واستمالتهم لفكرة معينة[804].

لقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالخطابة[805]، وجعلها من العبادات عظيمة الشأن جليلة القدر التي لها مكانتها ورمزيتها في إدراك الغايات النبيلة، وكانت الدول الإسلامية على مر العصور تعظم هذه الشعيرة وتوليها عناية خاصة من خلال الارتقاء بها إلى طابع مؤسسة رسمية تسند إلى

[803]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص. 361.

[804]- عامر فتحي محمد الشيخ، **فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول: دراسة تحليلية أدبية**، رسالة ماجيستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، 2015م، ص. 63.

[805]- تنقسم الخطب الدينية إلى قسمين: الأول خطب دينية تتحدد بأوقات معينة أو ظروف طارئة؛ وهي خطبة الجمعة والعيدين ويوم عرفة والكسوف والخسوف والاستسقاء. الثاني خطب لا ترتبط بأوقات معينة ولا بظروف محددة وهي خطب الوعظ والإرشاد. للمزيد انظر: نذير محمد مكتبي، **خصائص الخطبة والخطيب**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، 1426هـ/ 2005م، ص. 29-30.

أناس أكفاء. وفي هذا السياق درج المغرب على هذه المسألة منذ الفتح الإسلامي، ازدانت مع السلاطين العلويين الذين لحظوها برعاية كبيرة لأسباب منها: أنها واجب شرعي تصون العقائد وتنشر الفضائل، وفي الوقت ذاته تسبغ الشرعية على حكمهم من خلال الدعاء لهم، وهو ما يمثل الاعتراف بسلطتهم، عهدوا بمسؤولية القيام بها للعلماء المشهود لهم بالعلم والفضل والصلاح.

إن تولى الفقهاء لخطة الخطابة رفعت من منزلتهم وأعلت شأوهم انطلاقا من كونها فعل النبي عليه السلام وخلفائه من بعده، إضافة إلى حضورهم الدائم في حياة الناس بمشاركة همومهم والمساعدة في إيجاد الحلول لقضاياه، جعلتهم يتبوؤون مكانة في قلوب مختلف فئات المجتمع. وهكذا شهدت مكناس بزوغ أعلام مهروا في فن الخطابة وتقلدوا مسؤوليتها في مختلف مساجد مكناس، هؤلاء الخطباء كانوا درجات أعلاهم مرتبة هم الذين يخطبون في المساجد السلطانية التي يرعاها السلطان ويواظب على حضورها، فلا ينتدب فيها إلا من اختاره السلطان ورضي عنه. كل ذلك الأمر ساعده على تحصيل الجاه والنفود الذي استمدوه بقربهم المباشر من مركز السلطة.

جدول 16: أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الخطابة بمدينة مكناس

الاسم	طبيعة البيت	العهد
محمد بن الحسن المجاصي	علمي	المولى إسماعيل
أبو مدين محمد بن الحسين السوسي	علمي	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن محمد العرائشي	علمي	المولى إسماعيل
عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ	علمي	المولى محمد ولد عربية
محمد بن الطيب البيجري	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن الطيب بصري	علمي	المولى عبد الرحمان بن هشام
محمد بن أحمد بن الكبير العوفي	علمي	سيدي سليمان

الفاطمي الشبيهي	شريفي	المولى سليمان
المهدي بن سودة	علمي	المولى عبد الرحمان+ المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
أحمد بن سودة	علمي	المولى محمد بن عبد الرحمان+ المولى الحسن
محمد بن إدريس الشبيهي	شريفي	المولى الحسن
محمد بن الحسين العرائشي	علمي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز
محمد بن العربي المنوني	شريفي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز
محمد بن الهادي بن عبود	علمي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ
المعطي بن محمد بن الهادي بن عبود	علمي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ
بلقاسم بن محمد بصري	علمي	المولى الحسن+ المولى عبد العزيز+ المولى عبد الحفيظ

تاسعا: الإمامة:

مصدر الفعل "أم"، والإمام ما ائْتُمَّ به من رئيس وغيره، والجمع أئمة، وإمام كل شيء قَيِّمُهُ والمصلح له، وأْتم به أي اقتدي به[806]، واصطلاحا هي وظيفة دينية يتولاها إمام[807] يتقدم المصلين ويقتدون به.

[806]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 12، ص. 24- 25.

[807]- يميز العلماء في الإمامة بين نوعين: كبرى وهي الخلافة أو الملك أو رئاسة عامة في الدين والدنيا، وصغرى هي الإمامة في الصلاة. سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي**، تحقيق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م، ص. 23.

تعتبر هذه الخطة من أجل الوظائف وأشرفها، تولاها النبي عليه السلام و خلفاؤه الراشدون. وقد اعتنى بها السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب، وأولوها عناية خاصة لعظم شأنها وجسامة أمرها. وقد اشتهر بمدينة مكناس أئمة فضلاء حاز بعضهم المجد والجاه والنفوذ بفضل هذه الخطة؛ التي عززت مكانتهم داخل المجتمع.ونشير إلى أن كل الخطباء شغلوا منصب الإمامة.

مبيان: توزيع وجهاء المجتمع بمكناس حسب الوظائف

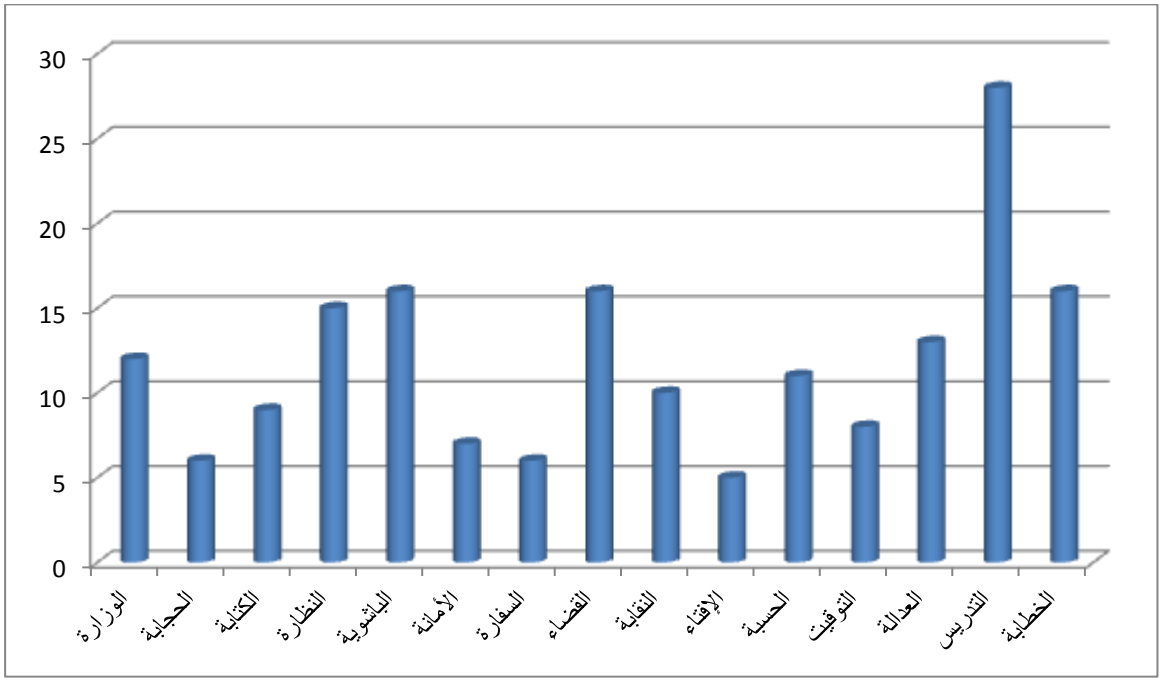

نستخلص من خلال المبيان أعلاه ملاحظتين: الأولى تتمثل في أن الوظائف التي شغلها وجهاء المجتمع بمكناس اتسمت بالتعدد والتنوع، وهو ما يبرهن على أهميتهم داخل النظام المخزني العلوي، حيث حظوا بثقة السلاطين الذين عاصروهم. والثانية تتعلق بطبيعة تلك الوظائف، إذ نجد أهمها هي التي لها علاقة مباشرة بفئات المجتمع بمكناس مثل: التدريس والقضاء والخطابة والباشوية والنظارة.

الفصل الثالث:

علاقات وجهاء مكناس بالسلاطين العلويين

بين التقارب والتنافر

(1672– 1912م)

يكتسي حديثنا عن العلاقة التي جمعت بين وجهاء المجتمع المكناسي والسلاطين العلويين صبغة خاصة؛ في سياق مقاربتنا للإشكالية المؤطرة لموضوع بحثنا. لقد كانت القاعدة الجوهرية التي اتبعها المخزن العلوي ترتكز على أساس استقطاب واحتواء أصحاب الوجاهة والنفوذ من مختلف مناطق ومدن المغرب ومنها مدينة مكناس، بحكم ما امتلكوه من قيم رمزية ومادية بوأتهم مكانة مرموقة، والعمل على توظيفهم لتكريس سلطتهم وإضفاء الشرعية على حكمهم، الأمر الذي فرض عليهم الدخول معهم في علاقات متنوعة المرامي، ونسج روابط متعددة الأشكال. فما طبيعة العلاقات التي أقامها المخزن مع وجهاء المجتمع المكناسي؟ هل يمكن القول إنها علاقة انبنت على التقارب والاحتواء؟ أم علاقة اتسمت بالتباعد والنفور؟ وما الشواهد الدالة على تلك العلاقات؟ وما الأسباب المتحكمة في تحديد طبيعتها ونوعيتها وحجمها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، عمدنا إلى تصنيف العلاقات القائمة بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين، بناء على ما جادت به علينا المادة المصدرية، إلى شكلين: تقارب واتصال من ناحية، وتباعد وانفصال من ناحية أخرى.

المبحث الأول: جوانب من علاقة التقارب والاتصال بين وجهاء مجتمع بمكناس والسلاطين العلويين: المظاهر؛ الوسائل؛ الأسباب:

أولا: مظاهر التقارب والاتصال:

1 – البيعة:

شكلت البيعة[808] إحدى أهم الأسس والمبادئ التي بني عليها النظام السياسي بالمغرب عبر تاريخه الإسلامي؛ فمنذ عصر الأدارسة درج المغاربة على ضرورة مراعاة هذا المبدأ لما له من دور

[808]– البيعة لغة من بايع يبيع بيعا ومبايعة؛ والبيعة الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، ومعناها المعاقدة والمعاهدة. وفي الاصطلاح عرفها ابن خلدون بقوله «**اعلم أنّ البيعة هي العهد على الطّاعة. كأنّ المبايع يعاهد أميره على أنّه يسلّم له النّظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلّفه به من الأمر على المنشّط والمكره** ». ابن خلدون، **المقدمة**، ج 1، ص. 390.

أساسي في استقرار الأوضاع وضمان استمرارية النظام؛ من خلال ضبط وتنظيم شكل العلاقة الجامعة بين السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعيتهم استنادا إلى الشريعة الاسلامية[809].

وعلى هذا الأساس، ارتكزت البيعة على عقد يتضمن وجوب طاعة الرعية للسلاطين؛ مقابل التزامهم برعاية شؤون مختلف مكونات المجتمع على قدم المساواة[810].

وتجدر الإشارة أنه من خصائص عقود البيعات بالمغرب أنها كانت دائما مكتوبة؛ وهذا ما يمنحها قوة شرعية ومكانة رمزية لها قدسية تتم صياغتها وفق مقتضيات مضبوطة بحضور قاض وشهود من ممثلي المجموعة المعنية بالبيعة يوقعون في ذيل العقد[811]، علاوة على أنها تتجدد عند وفاة السلطان وتولية سلطان جديد.

وتأسيسا على ما سبق؛ نستخلص أن البيعة عقد يجمع بين طرفين: الأول هو السلطان الذي يستند إليها لشرعنة حكمه، والثاني الرعية ممثلة فيمن ينوب عنها من العناصر الفاعلة التي بيدها الحل والعقد؛ ألا وهم وجهاء المجتمع وأعيانه. وقد حرص السلاطين على استقبال البيعات من مختلف مناطق المغرب؛ خاصة تلك الصادرة عن العواصم المخزنية مراكش وفاس ومكناس؛ حيث شكلت أفضلية بالنسبة إلى السلطة مقارنة بالبيعة الوافدة من البوادي والمدن الصغرى[812]، نظرا للرمزية الكبيرة التي تمثلها، ووزن الشخصيات المستقرة بها.

---

[809]- يستدل على مشروعية البيعة في الإسلام بآيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: {فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِے بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ} **سورة التوبة** الآية 111، وقوله أيضا {إِ نَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنَ اَوْفِيٰ بِمَا عٰهَدَ عَلَيْهُ اِللَّهَ فَسَنُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} **سورة الفتح** الآية 10. إضافة إلى أحاديث نبوية منها قوله عليه السلام «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» مسلم الحجاج، **مسلم، صحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م، حديث رقم 1851، ص. 1478.

[810]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص 401.

[811]- العروي، **الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية**، ص. 98.

[812]- Rahma Bourqia, **l'Etat et la gestion du symbolique au Maroc précolonial**, in Rahma Bourqia Nicholas Hopkins (ed.), Le Maghreb: approches des mecanismes d' articulation, Dar al Kalam , Rabat,1991, p. 143.

وفي هذا الإطار؛ قامت مدينة مكناس بأدوار رئيسية في بيعات السلاطين العلويين من خلال مساهمة وجهائها ونخبتها بشكل فاعل ومؤثر في انعقادها منذ عهد المولى إسماعيل؛ فهذا اليهودي المكناسي يوسف ميموران كان له دور حاسم في تولية هذا السلطان للحكم؛ إذ بمجرد ما علم بوفاة المولى الرشيد بمراكش؛ وقبل شيوع الخبر بين الناس، سارع إلى إخبار أخيه وخليفته بمكناس المولى إسماعيل، ليتأهب من أجل تسلم الحكم، موفرا له ما يلزم لذلك من أموال باهظة تعينه على تجهيز الجيش الذي سيساعده في تحقيق هدفه[813].

وحتى بعد وفاة السلطان ودخول المغرب مرحلة الفوضى كان من أبرز معالمها صراع أبنائه على السلطة؛ إذ تعاقب عليها سبعة أمراء خلال فترة ثلاثين سنة (1727- 1757م) لعب فيها وجهاء المجتمع المكناسي؛ خاصة رؤساء جيش عبيد البخاري وقواده دورا مؤثرا وحاسما في تعيين وعزل السلاطين، على اعتبار أن البيعة كانت تعقد بمكناس، ثم تتبعها المدن الكبرى كفاس ومراكش، فالبوادي.

وحري بالإشارة إلى أنه من خلال تتبعنا لمسار البيعات التي عقدت للسلاطين العلويين بمساهمة وجهاء مكناس، يمكن القول إن تركيبة القوة النيابية عن هذا المجتمع كان يشكل فيها رؤساء الجيش العنصر الأكثر حضورا من باقي تركيبة تلك القوة من أشراف وعلماء وقضاة. ويمكن تفسير ذلك أن السلطة تكون في حاجة ماسة إلى أصحاب السيف أكثر من حاجتها إلى أصحاب القلم زمن القلاقل والاضطرابات. ولا ينبغي تعميم هذا الاستنتاج على كل فترات انتقال السلطة خلال الفترة موضوع دراستنا؛ وينهض قرينة على ذلك ما ذكره ابن زيدان حول ظروف عقد بيعة السلطان عبد الرحمان بن هشام 1238هـ/ 1822م؛ حيث تأخرت بيعة أهل مكناس

[813] - Busnot Dominique, **Histoire du régne de Muley Ismael, roy de Maroc. Fez. Tafilalet. Souz etc** … avec le récit des trois voyages à Mequinez et Ceuta pour leur rédemption et plusieurs entretient sur la tradition de l'église pour leur soulagement, Rouen, 1731, p. 17-18.

لمدة شهر بسبب « **ما كان من المخالفة والشقاق بين قاضيها أبي العباس أحمد بن عبد الملك وبين عبيد البخاري (...) حتى هم العبيد بقتل القاضي**» [814].

وهنا نتساءل ما الذي دفع هذا القاضي للوقوف في وجه مخططات جيش العبيد بمكناس؟ يمكن أن نجد تفسيرا لذلك باطلاعنا على سيرة هذا الرجل؛ فهو أولا ينتمي إلى الشرفاء العلويين الذين لهم الحظوة والمنزلة داخل المجتمع، كما أن تضلعه في صنوف كثيرة من العلوم: الفقه واللغة والتوثيق زادت من مكانته، إضافة إلى ثقة السلطان المولى سليمان به إذ اتخذه من خاصة جلسائه[815]، كلها مؤشرات جعلته في موقف قوي قادر على معاكسة طموحات قواد الجيش.

ويمكن الاستدلال على مساهمة وجهاء مكناس في عقود بيعات السلاطين من خلال نموذج بيعة السلطان المولى الحسن. وقبل حديثنا عن هذه البيعة لابد أن نعرج على ظروف انعقادها، وكيف ساهم أحد وجهاء المدينة في عقد ميثاق البيعة للسلطان المذكور والمدعو موسى بن أحمد البخاري من بيت ابن مبارك الشهير في الخدمة المخزنية.

لقد كان موسى يشغل منصب الصدارة العظمى زمن السلطان محمد بن عبد الرحمن وعماد أركان دولته، فلما توفي هذا الأخير سارع الوجيه المكناسي إلى حشد كبراء المخزن وصفوته وأشار إليهم بضرورة بيعة ابنه المولى الحسن، محاولا إقناعهم بمزايا هذه البيعة على الأوضاع العامة بالمغرب؛ سواء على المستوى الداخلي من أجل استتباب الأمن وتسكين روعة الناس[816]، أو على الصعيد الخارجي لقدرة السلطان الجديد على الوقوف في وجه الضغوطات الأجنبية التي تكاثفت على المغرب، وأضحت تهدد كيانه وسيادته، فنجح في فرض رأيه. وما جعل كلمته مسموعة مركزه الحساس داخل الجهاز المخزني ونفوذه الكبير؛ فلم يتجرأ أحد على إبداء موقف مخالف، إما اقتناعا

---

[814]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 16

[815]- محمد بن الحاج السلمي، **الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، المكتبة الحيدرية، قم- إيران، 1434هـ/ 2004م، ج 2، ص. 56- 57.

[816]- ابن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية**، م خ ح، رقم 481، ص. 40.

بصواب رأيه أو خوفا من بطشه، ومن البديهي أن نجده أكبر مستفيد من البيعة؛ حيث عظم جاهه مع اعتلاء المولى الحسن الحكم؛ إذ «**كان لا يبرم أمرا من أمور المملكة إلا بمشورته، حسبما تقتضيه جلالة وزارته** »[817].

وبالرجوع إلى نص بيعة أهل مكناس للمولى الحسن، والمؤرخ في 27 رجب 1290هـ/ 19شتنبر 1873م. وتفحص مضامينها، يمكن الخروج بجملة من الخلاصات التي تبرز المساهمة الفاعلة لوجهاء المدينة في هذه البيعة:

- التأكيد على الإجماع الحاصل في صفوف المبايعين من وجهاء المجتمع بمكناس من شرفاء وعلماء وكبراء وأعيان الجيش السعيد وأصحاب الرأي السديد ممن بيدهم الحل والعقد؛ حيث «**استعملوا النظر وحكموا الرأي فيمن يصلح للقيام بأمور المسلمين** (...) **فوقع منهم الاتفاق، وعم بينهم الوفاق على بيعة حارس الدنيا والدين**»[818].
- الإشارة إلى أسباب عقد البيعة ومبايعة السلطان المولى الحسن لما عرف عنه من صفات وخصال تناسب وطبيعة المرحلة المتسمة بالضغوطات؛ منها الحكمة والعدل والاستقامة والحزم والعزم[819].

وبناء على ما تقدم؛ نستخلص مدى المساهمة الكبيرة والمؤثرة لوجهاء المجتمع المكناسي في بيعات السلاطين العديدة. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن البيعة شكلت أحد أهم اشكال التقارب والتحالف والتفاهم بين أعيان مكناس والسلاطين العلويين.

2 – تقديم المشورة:

جرت عادة السلاطين العلويين الذين تعاقبوا على حكم المغرب مشاورة أهل العلم ذوي الفضل ورجاحة العقل فيما يعترضهم من الأمور الجليلة والقضايا الخطيرة،؛ خاصة ما يحتاج منها

---

[817]– ابن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية** ، ص. 41.

[818]– **مجلة الوثائق**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، المجموعة الثالثة، ص. 139.

[819]– نفسه، نفس المجموعة، ص. 140.

إلى حكم شرعي، إيمانا منهم أنها إحدى دعائم السلطة وترسيخ النفوذ، من خلال إقامة البينة وإضفاء الشرعية على قراراتهم.

ونظرا لأهمية المشورة كآلية من آليات الحكم فقد أولاها السلاطين عناية بالغة، من خلال حرصهم الشديد على انتقاء مستشاريهم وفق معايير صارمة ومقاييس مضبوطة، نظرا لما يترتب عنها من قرارات قد تكون لها آثار خطيرة؛ نذكر منها: العلم، والدين، والأمانة، والإخلاص، والصدق، والحنكة، والتجربة؛ وهي صفات تؤهل صاحبها إلى الارتقاء في مراتب أهل الرأي والمشورة، وهي شروط توفرت في ثلة من وجهاء مدينة مكناس الذين اتخذهم السلاطين مستشارين لهم ينزلون في بعض الأحيان عند رأيهم. وفي هذا الصدد؛ تتبادر إلى الذهن الأسئلة التالية: ما هي طبيعة الاستشارات التي كان يطلبها السلاطين من بعض وجهاء مكناس؟ وما هي دوافع هذه الاستشارات؟ وما مدى التزام السلاطين بها؟

لمحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات، لابد لنا من تتبع مسار الاستشارات التي التمسها السلاطين، وباستقرائنا لهذا المسار يتبين بشكل جلي مدى مساهمة بعض وجهاء المجتمع المكناسي في رسم بعض معالم السياسة العامة للبلاد، من خلال تقديمهم لآراء والتعبير عن مواقف شكلت نبراسا اهتدى بها السلاطين. وللاستدلال على ذلك؛ نسوق بعض النماذج من القضايا التي استشير فيها بعض أعيان المدينة:

2 1 قضية ولاية العهد:

تعتبر هذه القضية من أخطر القضايا التي واجهها المغرب منذ العصر الإدريسي، لكونها تهدد كيان الدول المتعاقبة وتضعف تماسكها، الأمر الذي ينعكس سلبا على الأوضاع العامة، فكم من دولة توفي حاكمها دون تعيين خلف له كان مآلها السقوط والانهيار.

وفي هذا الإطار واجهت الدولة العلوية هذا الإشكال منذ أيام المولى إسماعيل؛ فبعد أن عرفت فترة حكم هذا الأخير استقرارا سياسيا وأمنا اجتماعيا، بفضل الإجراءات العملية التي اتخذها لتسيير شؤون البلاد على كافه المستويات، حتى وصف عهده بأنه شكل «**أوج المجد**

السياسي»[820].غير أن هذا الاستقرار يتحول إلى اضطراب بعد وفاته، ويعود السبب الرئيس في هذا التحول إلى أزمة ولاية العهد.

اندلعت هذه الأزمة في آخر حياة السلطان المذكور، وبالضبط سنة 1139هـ/ 1727م؛ ذلك أنه لما ألم به المرض وأحس بدنو أجله، استدعى وزيره الأكبر ومستشاره الأعظم محمد بن الحسن اليحمدي، وعرض عليه مساعدته في انتقاء أحد أبنائه لمن يصلح للحكم من بعده. ونظرا لخطورة الاستشارة نوردها بنصها كما ذكرها الناصري مفادها «**أَن الْمولى إِسْمَاعِيل لما أَيقَن بِالْمَوْتِ دَعَا وزيره وعالم حَضرته الْكَاتِب أَبَا الْعَبَّاس اليحمدي وَقَالَ لَهُ إِنِّي فِي آخر يَوْم من أَيَّام الدُّنْيَا فَأَحْبَبْت أَن تُشِير عَليّ بِمن أقلده هَذَا الْأَمر من وَلَدي لِأَنَّك أعرف بأحوالهم مني، فَقَالَ لَهُ يَا مَوْلَانَا لقد كلفتني أمرا عَظِيما وَأَنا أَقُول الْحق أَنه لَا ولد لَك تقلده أَمر الْمُسلمين، كَانَ لَك ثَلَاثَة الْمولى مُحرز وَالْمولى الْمَأْمُون وَالْمولى مُحَمَّد فقبضهم الله إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ السُّلْطَان جَزَاك الله خيرا وودعه وَانْصَرف وَلم يعْهَد لأحد** »[821].

يبدو من هذه الرواية أن سبب تفاقم مشكلة ولاية العهد موقف الوزير اليحمدي، من خلال عدم اقتراحه أي أحد من أبناء السلطان لتولي المسؤولية. ورغم علم المولى إسماعيل بخطورة ترك منصب الحكم شاغرا بعد وفاته، ومع ذلك عمل بنصيحة وزيره لما كانت له من حظية كبرى ومكانة عظمى لديه، فهل يمكن تحميل الوزير اليحمدي مسؤولية الاضطراب الذي عرفه المغرب بعد وفاة السلطان؟ وكيف يمكن تبرير موقفه؟ من الصعب أن نحصر المسؤولية في شخص واحد كيفما علت منزلته، لاعتبارات كثيرة:

- بالرجوع إلى نص الحوار الذي دار بين السلطان ومستشاره اليحمدي، نستشف مدى استشعار هذا الأخير جسامة موضوع الاستشارة من خلال وصفه للموضوع ب "العظيم"، وهذا ما يفسر تردده في البوح بما يدور في خاطره لأنه يعلم مدى خطورة الموقف. لكن

[820]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 32.

[821]- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 7، ص. 100- 101.

استقامته ونزاهته وأمانته فرضت عليه أن يجيبه بما أجاب، ومما شجعه على جوابه تيقنه من ثقة السلطان به؛ إذ وصفه بأنه أكثر شخص يعرف حقيقة أبنائه ما جعله يطمئن للجهر برأيه « **لا ولد لَك تقلده أَمر الْمُسلمين**».

- ما صدر من أبناء المولى إسماعيل وهو على قيد الحياة إبان مشاركتهم في تدبير بعض شؤون الحكم –كان السلطان قد عين أولاده على رأس مناطق المغرب– من تصرفات وسلوكات شائنة تبرهن على عدم نضجهم وأهليتهم واستهتارهم، وهو ما يتنافى وشروط تولى السلطة. ونستشهد في هذا المقام بما وقع بين ولديه مولاي عبد الملك ومولاي علي بمنطقة درعة من صراع كبير[822]، وكذلك ثورة محمد العالم على أبيه السلطان بسوس سنة 1114هـ/ 1703م[823]، زيادة على قيام السلطان بعزل أغلب أبنائه الذين عينهم ولاة على أقاليم المغرب[824].
- الحظوة والمنزلة التي تمتع بها اليحمدي عند المولى إسماعيل، وهو ما عبر عنه صراحة في حادثة تعيين ابنه المأمون حاكما على مراكش وأحوازها؛ إذ أمره بالذهاب إلى وزيره لسماع وصيته والعمل بنصيحته، وكانت بينهما عداوة، فحاول المأمون استغلال الموقف لصالحه من خلال تأليب قلب أبيه على اليحمدي فخاب ظنه، لأن ثقة السلطان بوزيره أكبر وأعمق[825].

ومن نافلة القول؛ إنه بالرغم من صدق نية اليحمدي في الاستشارة التي قدمها للمولى إسماعيل، فإنه يتحمل جزءا من المسؤولية لما آلت إليه أوضاع المغرب بعد وفاة السلطان 1139هـ/1727م؛ ذلك أن شغور منصب الحاكم ساهم بشكل كبير في حدوث اضطرابات سياسية خطيرة بسبب الصراع على الحكم بين الأبناء[826]، وما رافقه من تدخل أطراف أخرى

---

[822]– أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 1992م، ص. 181.

[823]– نفسه، ص. 182.

[824]– نفسه ، ص. 185.

[825]– الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، ج 2، ص. 175.

[826]– للمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع ينظر إلى **تاريخ الضعيف** من ص 103 إلى ص 140.

زادت من تأزم الأوضاع والمتمثله في تدخل قواد جيش البخاري في تعيين وعزل عدد منهم، فضلا عن تسلطهم على الناس. وكان أغلب هؤلاء القواد من وجهاء المجتمع بمكناس؛ حيث أنشؤوا مجلسا سموه **"الديوان"**، اعتبره القادري بمثابة مجلس الحل والعقد[827]، وبذلك تحولوا من فرقة عسكرية وظيفتها الحفاظ على الأمن والاستقرار والدفاع عن حوزة البلاد وشرف العباد إلى هيئة سياسية تتدخل في كل الشؤون، من أبرز رؤسائه الباشا سالم الدكالي الذي استغل الوضع ليمسك بزمام السلطة؛ إذ صار المتحكم في تنصيب السلطان الذي يخدم مصالحه ويحفظ نفوذه. وفي هذا الإطار أجبر الوجهاء والأعيان على خلع المولى عبد الله ومبايعة أخيه مولاي علي الأعرج سلطانا سنة 1147هـ/ 1735م، وكان اختياره لهذا الأخير لضعف شخصيته وسهولة انقياده[828].

وللاستشهاد على هذا الاستنتاج؛ نورد واقعتين تبرزان بشكل واضح مدى نفوذ الباشا على السلطان علي:

- **الواقعة الأولى**: لما رفض أهل فاس مبايعة السلطان الجديد قرر محاصرتهم وشن غارات عليهم، فاقترح الباشا عدم تنفيذه وعيده مخاطبا إياه بالقول « **إن حصار فاس ينهض بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل، فتنقطع الطرق ويشتد الغلاء وتكون الكرة لأخيك مولانا عبد الله عليك**» [829] ، فاقتنع السلطان برأيه، وما نستشفه من المبررات التي ساقها أن الباشا لم يكن همه حقن الدماء، بقدر ما كان هدفه الحفاظ على سلطته المرهونة ببقاء مولاي علي في الحكم.
- **الواقعة الثانية**: لما اقتحم السلطان مدينة مكناس قام بالتنكيل والتضييق على زوجة أبية خناثة بنت بكار، حتى اضطرت لطلب الوساطة والتشفع لها عنده، ولم يكن ذلك إلا بإشارة من الباشا[830].

---

[827]- القادري، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أعيان المائة والثانية عشر**، ص. 335.

[828]- ابن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية**، ص. 239.

[829]- القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 372- 373.

[830]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 116.

2 2 قضية تشكيل الجيش وإصلاح شؤونه:

يعتبر الجيش دعامة أساسية وركيزة جوهرية في بنى الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، والتي اتسمت بخاصية أنها قامت على حد السيف[831]، لذلك فهو غالبا الضامن لاستقرارها والحافظ لاستمراريتها. ولم تخرج الدولة العلوية عن هذه القاعدة، فأولى سلاطينها اهتماما كبيرا بمؤسسة الجيش معتمدين على شخصيات اشتهرت بالكفاءة وحسن التدبير، ضمت بعض وجهاء مدينة مكناس.

فبمجرد اعتلاء المولى إسماعيل العرش بدأ طموحه الكبير في تأسيس جيش قوي قادر على مجابهة التحديات التي كانت تعترض توطيد سلطته؛ من أبرزها اندلاع مجموعة من الثورات والانتفاضات[832] في مختلف مناطق المغرب، شكلت خطرا حقيقيا عليه وتهديدا كبيرا لنفوذه. إضافة إلى رغبته في جعل هذا الجهاز مرتبطا مباشرة بشخصه، وليس له علاقة بإحدى مكونات المجتمع المغربي[833]، فنجح في تشكيل جيش أطلق عليه جيش "عبيد البخاري".

ويعود الفضل في تشكيل هذا الجيش إلى الوجيه المكناسي قاضي القضاة الكاتب محمد بن العياشي؛ ذلك أن السلطان لما هم بتأسيسه عرض الأمر عليه للاستشارة، إذ كان يستشيره في المهمات الصعبة ويأخذ برأيه ويعمل بنصيحته[834]، حيث اقترح عليه اتخاذ جيش من العبيد الذين دخلوا المغرب بعد فتح السودان على يد السلطان أحمد المنصور السعدي، وأسماؤهم لا تزال محفوظة في دفتر خاص، فاستحسن السلطان الفكرة[835] وكلفه بعملية تجميعهم، إلا أنه اعتذر

---

[831]- ثريا برادة، **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص. 27.

[832]- من أبرزها ثوره مولاي أحمد ابن محرز وأخيه الحران ومولاي هاشم أواخر 1082هـ/ - ثورة أهل فاس سنة 1083هـ/ 1672م- ثورة مولاي الحران في الصحراء- ثوره أحمد بن عبد الله الدلائي بالأطلس- ثورة ابنه محمد العالم- ثورة قبائل الأطلس المتوسط آيت إيدراسن وآيت أومالو. للمزيد من التفاصيل انظر ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، من ص 34 إلى ص 42.

[833]- عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية، 2009م، ج 3، ص. 498.

[834]- المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية**، ج 1، ص. 297.

[835]- لقيت فكرة تشكيل الجيش من العبيد معارضة بعض العلماء الكبار خاصة من مدينة فاس. للمزيد انظر: الحاج ساسيوي الفيلالي، **الفاسيون والمخزن الإسماعيلي(1672- 1727م)**، مطبعة وراقة سجلماسة، مكناس، الطبعة الأولى، 2011م، صص. 48- 113.

مقترحا شخصا آخر بحكم توفره على ذلك الدفتر، وهو أحد وجهاء مكناس الباشا محمد بن القاسم اعليبش[836].

لم تقف أدوار بعض وجهاء مكناس في تكوين جيش عبيد البخاري وتشكيله فقط؛ بل ساهموا في تطويره وإصلاح شؤونه من خلال تقديمهم استشارات للسلاطين. وفي هذا الصدد لما قرر السلطان محمد بن عبد الرحمان إصلاح الجيش وإعادة تنظيمه لحفظ هيبة الدولة وصيانة كرامتها عقب انهزام المغرب في حرب تطوان 1859- 1860م[837] وما ترتب عنها من آثار عميقة، استشار ثلة من العلماء البارزين بلغ عددهم عشرة: ثلاثة منهم ينتمون إلى أصحاب الجاه بمكناس؛ وهم الأخوان القاضيان المهدي وعمر بن سودة ومحمد بن محمد بن حمادي الحمادي[838] ،وهذا يدل على المكانة السامية والمنزلة العالية التي كان يحظى بها بعض أعيان مكناس وخاصتهم لدى السلاطين العلويين، لدرجة أن أفضت بالسلطان المذكور اختيار ثلاثة من عشرة من نخبة العلماء لاستشارتهم في أمر مهم متعلق بجهاز حساس. فكيف كان موقف هؤلاء الثلاثة من قضية إصلاح الجيش المغربي؟

ولاستجلاء معالم هذا التساؤل سنقتصر على جواب قدمه القاضي المهدي بن سودة، ضمنه في رسالة طويلة وجهها إلى السلطان بتاريخ 28 رمضان1276 هـ/ 18 أبريل 1860م؛ فبعد ديباجة درج على استخدامها الفقهاء في رسائلهم استرسل في عرض حيثيات القضية من خلال تأصيلها وإبراز السياق العام الذي يفرضه إدخال إصلاحات على الجيش، منها ردءا لأهل الإسلام وحفظا لشريعة الرسول وزجر للأعداء، والشاهد من جوابه « **أنه لا وجه في الشرع**

836- المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية**، ج 1، ص. 297.

837- كان سبب هذه الحرب اندلاع مناوشات بين قبيلة أنجرة والاسبان على حدود مدينة سبنة. للمزيد من التفاصيل انظر: ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، من ص 235 إلى ص 242.

838- إضافة إلى قاضي فاس محمد العلوي المدغري وأحمد المرنيسي ومحمد الصادق العلوي المدغري وعبد السلام بوغالب ومحمد التازي ومحمد الفيلالي وأحمد بناني. المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 335.

يمنعه، لأن النظام هو عبارة عن نظم أمور الجيش راجعة لتقوية فائدته» [839]، ثم استعرض جملة من هذه الفوائد منها: أن الجيش يكون ممتثلا لأميره مرتبا بطريقة حسنة ودقيقة. فهل نفهم من جواب القاضي أنه بنى موقفه الإيجابي عن قناعة أم خوفا من ردة فعل السلطان؟ من الصعب الجزم أن الاستشارة كانت تحصيل حاصل؛ حيث أن السلطان قرر الإصلاح، ومن ثم عرض المسألة على العلماء. ولعل ما دفعنا إلى ترجيح أن الجواب بالإيجاب نابع عن اقتناع، إشارتين التقطناهما من فحوى الجواب؛ الأولى بسطه لأدلة شرعية مستقاة من القرآن والسنة حول جواز إدخال الإصلاحات لما لها من منافع كثيرة على البلاد والعباد. والثانيه أنه ختم رسالته بأربع نصائح وجهها بشكل مضمر إلى السلطان حول ضرورة محاربة العناصر الفاسدة في هذا الجيش، وفي المقابل الاهتمام بالعناصر الكفأة، زيادة على وجوب اعتماد العدل كأساس لعمل الجيش[840].

2-3- قضية غنيمة العرائش:

شكلت قضية تحرير الثغور إحدى أهم الأولويات التي سعى السلطان المولى إسماعيل إلى تحقيقها، على اعتبار أن استقرار أوضاع المغرب مرهون بطرد الاحتلال وتحرير الثغور. وهكذا نجح في استرداد المهدية سنة 1092هـ/ 1681م من إسبانيا، ومدينة طنجة سنة 1095هـ/ 1684م، وظلت العرائش[841] عقبة تقف في وجه استكمال نفوذه بشمال المغرب، فحشد جيشه ضد اسبانيا لمحاصرة المدينة والتي دامت مدة خمسة أشهر استسلم على إثرها حاكمها، وكان تحريرها سنة 1101هـ/ 1689م[842]، لتندلع بعد ذلك إشكالية ارتبطت بمسألة حكم الغنائم المحصلة من التحرير، فرفعها السلطان إلى فقهاء عصره للستشارة، وبعد نقاش طويل، طلب فتوى

[839]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 343.

[840]- نفسه، نفس الجزء، صص. 345-346-347.

[841]- احتلت اسبانيا مدينة العرائش سنة 1019هـ/ 1610م حينما سلمها لهم محمد الشيخ المأمون السعدي مقابل مساعدته ضد أخيه زيدان الذي كان معه في صراع على الحكم. حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 47.

[842]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 71.

خاصة من قاضي الحضرة المكناسية العالم القاضي أبي مدين محمد السوسي[843] الذي ألف كتابا وسمه بـ "**السهم الرائش في حكم غنيمة العرائش**"[844]؛ حيث أفتى بأن المقبوض عليهم من الإسبان بالعرائش هم في حكم الأسرى، فاقتيدوا إلى مكناس واستخدموا في أعمال البناء إلى أن تم افتداؤهم[845].

نستشف من هذه الواقعة المكانة العلية التي كان يحظى بها أبو مدين، وما جسدته من التقارب الذي ساد العلاقة بين وجهاء مكناس والمخزن العلوي.

2-4- قضية فرض الإعانة:

لم تنحصر انعكاسات انهزام المغرب في حرب تطوان على المجال العسكري؛ بل شملت ميادين أخرى على رأسها الجانب المالي. فبعد عقد معاهدة الصلح في رمضان 1276هـ/ مارس 1860م واجه المغرب أزمة مالية خانقة كرستها بنود تلك المعاهدة؛ حيث نص البندان 4 و5 بأن يدفع المغرب تعويضات الحرب، والمقدرة بحوالي 20 مليون ريال، للإسبان مع بقاء تطوان تحت أيديهم إلى غاية أداء المبلغ[846]، وهنا كانت المعضلة؛ إذ لم يكن ببيت المال إلا ربع المبلغ، وهذا ما اضطر السلطان إلى التفكير في جمع المبلغ المتبقى من خلال فرض ضريبة على الرعية، وخوفا من ردة فعل الأهالى ولإضفاء الشرعية على قراره وضمان تنفيذه لجأ لاستشارة العلماء، واستفتاهم في شأن فرض الإعانة. ومن جملة العلماء المستفتين نجد القاضي المكناسي الفقيه المهدي بن سودة الذي أجاب بالموافقة بقوله: «**الحمد لله إذا كان في بيت مال المسلمين ووجوه عمارته**

---

[843]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 74.

[844]- العميري، **فهرسة العميري**، ص. 201- 209.

[845]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 74.

[846]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 243.

ضعف عن القيام بمصالح الإسلام فتقبض المعونة من الناس للمصالح المذكورة» [847]. ورغم موافقة القاضي بجواز فرض الإعانة إلا أنه اشترط أن يتم تحصيلها برفق وليونة ويسر.

وإجمالا؛ نستنتج أن بعض وجهاء المجتمع بمكناس جمعتهم بالسلاطين العلويين علاقة قوية ومتينة، تجلت في طلب مشورتهم والركون إلى رأيهم، زادت من رفع قدرهم وسمو شأوهم؛ خاصة وأنهم كانت لهم صفة رسمية داخل جهاز الدولة وسمعة طيبة عند العامة. وبالتالي أضحوا قوة اقتراحية واستشارية يتم اللجوء إليها عند الحاجه لتسهم بدور أساسي في صياغة عدد من القرارات، تفاوتت درجتها حسب الظروف العامة والسياق الذي فرض الاستشارة؛ خصوصا وأن هذه الاستشارات لم تكن قاعدة قارة وممنهجة، بل ظلت استثنائية خاضعة لتقلب الأوضاع[848].

3-الأدوار التكليفية:

لا مندوحة من التأكيد أن نهوض السلاطين بمهامهم تطلب منهم بالضرورة الاستعانة بشخصيات بارزة، والاعتماد عليها في تسيير شؤون الدولة؛ من خلال تقليدهم وظائف وخطط ضمنت لهم مشاركة فعلية بمختلف صورها في كل التحولات، وفي هذا الشأن يصعب فهم المنعطفات التاريخية الكبرى التي مر منها المغرب دون استحضار الأدوار التي أسهم بها أعيان المجتمع وصفوته.

إن تصفحنا للمصادر التي أرخت للفترة المدروسة؛ واستقراء المعطيات التي ساقتها، يمكن من الإقرار بحجم المساهمة الكبيرة والمؤثرة التي قدمها وجهاء المجتمع بمكناس في الأحداث المهمة التي بصمت تاريخ المغرب عبر فترات زمنية مختلفة، بحكم تمتعهم بمكانة اجتماعية معتبرة أكسبتهم جاها وشهرة ونفوذا، جعلت الأضواء تسلط عليهم من خلال اهتمام السلاطين العلويين بهم ومحاولة الاستفادة من رصيدهم واستثمار ثقلهم ووزنهم، فقربوهم وأحاطوهم بعناية خاصة، فصاروا

[847]- محمد داود، **تاريخ تطوان**، الطبعة المهدية، تطوان، 1965م، المجلد الخامس، ص. 107.

[848]- العروي، **الأصول الإجتماعية والثقافية للوطنية**، ص. 161.

محل ثقتهم عكستها المسؤوليات المتعددة التي أسندوها إليهم والتي تتلاءم ومنزلتهم العلية ومؤهلاتهم المزية. وهذا ما يفرض علينا طرح مجموعة من التساؤلات من قبيل: ما هي دوافع اعتماد السلاطين على وجهاء مدينة مكناس؟ وما طبيعة الأدوار والمسؤوليات التي اضطلع بها هؤلاء الوجهاء؟ وكيف مكنتهم من المشاركة في صناعة الأحداث التي شهدها المغرب؟ وما هي حدود تلك المشاركة؟ وما هي نتائجها؟

تستلزم منا الإجابة عن هذه التساؤلات القيام بعرض مفصل من خلال تجميع المعلومات المتناثرة وتفكيكها لرسم صورة واضحة عن مدى تأثير وحضور وجهاء مكناس في التطورات التي طبعت تاريخ المدينة بشكل خاص والمغرب بشكل عام.

أول ما يسترعي الانتباه أن مساهمة وجهاء مكناس في الوقائع والأحوال، جاءت في سياق الظروف العامة التي عرفها المغرب منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، والتي تميزت في الأغلب الأعم بخاصية "اضطراب الأوضاع السياسية"، وما خلفته من آثار اقتصادية واجتماعية .ولعل أبرز تجليات هذا الاضطراب هو غرق البلاد في بحر العصيان والتمرد، على حد تعبير أحد الباحثين[849]. فلم يخل عهد سلطان من السلاطين العلويين الذين تعاقبوا على الحكم من اندلاع ثورات وفتن هددت سلطتهم، الأمر الذي فرض عليهم اتخاذ إجراءات وتدابير لمواجهتها، تأرجحت بين الترهيب والترغيب والصرامة والليونة، شكل أعيان مكناس حجر الزاوية فيها، نظرا لامتلاكهم قوة تأثيرية سمحت لهم بممارسة شكلين من العنف الرمزي والمادي[850]. ما يرتبط بهذا العامل عامل آخر ذا طبيعة جغرافية يتمثل في كون مركز أخطر هذه الاضطرابات كان في جبال الأطلس المتوسط؛ مجال استيطان قبائل دخل أغلبها في مواجهات مباشرة مع المخزن، مثل

[849]- خديجة بن بوسلهام، **المخزن والمجتمع في النصف الأول من القرن التاسع عشر: عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام 1822-1859م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 5.

[850]- الطيب بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار: ضريبة الترتيب 1880- 1915م**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص. 133.

مجاط[851] وبني مطير[852] وجروان[853] وعرب سايس[854]، كانت مكناس الأكثر تضررا. ونظرا للرمزية والمكانة الاعتبارية لهذه المدينة بالنسبة للمخزن العلوي باعتبارها إحدى العواصم الرئيسية، فقد رغب السلاطين في استغلال موقعها المحاذي لتلك القبائل. ويدخل ضمن استراتيجية هذا الاستغلال الاعتماد على وجهائها وصفوة رجالها لإخماد الثورات، بحكم معرفتهم لمجال تحركاتها وضبط مواطن قوتها وضعفها. ومن هنا تولدت فكرة إشراكهم في الجهاز المخزني، علاوة على عامل لا يقل أهمية يتجلى في الحظية التي كانوا يتمتعون بها عند المخزن أهلهم لإدراكها علمهم وكفاءتهم وما اشتهروا به من قدرات ومؤهلات، حتى أن بعضهم كان في علاقته مع السلاطين ما بين المنزلتين الرفيق والمؤنس، مما يدل على العلاقة الوطيدة والوثيقة التي نظمت شكل العلاقة بين الطرفين.

وهكذا يتبين أن حرص السلاطين على استجلاب طاعة وعون وجهاء المجتمع بمكناس فرضته مجموعة من الظروف الموضوعية والأسباب الذاتية، بهدف تنفيذ السياسة الرامية إلى حفظ السلطة وتكريس النفوذ.

---

[851]– قبيلة من قبائل صنهاجة، تحدها شمالا قبيلة الزراهنة وجنوبا قبيلة بني مطير، وشرقا قبيلة عرب سايس وغربا قبيلة جروان. استوطنت أحواز مكناس في هضبة سايس منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وبالضبط سنة 1197هـ/ 1783م. العربي أكنينح، **انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر وانعكاساته على تطور البنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبادية المغربية: نموذج قبائل هضبة سايس**، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2005م، ص. 20.

[852]– تنتمي إلى اتحادية آيت يدراسن، استوطنت المنطقة الواقعة جنوب شرق مكناس، تمتعت بقوة بشرية وعسكرية، جعلها تدخل في مواجهات مباشرة مع المخزن العلوي من خلال إثارة العديد من التمردات والثورات. نفسه، ص. 22.

[853]– أو إيكروان، قبيلة أمازيغية مشهورة استقرت المجال الجغرافي الواقع غرب مكناس، تحدها شمالا قبيلة الشراردة وجنوبا قبيلة بني مجيلد، وغربا قبيلة زمور وشرقا قبيلة مجاط. شاركوا في عدة انتفاضات خاصة خلال العهد السليماني. نفسه، ص. 23-25.

[854]– قبيلة استقرت بسهل سايس في فترة غير محددة، تحدها شمالا قبيلة الزراهنة وجنوبا قبيلة بني مطير، وغربا قبيلة مجاط وشرقا قبيلة الأوداية. العربي أكنينح، **انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر وانعكاساته على تطور البنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبادية المغربية: نموذج قبائل هضبة سايس**، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2005م، ص. 29- 30.

وعليه؛ وفي إطار استراتيجية التوظيف والاستثمار، قلد السلاطين العلويون النخبة المكناسية وظائف سامية، أوكلوا لهم بموجبها مجموعة من الأدوار والمهام تعددت واختلفت تبعا للظروف ومدى قدرتهم على التكيف معها لإنجاز مهامهم على أكمل وجه[855].

ويمكن تلمس الخطوط العريضة لتلك الأدوار من خلال ما أمدتنا به كتابات الإخباريين من الإشارات الكثيرة حول المسؤوليات التي أنيطت ببعض خاصة المجتمع بمكناس. وتسهيلا لعملية البحث والتقصي عمدنا إلى أجرأتها حسب طبيعتها ونوعيتها.

3-1-إخماد الفتن والثورات وفض القلاقل والنزاعات:

عرف المغرب مجموعة من الاضطرابات والانتفاضات شملت مختلف مناطقه هددت استقراره وتماسكه؛ من أخطرها تلك التي كانت تشنها القبائل المستقرة بأحواز مكناس أو ما يطلق عليها بقبائل برابرة الجبل[856]. فمنذ عهد المولى إسماعيل شكلت هذه القبائل مصدر إزعاج حقيقي للمخزن العلوي الذي كان لا يزال في مرحلة إرساء بنيانه وتدعيم هياكله. لذلك ما فتئ السلطان يجهز حملات متعددة استهلها بالحملة على منطقة جبل فازاز سنة 1104هـ/ 1692م، ترأسها كبار وجهاء جيش عبيد البخاري. وفي هذا الصدد توجه الباشا مساهل والباشا علي بن يشو إلى تلك الناحية وحاصرت قواتهما القبائل من كل الجهات، وانهالت عليهم الضربات «**واستمر فيهم القتل والنهب ثلاثة أيام، والعساكر تلتقطهم من الشعاب والأودية**»[857]، ثم أمر السلطان الباشا على بن يشو بشن غارة على قبائل جروان، وشدد عليه بعدم العودة إلا وقد حقق الهدف،

---

[855] - Abdelhamid Henia, **Villes et Territoires Au Maghreb**, Itinéraire d'une recherche, cahier de I'l. R.M.C, N1, 2004, p. 164.

[856]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص.177.

[857]- الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، ص. 178.

فقام بالتضييق عليهم وأرغمهم على الاستسلام، وبهذا العمل الكبير نال الباشا منزلة خاصة عند المولى إسماعيل، الذي «**شكر له فعله وولاه على قبائل العرب والبربر**» [858].

وخلال العهد السليماني ازداد نشاط بعض القبائل البربرية، في مقدمتها بني مطير، مستغلة حالة الانفلات والضعف التي أصابت المخزن؛ حيث اختلقت عدة فتن في مناطق عدة تطلبت من السلطان إخمادها باعتماد أسلوب الحركات.

وفي ظل هذه الظروف، نصب محمد بن محمد وعزيز المطيري[859] مؤامرة ضد المولى سليمان حاكها بعناية دقيقة، بانتهاز فرصة انشغال السلطان بتجهيز حركة لتأديب قبيلة آيت أومالو سنة 1224هـ/ 1810م؛ حيث أظهر دعمه ومساندته له من خلال مشاركته في الحملة، لكن في نفس الوقت تعاون سرا مع تلك القبيلة مكرا بالسلطان، وكاد هذا الأخير أن يقع في الفخ لولا تدخل الوجيه المكناسي الوزير والحاجب محمد بن عبد السلام السلاوي الذي دبر حيلة أشار بها على السلطان، مفادها أن يغادر المحلة فجرا مع ترك المضارب والخيمة منصوبتين. ولما أشرقت الشمس هاجمت قوات القائد المحلة معتقدين أن المولى سليمان موجود فيها[860]، و بهذه الخطة أنقذ السلاوي حياة السلطان ومعها جنب البلاد كارثة كادت أن تعصف بها.

ولم يكد يمر وقت طويل حتى جدد البربر هجماتهم؛ لكن هذه المرة استهدفوا العاصمة التاريخية مكناس، فرغبة في الانتقام من المخزن، قامت جماعة منهم بالهجوم على ملاح اليهود قرب حي الرياض، مهددين سلامة قاطنيه من خلال قتل ذمية وجرح آخرين، فاستفظع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ما جرى وكلف باشا المدينة الجيلاني بن بوعزة بالبحث عن أصحاب الجرم

---

[858]- الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب**، ج 8، ص. 87.

[859]- من كبار قواد الأطلس المتوسط، كان يتمتع بمكانة مرموقة داخل قبيلته، استغل نفوذه بشكل سيئ، حيث مارس التعسف على قبائل آيت إيدراسن وآيت أومالو ووصل خطره إلى مدينة مكناس. الفقيه الإدريسي، مادة وعزيز، **معلمة المغرب**، ج 22، ص. 7602- 7603.

[860]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 350.

ومعاقبتهم، وهذا ما تؤكده الرسالة السلطانية للباشا المؤرخة في 28 ربيع الثاني 1269هـ/ 7 فبراير 1853م [861]

كما دخلت قبائل أحواز مكناس في صراع مع السلطان المولى عبد الحفيظ بسبب موقفه السلبي من ممارسات صدره الأعظم المدني الكلاوي المشينة في حقهم، إذ كان ينهج « **سياسة تعسفية إزاء القواد والقبائل ساهمت في إذكاء روح النقمة لديها ضد المخزن** (...) و**كذا القبائل البربرية حول مكناس وبخاصة بني مطير** »[862]، لذا هددوا بمحاولة خلعه ومبايعة أخيه المولى الزين، فكان رد فعل المخزن توجيه حركة عسكرية سنة 1909م قادها باشا مكناس بنعيسى بن عبد الكريم البخاري، باءت بالفشل. لتزداد ضغوطات القبائل على المدينة بتكثيف حملاتهم حتى صار تهديدهم حقيقي، فلم يجد السلطان بدا من تغيير سياسته من الترهيب إلى الترغيب، وفي هذا السياق حاول استثمار مكانة الشرفاء الأمرانيين الذين كانوا يحظون بتقدير وتبجيل كبيرين من كافة مكونات بني مطير «**إذ كانوا لا يرفعون أمامهم رأسا ولا يردون عليهم كلاما ولا يعصون لهم أمرا**»[863] ، فكلف أحد وجهائهم هو إدريس بن عبد السلام بمفاوضة تلك القبائل من أجل الدخول في طاعة السلطان، وكذلك كان؛ حيث توجه إليهم سنة 1329هـ/ 1911م واستقبلوه بحفاوة وإجلال عكسه توقفهم عن شن الهجمات[864]، ثم دخل الطرفان في مفاوضات طويلة وشاقة أبانت عن نقطة خلاف مركزية تمثلت في مطالبتهم بعزل الصدر الأعظم مهددين بعدم مواصلة المفاوضات من جديد إلى حين تحقيق هذا المطلب، وهو الأمر الذي رفضه السلطان مما عقد مسألة الوصول إلى عقد اتفاق نهائي[865]. ورغم عودة الشريف الأمراني للمرة الثانية للبربر؛ إلا أنه لم يحمل معه أي جديد مما جعله عرضة للتعذيب والتنكيل بسبب اتهامهم

---

[861]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 284.

[862]- محمد خير فارس، **المسألة المغربية 1900- 1912م**، مكتبة دار الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1980، ص. 437.

[863]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 54.

[864]- نفسه، نفس الجزء، ص. 56.

[865]- محمد بن الحسن الحجوي، **دفتر تقاييد لحوادث تاريخية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ**، م.و.م.م، الرباط، رقم 128 ح، ص. 46.

إياه بمماطلتهم حتى يجهز عليهم السلطان، حيث « **أنهم عثروا على مكاتب وجهها المخزن إلى قبيلة بني مكيلد باستباحة بني مطير مالهم وأنفسهم عدى الأرض يبقونها للمخزن وذلك ما حملهم على استباحة حرمة الشريف**» [866].

يتضح من هذا النص أن سبب فشل مهمة إدريس الأمراني، بل وتجرأ البربر على المس بسلامته الجسدية والمعنوية، رغم ما له من حرمة ومكانة في نفوسهم، مرده إلى الأسلوب الذي تبناه المخزن في حسم الخلاف والمتمثل في الحل العسكري، وما تكليف الشريف الأمراني بمفاوضتهم ليس الغرض منه تلبية مطالبهم بقدر ما كان الهدف هو إقامة الحجة عليهم وإظهارهم بمظهر المارقين الذين يريدون شق عصا الطاعة، حتى إذا تحرك السلطان ضدهم سوف يجد الدعم والمساندة، وفي نفس الوقت أغلق الباب أمام تزايد الحركات المعارضة عبر إعطاء صورة إيجابية عن المخزن. ولا نستبعد تدخل فرنسا للحيلولة دون عقد ذلك الاتفاق، من خلال ضغطها على السلطان بعدم التجاوب مع مطالب البربر. ومما يدعم وجهة النظر هاته أن فرنسا الدولة الاستعمارية كانت قد دشنت احتلالها الفعلي للمغرب، ومن شأن نجاح البربر في نيل مطالبهم أن يعرقل خطتها الرامية إلى إخضاع كل المناطق.

ولم يقف دور وجهاء مكناس عند إخماد الثورات المهددة لمدينتهم، بل تعداها ليشمل مدنا أخرى لا تقل أهمية؛ ذلك أن حماية المدن من حماية البلاد والحفاظ على تماسك الدولة، سنقتصر على نماذج محدودة من المناطق اعتقادا منا أنها كافية لإعطائنا صورة عن مساهمة الوجهاء في استتباب الأمن في عموم البلاد، وفي نفس الوقت تجنبا لأي عمل سردي تتشابه أحداثه في عمومها.

❖ **منطقة الحوز**:شهدت هذه المنطقة اضطرابات عنيفة دامت ما يقارب خمس سنوات من 1206هـ/ 1791م إلى 1211هـ/ 1796م لعب فيها قائد مدينة آسفي عبد الرحمن بن

[866] – نفسه، نفس الصفحة.

ناصر العبدي[867] دورا محوريا، إذ كان من أشد معارضي المولى سليمان، رفض مبايعته مرارا مفضلا المولى هشام، ومما شجعه على ذلك طموحه الشخصي في الاستئثار بالسلطة مستغلا علاقته القوية مع إسبانيا، وقد تبلور هذا الطموح في الثورة التي قادها ضد السلطان المذكور سنة 1206هـ/ 1792م[868]. وما يدل على خطورتها أن هذا الأخير اضطر لمغادرة مراكش تجنبا لأي مفاجئة يرتبها له، فضلا عن رغبته فى تجميع قوته للقضاء عليه. فاتجه صوب فاس ومنها دخل مكناس باعتبارها قلعة جيش عبيد البخاري طالبا الدعم والمساعدة، ثم جهز حملة كبيرة وقصد منطقة الحوز. ولما وصل إلى مدينة مراكش ارتأى تأخير استخدام القوة ضد قائد آسفي، وهنا سيظهر الوجيه المكناسي الوزير محمد بن عبد الوهاب بن عثمان على مسرح الحدث بصفته مبعوثا مكلفا بمحاولة إيجاد مخرج سلمي للأزمة، عبر إقناع القائد بضرورة مبايعة السلطان والدخول في طاعته، فتكللت مهمته بالنجاح[869]. ولم يكن اختيار ابن عثمان لتلك المهمة الحساسة اعتباطيا، نظرا لما اشتهر به من صفات جليلة ومؤهلات كبيرة، أهمها قدرته الفائقة على التواصل والمجادلة والمحاورة والإقناع ومقابلة الشبهة بالحجة اكتسبها أيام تقلده خطة السفارة، فازدادت مكانته لدى السلطان. وبهذا يكون قدم خدمة عظيمة للمخزن وجنب البلاد والعباد مآسي كادت أن تقع.

❖ **المغرب الشرقي**: تزعم الثورة في هذه المنطقة بوعزة بن عبد القادر الهبري[870] الذي نجح في استقطاب القبائل المستقرة في المجال الممتد من وجدة إلى تازة منها: غياثة والتسول والبرانس والحياينة وبنو وراين وكزناية وأولاد بريمة وآيت سغروشن[871]. وما أعطى لهذه الثورة زخما وصدى كبيرا أنه وظف إلى جانب قوته العسكرية تأثيره الرمزي ونفوذه المعنوي على سكان المنطقة؛

---

[867]- قائد مخزني كان الحاكم الفعلي لمدينة آسفي وأحوازها إلى مدينة الصويرة، تمتع بنفوذ كبير تجلى في تحكمه في مداخيل مينائي المدينتين، توفي مطعونا بالوباء سنة 1214هـ/ 1799م. للمزيد انظر: **تاريخ الضعيف** ص 316 و317. محمد بالوز، **صفحات من تاريخ آسفي**، جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2004.

[868]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 131.

[869]- الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب**، ج 8، ص. 101.

[870]- نسبة إلى هبرة من عرب بني هلال بنواحي مستغانم الجزائرية. حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 260.

[871]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 185.

حيث كان يزعم امتلاكه لخوارق وكرامات وتعاطيه للسحر، إضافة إلى حساسية المنطقة من الناحية الجيو-سياسية بحكم مجاورتها للجزائر التي كانت وقتئذ تسيطر عليها فرنسا، وهو ما شكل خطرا كبيرا مخافة استغلال هذه الأخيرة للثورة من أجل النيل من المغرب. اضطر معها السلطان المولى الحسن لتجهيز حملات عسكرية لإطفاء شرارتها، شارك في رسم معالم خطتها الوزير موسى بن أحمد البخاري المكناسي، وبالفعل نجحت الخطة في القضاء عليه.

والى جانب اضطلاع الوجهاء ذوي التكوين المخزني بمهامهم في استتباب الأمن ونشر السكينة، كانت كذلك لوجهاء الشرف مساهمة فاعلة لتحقيق نفس الغاية. وفي هذا الاطار أبلى الشرفاء الأمرانيون بلاء حسنا في مساعدة المخزن على إخضاع القبائل المهددة لسلطته؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

❖ **بني مستارة**[872]: احترف أفراد من هذه القبيلة أعمال اللصوصية والسرقة، عبر اعتراض المارة خاصة التجار والإغارة على القبائل المحاذية لأخذ أموالها ومصادرة أراضي أصحابها، فتكاثرت الشكايات ضدهم، لم تؤخذ على محمل الجد إلا حينما تعرض لأذاهم شرفاء وزان أولاد عبد السلام بن العربي، وبحكم المكانة الرفيعة التي كانوا يحظون بها عند السلطان المولى عبد العزيز، قرر التدخل بإرسال جيش أسندت رئاسته للشريف المكناسي عبد السلام الأمراني الذي وفق في تأديبهم وكف إذايتهم عن الأعيان ومن دونهم، بل وأرغمهم على الاستسلام ودفع ما يتوجب عليهم من الوظيف المخزني، إضافة إلى إرجاع ما نهبوه من عزيب شرفاء وزان مع أداء ذعيرة قدرها 100 ألف ريال[873].

❖ **ثورة بوحمارة**[874]: قاد الجيلالي الزرهوني الملقب ب "بوحمارة" أخطر حركة مناهضة للدولة المغربية خلال العقد الأول من القرن العشرين؛ حيث نجح في تشكيل قوة كبيرة مؤلفة من 15

---

[872]- قبيلة جبلية صنهاجية استوطنت قرب مدينة وزان. عبد السلام البكاري، مادة بني مسارة، **معلمة المغرب**، ج 5، ص. 1563- 1565

[873]- المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية**، ص. 267- 268.

[874]- الجيلالي بن ادريس الزرهوني لقب بالروكي، وهو لقب له دلالة سياسية إذ يطلق على متمرد ينتحل صفة الانتماء إلى الأسرة الحاكمة دون دليل أو برهان، ولد بزرهون سنة 1282هـ/ 1865م، شغل منصب مخزني في الجيش، نجح في التدرج في المناصب لما امتاز به من ذكاء ودهاء.

ألف فارس، واتخذ المجال الممتد من فاس إلى تازة مجالا لتحركاته، تمكن من التوسع شيئا فشيئا إلى أن أدرك المولى عبد العزيز خطورته، فارتحل من مكناس إلى فاس للإشراف شخصيا على خطة القضاء عليه؛ إذ جهز جيشا جعل على رأسه الشريف المكناسي عبد السلام الأمراني، والتقى الجمعان في تازة سنة 1320هـ/ 1902م، فكانت الكرة لصالح بوحمارة الذي غنم مغانم كثيرة زادت من سطوته.

وقد حملت مسؤولية الهزيمة للشريف المذكور وهو ما يتضح في الرسالة السلطانية التي بعثها إليه المولى عبد العزيز في نفس السنة، والشاهد فيها: «**أن الفاسد الفتان قد عاد للدخول إلى تازا، وتحقق لنا أن ذلك إنما هو من التراخي الواقع منك** (...) **فلو لم يظهر للفساد الذين معه التراخي لما تجرأ على ذلك**»[875]. وختم الرسالة بتوجيه الأمر بوجوب التحلي بالحزم والعزم واليقظة والصرامة والجدية، وإيلاء القضية ما تستحق نظرا لجلالة أمرها وخطورة شأنها. وفي الحقيقة أن الهزيمة لا يتحملها الشريف لوحده، لاعتبارات منها: أنه لم يكن الوحيد الذي يقرر، ذلك أن الجيش كان مقسما إلى خمس فرق تتحكم فيها قيادة مكونة من قواد لم يكونوا متفقين، وهو ما أثر على تماسك الفرق الخمس نظرا لضعف التنسيق والتنظيم[876]، فضلا عن استخفاف القيادة بقوة بوحمارة وعدم أخذ تهديداته بعين الاعتبار؛ وهو ما تدل عليه الرسالة السلطانية الآنفة الذكر.

❖ **ثورة الريسوني**[877]: تزعم أحمد الريسوني ثورة ضد السلطان المولى عبد العزيز، وقد أرجع أحد الباحثين سبب اندلاعها إلى رفض المخزن استرداد أحمد لأمواله وممتلكاته بعد إلقاء القبض عليه، كان السبب ارتكابه مجموعة من المخالفات من قطع الطريق وممارسة القتل، مما حذا بالسلطان لتوجيه أمر لعامله على طنجة بمتابعته واعتقاله، فسجن بمدينة الصويرة، وبعد فترة

للمزيد انظر: محمد الصغير الخلوفي، **بوحمارة من الجهاد إلى التآمر: المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909م**، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1993.

[875]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 443.

[876]- محمد المختار السوسي، **المعسول**، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1381هـ/ 1961م، ص. 40.

[877]- ينتمي إلى بيت شريف ينحدر من الولي الشهير عبد السلام بن مشيش، ولد ببني عروس، تميزت حياته بإثارته للمشاكل والصراعات.حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 302.

أطلق سراحه بعد سنة 1317هـ/ 1900م[878]. دون إغفال تأثير الأوضاع المضطربة التي كان يشهدها المغرب آنذاك.

شكلت سنة 1907م بداية الثورة لما أعلن عن خلع المولى عبد العزيز وتأييده لأخيه المولى عبد الحفيظ لتولي الحكم، فقرر السلطان توجيه محلة مخزنية أوكل مهمتها للشريف الأمراني، الذي وفق في مهمته إذ نجح في اعتقال الريسوني[879].

علاوة على المساهمة الكبيرة للوزير المكناسي محمد المفضل غريط من خلال إشرافه على توفير الظروف المناسبة للمحلة التي قادها القائد محمد بن بوشتى البغدادي، وهذا ما نستشفه من الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى الوزير المذكور يطلب منه تزويده بالجنود والعتاد لمواصلة الحرب على الريسوني[880].

إن اعتماد السلاطين العلويين على بعض وجهاء مكناس لضبط ملكهم لدليل على العلاقة القوية التي جمعت بين الطرفين.

3-2-تقديم النصح:

نهض وجهاء المجتمع المكناسي بواجبهم تجاه السلاطين العلويين الذين عاصروهم، من خلال تقديم النصح لهم في القضايا التي تعترضهم وتحيرهم، وفي هذا الإطار أسدى الوزير اليحمدي نصيحة مهمة للسلطان المولى إسماعيل لما استشكل عليه اختيار أحد أبنائه لمن يصلح لتولي الحكم -سبق أن أشرنا إلى حيثيات هذه المسألة-[881].

---

[878]- أحمد مهدرها، مادة الريسوني، **معلمة المغرب**، ج 14، ص. 4522.

[879]- محمد الأمين البزاز، مادة الأمراني، **معلمة المغرب**، ج 2، ص. 692.

[880]- رسالة من القائد محمد بن بوشتى البغدادي إلى محمد المفضل غريط بتاريخ 13 رجب 1325هـ/ 22 غشت 1907، م. م.و.م.م، المحفظة 3.

[881]- انظر الصفحات: 264- 265- 266.

كما كان الوجيه أحمد بن مبارك البخاري نصوحا مخلصا لمخدومه المولى سليمان، يسمع لرأيه ويعمل بنصيحته، حتى إذا توفي دخل السلطان حالة من الغم والهم[882]، إذ كان يعتبره نبراسا مضيئا في حياته عونا على شؤون حكمه.

إضافة إلى أسلوب النصيحة المباشرة؛ اتبع وجهاء مكناس أسلوبا غير مباشر في تقديم النصح لسلاطينهم، والمرتكز على الرسائل[883] المفتوحة من خلال تأليف كتب تحمل بين ثناياها نصائح بطريقة مضمرة، اتسمت باللباقة والاحترام وحسن اختيار الكلمات. نذكر على سبيل المثال الكتاب الذي ألفه الصالح المكناسي أحمد بن يعقوب الولالي سماها **"نصيحة الصفا في قواعد الخلفا"**[884]، وهي رسالة تحدث فيها عن قواعد الحكم الرشيد في الإسلام خاطب فيها السلطان بشكل غير مباشر.

3-3- الوساطة والصلح:

لجأ السلاطين في حل بعض النزاعات والصراعات إلى الأسلوب السلمي، من خلال اتباع آليتي الوساطة والصلح، معتمدين فيها على شخصيات لها وزن وثقل اجتماعي كبيرين بما تمتلكه من قيم رمزية ومعنوية لتذليل العقبات وتجنب إراقة الدماء في حل بعض القضايا. ومن جملة هذه الشخصيات؛ نجد بعض وجهاء مكناس الذين كانوا محل ثقة الأطراف المتنازعة: السلاطين من جهة، والقبائل من جهة ثانية.

ولعل أبرز صراع بصم فيه بعض أعيان مكناس حضورهم في النزاع الكبير الذي اندلع بين أمين المستفادات الحاج محمد بن المدني بنيس وأهل فاس؛ خاصة الدباغون حول ضريبة المكس،

---

[882]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 307.

[883]- لم ينفرد أعيان مكناس بهذا الأسلوب، بل برز علماء من مختلف مناطق المغرب، قدموا للسلاطين نصائح في شكل رسائل من أشهرهم الحسن اليوسي: الرسالة الكبرى- الرسالة الصغرى. للمزيد انظر: فاطمة خليل القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، جمع وتحقيق ودراسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م.

[884]- حققها نزار حمادي، عن دار الضياء للنشر والتوزيع سنة 1434هـ/ 2013م.

تحول إلى ثورة سميت بثورة الدباغين سنة 1290هـ/ 1873م[885]. ففي الوقت الذي طالب فيه أهل فاس بإسقاط الوظيف، استمر الأمين في تحصيلها على يد معاونيه، مما أغضبهم وأجج سخطهم، فهموا بمحاصرة منزله واقتحموه ونهبوا ما وجدوا فيه من أموال وهددوا من فيه من أعراض. وأمام اشتداد النزاع تدخل المولى الحسن وأوفد قائد مشوره بمكناس إدريس بن العلام إلى مدينة فاس لإبلاغ أهلها بمختلف طبقاتهم رغبة السلطان في إخماد الفتنة بطريقة سلمية[886]، وبالفعل هدأت الأمور فترة من الزمن، إلى أن تمت معالجة القضية بعزل الأمين بنيس مقابل التزام أهل فاس بدفع ضريبة المكس.

وفي عهد السلطان نفسه وقع خلاف مع بعض القبائل حول امتناعها عن دفع الواجب الجبائي، وعوض أن يوجه السلطان حركة عسكرية لتحصيلها، فضل نهج طريقة مغايرة عبر الاعتماد على نفوذ بعض وجهاء مكناس لتحقيق المصلحة دون الدخول في مواجهة مع تلك القبائل، وهذا ما ينطبق على قبائل بني مطير؛ ففي الرسالة التي بعثها المولى الحسن إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني، المؤرخة في 19 ذي القعدة 1311هـ/ 23 ماي 1894م، يأمره بالتوجه إلى القبائل المعنية ويعمل على إقناعها «**حتى يدفعوا ما عليهم من زرع سهمة بلاد المخزن و غيرها من التوايز**»[887].

وفضلا عما ذكر؛ أسهم بعض أهل الجاه والنفوذ بمكناس مساهمة بارزة في عقد المؤاخاة والصلح الذي أبرمه المولى إسماعيل بين ولديه المولى أحمد الذهبي والمولى زيدان؛ حيث كان بين هذين الأمرين منافسة شديدة حول السلطة في الوقت الذي بدأت صحة السلطان في الاعتلال، وخوفا على مصير البلاد والعباد وإدراكا منه لخطورة التنافس والتنازع على الحكم، قرر إبرام صلح بينهما سنة 1137هـ/ 1725م لإزالة ما يكدر النفوس ويغير الصدور بحضور ثلة أعيان علماء

---

[885]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 165.

[886]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 169.

[887]- الخزانة الحسنية، **المجموعة الزيدانية**، رسالة رقم 23، ص. 88.

مكناس منهم: الشريف بن أحمد الحسني، أحمد بن سعيد العميري، محمد بن زكري، أبو القاسم العميري، علي بن سعيد العميري، أحمد الزرهوني، أحمد بن القاسم الحسني تحت إشراف قاضي الحضرة أبي عثمان العميري[888].

إن حرص السلطان على إشهاد بعض وجهاء عاصمته، لأبرز برهان عن العلاقة الطيبة، بل والوثيقة التي ميزت الطرفين.

3-4-الإشراف على صناعة الأسلحة:

أولى السلاطين العلويون اهتماما بالغا بالجانب العسكري، باعتباره أحد أركان الدول الحافظ لاستقرارها والضامن لاستمراريتها؛ سواء من خلال جهودهم في تكوين جيش قوي أو من خلال العمل على تطويره وإعداده وتوفير الشروط الضرورية لاشتغاله، ولا يتأتى ذلك إلا بتجهيزه بالأسلحة المتطورة.

وفي هذا السياق؛ اضطلع بعض وجهاء مكناس بدور فاعل في إنجاح السياسة الرامية لتطوير صناعة الأسلحة، بسبب ثقة السلاطين بكفاءتهم ومهاراتهم. فإضافة إلى دورهم في تكوين الجيش -كما سبقت الإشارة- كانت لهم مساهمة مهمة في تطوير الأسلحة التي يحتاجها هذا الجيش خاصة النارية. وكما هو معلوم يرتبط هذا النوع من السلاح بصناعات أساسية في مقدمتها صناعة البارود[889] التي كانت تمارس في المدن العواصم مراكش[890] وفاس[891] ومكناس، هذه الأخيرة

---

[888]- نص عقد المؤاخاة أورده ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص 230 و231 و232.

[889]- ظهرت صناعة البارود بالمغرب أول مرة خلال العصر المريني. للمزيد انظر: الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ج 2، ص. 348.

[890]- معمل "فابريكة الحبة" مختص في صناعة البارود، أنشأه السلطان محمد بن عبد الرحمان قرب موقع جامع الفنا بمراكش. للمزيد انظر: المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 92.

[891]- دار السلاح أكبر معمل أسسه السلطان المولى الحسن سنة 1309هـ/ 1892م، شيده المهندس الإيطالي لوطري . للمزيد انظر: المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 99.

اشتهرت بتلك الصناعة منذ العهد الإسماعيلي بحكم توفر مناجم الملح بأحوازها وبالضبط قرب جبل زرهون[892]، لتبرز بشكل واضح خلال العهد الحسني.

وحري بالقول؛ إن صناعة البارود كان يحتكرها المخزن العلوي، وقد أرجع أحد الباحثين السبب في كون مادة البارود تشكل ذخيرة مهمة لا غنى عنها في تركيز سلطتهم، إضافة إلى الفوائد المالية الكبيرة التي يمكن تحصيلها من احتكار بيع البارود[893].

ومن خلال اطلاعنا على الوثائق[894] المتعلقة بهذه الصناعة، تصادفنا شخصية مكناسية وجيهة أسهمت بدور محوري في هذا الميدان، إنه محمد بن العربي أجانا الذي شغل خطة الحسبة في الفترة الممتدة من 1298هـ/ 1881م إلى 1306هـ/ 1889م، تمتع بمنزلة رفيعة عند المولى الحسن، تجلت في تكليفه بالإشراف على صناعه البارود بمكناس وهي المهمة التي قام بها أحسن قيام؛ فقد حرص حرصا شديدا على إتقان تلك الصناعة جودة وتخزينا ومراقبة وحراسة. ويمكن الاستدلال على هذا الاستنتاج من خلال رسالتين: الأولى وجهها المعني بالأمر إلى الوزير علي المسفيوي استعرض فيها الطريقة الخاطئة المتبعة في هذا النوع من الصناعة، مشددا على ضرورة اتباع إجراءات وضوابط دقيقة تسهم في تطويرها[895]، وبالتالي ضمان صناعة أسلحة نارية فعالة. ومن جملة هذه الإجراءات، تحسين أجور المعلمين والحرفيين ورفع سعر ثمن الملح المستخدم في الصناعة بهدف تشجيعهم على إتقان عملهم، وفي المقابل إلزامهم بتقديم كمية محددة يوم الجمعة من كل أسبوع. والرسالة الثانية وجهها المحتسب إلى أحد قواد أحواز مكناس المدعو العربي بن

---

[892] - **Sources Inédites de l'histoire du Maroc** ,Série Filalienne, Tomes VI, p. 649.

[893] - اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 152.

[894] - اطلعنا على بعضها في الخزانة الحسنية، المجموعة الزيدانية. والبعض الآخر نشرها الأستاذ محمد اللحية في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كما زودتنا مشكورة الأستاذة عتيقة أجانا من عائلة المحتسب بعدد من الوثائق

[895] - أشار الاستاذ محمد اللحية أن البارود كان ينتج في ظروف سيئة اسمه "البارود السباعي"، ثم تحسن الوضع بشكل ملموس وصار يطلق عليه "البارود المزدوج". محمد اللحية، «التدابير العسكرية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر: طبيعتها وأهدافها»، ضمن **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م، ص. 275.

بوعزة لودي يوصيه يضرورة جمع مادة الكبريت في المنطقة الواقعة تحت نفوذه وإرسالها إليه في أقرب وقت ممكن[896].

وارتباطا بصناعة البارود، لم يقتصر اعتماد السلاطين على وجهاء مكناس داخل مدينتهم، بل كلف بعضهم بالإشراف على دور الأسلحة خارجها، فهذا الوزير الصدر محمد المفضل غريط أناط به المولى الحسن مهمة تتبع عمل دار السلاح بمدينة فاس، عبر ربط الاتصال مع نائب دولة إيطاليا بالمغرب والتنسيق معه لإنجاح مشروع تشييد تلك الدار، وقد نهض بدوره في تذليل الصعاب وإزالة المعوقات التي تحول دون تحقيق طموح السلطان في بناء ذلك الصرح العظيم[897].

3-5-تموين الدار العالية بمكناس:

تعتبر وظيفة التموين من الوظائف الهامة التي تسهم في تقديم خدمات انطلاقا من الاحتياجات اللازم تنفيذها، وعليه؛ فقد كان السلاطين العلويون يعتنون بها عناية كبيرة من خلال انتقاء أشخاص يحظون بثقتهم يعملون على توفير المواد التموينية الضرورية؛ من ضمنهم شخصيات وجيهة تنتمي إلى مدينة مكناس اعتمدوا عليها في تغطية ما يلزمهم.

وفي هذا الشأن؛ برز الذمي أبراهام ميموران كأحد أهم ممولي القصر السلطاني بالمواد الغذائية[898]، وخلال العهد الحسني لمع بوعزة بن العربي الفشار الذي تقلد وظيفة الأمانة، وهي الخطة التي كانت تسمح له بالإشراف على رواتب الجيوش وتنفيذ كل ما يحتاجه القصر السلطاني من مؤن محددة ومعلومة، منها ما يكون مياومة كاللحم والدجاج وأفراخ الحمام والخضر، ومنها ما يكون مشاهرة كالدقيق والأرز والسمن والزيت والسكر والتوابل والحطب والشمع، ومنها ما يكون في المواسم والأعياد والأيام الفاضلة من حلويات وعسل وأكباش، ومنها ما يكون مسانهة كالخليع

[896]- نفسه، ص. 280.

[897]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 576- 577.

[898] - Busnot, **Histoire du régne de Muley Ismael**, p..90

والكسوة والصلة النقدية[899]. كما كان اليهودي مخلوف الملقب بالخريف المكناسي من مزودي القصر السلطاني بمكناس بالمواد الأساسية، بموجب ظهير صادر عن السلطان المولى الحسن بتاريخ 15 شوال 1308هـ/ 23 ماي 1891م، والشاهد فيه «**أننا أقررنا ماسكه الذمي مخلوف الملقب بالخريف المكناسي استجلاب بواكر الخضر والفواكه مع القيام بملزومة الدجاج والبيض وأفراخ الحمام لدارنا السعيدة بمكناس صانها الله، وأقمناه في ذلك مقامه من غير زيادة ولا نقصان**» [900].

وإضافة إلى الدور التمويني للدار العالية بمكناس، تكلف بعض أعيان المدينة بتوفير ما يحتاجه الجيش من خياطة الكسوة العسكرية والقبب[901] والخزاين والطراحيات[902] والبوكراعات[903]، من أبرزهم التاجر الحاج السعيدي بناني والحاج السعيدي غريط واليهودي يعقوب أحنا وغيرهم. وهو ما استقيناه من وثائق نشير إلى بعضها: الأولى: تتحدث عن صنع الوجيهان بناني وغريط عددا من القبب لفائدة المخزن[904]، والثانية تتعلق باليهودي أحنا الذي كان مختصا في الخدمة الشريفة مكلفا بخياطة القبب يزود بها المخزن الحسني وحاشيته والتي بلغت سنة 1310هـ / 1892م م 44 قبة و600 بوكراع و900 طراحية[905]. وفي أواخر السنة المذكورة زود أمناء دار عديل بفاس بكمية مهمة تمثلت في 300 طراحية و529 بوكراعات و293 الأعمدة (الركائز) و 282 قبب[906]. ولا يخفى دور هذه التجهيزات في إنجاح الحركات السلطانية، من خلال تهييء الظروف الملائمة لعمل عناصر الجيش.

---

[899]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص.120.

[900]- ابن زيدان، **العز والصولة** ، ج 2، ص. 141.

[901]- خيمة بيضوية الشكل. برادة، **الجيش المغربي وتطوره**، ص. 155.

[902]- خيم ذات عمود واحد. الشابي، **الجيش المغربي**، ج 1، ص. 369.

[903]- خيمة تتسع لحوالي عشرين شخصا. برادة، **الجيش المغربي وتطوره**، ص. 155.

[904]- الشابي، **الجيش المغربي**، ج 1، ص. 371.

[905]- اوثيقة مؤرخة 4 ذي القعدة 1311هـ/ 9 ماي 1894م، و.خ.ح، المحفظة الحسنية، رقم 456.

[906]- الشابي، **الجيش المغربي**، ج1، ص. 377.

3-6-حضور المناسبات الرسمية وتقديم التهنئة:

جرت عادة السلاطين العلويين الاهتمام بالمناسبات الكبرى وإيلائها اهتماما بالغا لما تعبر عنه من رمزية جليلة، وفي خضم هذا الاهتمام حرصوا على إشراك كبار خدامهم ووجهاء مجتمعهم وفقا لمراسيم دقيقة وأعراف ثابتة، والذين بدورهم لم يتوانوا عن الحضور وإظهار فرحهم وسرورهم، لأنها تشكل فرصة لكسب اعتراف صريح بمكانتهم وعلو شأنهم. ويأتي في مقدمة المناسبات المحتفى بها الأعياد الدينية التي كانت لها أهمية خاصة يجتمع فيها وجهاء المجتمع بمكناس لمشاركة السلاطين الاحتفال حضورا وتنظيما مبتهجين ومهنئين.

نتوفر على معلومات كثيرة استقيناها من وثائق مخزنية تدلل على ذلك؛ منها الرسالة التي بعثها الوجيهان أحمد العرائشي والمحتسب محمد بن العربي أجانا إلى السلطان المولى الحسن، والمؤرخة في 29 رمضان المعظم 1309هـ/ 26 أبريل 1892م، يقدمان فيها التهاني والتبريكات بمناسبة العيد؛ ومما ورد فيها «**بعد تقبيل الأرض بين يدي سيدنا، أدام الله عزه وعلاه، فعيد مولانا عيد مبارك أعاده الله على سيدنا وعلينا وعلى المسلمين أنواع الخيرات والمسرات، ومتعنا الله برضاك وحفظنا فيك، ونطلب من مولانا صالح دعائه وعلى الخدمة الشريفة والسلام**»[907]. فضلا عن المناسبات الدينية مثل الاحتفال بذكرى المولد النبوي[908] الذي يعد من أبرز الاحتفالات، وكذلك إحياء مجلس قراءة كتاب صحيح البخاري وهو تقليد يتم خلال الأشهر رجب وشعبان ورمضان، يحرص فيه السلاطين على انتقاء أعيان العلماء وفطاحلة الفقهاء للحضور، وكانت رئاسة مجلسها تسند لقاضي الحضرة المكناسية؛ ففي عهد السلطانين محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن تولى المجلس المهدي بن سودة[909] ومن بعده أخوه أحمد.

---

[907]- م.و.م.م، رقم 101، بتاريخ 29 رمضان المعظم 1309هـ/ 26 أبريل 1892م

[908]- أول احتفال بهذه الذكرى تم بمدينة سبتة زمن حكم العزفيين، حيث اتخذوه عيدا سنة 648هـ/ 1250م، ثم عرف انتشارا مع المرينيين، إلى أن صار عيدا رسميا أيام حكم السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة 691هـ/ 1291م.محمد استيتو، **الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م**، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، الطبعة الأولى، 2004م، ص. 396- 397.

[909]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 1، ص. 344.

علاوة عن حضور وجهاء مكناس في مناسبات سياسية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعلاقات الدبلوماسية؛ فعند قدوم السفراء والمبعوثين الأجانب إلى المغرب كانت تناط بهم مهمة استقبالهم والعناية بهم. وفي هذا الإطار؛ عندما حلت بعثة سفارية بمكناس سنة 1708م، انتدب المولى إسماعيل كبار رجال جهازه المخزني لمهمة الترحيب بأعضائها، حيث قام أبراهام ميموران بتوفير الغذاء اللازم المكون من كسكس بالدجاج والزعفران مع بعض الفواكه وقدمه إليهم[910]، وبعد الانتهاء من الطعام تولى مصحوبا بالوجيه محمد الأندلسي بتهييئ ظروف اللقاء الرسمي بالسلطان، من خلال مناقشة القضايا التي ستطرح في حضرته، وكذلك مهمة الاطلاع على الهدايا التي ستقدم له، قبل تحديد موعد استقبال السلطان للوفد بحضور جمع من الوجهاء[911].

كما شارك أعلام بارزون سلاطينهم الاحتفال في مناسبات اجتماعية، مثلما فعل الوجيه المكناسي الطاهر بادو بمناسبة زواج المولى سليمان ببنت كبير عرب طرابلس؛ حيث أوفده إلى مدينة العرائش للإشراف على مراسم استقبال العروس ومن جاء في صحبتها وحمل المتاع للمثول أمامه بمدينة فاس[912]، وما إسناد تلك المهمة لذلك الوجيه إلا دليل على المكانه التي يتمتع بها لديه.

ثانيا: وسائل التقارب بين وجهاء المجتمع المكناسي والسلاطين العلويين:

اعتمد السلاطين العلويون على وسائل وأساليب متعددة لتعزيز تقاربهم مع وجهاء مكناس، لاستمالتهم وكسب ولائهم في إطار توطيد سلطتهم ونفوذهم، لما يحظى به هؤلاء من مكانة ومنزلة ساميتين ضمن مراتب الهرم الاجتماعي، جعلت الحاجة إليهم ماسة في تدبير شؤون البلاد والعباد. نذكر من جملة هذه الوسائل:

---

[910] - CASTRIES**, Sources Inédites de l'histoire du Maroc** ,Série Filalienne, Tomes VI, p. 649.

[911] - Ibid, T VI, p. 650.

[912] - الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 361.

1-الامتيازات السلطانية:

خصص المخزن العلوي امتيازات كثيرة منحها لنخبة المجتمع المكناسي بمقتضى ظهائر[913]، ومن خلال اطلاعنا على الوثائق المخزنية المرتبطة بموضع دراستنا، توصلنا إلى شيوع أسلوب الامتيازات في علاقة الوجهاء بالسلاطين، والتي يمكن تصنيفها إلى نوعين: مادية ومعنوية.

1-1-الامتيازات المادية من أهم أشكالها:

❖ **الصلات المخزنية**: هي نوع من الأعطيات والهبات والتنفيذات كان يمنحها الملوك من بيت المال أو من الأحباس لفائدة أعيان المجتمع وصفوته، تصرف لهم تحت إشراف أمناء الصائر وهو تقليد دأب عليع السلاطين[914]. وحسب المراسلات المخزنية يتم التمييز فيها بين نوعين: صلات عينية ممثلة في المواد الغذائية الأساسية[915] استفاد منها وجهاء الشرف والعلم والصلاح. وفي هذا الصدد نورد نموذجين:

✓ الإنعام على الشريفات الإدريسيات بمكناس، حسبما جاء في كتاب سلطاني مؤرخ في 23 شوال 1247هـ/ 25 مارس 1832م، الشاهد فيه«**أننا أنعمنا على الشريفات الإدريسيات الذين بالدار الكبيرة يقبضن الصلة مع الشرفاء العلويين وجددنا لهن حكم ما بأيديهن (...) فكل صلة قبضها الشرفاء يقبضن معهم منها من غير منازع ولا معارض** »[916].

---

[913]- تعود سياسة توزيع ظهائر التوقير والاحترام وما تتضمنه من امتيازات إلى زمن السعديين، تكرست بشكل قوي مع العلويين. للمزيد انظر: هشام مليح، **المخزن والجباية في مغرب ما قبل الحماية**، مطبعة الأمنية، الرباط ، 2016م، ص 141.

[914]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 163.

[915]- عمراني، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية**، ص. 275.

[916]- ظهير المولى عيج الرحمان، م.و.م.م، المحفظة 1، رقم 346، انظر الملحق 4.

وكانت هذه الصلة مكونة من الدقيق والسمن والسكر والأتاي والتوابل والزيت والعسل وبعض الفواكه، والكسوة النسوية تشمل خمس قطع من الملف الرفيع ومثلها من الكتان وغيرها[917] .

- ✓ تنفيذة للفقيه القاضي المكناسي أحمد بن سودة تحتوي على كمية محددة من الخليع، حسب رسالة السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 19 محرم 1312هـ/ 22 يوليوز 1894م[918].

وأخرى صلات نقدية تصرف لبعض الوجهاء؛ نذكر منها:

- ✓ تخصيص إعانة لقاضي مكناس قدرها 30 أوقية سنة 1139هـ/ 1727م[919].
- ✓ استفادة أحد الشرفاء المكناسيين من مبلغ ثلاثة مثاقيل تصرف له من أملاك الأحباس[920].
- ✓ منح جراية على العادة للشرفاء العلويين والأدارسة ومنهم الحرارفة[921].

1-2-الإنعامات السلطانية:

1-2-1-منح الإقطاعات:

أنعم السلاطين على بعض وجهاء مكناس بأملاك عقارية كثيرة؛ فقد منح المولى إسماعيل لأحد كبار خدامه علي بن يشو دارا فسيحة، اشتملت على 24 حلقة يجمعها باب واحد[922]، كما أسدل نعمه على طبيبه الخاص عبد الوهاب بن أحمد أدراق على وجه الإقطاع والتمليك بدار القرفطي المحاذية لروضة الولية عائشة بمكناس بمقتضى ظهير صادر بتاريخ منتصف جمادى الثانية 1137هـ/ 11 نونبر 1725م، ومما جاء فيه « **أننا أنعمنا عليه بدار القرفطي** (...) **وجددنا**

---

[917]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 623- 626.

[918]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 165.

[919]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 396.

[920]- م.و.م.م، رقم 7076، بتاريخ 28 شعبان 1249هـ/ 9 يناير 1834م.

[921]- م.و.م.م، بتاريخ مهل شوال عام 1300هـ

[922]- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب**، ج 7، ص. 133.

عليه بملكيتها والتصرف فيها بالبيع والسكنى وغير ذلك تصرف المالك في ملكه (...) **من نازعه فيها** (...) **لا يلومن إلا نفسه**» [923].

ولم يقتصر الإنعام داخل مدينة مكناس، بل تعداها إلى أحوازها. وفي هذا السياق؛ تفضل السلطان المولى عبد العزيز بتنفيذ قطعة من الأرض في بني مطير للفقيه المكناسي الغالي بن المكي السنتيسي، بموجب رسالة وجهها للباشا حم بن الجيلاني بتاريخ 25 جمادى الأولى 1312هـ/ 23 نونبر 1984م، والشاهد فيها « **تحديد مقدار حرث زوجين من بلاد المخزن بالربيعة أو غيرها من إيالته وتحويزها للكاتب المذكور**»[924]. إضافة إلى إقطاع أراضي فلاحية للشريف محمد الأمراني وأخيه عبد السلام، وكذلك لكبار قواد جيش عبيد البخاري بمكناس كأولاد ابن يعيش .

1-2-2-حق جباية الضرائب:

أحاط السلاطين بعض أعيان مكناس بعناية خاصة تجسدت في تنازلهم لهم عن حق جمع الضرائب وتحصيلها، ويمكن الاستدلال على ذلك بما وقع لطبيب المولى إسماعيل عبد الوهاب السالف الذكر؛ حيث منحه السلطان حق تحصيل ضريبة الجزية المفروضة على يهود مكناس كما ورد في الظهير المؤرخ في 4 صفر 1137هـ/ 22 أكتوبر 1724م، ومما ورد فيه «**أننا أنعمنا عليه بعمالة الجزية الواجب على أهل الذمة القاطنين بملاح مكناسة** (...) **إعانة له على ما هو بصدده من ملازمتنا وخدمة جنابنا العالي بالله على مقتضى حكمته وشريف صنعته إنعاما**

[923]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 472.

[924]- رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى الباشا حم بن الجيلاني، بتاريخ 25 جمادى الأولى 1312هـ/ 23 نونبر 1984م، و.خ.ح، **المجموعة الزيدانية**، رقم 14، ص. 145.

تاما»[925]، كما أضاف إليه حق تحصيل مستفاد ميزان قاعة العطارين بفاس وخارجها بمقتضى ظهير في 25 ذي القعده 1137هـ/ 4 غشت 1725م[926].

1-2-3-الإعفاء من الضرائب:

تعتبر الضرائب من أهم المصادر المالية التي تعتمد عليها الدول وتسعى جاهدة لتحصيلها، لأنها شريان الحياة بالنسبة لها. ولم يشذ المخزن العلوي عن هذه القاعدة؛ حيث فرض مجموعة من الضرائب على فئات المجتمع قل عددها وكثر حسب الأوضاع العامة. إلا أن هذا الواجب أعفيت منه فئة قليلة كانت تتمتع بالجاه والنفوذ. ففي سياق الاستقطاب والاستمالة وتقوية روابط الولاء حرص السلاطين على منح بعض البيوتات العريقة بمكناس ظهائر تنص على إعفائهم من دفع الضرائب، حيث ترد فيها عبارات تفيد نفس المعنى، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ بيت بصري: «**وأسقطنا عنهم كل مغرم أوتكليف**» [927].
- ✓ بيت غريط: «**وأسقطنا عنه وعن أولاده جميع المطالب والكلف والوظائف والتبعات جلت أم قلت شملت أم عمت من غير متابع لهم ولا مطالب**» [928].
- ✓ بيت المنوني: «**أقررناهم على تضمنته من التوقير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، والمحاشات عما يطالب به العوام، من الوظائف المخزنية والتكاليف السلطانية**» [929].

---

[925]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 472.

[926]- نص الظهير أورده ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 473.

[927]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 122- 123.

[928]- نفسه، ص. 120.

[929]- المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون**، ص. 91.

- ✓ بيت أجانا: «**فلا يكلفون بوظيف ولا يلزمون بقطعة تكليف لأجل خدمتهم لجنابنا الشريف**» [930]
- ✓ بيت الحريف: «**حاشيناهم عن جميع التكاليف المخزنية والأوامر السلطانية بحيث لا يطوف أحد بساحتهم**» [931].
- ✓ بيت الشاوي: «**حاشيناه عما يتطرق للغير من العوام، فلا سبيل لمن يصل جنابه بوظيف أو مغرم أو تكليف قوي أو ضعيف**» [932].

بل أكثر من ذلك؛ فقد منح السلاطين لبيوتات نافذة حرية التصرف في زكاتهم وأعشارهم بمنحها لضعفائهم. ولدينا إشارات كثيرة تؤكد ذلك منها:

- ✓ بيت الحريف: «**أنعم عليهم بواجب أعشارهم وزكاتهم وسمحنا لهم فيهما من غير منازع فيهما ولا معارض**» [933]
- ✓ بيت المنوني: «**الإنعام عليهم برد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم وثوقا بأمانتهم وديانتهم**»[934].
- ✓ بيت الطاهري: «**فقد أذناهم وأمرناهم أن يعطى ما يجب من الزكاة والأعشار لضعفائهم، الذين يستحقونها بنظرهم، من غير منازع لهم ولا مزاحم**» [935].
- ✓ بيت التراب: «**وأذناهم في رد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم اتكالا على دينهم وعرضهم ومروئتهم**»[936].

---

[930]- ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان ينص على وجوب توقير وتبجيل بيت آجانا، بتاريخ 7 ربيع الأول النبوي 1282هـ/ 30 يوليوز 1865. انظر الملحق رقم 6.

[931]- الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، ص. 13.

[932]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 123- 124.

[933]- الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، ص. 13.

[934]- المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون**، ص. 92

[935]- الطيب بن العربي الطاهري، **تطييب الأنفاس بأخبار من استوطن**، ص. 17.

[936]- المنوني، مادة التراب، **معلمة المغرب**، ج7، ص. 2323.

✓ بيت أجانا: «**أذنا لماسكه الحاج محمد بن العربي أجانا في تفريق زكاته واعشاره من حب أو زيت او غيرهما على يده لضعفاء أقاربه ومن تعلق به (...)** ».[937]

نستخلص مما سبق، أن العلاقة التي جمعت بين وجهاء البيوتات المكناسية والسلاطين علاقة متينة عكستها الظهائر الممنوحة لهم. ونشير إلى ملاحظة أساسية أن إعفاء بعض الوجهاء من دفع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية فقط التي لا تتصل بالشرع؛ حيث لم يعفوهم من دفع الكلف الشرعية كالزكاة والأعشار، لكن سمحوا لهم في المقابل بمنحها لضعفائهم وفقرائهم، وهذا من تمام التبجيل والتعظيم لهم.

1-3-الإمتيازات المعنوية:

في إطار تكريس السلاطين لنفوذهم عملوا على الاهتمام بالبيوتات الوجيهة عبر تعزيز نفوذ أفرادها معنويا وتزكية مكانتهم الاعتبارية داخل مجتمعهم؛ وذلك من خلال:

1-3-1-إظهار الاحترام والتعظيم لهم:

نهج السلاطين سياسة منح الظهائر لبعض أعيان المجتمع بمكناس، حيث حرصوا على تضمينها عبارات الاحترام والحظوة ورفعة شأن في نظر العامة؛ حيث ترد كثيرا عبارات تنحو نفس المنحى من قبيل «**أننا وقرناهم واحترمناهم وعظمناهم وحملناهم على كاهل المبرة والاحترام على مر الليالي والشهور والأعوام**»[938] وأيضا «**أقررناهم على ما تضمنته من التوقير لهم والاحترام والرعي الجميل المستدام**»[939]. وغيرها كثير.

---

[937]- ظهير حسني يوصي بتعظيم المحتسب محمد آجانا ، مؤرخة في فاتح جمادى الأخيرة عام 1294هـ/ 15 يوليوز 1874م. انظر الملحق رقم 7.

[938]- الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، ص. 13.

[939]- المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون**، ص. 92.

ولم يقف احترام السلاطين لوجهاء مكناس عند هذا الحد؛ بل بالغوا في تقديرهم من خلال استخدامهم لنوع من العنف اللفظي، فيه تهديد صريح لكل من يتعرض لهم بإذاية أو مضايقة أو تعدى حدودهم وانتهك حرماتهم؛ حيث وردت في بعض الظهائر عبارة تكررت بشكل لافت تبرهن على ذلك وهي «**نحفر جذره ونقصم ظهره كائنا من كان**». إن هذه العبارة تحمل دلالة عميقة جدا ومعاني تعكس الارتباط الوثيق الذي قام بين نخبة مكناس والمخزن العلوي.

كما سعى السلاطين في تقوية نفوذ خدامهم على المستوى المعنوي عبر تخويلهم صلاحيات واسعة داخل مجال إشعاعهم؛ منها حق الفصل في النزاعات التي قد تحدث بين الأفراد، وهذا ما ينطبق على اليهودي المكناسي الحزان شلوم بن شمويل عمار بن اللويري الذي منحه السلطان المولى الحسن عام 1370هـ/ 1890م سلطة « **الفصل بشرعهم بين يهود مكناس**» [940].

ومن صور الاحترام أيضا؛ اعتناء السلاطين بأضرحة بعض البيوتات الأصيلة التي اشتهر منها أولياء وصلحاء تمتعوا بالوجاهة والمنزلة، وهي الملاحظة التي سجلها الأب بوسنو Busnotفي إشارته أن السلطان المولى إسماعيل كان يجل الأولياء كثيرا فلا يجرؤ على المساس بحرمة مدافنهم، إذا احترم بها الأشخاص وإن كانوا لصوصا[941]. كما سلك خلفاؤه من بعده نفس النهج؛ فمثلا كان هناك اهتمام خاص بضريح الولي العارف بالله عبد القادر العلمي المشهور بسيدي قدور سواء من خلال توسعة مسجده أو تعيين مقدمين ونظارا يسهرون على تدبير أملاكه وأحباسه، أو عدم معاقبة الجناة إذا التجؤوا إلى ضريحه، وهذا ينطبق على كل الأضرحة التابعة للعائلات المكناسية الوجيهة.

ولضمان استمرار ولاء البيوتات للسلاطين؛ حرصوا على إظهار العناية والرعاية لورثة الوجيه؛ فمثلا عند وفاة القائد ابن الفقيه البخاري أمر المولى الحسن باشا مكناس حم بن الجيلاني

---

[940]– ابن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج 2، ص. 140.

[941] - Busnot**, Histoire du régne de Muley Ismael**, OP–Cit, p.151.

أن يستوصي «**خيرا بأولاد الوصيف الهالك، وترد بالك لأهله وداره حتى لا يلحقون بمكروه، وقد أقررنا أولاده على الانتفاع ببلاد المخزن التي كانت بيده**»[942].

1-3-2-المناصب:

أولى السلاطين لهذه الآلية عناية بالغة، لما تشكله من أهمية قصوى لاستقطاب الوجهاء واستمالتهم، فعملوا على مكافأتهم بوظائف وخطط تعكس منزلتهم ومكانتهم داخل المجتمع. وكان قصدهم ضمان ولائهم وخضوعهم، وكذا الاستعانة بهم في تسيير شؤون البلاد. وفي نفس الوقت؛ سمح للشخصيات المتولية لتلك الوظائف بترسيخ نفوذها وتعزيز سطوتها، وقد سبق أن فصلنا الحديث عن الوجهاء المكناسيين الذين تولوا وظائف رفيعة –في الفصل الثاني- جعلتهم ضمن القوى الفاعلة والمؤثرة في عمل الجهاز المخزني، وبهذا نجح السلاطين في كسب ولائهم وضمان مساندتهم لهم، حتى صاروا مرتبطين بالمخزن ارتباطا وثيقا مشكلين إحدى الركائز الداعمة للمخزن العلوي.

1-3-3-المصاهرة:

تعد هذه الظاهرة من الظواهر التي طبعت العلاقات الاجتماعية بين السلاطين والأسر المتنفذة داخل المجتمع، باعتبارها وسيلة فعالة لتقوية الشبكة العلائقية وتوطيد وشائج التقارب بين الطرفين. وإيمانا من السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب بأهمية هذا الأسلوب في بسط نفوذهم ومد سلطتهم فقد انتهجوه وفق ضوابط دقيقة.

وفي هذا الإطار؛ جمعت السلاطين العلويين ببعض وجهاء مكناس أواصر المصاهرة عبر زيجات تميزت بطابعها الإثني في أغلب الأحيان، من خلال تركيزهم على العائلات شريفة الأصل لما يشتركون فيه من الانتساب إلى الدوحة النبوية الطاهرة، وهو تقليد التزموا به في فترات زمنية

[942]- رسالة من السلطان المولى الحسن إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني، بتاريخ 27 ربيع الأول عام 1308هـ/ 10 نونبر 1890م، و.خ.ح، **المجموعة الزيدانية**، المجموعة 15، رقم 25.

مختلفة. ويعتبر بيت الأمرانيين من أشهر البيوتات التي ربطتها علاقة صهر مع السلاطين العلويين. ويمكن الاستدلال على ذلك بنماذج من المصاهرات: فقد صاهر السلطان المولى سليمان الشريف محمد بن عبد الله الأمراني بابنته أم هاني[943]، كما تزوج عبد السلام بن محمد الأمراني بأخت المولى عبد الرحمن بن هشام، وبعد وفاتها زوجه المولى الحسن بأخته أيضا[944]، وتصاهر محمد بن محمد الأمراني مع السلطان المولى الحسن لما تزوج شقيقته أم كلثوم[945]، وأخيرا تزوج إدريس الأمراني بحفصة أخت المولى عبد الحفيظ[946].

يتضح مما سبق؛ أن أسلوب المصاهرة شكل أحد أهم وسائل التقارب بين السلاطين العلويين وبعض وجهاء مكناس. لكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أنهم اتبعوا ذلك الأسلوب في نطاق ضيق جدا باقتصارهم فقط على العائلات العلوية الشريفة المكناسية –في حدود ما اطلعنا عليه– إذ لا تسعفنا المصادر لتقديم صور من مصاهرات السلاطين مع غير الأشراف الأمرانيين بمكناس؛ وهو ما يدفعنا إلى التأكيد أن دائرة المصاهرة ظلت محدودة متعلقة بالبيت الأمراني، ويمكن تفسير ذلك برغبة السلاطين في نسج علاقات تقوي مركزهم دون اللجوء إلى أسر لا تربطهم علاقة قرابة، فوجدوا في الأمرانيين خير نموذج إذ تجمعهم بهم قرابة دم ونسب، فهم أبناء عمومتهم[947]، ومن ثم ربما كان هدفهم الحفاظ على النقاء العرقي.

وحري بنا الإشارة إلى أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة؛ إذ عمد بعض السلاطين إلى إبرام زيجات مع عناصر نافذة غير شريفة لا تنتمي إلى مدينة مكناس، فقد تزوج السلطان المولى إسماعيل من خناتة بنت بكار من قبيلة المغافرة، المنحدرة من بني معقل العربية التي دخلت المغرب أواسط

---

[943]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 282.

[944]– نفسه، الجزء 5، ص.438.

[945]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء 4، ص.335.

[946]– نفسه، الجزء 2، ص.54.

[947]– الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 78.

القرن 7هـ/ 13م[948]، تمتعت بالجاه والنفوذ لعراقة نسبها وأصالة حسبها. فضلا عن مصاهرة المولى محمد بن عبد الرحمن نفسه بامراة من بيت الجامعي الشهير وهي السيدة فاطمة، أنجب منها ولي عهده المولى الحسن[949]. ويعود انفتاح السلاطين على عائلات غير شريفة للمكانة العلية والمنزلة الخيرة التي أدركتها تلك العائلات جعلها تحظى بثقة السلاطين، دون إغفال رغبتهم في استثمار رصيدها لإضفاء الشرعية على حكمهم.

1-3-4-ركب الحج:

اتخذ سلاطين المغرب عبر التاريخ الإسلامي عادة قارة تمثلت في إرسال وفود بغرض أداء مناسك الحج، ينتقى أفرادها بعناية كبيرة من المشهورين بالعلم والفضل والصلاح يطلق على رحلتهم اسم "الركب الحج" أو "الركب النبوي"[950].

وتمكننا إشارات متفرقة في ثنايا المصادر من الجزم بأن السلاطين نهجوا أسلوب الركب الحجي لتعزيز تقاربهم مع بعض وجهاء المجتمع بمكناس خاصة العلماء والفقهاء، يوضحها الجدول التالي:

جدول 17: أسماء بعض وجهاء مكناس المشاركين في الركب الحجي

الوجيه المكناسي المشارك	العهد	بعض الملاحظات	المصدر
أبو القاسم بن سعيد العميري	المولى عبد الله بن إسماعيل	خناثة بنت بكار وحفيدها المولى محمد بمشاركة ثلة من وجهاء الأعيان، انتهز الفرصة لمجالسة علماء	ابن زيدان، إتحاف، ج 5، ص 628.

[948]- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب**، ج 7، ص. 52.

[949]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 660.

[950]- ميز الأستاذ المنوني بين أربعة أنواع من الركب: الفاسي والمراكشي والسجلماسي والشنقيطي. للمزيد انظر: المنوني، **من حديث الركب المغربي**، مطبعة المخزن، تطوان، 1953م.

		المشرق	
المهدي بن سودة	المولى عبد الرحمان	لقي فضلاء العلماء المشارقة	نفسه، ج 4، ص 413.
العباس بن كيران	المولى سليمان	كان ضمن الوفد في مهمة رسمية للقاء زعماء الحركة الوهابية	الكنسوسي، الجيش العرمرم ج 1، ص 291.
محمد الأمراني	المولى الحسن	أرسله السلطان صحبة مجموعة من الصلحاء	الشابي، الجيش المغربي، ج 1، ص 403.
الطالب مدني	المولى الحسن	–	نفسه، نفس الصفحة.

يتضح من هذا الجدول أن هناك شخصيات مكناسية بارزة نجحت في لفت الانتباه إليها، بما امتلكته من قيمة رمزية وجد فيها السلاطين ضالتهم، فحرصوا على استقطابهم عبر وسيلة "الركب النبوي". كما نلمس أن أغلب المواكب الحجية لم يكن الغرض منها فقط أداء شعيرة الحج، بل كانت لها مهام سياسية. وبهذا يكون الوجهاء الواردة أسماؤهم في الجدول أسهموا في رسم بعض معالم العلاقات المغربية الخارجية.

وإجمالا؛ نستخلص أن السلاطين العلويين بذلوا جهودا حثيثة لتعزيز تقاربهم من خلال اعتمادهم على وسائل عززت علاقة التفاهم والود بينهم وبين وجهاء المجتمع المكناسي.

ثالثا: أسباب علاقة التقارب والاتصال بين وجهاء مدينة مكناس والسلاطين العلويين:

شكل التقارب بين الوجهاء والمخزن العلوي أحد أهم الركائز التي اعتمدت في استراتيجة التسيير؛ فقد أدرك السلاطين أهمية الانفتاح على القوى الفاعلة والعناصر الحية داخل المجتمع، خاصة وأن طبيعة المسؤوليات المنوطة بهم كانت تتطلب بالضرورة الاعتماد على تلك العناصر لما تملكه من مقومات وقدرات بأبعادها الرمزية والمادية.

وفي هذا السياق؛ حرص السلاطين العلويون على تقريب أبناء البيوتات المكناسية العريقة ونسج علاقات متعددة المظاهر، لعبت فيها المصالح المتبادلة القائمة على الأخذ والعطاء دورا أساسيا في بناء علاقة التعاون والتكامل بين الطرفين.

ومن خلال تتبعنا لمسار العلاقة الناظمة بين وجهاء مكناس والسلاطين وتفكيك عناصرها وتحليلها، أمكننا استخلاص جملة من الأسباب تسمح لنا بتفسير طبيعة تلك العلاقة وحدودها، والتي يمكن التمييز فيها بين أسباب متعلقة بالسلاطين وأخرى تهم الوجهاء.

1-دوافع السلاطين للتقارب مع وجهاء مكناس:

ظل الهاجس الأكبر للملوك العلويين توطيد سلطتهم وتقوية نفوذهم، والذي لا يتأتى إلا عبر نهج سياسات؛ منها: تقريب أبناء البيوتات النافذة لضمان ولائها ودعمها. وفي هذا الشأن؛ شملت هذه السياسة وجهاء المجتمع المكناسي؛ إذ جعلوهم من خاصة المقربين المحظيين بالعناية والاحترام والتقدير. فقلدوا بعضهم مناصب سامية ووظائف عالية متعددة الاختصاصات: إدارية تنظيمية وعسكرية أمنية. ولامراء أن الأحداث الكبرى التي شهدها المغرب منذ العهد الإسماعيلي والمتمثلة في موجات الاضطرابات والصراعات ساهمت بشكل كبير في تعزيز هذا التقارب وترسيخ التفاهم، على اعتبار المكانة الرمزية لمدينتهم (من أهم العواصم الكبرى)، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي المتمثل في قربها الجغرافي من بؤر التوتر والتمرد على السلطة المركزية (الأطلس المتوسط)؛ هذا التوظيف ساعدهم على تثبيت ملكهم[951].

[951] - LAHBABI, **Le Gouvernement Marocain à l'Aube,** OP-Cit, p. 135.

لقد وجد المخزن في القوى الحية بمكناس خير معين وسند، يمكن التمييز فيها بين قوى خفية تضم الشرفاء والعلماء والصلحاء المحتكرين للسلطة الرمزي، وقوى ظاهرة متمثلة في الباشوات والعمال والقواد المحتكرين للعنف المادي[952]، هذا التفاعل مكنهم بصورة كبيرة في صون موقعهم وضمان مركزهم.

2-دوافع الوجهاء للتقارب مع السلاطين العلويين:

شكل وجهاء مكناس أحد الدعائم التي ارتكز عليها المخزن، حتى صاروا جزءا لا يتجزأ من جهازه التسييري، أسهمت فيه مجموعة من العوامل؛ نذكر منها:

أ -امتلاكهم لقيم رمزية ومادية رفعتهم إلى الصدارة داخل مجتمعهم، فلمحتهم أعين السلاطين محاولين الاستفادة من رصيدهم واستثمار موقعهم لترسيخ سلطتهم.

ب – كفاءتهم ومؤهلاتهم وخبراتهم التي ظهرت بشكل جلي في اضطلاعهم بالمهام المسندة أحسن قيام، زادت من ثقة السلاطين بهم والاعتماد عليهم أكثر في تدبير شؤون البلاد؛ والإشارات في هذا الباب كثيرة نقتصر على أبرزها، ومنها الاعتراف الصريح للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بكفاءة أعيان مكناس خاصة وجهاء جيش عبيد البخاري، في الرسالة التي وجهها إليهم الشاهد فيها «**بأنهم رؤساء الجيش وأنهم عماد الدولة، وعليهم مدار أمرها فيكونوا ذاة واحدة (هكذا) ولا بغضاء، ولا حسد ولا خلاف يكون بينهم، لما في ذلك من الخير واجتماع الكلمة** »[953].كما أقر المولى الحسن بأهلية باشا مكناس مشيدا بقدراته المتميزة في الرسالة التي بعثها إليه؛ ومما جاء فيها: «**وأما ما أخذت به في جمع العسكر من الحزم، فهو المعروف فيك والمعود منك، أصلحك الله، وأما المتوقع الذي**

[952]- بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار**، ص. 132 و138.

[953]- العربي المشرفي، **مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان**، م.خ.ح، رقم 12082، ص. 285.

أعاقك، فلأجله أرحناك وءاثرناك هناكم، وإلا فلا يستغني عنك لحزمك، وضبطك، ونجدتك، ونصحك أصلحك الله» [954].

ت – احترامهم للسلاطين وتقدير مقامهم وإخلاصهم لهم، بل وخضوعهم والتذلل إليهم. ولدينا أمثلة وفيرة نقتصر على البعض منها:

✓ المثال الأول يتعلق بالناظر الأشهر والكاتب الأبرز محمد بن محمد الأندلسي الذي صرح في رسالة بعث بها إلى الفقيه محمد بن عبد القادر أن السلطان مولاي إسماعيل كلفه بمهمة لم ترقه، ومع ذلك قام بها؛ حيث يقول «**وكلفني بها من غير إرادة مني إليها ولا إقبال النفس عليها** (...) **وبعد إمعان النظر والتأمل ساعفته على مطلوبه إياه، وأجبته بالانقياد والسمع لما له علي من طاعة**» [955].

✓ المثال الثاني استقيناه من دبابيج الرسائل المتبادلة بين بعض الوجهاء المكناسيين والسلاطين العلويين؛ حيث نلمس بشكل واضح درجة الخضوع والانقياد لهم، تدل عليها العبارات التي تتردد في تلك الرسائل على سبيل الذكر: « **أيد الله مولانا الأمير وأمده بدوام الفتح والظفر** (...) **بعد لثم الأرض بين يدي سيدي أنهي لعلمه الشريف**»[956] و «**نصر الله مولانا الإمام العالم الهمام وأدام وجوده الشريف لعز الأنام بمنه آمين، وبعد فأقبل البساط الشريف وأؤدي لمولانا أيده الله ما يجب من التعظيم والتشريف أنهي** (...) » [957].

ث – اشتداد التنافس بينهم حول السلطة والنفوذ، وهي خاصية طغت بشكل ملحوظ خلال القرن 19م[958]، دفعتهم إلى البحث عن الدعم المخزني للحفاظ على مركزهم وتعزيز موقعهم،

---

[954]– رسالة مولاي الحسن إلى حم بن الجيلاني، تاريخ 1 صفر 1311هـ/ 14 غشت 1893م. م.و.م.م، المحفظة 2.

[955] -A l'occasion du 3ème centenaire de l'accession au Trône de Moulay Ismail,. Hesperis, N Spécial, 1962, P.83.

[956]– رسالة من الباشا الجيلاني بن بوعزة إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 29 شعبان 1262هـ/ 21 غشت 1846م، م.و.م.م، المحفظة 1، رقم 17851.

[957]– رسالة من الباشا الجيلاني بن بوعزة إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 15 ذي القعدة 1265هـ/ 1 أكتوبر 1849م، م.و.م.م، المحفظة 1، رقم 222000.

[958] - AUBIN, Le Maroc d'aujourd hui, OP-Cit, *p. 145.*

فلم يتوانوا في انتهاز كل الفرص لإظهار ولائهم وتأكيد خضوعهم بغية كسب ثقة السلاطين ونيل الحظوة لديهم، وهو ما استفاد منه السلاطين لترسيخ حكمهم وشرعنة نفوذهم.

وتأسيسا على ما سبق؛ نستنتج أن علاقة التقارب والتكامل التي جمعت بين وجهاء المجتمع المكناسي والملوك العلويين تحكمت فيها مجموعة من الشروط الموضوعية والذاتية، تمحورت حول وجود إرادة مشتركة ومصالح متبادلة بين الطرفين؛ ففي الوقت الذي كان يبحث فيه الملوك عن شخصيات مضمون ولاؤها تقدم لهم دعما معنويا وماديا لسياساتهم، عمل الوجهاء على استغلال تلك الحاجة إليهم لبناء وجاهتهم وتوطيد موقعهم وضمان استمرارية مركزهم داخل المجتمع المكناسي خاصة والمغربي عامة.

المبحث الثاني: علاقة الجفاء والقطيعة والتوتر بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين:

على الرغم من كل مظاهر التقارب والتعاون التي ميزت العلاقة بين السلاطين العلويين ووجهاء المجتمع المكناسي، إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث بعض الأزمات والتوترات بين الطرفين والتي عكرت صفو العلاقات بينهما، تحولت في بعض الأحيان من علاقات مبنية على الاحترام والتقدير والعرفان إلى علاقات يسودها التباعد والتنافر والانتقام، انعكست سلبا على مكانة بعض الوجهاء ومنزلتهم داخل مجتمعهم، إذ فقدت الثقة المتبادلة بسبب سلوكات وتجاوزات البعض منهم، اشتدت أكثر خلال فترات الاضطرابات والفتن والقلاقل، تركت انطباعا سيئا لدى السلطة الحاكمة. وفي هذا الصدد؛ تصادفنا مجموعة من التساؤلات من قبيل: ما هي مظاهر التوتر والتنافر والتباعد التي طبعت العلاقة بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين؟ وما هي أسباب ذلك التوتر؟ ومن هو الطرف المتحكم في تحديد تلك العلاقة المتأزمة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات؛ سنحاول وصف مظاهر القطيعة والنفور بين أطراف الصراع، والتي يمكن إجمالها في:

1 – تعرض بعض الوجهاء للقتل والتصفية:

يعتبر هذا الأسلوب من أشد الأساليب التي قد يمارسها السلاطين في حق بعض الأعيان الذين يرونهم مهددين لسلطتهم واستمرار حكمهم. وتقدم لنا المصادر التاريخية مجموعة من الإشارات المهمة عن تعرض شخصيات مكناسية بارزة للتصفية الجسدية؛ ففي عهد المولى إسماعيل وقعت ثلاث عمليات تصفية نفذها السلطان المذكور ضد بعض كبار خدامه بمكناس الفاسدين:

- ✓ الأولى في حق وزيره الأكبر عبد الرحمن الفيلالي، الذي استغل مركزه لتكريس نفوذه من خلال ممارسة صنوف من التجاوزات على أهل مدينته، بدءا بالإخلال بالأمانة وهضم الحقوق واضطهاد الفئات الضعيفة خاصة النساء، كل ذلك حدث والسلطان منشغل بالحركة في تلمسان، وبمجرد عودته أعفى الوزير من منصبه وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ فيه سنة 1089هـ/ 1678م[959]. وقد وصف الناصري عملية الإعدام بقوله أمر بجر الوزير أبي زيد إلى مكناس، ولم يصل إليها إلا بعض شلوه فطرح على المزبلة[960].
- ✓ الثاني في حق القائد الأبرز العربي الشط المنتمي لعائلة أندلسية شهيرة، وقد وصف جون ويندوس[961] John Windus حادثة إعدامه بتفصيل كبير لا يخلو من المبالغة والتهويل؛ حيث اتهم القائد بتحريض اسبانيا على غزو المغرب وانتهاك حرمة الدين الإسلامي عندما كان في بعثة بجبل طارق، فتم اقتياده بأمر من السلطان إلى أحد أبواب مكناس وعلق على لوحتين وقسم جسمه إلى نصفين، وفي الليلة الموالية أتى إلى السلطان في منامه يحاججه على إعدامه،

---

[959] – Louis De Chenier, Recherches historiques sur les maures, T. III, Paris,1787, p. 390.

[960] – الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 61.

[961] – كان ضمن البعثة السفارية الإنجليزية التي ترأسها شارل ستيوارت Charles Stewart حلت بالمغرب سنة 1721م، دون مشاهداته وملاحظاته في كتاب معنون ب

A Journey to Mequinez; the Residence of the Present Emperor of Fez and Morocco. On the Occasion of Commodore Stewart's Embassy thither for the Redemption of the British Captives in the Year 1721.

حققته الأستاذة زهراء إخوان سنة 1994م.

مما جعل هذا الأخير يستيقظ مفزوعا مبديا ندمه[962]. وحري بنا الإشارة إلى أنه ينبغي التعامل مع هذه الرواية بحذر شديد، خاصة إذا استحضرنا شخصية صاحب الخبر والنزعة المستحكمة فيه، فحسب أحد الباحثين[963] حرص الأوروبيون على تقديم صورة مبالغ فيها عن قسوة المولى إسماعيل في إطار الصراع الذي كان محتدما بين المغرب ودول أوروبا.

- ✓ والثالثة في حق أحد باشاوات مكناس المعروفين بنفوذهم القوي، حيث تحكي إحدى الأسيرات التي كانت تستقر عنده؛ وهي الهولندية ماريا تيرمتلن كيف أن السلطان بعث إليه للمثول أمامه، ثم أمر بقتله[964].

وقد استمرت عمليات التصفية الجسدية ضد بعض أعيان مكناس بعد وفاة المولى إسماعيل ودخول البلاد مرحلة الصراع السياسي، من خصائصها عدم استقرار جهاز الحكم إذ تعاقب عليه سلاطين كثر، وما رافق ذلك من اضطرابات وفوضى استغلها رؤساء جيش عبيد البخاري لبسط سلطتهم، من خلال تدخلهم في تعيين وعزل الحكام. وهكذا تولى المولى أحمد الذهبي السلطة وهو الذي اشتهر باستبداد الجيش عليه[965]، وكان أول ضحايا هذه البيعة كبار أركان دولة والده المولى إسماعيل، حيث أمر بقتل أربعة من وجهاء الحضرة المكناسية بتوصية من بعض قواد الجيش الناقمين عليهم، وهم أحمد بن علي اليازغي وعلي بن يشو وابن الأشقر ومرجان الكبير[966]، لأنه خشي من نفوذهم المهدد لعرشه خاصة وأنهم يحظون بتقدير وتبجيل كبيرين سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي. لكن ما كان يخشاه هو الذي حصل؛ فبمجرد اختفاء الأربعة الكبار أصبح ملكه مهدد بشكل كبير؛ ليتعرض للعزل، فـ«**اختل النظام وضربت الفوضى والاستبداد الأطناب، ووقع من**

---

[962]- جون وندوس، **رحلة إلى مكناس**، ص. 102- 103.

[963]- عبد الإله، الدحاني، **المغرب من خلال الكتابات الأوربية على عهد مولاي اسماعيل (1672- 1727م)**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1997/1996. ص. 71.

[964]- **قصة الهولندية ماريا تيرمتلن: الأسيرة التي عاشت بمكناس العاصمة في النصف الأول من القرن 18**، ترجمة ودراسة وتحقيق ادريس أبو ادريس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996، ص. 52.

[965]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 115.

[966]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 158.

العامة استخفاف عظيم بأمر المملكة، واشتد النهب في الطرقات وأغلقت المسالك (...) وحصل أهل الزيغ على غاية مناهم وكثرت الشكوى» [967].

وخلال نفس الفترة تعرض الباشا المكناسي سالم الدكالي للإعدام، نظرا للأدوار السلبية التي قام بها والموسومة بالتعسف والجور، جعلته يدخل في صراع محموم مع السلطان المولى عبد الله. ولعل أبرز دور له تجلى في تدخله المباشر في ولاية العهد؛ فعين المولى أحمد الذهبي ثم عزله ليعوضه بأخيه المولى عبد الملك، ثم عزل هذا الأخير سنه 1140هـ/ 1727م؛ بل والمشاركة في اغتياله بمكناس[968]، إضافة إلى ما ارتكبه في حق والدة المولى عبد الله خناثة بنت بكار زوج مولاي إسماعيل التي نكل بها ونهب أموالها، فعبأ قوته لاعتقال الباشا الذي اعتصم بحرم ضريح المولى إدريس الأكبر بزرهون، ورغم ذلك ألقي القبض عليه وتم إخراجه واقتيد مكبلا مع أعوانه إلى السلطان، الذي سجنهم ثم أمر بتصفيتهم[969] بفتوى من قاضي مكناس البوعناني[970]. وقد وصف الضعيف الرباطي طريقة التصفية إذ قال: «**فأوقع به شر قتله هو وأصحابه كالقائد قدور العسري وعلي الدكالي وأولاد الباشا سالم الدكالي، فجعل كل واحد في خنشة من الكتان وشد عليه شدا وثيقا، ورماهم في وادي أم الربيع** »[971].

نستخلص مما سبق؛ ثلاث ملاحظات أساسية:

- ✓ أن أهم العناصر التي تعرضت للقتل والتصفية كانت تنتمي إلى جيش عبيد البخاري، ويمكن تفسير هذا بالقوة التي كانت تتمتع بها، وهو ما يجعلها تشكل خطرا حقيقيا مهددا لاستقرار نظام الحكم. لذلك عمد السلاطين المعنيون إلى إعلان حوادث الاغتيالات رغبة منهم في

---

[967]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 318.

[968]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 110.

[969] - Magali Morsy, **La relation de Thomas Pellow**, Editions recherche sue les civilisations, Paris, 1983, p. 177-178.

[970]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 175.

[971]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 120

تحقيق الردع الذي من شأنه إرهاب كل من سولت له نفسه تجاوز صلاحياته، حتى يأخذ العبرة والعظة بالعقوبة التي تنتظر كل من تجرأ على المساس بأمن البلاد والعباد.

- ✓ أن تدابير تنفيذ القتل في حق بعض وجهاء مدينة مكناس ارتبطت بحالة الانفلات والفوضى التي سادت في بعض الفترات (فترة الثلاثين سنة التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل- فترة حكم المولى سليمان- فترة حكم السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ) .
- ✓ تهم تعدد الوسائل المستعملة في الاغتيال منها الطعن والإغراق...

2 - العزل من المناصب:

استخدم السلاطين عقوبة العزل من الوظائف في حق بعض وجهاء مكناس الذين ارتكبوا –حسب تقديرهم- أخطاء جسيمة ألحقت الضرر بصورتهم الذهنية عند رعاياهم. فمنذ عهد المولى إسماعيل برزت ظاهرة العزل همت بالخصوص العواصم التاريخية منها مدينة مكناس؛ حيث تعرضت ثلة من أعيان الحضرة لعملية التنحية والإبعاد، وهذا ما يتضح من خلال الجدول الآتي:

جدول 18: أسماء بعض وجهاء مكناس الذيت تعرضوا للعزل من مناصبهم

الوجيه	المنصب الذي شغله	سبب عزله	المصدر
أبو مدين بن محمد السوسي	قاضي الحضرة المكناسية	لم يعرف السبب	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 4، ص 104.
محمد الطالب البوعناني	قاضي مكناس	الفتن التي أعقبت وفاة مولاي إسماعيل، المنافسة مع قضاة آخرين	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 3، ص 126- 127.
أبو القاسم بن سعيد العميري	قاضي مكناس	دسائس ومؤامرات حيكت ضده	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 5، ص 628.
محمد البيجري	قاضي مكناس	طلب الإعفاء	ابن زيدان، **إتحاف**، ج

			5، ص 467.
عبد الوهاب بن الشيخ	قاضي مكناس	لم يعرف السبب	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 5، ص 468.
محمد بن العواد الخلطي	باشا مكناس	استحداثه لأفعال مشينة وسلوكات شنيعة	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 5، ص 62.
المجذوب بن الغنيمي	باشا مكناس	سوء تدبيره وممارساته السيئة	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 6، ص 289.
الطيب بن عبد الرحيم غريط	محتسب مكناس	سوء التدبير	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 2، ص 187.
ادريس خنيشش	باشا مكناس	لم يعرف السبب	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 2، ص 235.
المختار بن أحمد بادو	محتسب مكناس	سوء التدبير	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 2، ص 236.
المختار بن عبد الله البخاري	الصدر الأعظم	فشله في حلحلة المشاكل التي عرفها المغرب خاصة مع الضغط الأجنبي	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 4، ص 357.
حم بن الجيلاني	باشا مكناس	الصراع مع الصدر الأعظم والحاجب الأبرز باحماد	ابن زيدان، **إتحاف**، ج 6، ص 305.
ادريس بن محمد بن يعيش	قائد المشور السعيد بمكناس	فشله في المهمة التي كلف بها على الحدود الشرقية.	عبد القادر بوراس، معلمة المغرب، ج 22، ص 7673.

الطالب بناني	محتسب مكناس	جوره واستغلال منصبه بشكل تعسفي	وثيقة خاصة عبارة عن لفيف عدلي أوردها محمد اللحية في رسالته ص 240- 241- 242.
بنعيسى بن حم	باشا مكناس	مؤامرة أبنائه ضد السلطان المولى عبد الحفيظ وتحالفهم مع الجلاويين	محمد المختار السوسي، **حول مائدة الغذاء**، مطبعة الساحل، الرباط، 1983، ص. 75.

اعتمادا على هذا الجدول؛ يمكن الخروج بملاحظات منها:

- ✓ نهج السلاطين سياسة عدم استقرار الوجهاء في مناصبهم، تحكمت فيها الأوضاع العامة التي كان يشهدها المغرب آنذاك.
- ✓ أن ظاهرة العزل التي تعرض لها بعض وجهاء المجتمع المكناسي ارتبطت بصورة واضحة بالتصرفات والسلوكات التي كانوا يقومون بها، إضافة إلى طريقة استثمار وظائفهم والامتيازات التي تضمنها لهم، خاصة فيما يتعلق بالوظائف ذات الطابع العسكري والسياسي.
- ✓ انتشار المؤامرات والدسائس والمكائد بين وجهاء المجتمع المكناسي، بغية الحفاظ على مناصبهم ولم لا الترقية إلى منصب أعلى، وهو ما كان يعرضهم لفقدان وظائفهم ومعها مكانتهم حين تنكشف خيوط المؤامرة.
- ✓ أن ظاهرة العزل شملت البيوتات المكناسية بمختلف انتماءاتها، مما يدل على علاقة التبعية والخضوع التي ميزت علاقة أعلامها بالسلاطين العلويين.
- ✓ في كثير من الأحيان تكون أسباب التنحية واضحة، الشيء الذي يفسر قبول المعنيين بالقرار دون احتجاج أو دفاع عن النفس.

ومن نافلة القول؛ الإشارة إلى أن اتخاذ قرار العزل من لدن السلاطين يأتي بعد تفكير عميق وتحليل رصين لحيثياته؛ بل منهم من كان يلجأ إلى صلاة الاستخارة في حالة التباس الأمر، مثلما حدث مع السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لما قرر عزل ابن العواد؛ حيث قال في إحدى رسائله إلى ولده محمد والمؤرخة في 4 جمادى الأولى عام 1258هـ/ 12 يونيو 1842م «**استخرنا الله تعالى فيمن نوليه على الجيش ممن يسعى في جبره، وينصح لله ولرسوله وللمؤمنين في سره وجهره، فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد الجيلاني بن بوعزة**»[972].

3 – التضييق والتنكيل بالوجهاء المتعسفين:

اتبع السلاطين العلويون في إطار تقوية نفوذهم أسلوب الشدة والغلظة تجاه نخبة المجتمع المغربي؛ ومن جملتهم وجهاء مدينة مكناس، لإخضاعهم وضمان ولائهم وتأييدهم لهم من جهة، وجعل السلوكات الصادرة عنهم تتناغم والسياسة المخزنية من جهة أخرى، وفي حالة إخلالهم يصبحون عرضة للعقاب والإهانة والإساءة. ولا تعوزنا الدلائل التي تثبت نهج السلاطين سياسة المراقبة الشديدة لخدامهم. ودون مضاعفة الأمثلة نقتصر على حادثتين:

- الأولى: خلال العهد الإسماعيلي شهدت مدينة مكناس على غرار مدن المغرب مجاعة شديدة نتج عنها ارتفاع الأسعار بشكل مهول، وما صاحبها من أزمات اجتماعية كبيرة شكلت تهديدا حقيقيا لملكه. وفي سياق معالجته للوضع المتأزم اتخذ سلسلة من الإجراءات أبرزها محاربة الاحتكار، وقد أشار إليها الأسير الإسباني جوزيف دي ليون Joseph De Léon بالقول «**عندما حل القحط** (...) **اتضح أن قلة الخبز والدقيق راجع إلى قيام التجار بتخزين كميات من القمح** (...) **فأمر مولاي إسماعيل التجار بإخراج مخزونهم منه** (...

[972]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 63.

)**مهددا كل من لم يمتثل بالعقاب**» [973] ، وكذلك كان؛ حيث أن أحد باشوات مكناس لم ينفذ أوامره، فما كان من السلطان سوى التنكيل به من خلال ربطه من قدميه وجرجرته عبر أحياء مكناس[974] . وبعد هذه الواقعة انضبطت تصرفات التجار وخدام المخزن.

- الثانية: بعد وفاة السلطان المذكور، وفي خضم الفوضى والاضطراب الذي انتشر بشكل كبير، تعرض بعض وجهاء العلم بمكناس للإهانة والإذلال على يد المولى عبد الله. وقد تحدث القادري عن هذه الواقعة بشكل مستفيض؛ حيث ذكر أنه بعد تولي السلطان الحكم دخل مدينة مكناس عام 1153هـ/ 1740م وأمر بإلقاء القبض على فطاحلة علماء ذوي المقام السامي والقدر العالي أمثال: أبو القاسم العميري، وأبو العباس بن الحسن المعداني، وأحمد بن عبد الله المليتي؛ «**فنزعت عمائمهم ولطموا على وجوههم، وفضحهم شر فضيحة على رؤوس الأشهاد، وقال لهم: كيف تزوجون زوجاتي من أخي وأنا غائب؟ وسبهم أقبح السب وشتمهم أفظع الشتم، وعزل جميع خطباء مكناسة الزيتون، واستبدال بهم غيرهم** »[975]. يتضح من خلال هذه الرواية أن علماء مكناس ذهبوا ضحية الصراع حول السلطة بين أبناء المولى إسماعيل، فأصابهم الإذلال من طرف المولى عبد الله، ولعل تصرفه هذا له ما يبرره لحساسية القضية والمتعلقة بالعرض والشرف والحرمة.

ومن خلال ما سبق؛ نستنتج أن أسلوب التضييق والحصار كان من أبرز المؤشرات الدالة على توتر العلاقة بين السلاطين العلويين وبعض وجهاء المجتمع بمكناس.

---

[973] -Chantal de La Véronne, **La Vie de Moulay Ismail, roi de Fès et du Maroc, d'après Joseph de Leon**, Geuthner, 1974 ; p. 49.

[974] - Ibid, p. 49.

[975] - القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 24.

4 – مصادرة ممتلكات الوجهاء:

تبرز قضية مصادرة أملاك الأعيان وصفوة المجتمع كمحدد لطبيعة العلاقة السائدة بينهم وبين السلطة المركزية، تحكمت فيها بصورة أكبر نظرة السلاطين لتلك الطبقة المتميزة في المجتمع؛ نظرة الخضوع والتبعية. وفي هذا السياق دأب الملوك العلويون على مصادرة ممتلكات كبار خدامهم وحيازة ثرواتهم، من بينهم من كان ينتمي إلى مدينة مكناس. وللبرهان على ذلك؛ نورد نماذج منها نستهلها بفترة الفوضى والاضطراب التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل؛ حيث تعرض منزل القاضي الأشهر العميري للنهب ومصادرة كل محتوياته بأمر من السلطان المولى عبد الله سنة 1153هـ/ 1740م[976]. ثم تكرر حادث المصادرة في عهد المولى سليمان؛ إذ تمت حيازة أملاك الوجيه المكناسي السفير محمد بن عبد الوهاب بن عثمان داخل مكناس وخارجها بعد وفاته مباشرة «**وقد كان من جملة ما حيز عنه لجانب بيت المال مما اشتمل عليه المتخلف المذكور أي اشتمال، جميع الدار الكائنة بالزنقة المقابلة لدار الشريف العمراني**»[977].

وفي عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام صودرت أملاك باشا مكناس ابن العواد والتي كانت تشتمل على أحد عشر اصطبلا وسبعة دكاكين[978]، كما تمت حيازة أموال وأمتعة قائد المشور ابن العلام والأمين الفشار خلال العهد العزيزي[979]. والنموذج الأخير يتعلق بباشا مكناس بنعيسى بن حم، فبعد أن عزله السلطان المولى عبد الحفيظ –كما سبقت الإشارة– حاز أملاكه كلها[980].

وثمة تساؤلات تتبادر إلى الذهن من قبيل: ما هو موقف المعنيين بالمصادرة؟ وما هي أسباب تتريك السلاطين لأملاك أولئك الوجهاء؟

---

[976]– الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 134.

[977]– الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج 1، ص. 466.

[978]– اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 132.

[979]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 457.

[980]– محمد المختار السوسي، **حول مائدة الغذاء**، مطبعة الساحل، الرباط، ص. 75.

بالنسبة للشق الأول؛ نشير إلى أن أغلب المصادرات كانت تتم بعد وفاة أصحابها؛ لأن السلاطين يعلمون مسبقا أن ما حصلوه من أموال وثروة تعود في نهاية المطاف لبيت مال الدولة[981]، على اعتبار مناصب المسؤولية التي قلدوهم إياها، فيعتبرون أنفسهم أصحاب الفضل عليهم ولولاهم ما نجحوا في جمع تلك الأملاك. وتجدر بنا الإشارة إلى أن في بعض الحالات تصادر أملاك الوجيه وهو لايزال على قيد الحياة، فيعمل جاهدا على مراجعة قرار المصادرة بكل الطرق، كما حدث مع باشا مكناس بنعيسى بن حم؛ حيث أشار أحد الباحثين بناء على وثائق أجنبية أنه راسل المسؤولين المخزنيين وكذا الفرنسيين مرارا طالبا منهم التفضل عليه باسترداد بعض أملاكه، محاولا استجداء عطفهم من خلال الشكوى لما وصل إليه حاله، فقد علق أحد المسؤولين سنة 1913م على بعض مراسلاته بالقول «**ألح بأنه بقي عرضة للضياع في نفسه وعائلته، وأملاكه محوزة عليه بلا ذنب، طالبا ردها له أو توظيفه بمحل يسد به الرمق**»[982].

وفيما يخص الشق الثاني؛ يمكن التأكيد أن هناك أسبابا وظروفا تحكمت في عملية المصادرة؛ منها ما هو سياسي مرتبط بالأزمات والفتن التي كانت تفرض التدخل لمواجهتها، وغالبا ما يكون مصدرها بعض الوجهاء المقصرين في مهامهم، ومنها ما هو اقتصادي متعلق بكثرة المحن والكوارث التي حلت بالبلاد وحاجة الدولة لمواجهة النفقات المستمرة، وبهذا شكلت المصادرة موردا إضافيا لملء خزينة بيت المال. إضافة إلى الدعم المعنوي للسلاطين في عملية المصادرة المقدم من طرف أعيان العلماء والفقهاء الذين كانوا يبررون تلك العملية من الناحية الشرعية، منها فتوى الفقيه السملالي الذي أكد أن من حق المخزن حيازة ممتلكات وأمتعة خدامهم، نظرا لاختلاط أموالهم الخاصة بالأموال المحصلة من تولى الخطط والوظائف، فيكون في نظره كاسترجاع الحق[983].

---

[981] -Frédéric Weisgerber, **Au seuil du Maroc moderne**, Ed. la Porte, Rabat, 1947, p. 39.

[982]- بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة**، ص. 75.

[983]- علي السملالي السوسي، **عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة**، د 480، ص. 47.

5 – المحاسبة والمراقبة:

شكلت المراقبة والمحاسبة نوعا من أنواع التدابير التي اتبعها السلاطين العلويون تجاه أعيان دولتهم التي تضمن استقرار الأوضاع السياسية، من خلال حرصهم على متابعة أدق تفاصيل ما يجري داخل المملكة، والمسارعة إلى التدخل كلما ظهر هناك خلل أو تجاوز قد يلحق الأذى بكيان الدولة وصورتها. وتقدم لنا المادة المصدرية إشارات مهمة في هذا الباب؛ نكتفي فيها بمثالين:

- الأول: يتعلق بالقائد المكناسي بريك الحبشي الذي كلفه المولى عبد الرحمن بن هشام برعاية ابنه المولى سليمان؛ حيث أوفده إلى مدينة مكناس للتمرن على ترتيبات الملك، إلا أن القائد تهاون في المسؤولية المنوطة به، فما كان من السلطان سوى مخاطبته بلهجة حادة فيها الوعد والوعيد إن تمادى في تصرفاته، وهذا ما نستشفه من الرسالة التي وجهها إليه، بتاريخ 22 شعبان 1255هـ/ 31 أكتوبر 1839م، الشاهد فيها «**فإني أعاهد الله تعالى إن سمعت عليه شيئا بعد هذا أو أطلقت له اليد في التصرف في شيء مما دخل عليه من الهدايا شققا ودراهم حتى نخلي دار بوك، فإنما وجهناك معه لتمنعه مما لا يناسب، فإذا تركته وما يريد فوجودك وعدمك سواء (...) نعاقبك عليه**»[984] .
- والثاني: لوم السلطان المذكور لباشا مكناس الجيلاني بن بوعزة، بسبب بيعه جزءا من زيتون الأشقر المحبس وتهديده بالعزل والتنحي، وهذا ما نستخلصه من الرسالة التي بعثها إليه، بتاريخ 18 ذي القعدة 1263هـ/ 27 أكتوبر 1847م؛ ومما جاء فيها «**فقد كنا نظن بك المسكنة والأمانة، وهذه القضية وأمثالها أظهرت عجزك وفجرك، فإن كان ارتكاب هذا منك على وجه البلد والغشيمة فلا تصلح للولاية، وإن كان على وجه الخيانة فهو أكبر وأكبر**»[985].

[984]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 14.

[985]– م.و.م.م، المحفظة 4، رقم 19258. الملحق رقم 5.

على هذا الأساس؛ يمكن اعتبار أسلوبي المراقبة والمحاسبة من المظاهر التي قد تؤدي إلى خلق علاقة متوترة في بعض الأحيان بين السلاطين وبعض وجهاء المجتمع المكناسي؛ ذلك أن التدقيق في تصرفاتهم وسلوكاتهم قد يؤدي إلى مشاكل مع المخزن.

الفصل الرابع:

وجهاء مكناس: علاقاتهم البينية، وصلاتهم المجتمعية

(1672– 1912م)

المبحث الأول: علاقة وجهاء مكناس البينية:

لا غرو أن وجهاء مدينة مكناس كانت لهم مكانة رفيعة ومنزلة عظيمة، اكتسبوها لاحتكارهم للقيم المادية والمعنوية وللأدوار التي اضطلعوا بها في تاريخ الدولة العلوية طيلة الفترة موضوع دراستنا -كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق-، وهذا ما يدفعنا إلى محاولة التعرف على طبيعة العلاقات التي جمعت بعضهم ببعض وتحديد نوعيتها ومعالمها وتحليل تفاعلاتها وتداخلاتها.

ومن خلال استقصائنا للمادة المصدرية واستقرائنا لمعطياتها وتحليل عناصرها، استخلصنا فكرة أساسية مفادها أن العلاقات التي ربطت وجهاء مكناس فيما بينهم تأرجحت بين علاقات الصداقة والتكامل والاحترام، وعلاقات الصراع والتنافر والعداء.

أولا: علاقات الصداقة والوفاق والتفاهم:

تميزت العلاقات البينية لوجهاء المجتمع المكناسي في كثير من الأحيان بالتعايش والتعاون والتضامن، والتي تنم عن وعيهم العميق بأهميتها في الحفاظ على علو قدرهم وتكريس حضورهم وثقلهم. يمكن إجمالها في مجموعة من الصور والأشكال كالآتي:

1 - التعاون والمساعدة:

تمدنا المادة المصدرية بمجموعة من المؤشرات حول روابط التعاون والتضامن التي جمعت بين وجهاء المجتمع المكناسي؛ ففي إطار قيامهم بالمأموريات المسندة إليهم وممارسة نفوذهم المعنوي والمادي، سواء من خلال الاستفادة من خبرة وتجربة بعضهم في القضايا التي قد تستشكل عليهم، مثلما حدث مع المحتسب محمد بن العربي أجانا الذي كان يطلب من بعض أعيان علماء مكناس أمثال ابن فقيرة والمفضل السوسي مساعدته فيما استعصى عليه من قرارات وأحكام مستقاة من الشرع الإسلامي[986]، نظرا لطبيعة الخطة (وظيفة دينية) التي لها قوانين وقواعد وضوابط مستمدة من

[986]- اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 142.

القرآن الكريم والسنة النبوية في الأصل المتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي فلا غرابة في لجوء المحتسب للاستشارة أو طلب فتوى من أهل الاختصاص المشهود لهم بالتضلع في العلوم الشرعية من فطاحلة وجهاء مكناس، والذين كانوا بدورهم لا يترددون في تقديم المساعدة بالإجابة عما يعرض عليهم من لدن المحتسب، إيمانا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم والمتمثلة في التوضيح والبيان، ومن شأن هذا التفاعل الإيجابي بين الطرفين أن يعود بالنفع العميم على مصالح البلاد والعباد. كما كان هناك تنسيق كبير بين المحتسب المذكور والمحتسب المهدي بناني المكلف بأمور حسبة اليهود بمكناس، من خلال مراقبة أسعارهم وضبط مكايلهم وموازينهم، فكان بينهما مصارفة ومبادلة حسبما جاء في الظهير السلطاني الصادر في 23 جمادى الثانية 1304هـ/ 18 مارس 1887.[987]

وفضلا عما ذكر؛ فقد تجسد التعاون بين نخبة المجتمع المكناسي في المجال الأمني الذي حظي باهتمام بالغ نظرا لما يشكله من ركن ركين في بنية الدولة المغربية، كانت تعترضه مجموعة من التحديات أبرزها قضية الجباية التي اعتبرت أساسا ماديا لتأسيس وممارسة السلطة بشكليها المادي والرمزي[988]؛ فهي من ناحية أحد المداخيل الهامة المغذية لبيت المال لتغطية النفقات والمصاريف، ومن ناحية أخرى تعبر عن مدى الحضور المخزني ونفوذه في مناطق المغرب.

إن الأهمية التي تكتسيها الجباية فرضت على السلاطين تعيين شخصيات ذات مؤهلات خاصة تتولى مهمة تحصيلها، من بينها أعلام من وجهاء مدينة مكناس، وبحكم جسامة المسؤولية فقد حرصوا على تقديم العون والمساعدة لبعضهم البعض بغية القيام بالأمر على أكمل وجه؛ لأن أي فشل سيعود بالضرر على كل المتدخلين في العملية. وفي هذا السياق؛ نورد حادثة شهيرة حصلت مع قائد المشور بمكناس الوجيه إدريس بن العلام بعد أن كلفه السلطان المولى عبد العزيز بجمع الجباية من إحدى قبائل الأطلس المتوسط، وأثناء تنفيذ مأموريته واجهته مشكلة تمثلت في

---

[987]- نص الظهير في الملحق رقم 10.

[988]- مليح، **المخزن والجباية في مغرب ما قبل الحماية**، ص. 135.

صعوبة استخلاص واجبات المخزن من أحد الدواوير من قبيلة آيت ولال، ليستنجد بباشا مكناس حم بن الجيلاني؛ وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها إليه بتاريخ 25 ربيع الثاني 1312هـ/ 25 أكتوبر 1894م، والشاهد فيها « **فنحبك بارك الله فيك أن تلزم خليفتك عليهم بشد العضد لخليفتنا حتى يتوصل بواجبات المخزن منهم ويرجعوا لمحلهم**»[989].

وارتباطا بقضية انعدام الأمن؛ استفحلت ظاهرة اعتراض السبيل التي انتشرت في مناطق ومدن المغرب مع مطلع القرن 20م، بحسب شهادة أحد المعاصرين «**بدأ انقلاب أحوال المغرب بثورة أبي حمارة (...) اختل النظام، وضاع الأمن، وفسدت الأخلاق، وضاعت الفضيلة والأمانة، وتكالبت الناس على الرياسات الوهمية**» [990] . وفي هذا الصدد عمل وجهاء مكناس على حماية الطرق الرابطة بين مدينتهم وأحوازها سواء من خلال نهوض الباشا بمهامه أو عبر طلب الدعم والمساندة من ذوي المكانة الجلية خاصة أصحاب الرأسمال المعنوي؛ ففي كثير من الحالات نجح ما سماه أحد الباحثين العنف الرمزي في فك ما عجز عن حله العنف المادي[991].

وهكذا استعان السيد محمد بن العربي غريط بالشريف الأصيل محمد الأمراني لما له من حظوة ومنزلة عند قبائل أحواز مكناس لمساعدته في ضمان تنقل إحدى البعثات. وهذا ما نستخلصه في الرسالة التي كتبها إليه بتاريخ 10 رجب 1320هـ/ 12 أكتوبر 1902م. ومما جاء فيها «**فنحب من سيادتك المحمودة بالله أن توجه صحبتهم بعض من بني مطير، ليرافقوهم في الطريق إلى محل الأمن، وخذ سيدي في الحزم، والاعتناء في ذلك**»[992]. كما شمل التعاون في أمور أقل شأنا، فيما يتعلق بتولي المناصب والإعفاء منها؛ إذ كان بعضهم عندما يريد ترك منصبه يطلب من وجيه آخر أكثر حظوة التشفع له عند السلطان ليحقق رغبته، مثلما حدث مع

---

[989]- رسالة من قائد المشور ادريس بن العلام إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني، بتاريخ 25 ربيع الثاني 1312هـ/ 25 أكتوبر 1894م، و.خ.ح، المجموعة الزيدانية، المجموعة 16.

[990]- الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ج 1، ص. 15.

[991]- بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار**، ص. 133.

[992]- رسالة من محمد بن العربي غريط إلى محمد الأمراني، بتاريخ 10 رجب 1320هـ/ 12 أكتوبر 1902م، و.خ.ح، رقم 73.

القاضي المهدي بن سودة الذي طلب وساطة الحاجب موسى بن أحمد لدى المولى عبد الرحمان بن هشام ليعفيه من خطة القضاء، فقضى السلطان حاجته[993] .

ولم يقتصر تقديم الدعم بين وجهاء المجتمع المكناسي فيما بينهم؛ بل تعداه ليشمل أعيانا من مناطق متعددة بالمغرب في إطار المصالح المتبادلة لتعزيز النفوذ وبسط القوة؛ حيث اعتمدوا على أسلوب الوساطة لحل مختلف الصعوبات التي واجهت بعضهم. ولدينا شواهد كثيرة تدلل على ذلك نذكر منها:

- ✓ بعد وفاة المولى إسماعيل عمت الفوضى أرجاء البلاد، وكانت مدينة فاس في طليعة المدن التي عاشت اضطرابات كرست نشوء صراعات هددت أهلها، منها الصراع المرير الذي اندلع بين أعيان المدينة وعامتها وقواد جيش الأوداية عام 1140هـ/ 1727م، بسبب ما مارسه عناصر من هذا الجيش بحقهم من أعمال النهب والسرقة والتعسف والتنكيل بتواطؤ مع عامل المدينة محمد بن علي بن يشو، فرفعوا قضيتهم إلى المولى أحمد بن إسماعيل وهددوا بالانتقام، وأضحت فاس بؤرة توتر أرقت بال السلطان الذي سارع للتدخل من خلال إيفاد بعثة جعل على رأسها أخاه المولى المستضيء صحبة عدد من أشراف مكناس ووجهائها، فنجحت البعثة في عقد الصلح بين الأوداية وأهل فاس[994].
- ✓ سعى قائد عبدة الشهير عيسى بن عمر[995] جاهدا لبناء مركزه وترسيخ نفوذه، فعمل على ربط علاقات طيبة مع كبار خدام المخزن لمساعدته في حلحلة الصعوبات التي تعترضه وتحول دون تثبيت سلطته؛ لذلك استعان بثلة من أعيان السلطة في مقدمتهم الوجيه المكناسي قائد المشور إدريس بن العلام الذي لم يتوان في تقديم الدعم والعون له؛ وهذا ما تؤكده الرسالة الجوابية التي

---

[993]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 528.

[994]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 118.

[995]- ولد سنة 1258هـ/ 1841م وتوفي سنة 1343هـ/ 1924م، تولى أول أمره منصب قائد قبيلة البحاترة، وما لبث أن برز اسمه كواحد من خدام المخزن الأوفياء، نجح بفضل علاقاته من توسيع نفوذه خارج حدود القبيلة، إلى أن أصبح قائدا على اتحادية عبدة. للمزيد انظر: الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 163- 168.

بعثها هذا الأخير للقائد المذكور والمؤرخة في 18 جمادى الأولى 1297هـ/ 28 أبريل 1880م يعبر فيها عن شكره للهدية التي أرسلها إليه عربونا وامتنانا لمساعدته في بعض القضايا التي استعصت عليه؛ ومما جاء فيها «**فقد وصلنا كتابك وفهمنا ما ذكرت في شأن البغلة وأنك بحثت وبلغت المجهود في البحث، وذالك هو سبب التأخير، وحيث لم يظهر لك شيء مما يليق وجهت لنا بغلتك التي كنت تركب عليها وقت الخلافة، فلاشك عندنا في اعتناءك بجانبنا كثر الله من أمثالك. فقد وصلت البغلة بارك الله فيك وأدام عزك وحفظك ورعاك. فقد ازدادت وكملت المحبة والأخوة جعلها الله خالصة لوجهه الكريم. آمين وعلى المحبة والسلام**» [996].

- ✓ تدخل باشا مكناس حم بن الجيلاني لمعالجة الإشكال الذي نشب بين الوجيهين لحسن تيعربت والحسين ولد زهراء المهدد لاستقرار المنطقة[997]. كما لم يكتف بالتدخل في إصلاح ذات البين بين وجهاء أحواز مكناس، بل حتى بين القبائل القوية مثل الصراع الذي اندلع بين فخذتي آيت لحسن وآيت يعزم، لدرجة أنه تلقى تهنئة خاصة من السلطان المولى الحسن في الرسالة التي وجهها إليه بتاريخ 14 محرم 1309هـ/ 19 غشت 1891[998].

والجدير بالذكر أنه لم يكن دائما وجهاء مكناس هم المبادرين إلى عقد وساطات ومساعدة غيرهم؛ بل نجد في بعض الأحيان أنهم بدورهم كانوا يطلبون يد العون من شخصيات وجيهة غير مكناسية، نظرا لعلو قدرها وسمو شأوها لدى السلاطين وكبار خدامهم. وللتأكيد نستشهد بواقعتين:

---

[996]- الشابي، **النخبة المخزنية**، ص. 66.

[997]- رسالة بتاريخ 1 صفر 1307هـ/ 26 شتنبر 1889م، و.خ.ح، **المجموعة الزيدانية**، رقم 21، ص. 169.

[998]- رسالة من السلطان المولى الحسن إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني، بتاريخ 1 صفر 1307هـ/ 26 شتنبر 1889م، و.خ.ح، **المجموعة الزيدانية**، رقم 14، ص. 169.

- ✓ الأولى همت قاضي مكناس المهدي بن سودة الذي طلب من الوزير محمد الصفار[999] إقناع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام بتعيين أخيه أحمد نائبا له في خطة القضاء، فأجيب طلبه، وهو ما تؤكده الرسالة التي بعثها الوزير للقاضي بتاريخ 4 رجب 1275هـ/ 6 فبراير 1859م، والشاهد فيها: «**فقد أنهينا لمولانا أيده الله ما ذكرت لنا في شأن ما أردت من استنابة أخيك الفقيه السيد أحمد فيما يكون من الدعاوى الصغار، فأذن لك في ذلك، أثمر الله غرسه والسلام**» [1000].
- ✓ والثانية تتعلق بالوجيه المكناسي محمد بن الحاج الذي كان يشغل منصب أمانة الصائر، اعترضته بعض المشاكل أدت إلى توقف أجرته، فرفع قضيته للوزير الأشهر الحاج المختار ملتمسا منه مساعدته لاسترجاع راتبه بعدما قطع عنه؛ وهذا ما نلمسه في الرسالة التي وجهها إلى الوزير بتاريخ 12 جمادى الأولى 1318هـ/ 6 شتنبر 1900م، والشاهد فيها « **فإني كنت أقبض راتبا شهريا** (...) **قدره ثلاثون مثقالا، وقطع عني لما نقلت إلى خطة أخرى وحصل لي الضرر ولأولادي بمكناس** (...) **والآن ها أنا أتطارح على الأعتاب المنيفة، وألثم ثراها في الإنعام علي برده وبتنفيذه من مستفادات مكناسة** (...) **فخذ بيدي في ذلك واستعطف الخاطر المولوي**»[1001].

وبناء على ما سبق؛ يمكن القول إن التعاون والتفاهم الذي طبع العلاقة بين وجهاء المجتمع المكناسي فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين أعيان المغرب أملته اعتبارات المصالح الشخصية؛ إذ لا يمكن للوجيه المحافظة على نفوذه وتعزيز مركزه إلا من خلال نسج شبكة علاقات مع من هم في منزلته تتسم بالصداقة والتقدير ومد يد العون والمساعدة.

---

[999]- من أشهر وزراء المغرب خلال القرن 19م، عاصر ثلاثة سلاطين: المولى عبد الرحمان بن هشام وابنه المولى محمد وابنه المولى الحسن، ولد بتطوان، تقلد خطة الوزارة سنة 1270هـ/ 1853م إلى وفاته سنة 1298هـ/ 1881م. للمزيد انظر: أحمد المكاوي وخالد الصغير، مادة الصفار، **معلمة المغرب**، ج 16، ص. 5541- 5543.

[1000]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 528.

[1001]- م.و.م.م، رقم 29، بتاريخ 12 جمادى الأولى 1318هـ/ 6 شتنبر 1900م

2 - الزواج والمصاهرة:

تعتبر علاقات الزواج والصهر أحد أهم الوسائل المساهمة في توطيد الوشائج والعلاقات التي تمكن الوجهاء من بناء مركزهم وترسيخ موقعهم، لذلك أولوها اهتماما بالغا، ظهر بشكل جلي في مصاهرة بعضهم البعض دعما لأواصر المودة والصداقة بما يضمن مصالحهم، وبهذا صار الزواج رهانا اجتماعيا لأعيان المدينة جعلته يخرج من إطاره الديني، ليصبح آلية من آليات تكريس الوجاهة.[1002]

وأول ما يسترعي الانتباه من خلال تتبع ظاهرة الزيجات في نطاق العائلات الوجيهة داخل المجتمع المكناسي؛ نجد أنها تحكمت فيها شروط خاصة فيما يتعلق بالبيوتات ذات الوجاهة الرمزية يأتي في مقدمتها الأشراف، فقد جرت عادتهم على حصر الزواج فيما بينهم، ندرج أمثلة منها في الجدول التالي، وبعدها سنحاول التعليق على معطياته واستخلاص النتائج:

جدول 19: نماذج لأصدقة بعض البيوتات الوجيهة بمكناس

البيت	الأزواج	قيمة الصداق	السنة	المصدر
الحريف	الشريف عبد السلام بالشريفة فاطمة بنت البشير	خمسون مثقالا- مسلكة حرير قيمتها ثلاثون مثقالا	1212هـ/ 1797م	أسرة الحريف ص 41
الحريف	الشريف هاشم بن أحمد بالشريفة عائشة بنت المكي	سبعون ريالا، ثلاث سبنيات من الحرير.	1310هـ/ 1893م	أسرة الحريف ص 42
الشبيهي	محمد بن الطاهر بإحدى	أربعمائة مثقال	1310هـ/	الشبيهي، **الإطلالة**

[1002] - العساوي، **أعيان تطوان خلال القرنين 18م و19م**، ص. 246.

	الشريفات		1893م	**الزهية**، ص 312.
الشبيهي	الشريف الفاطمي بالشريفة زهور	خمسمائة درهم، ثلاث سبنيات من الحرير	1315هـ/ 1897م	الشبيهي، **الإطلالة الزهية**، ص 269.
العيساوي	الشريف المكي بالشريفة فاطمة	أمة، أربع سبنيات من الكتان من عمل الصقلي	1315هـ/ 1898م	الألفة والتأليف، ص 154.
العيساوي	الشريف محمد بن الهاشمي ببنت عمه الشريفة هشومة	أمة على الدوام، خمسون ريالا، سبنيتان بالصقلي الحر	1320هـ/ 1902م	الألفة والتأليف، ص 153.
الرحالي	مصاهرة الجيلالي بن عزوز للباشا عبد الله بن أحمد	لم نقف على قيمته	غير محدد	ابن زيدان، إتحاف، ج2، ص 140

نستخلص من خلال الجدول أعلاه أن أغلب المصاهرات المصلحية اقتصرت على فئة الشرفاء –في غياب أو ندرة المعلومات المتعلقة بالبيوتات الأخرى– فكما هو معلوم أن هذه الشريحة اعتنت بشكل ملفت بتوثيق عقود زواج أفرادها، ويرجع السبب الأساس إلى امتلاكها لقيمة معنوية لها قدسية وهيبة كبيرة، جعلت عناصرها ينفردون عن باقي الشرائح الاجتماعية، أكسبتهم جاها ونفوذا. ومن أجل المحافظة على سؤددهم وصون مجدهم سعوا إلى تضييق دائرة المصاهرة، بمنع أو تشديد عقد زيجات مع عامة المجتمع ومن هم في حكمهم، ومما أعطى لهذا الأمر قوة تنفيذية وإجرائية دعم السلاطين؛ على الأقل فيما يخص الأشراف العلويين؛ من خلال إصدار

ظهائر، مثل الظهير الذي أصدره السلطان المولى الحسن بتاريخ 24 صفر 1291هـ/ 11 أبريل 1874م، يوصي فيه النقيب بإسقاط صفة "الشريف" على كل من تزوج من الأشراف العلويين بغير بنات عمهم العلويات، وهذا نصه بعد الاستفتاح « **أن الشرفاء يتركون بنات عمهم ويتزوجون بالعاميات، وأمره أن كل من تزوج منهم بعامية فليسقطه من زمام الشرفاء، نأمرك أيضا بمثله واقرأ عليهم كتابنا هذا ليكونوا من أمره على بصيرة**»[1003].

والسؤال الذي يفرض نفسه؛ لماذا تقرر حصر الزواج بين الأشراف العلويين والشريفات العلويات؟ هل الأمر متعلق بالرغبة في احتكار القداسة؟ أم أن الدافع هو الخوف من بقاء الشريفات عانسات؟ يمكن ملامسة بعض ملامح الجواب من خلال إشارة مهمة التقطناها في نص الظهير؛ وهي عبارة "يتركون" التي تحيل إلى نوع من الضرر الذي يصيب الشريفات جراء التهافت على النساء العاميات، وما ينهض قرينة على ذلك عدم إقبال العوام على التزوج بالشريفات بعدما رفع المنع الذي أكده الظهير[1004].

وحري بنا الإشارة إلى هيمنة المصاهرة العائلية على باقي الأشكال الأخرى، ولعل السبب يعود إلى رغبة تلك العائلات في صون أملاكها وحمايتها من مشاركة الغرباء، والتي تعد مقياسا للنفوذ العائلي داخل المجتمع، مما يخلق تنافسا بين البيوتات تصبح معه آلية الزواج العائلي إحدى أبرز الوسائل المساعدة في حسم هذا التنافس.

وفضلا عما ذكر؛ نؤكد على ملاحظة مهمة متعلقة بالصداق المقدم للزوجة، باعتباره مظهرا من مظاهر الجاه والحظوة، حيث أولته البيوتات النافذة أهميه بالغة؛ فمن خلال اطلاعنا على عقود الزواح لبعض العائلات الوجيهة خاصة الشريفة نجد أن الصداق اشتمل في الغالب الأعم على الثياب (قفطان- السبنيات- الحايك- الشربيل)، ومبلغ نقدي وأحيانا أمة لخدمة العروس على وجه الدوام. كما نجد أن مكونات الصداق النقدية والعينية اختلفت من بيت لآخر، بل حتى

[1003]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 349.

[1004]- نفسه، نفس الجزء، ص. 350.

داخل البيت الواحد، مما يعكس تباين حجم الثروة التي كانت تتمتع بها الأسر العريقة بمكناس. وهكذا نجد الأسر ذات الشرف الراسخ تتلقى بناتها مهورا مبالغا فيها مقارنة مع العرف السائد وقتئذ؛ في حين تقدم مهورا أقل نسبيا لبعض البيوتات خاصة عندما يكون أحد طرفي زواج ينتمي إلى غير بيت الطرف الآخر. هل يمكن القول إن المصاهرات انحصرت ضمن العناصر الداخلية بمكناس أم شملت أطرافا خارجية؟ من الصعب الجزم بالنفي أو التأكيد في غياب المادة المصدرية التي تسعفنا لتقديم نماذج من مصاهرات تمت بين وجهاء مكناس وغيرهم من خارج المدينة.

ومن نافلة القول؛ الإشارة إلى أن الصيغة التي كتبت بها عقود الزواج تكاد تكون نمطية: طول الديباجة- التعريف بالعروسين بهدف تحديد موقعهما الاجتماعي عبر أوصاف فيها تبجيل وتعظيم وتقدير- تحديد مكونات الصداق والطريقة التي يدفع بها إما حاضرا أو مؤجلا- ختم العقد بالدعاء للعروسين- تأريخ العقد باليوم والشهر والسنة وإشهاد الشهود مع التوقيع.

وتأسيسا على ما سبق؛ نستخلص أن شبكة المصاهرات بين وجهاء المجتع المكناسي خضعت لظروف محددة، جعلتها تنحصر في دائرة ضيقة خوفا من فقدان التميز والتفرد داخل المجتمع.

3 - الاحترام المتبادل:

سادت علاقات التقارب والتقدير بين وجهاء المجتمع المكناسي في العديد من الفترات التاريخية، فرضه نوع من التوافق المصلحي لأنهم كانوا في حاجة للحفاظ على مقامهم وقدرهم؛ إذ من شأن غياب تلك العلاقة أو ضعفها أن يهدد نفوذهم، وبالتالي يمكن اعتبار حرصهم على بناء علاقات قوية ترتكز على تبادل مشاعر التوقير والتبجيل والتعظيم تجسيدا لسمو وعيهم الجماعي المشترك.

إن توطيد التفاهم والوفاق بين أعيان المدينة ونخبتها أصبح مسعى ضروريا لصون وجاهتهم الاجتماعية وتحصين منزلتهم الرفيعة. والذي اتخذ أشكالا متعددة وأحجاما متباينة تبعا لمواقع الوجهاء داخل هرم البنية السياسية والاجتماعية، نجملها فيما يلي:

3-1- المدح والثناء على بعضهم البعض:

يعتبر هذا الأسلوب من أقوى الأساليب تأثيرا في النفوس وتعزيزا للتقارب بين صفوة المجتمع. وفي هذا السياق درج وجهاء مكناس على مدح بعضهم البعض في مختلف المناسبات الخاصة والعامة، من خلال التركيز على الصفات الجميلة والطبائع الحسنة والجوانب الإيجابية والمواقف الجليلة. ولدينا أمثله كثيرة في هذا المقام، نقتصر على نماذج منها للاستدلال على شيوع المدح والإطراء بين خاصة المجتمع المكناسي:

- ✓ مدح السفير ابن عثمان لمحمد البيجري بعبارات احتوت على أوصاف عظيمة مثل: الكامل والعالم واللبيب والحسيب[1005]، فرد عليه هذا الأخير بأبيات ينعته بمكارم الأخلاق[1006] ومما جاء فيها:

تَاقَ قَلْبِي فَمَا لَـــهُ اسْتِقْرَار مُنْذُ جَاءَت مِنْ تُونس أَخْبَـار

تَوْقَان وَأنس اجْتَمَعَ الضِّدَّان عِنْدِي فَلَمْ يَسَع إِنْكَار

بِاشْتِيَاقَي لمُفَرّد فِي العَـــالِي تَتَرَامَى دَأْبًا بِه الأَسْـفَـار

وَالتَّأَنُّس بِالتَّفَكُّر فِي أَوْصَافِه قَدْ تُؤْنس الأَفْكَار

قَمَر المَجْدِ سَارَ فِي فَلِكِ السَّعْدِ فَذَاك السَّيَّار وَالدَّوّار

ثناء القاضي محمد العوفي على قاضي القضاة أحمد بن سودة والإشادة بالبيت الذي ينتمي إليه[1007].

فَالسَّوْدِيُّون جَمِيعُهُـــم مِنْ مُتّلـد مِنْهُمْ بِأَنْدَلُس وَمِنْ يَمَـــن ثَـــــــووا

[1005]- ابن عثمان، **إحراز المعلى والرقيب**، ص. 343.

[1006]- نفسه، ص. 344.

[1007]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 211.

سَلْ عَنْهُمْ صنـــعا بِذِي يَمَن وَعْن شَرَفٍ شَهِيرٍ كَالظَّهِيرَة قَدْ حَـــــــــؤُوا

فَلَهُم بِهَا مَجْدٌ وَعِلْـــــــــمُ ثَرْوَة وَمُرُوءَة وَعَلَى حُبُّ الخَيْرِ انْطَـــــــووا

وَعِصَابَة مِنْهُم بِأَنْدَلُـــــــــس لَقَد نُسِبُوا لِمُرَّة مِنْ قُرَيْـــش وَاكْتَفـــــــوا

عَلِمُوا بِأَنَّ العِلْـم أَوْفَرُ قِسْمَـــة بِالإِرْثِ مِنْ طَهَ فَحَـازُوا واقْتَنـــــوا

✓ مدح الطاهر بن العناية للقاضي أحمد بن سودة بقصيدة[1008] جاء فيها:

كُل يَوْم وَسَاعَة لَكَ عِيـــد مُسْتَعَاد وَمَوْسِم مُسْتَفَـــــاد

وَتَوَلَّى عَلَى عُلَاكَ بِمَـــــن فِي التَّهَانِى وَالإِقْبَال وَالإِسْعَاد

إِنَّمَا العِيد أَنْتَ للنَّاسِ فَلْنَهْ نَأ بِمِرْآك نَحْنُ وَالأَعْيَـــاد

فَمَتَى أَوْرَدَ الفَتَى مَنْ كَـــلَام فِي كَمَال للعِيد أَنْت المُـرَاد

سَادَ مِنْ سَوْدَة وَقَد سَادَ من قَد يَنْتَمِى لأَجِلَّة قُدُمًا سَادُوا

أَحْمَد الأَحْمَد العَوَاقِب قَاضِى الـ ـفَضْل وَالفَضْلُ يَقْتَفِيه سَداد

كما تبادل وجهاء مكناس المدح مع شخصيات وازنة من خارج مدينتهم؛ نذكر على سبيل المثال:

✓ ابن حمادوش الجزائري للطبيب المكناسي عبد الوهاب أدراق بقصيدة[1009] جاء فيها:

أَيَا سَيِّدي عَبْد الوَهَّاب تَحِيَّـــة وَبُشْرَى لَكُم أَهْدَى وَأَنْدَى مِنْ الطّل

أَتَيْتُكَ يَا مَلْجَا البَرِيَّة كُلـــــها تُنَوِّلَنِي عِلْمًا فَنَبْرَأ مِنَ الجَهْـــل

وَخَلفت أُمِّي وَالعِيَال وَصِيّـــة كَأَنَّها أَفْرَاخ الحَمَام لَدَى الوَصْـل

[1008]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 135.

[1009]- أبو القاسم **سعد الله**، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2، ص. 275.

[1010]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 139- 140.

يَا أَدِيبا غَدَا بِحُسْنِ اتِّفَاق يَنْفُث السِّحْرَ فِي المَعَانِي الرِّقَاق

قَدْ أَتَتْنَا حَدَائِق مِنْ سَنَاكُم جَدَّدْت أَرْسُمًا لِعَهْد التّـــــلاَق

وَعَلِمْنا مِنْهَا بِأَنَّك لَا زِلْتَ بِهَا ذَا صَبَابَة وَاشْتِيَـــــــــاق

لَسْتُ أَدْرِي أَهِيَ قَلَائِد دُر أَوْ نُجُوم مَحَت دَيَاجِي الفِـــرَاق

✓ ثناء ابن رحمون الندرومي على قائد المشور بمكناس ادريس بن العلام بأبيات[1011] منها:

نِلْتُم مُنَاكُم يَا بَنِي العَـــــــلاَّم بِاللهِ جَلَّ العَّالِم العَـــــلاَّم

وَبَنَيْتُم مَجْدًا تَتَسَامَى للسَّـــــما طَمَحَت إِلَيْه بَصَائِر الأَعْلاَم

وَسْمَتُكُم فَخْرًا تَرْفَع قَـــــــدْرَه حَتَّى بَدَا يَعْلُو عَلَى الأَعْلاَم

وَأَخَذْتم مِنْ كُلِّ فَضْلٍ سَهْمكُم حَتَّى حَوَيْتُم أَعْظَم الأَسْـهام

3-2- الوقف:

شكل نظام الأحباس إحدى مظاهر التكافل الذي ساد المجتمع المغربي عامة والمكناسي خاصة والمستمد من الدين الإسلامي؛ حيث أسهم أهل الوجاهة والفضل من سكان المدينة بشكل مؤثر في تنمية وتطوير الأملاك الحبسية، من خلال توقيف ممتلكاتهم أو جزء منها على مختلف المرافق الحيوية كالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والبيمارستنات.

ويمكن تفسير انخراط أعيان مكناس في نظام الوقف بقوة وفاعلية؛ لأنه يدخل ضمن الصدقة الجارية التي يرجى منها حصول الثواب والمغفرة، مصداقا لحديث النبي عليه السلام «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1012] ، وإحساسهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه شرائح مجتمعهم بصفتهم الصفوة القائدة والنخبة المتنفذة، فضلا عن عامل وجداني مرتبط بالرغبة النفسية في تخليد آثارهم[1013] وضمان

[1011]- ابن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية**، ص.62.

[1012]- مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، رقم الحديث 1631، ص. 1255.

[1013]- خالد الرامي، **تطوان خلال القرن الثامن عشر: تاريخ وعمران**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى، 2005، ص. 85.

استمرارية حضورهم الذهني والرمزي لدى مختلف مكونات المجتمع المكناسي الذي يعد مقياسا لوزنهم وثقلهم، كما وجدوا في ذلك النظام وسيلة أساسية لتأمين أملاكهم والمحافظة عليها لأنفسهم ولأعقابهم من محاولات الانتزاع والاستصفاء.

وعلى هذا الأساس؛ انبرى وجهاء مكناس في توقيف ممتلكاتهم وتنافسوا في ذلك تنافسا شديدا، ومن خلال اطلاعنا على بعض عقود التحبيس "الحوالات الحبسية" والوثائق الخاصة بالبيوتات العريقة، أمكننا التوصل إلى نوعية المحبسين من أهل الوجاهة بالشرف والصلاح والتصوف، حيث مثلت الممتلكات العقارية النسبة الأهم (حوانيت وجنانات...)، تليها أوقاف على الكتب وغيرها بنسبة أقل.

لقد ساهم نظام الوقف بمكناس في تقوية صلات التقارب والتفاهم بين وجهاء المدينة بشتى انتماءاتهم، ذلك أن تدبير الأملاك المحبسة تطلب تضافر جهود عدد من المتدخلين الذين أشرفوا بشكل مباشر أو غير مباشر على عملية التدبير سواء من نظار وقضاة ومحتسبين وباشوات وكتاب وعدول. مما خلق ظروفا مواتية لبناء علاقات يطبعها الاحترام والتقدير والإجلال بين كل الأطراف؛ خاصة وأن نظام الوقف حظي باهتمام كبير من طرف السلاطين العلويين، كرس ممارسات اجتماعية وطدت الروابط والصلات بينهم. ومن أبرز تجلياتها، عناية بعض الشخصيات بأحباس عدد من الأضرحة والزوايا مثل رعاية الناظر الأشهر محمد بن محمد الكاتب الأندلسي لسائر الأوقاف على اختلاف أنواعها، وإشراف الناظر أبي القاسم بن عبد الواحد المسطاسي على أمور الأحباس في جميع المدن والبوادي والقرى، والوجيه بادو لأحباس مولاي أحمد الشبلي الكثيرة[1014]، وتكليف السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام باشا مكناس الجيلاني بن بوعزة بضبط متروك الولي الصالح عبد القادر العلمي لما توفي[1015]، علاوة على طريقة الاستغلال غير المباشر التي

[1014]- **حوالة أحباس أحمد الشبلي**، ميكروفيلم المكتبة الوطنية، رقم 115، ص. 248- 252.

[1015]- نص الرسالة أوردها ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 401.

رسخت علاقات التفاهم والتناغم من استفادة بعض الوجهاء من الأحباس؛ منها على سبيل المثال الاستغلال المسمى بالجزاء.[1016].

جدول 20: طريقة استغلال بعض وجهاء مكناس للأملاك الحبسية

نوع واسم الملك الحبسي	اسم الوجيه الملتزم بالجزاء	مدته	قدره السنوي	تاريخ عقده
فدان العقبة ببني موسى	عبد الحق وأخوه الحريف	30 سنة	23 أوقية	1104هـ/1692م.
طرف من أرض الغرانيق	عبد الرحمان بن عبود	30 سنة	6 أواقي	1104هـ/1693م
طرف من فدان كباب	عبد الرحمان الفلوسي	30 سنة	20 أوقية	1109هـ/1698م
طرف من أرض النزيع	القائد العربي الغشام	20 سنة	15 أوقية	1110هـ/1699م
بقعة من أرض بورزيغة	أحمد بن محمد المنوني	30 سنة	3 موزونات	1113هـ/1702م.
طرف من فدان المغطس	القائد علي بن يشو	10 سنوات	50 أوقية	1127هـ/1715م

نستخلص من الجدول أعلاه أن الشخصيات المستفيدة من الأحباس تنتمي إلى مختلف البيوتات المخزنية والشريفة والعلمية، كما أن مدة الاستفادة والمقابل المالي اختلف من ملك لآخر

[1016] – بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل**.

حسب الموقع والموضع والمساحة. وبناء على ذلك؛ نسجل أن نظام الوقف عزز من فرص التواصل والتقارب بين وجهاء المجتمع المكناسي.

3-3- الاهتمام بتأليف مصنفات تهم بعض البيوتات الوجيهة بمكناس:

جدول 21: نماذج من مصنفات وجهاء مكناس

الوجيه صاحب التأليف	عنوان المؤلف	المصدر
النقيب عبد القادر الشبيهي	ديوان الأشراف	المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص 178.
محمد بن الحسن المحاصي	تقييد في الأشراف الجوطيين	ابن زيدان، إتحاف، ج 4، ص 64.
عبد الوهاب أدراق	منظومة في مدح صالحي مكناسة الزيتون	ابن زيدان، إتحاف، ج 5، ص 474
أحمد بن محمد الولالي	مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار	المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص 166.
علي بن مصباح الزرويلي	سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي	المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص 167.
محمد بن الحسن اليحمدي	كشف الآسى بمحاسن الصالحات من النساء وبعض التعريفات بالأعلام والرؤسا	الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 91.
محمد العربي بصري	منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء	المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص 166.

	الأخيار	
محمد الفاطمي الادريسي	أرجوزة حول الأشراف الشبيهيين بمكناس وزرهون	المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص 217
محمد الغالي اللجائي	دوحة المجد التمكين في وزارة ونسب ابن عشرين	ابن زيدان، إتحاف، ج 1، ص 281
الطيب بن عبد القادر الحريف	أسرة الحريف من خلال وثائق	نسخة خاصة.

كان لوجهاء المجتمع بمكناس إنتاج فكري غزير تمثل في ترك مؤلفات شملت مواضيع متعددة، خاصة التراجم والأرجوزات والفهارس وغيرها، مستهدفين من ورائها صيانة جاه بيوتاتهم عبر الافتخار بمجد أسلافهم. وفي نفس الوقت ضمنوا بين ثناياها ترجمات تعريفية لشخصيات مكناسية وجيهة من خارج بيوتاتهم؛ إذ حرصوا على الإشادة بهم وتخليد مآثرهم، وإذاعة مناقبهم ونشر أخبارهم، وبالتالي إبراز المكانة المرموقة التي احتلوها داخل مكناس، الأمر الذي يدلل على نوعية العلاقة السائدة بين الوجهاء على مختلف انتماءاتهم ومشاربهم يسودها الود والاحترام والوئام والتقدير.

كما نستخلص من مضامين المصنفات على متانة الروابط بين النخبة المكناسية والمتعلقة بالدراسة من خلال تتلمذ بعضهم على بعض، مما يفسر قوة الأواصر الجامعة بينهم. فضلا عن إشادة أعلام بارزين من خارج مكناس ببعض وجهاء المدينة، الذين نجحوا في فرض وجودهم وحضورهم وصل مداه إلى مختلف مناطق المغرب؛ إذ ألفوا تآليف نوهوا فيها بخصالهم مثنين على مكارمهم وأخلاقهم مبرزين أدوارهم بعبارات تقريظية ومحسنات بديعية.

3-4- المواساة والتضامن زمن المحن:

تعتبر المحن والنوائب التي تصيب الإنسان من السنن الكونية المقررة، وفي هذا الإطار واجه وجهاء مدينة مكناس كغيرهم من الفئات الاجتماعية مصائب وكروبا ساهمت بشكل أو بآخر في تعزيز التقارب والتفاهم بينهم، من خلال إظهار مشاعر التضامن والمواساة لبعضهم البعض بهدف التخفيف من أحزانهم وهمومهم. ومن أبرز صور هذا التضامن ما كان يفعله الوزير الحاجب موسى بن أحمد البخاري مع العلماء والصلحاء والأشراف العلويين وأراملهم وأشياخهم بمكناس من تقديم الدعم والمساعدة ومد يد العون لتخفيف معاناتهم وتسكين آلامهم[1017].

ولم يقتصر هذا التضامن على وجهاء مكناس، بل تخطاه خارجها؛ فمثلا لما تعرض محمد بن المدني بنيس أمين الأمناء بفاس لنكبة بفعل فتنة أهل مدينته –سبقت الإشارة إليها- أصبح يعيش وضعا مزريا أظهر بعض وجهاء مكناس تعاطفهم معه في مقدمتهم المحتسب الطيب غريط؛ ففي الرسالة التي بعثها هذا الأخير إلى بنيس بتاريخ 5 ذو القعدة 1290هـ/ 24 دجنبر 1873م مظهرا عميق تأثره ومعبرا عن تضامنه وتعاطفه معه في محنته. ومما جاء فيها بعد الاستفتاح «**سيدنا ومحبنا الأرضى، الأعز المرتضى، الأمين الأود، سيدي الحاج محمد بن المدني بنيس . رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله . وبعد، فاعلم سيدي اعلمك الله خيراً، بأننا جمعنا أناس من أصحاب البر، ومن أهل الخير، يوم الخميس الفارط بباب القبة المباركة. بسيدي قدور العلمي (...) وعملنا اللطيف الكبير وقراءة الفاتحة ودعاء الخير بعده، والله تبارك وتعالى يعمل لنا ولكم الخير، ويسمعنا عليك ما يسر القلب وتطمئن به النفس، والله يحفظنا فيك وفي ذريتك، وكل من تعلق بجانبك المبارك**»[1018].

[1017]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج 7، ص. 306.

[1018]- **مجلة الوثائق**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م، المجموعة الثالثة، ص. 326.

كما تجلت أشكال التضامن بين أعيان المجتمع المكناسي عند حلول فاجعة الموت بأحد البيوتات المتنفذة، الشيء الذي يبرهن عن تجذر قيم اجتماعية وإنسانية أساسية دأبوا على المحافظة عليها عندما يفجع أحدهم في نفسه أو يرزأ في أهله؛ يسارع الآخرون لتقديم واجب العزاء وحضور مراسيم الدفن والتعبير عن مشاعر التأثر والمواساة. ونملك إشارات كثيرة تؤكد مدى درجة التضامن الذي ساد العلاقة بين وجهاء مكناس، بدءا من التعزية مثلما حدث مع القاضي الحضرة أحمد بن سودة عندما توفي ابنه، كتب إليه الوجيه الطاهر بن الهادي بن العناية معزيا بقصيدة طويلة[1019] جاء في مطلعها:

عَظَّمَ الله أَجْرَ سَيدنا القَاضـــــي مُعَوِّضًا وجده بالسُّـــــــرُور

فِي ابْنِه البَر قُرَّة العَيْن برد الـــــ ـمكبد الحرة الزَّكِّي الطَّهـــــــور

ذِي الكَرَامَات وَالفُتُوحَات وَاليُمْن وَالأَمْن وَالمُرْتَقَى وَالنُّـــــــــور

شَبَّ فِي عِزَّة وَعز كَشَبْـــــــل فِي البَرَاز شَاكِي السِّلاَح هَصُور

مرورا بحضور الجنائز؛ إذ حفظت لنا المصادر أعلاما من أهل الجاه حضروا جنائز زملائهم ورفاقهم وشيعوهم إلى قبورهم في مواكب مهيبة؛ حيث ترد عبارات متعددة التعابير متشابهة المضامين؛ منها: «**حضر جنازته العلماء والوزراء فمن دونهم، عد مشيعوه بآلاف**»[1020]، و « **فيمن شيعه –أعني جنازته– وقد كانت الطرق والدكاكين وقت المرور بجنازته فارغة إلا من المشيعين لها، لتأهب الخاص والعام من أهل البلد لذلك** »[1021]، و « **كانت لجنازته رنة عظيمة لم يتخلف عنها أحد من الوجهاء والأعيان ولفيف الناس، وكان الذي تولى الصلاة عليه هو نقيب الأدارسة الفقيه سيدي المختار الشبيهي، والذي تولى وضعه في قبره الفقيه مولاي عبد القادر**»[1022] و «**وصلى عليه بالجامع الأعظم بعد خطبة الجمعة، ولم يتخلف أحد من أهل**

[1019]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، الجزء 3، ص. 134.

[1020]– نفسه، نفس الجزء، ص. 156.

[1021]– نفسه، الجزء 4، ص. 447.

[1022]– نفسه، الجزء 2، ص. 139.

الفضل والدين على تشييع جنازته»[1023]. مما يدل على متانة الصلة الناظمة بين وجهاء مكناس، انتهاء بالتعبير عن مشاعر التعاطف والمواساة من خلال أسلوب الرثاء بسبب فقد أحد الوجهاء البارزين، والذي كان يعتبر من أقسى وأصعب ما قد يواجهه المجتمع، باعتبارهم الركن الركين والحصن الحصين لتماسكه وصلابته. وفي هذا الشأن نذكر مثالين يشهدان على ذلك:

✓ رثاء الغالي السنتيسي للمختار بن الحبيب الأجراوي من عدول مكناس المشهورين، بأبيات[1024] جاء في مطلعها:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قَوْم عَهَدتهم ... كَانُوا هُم جُنة مِنْ سَوَاء أَغْيـار
جَادَت بِهِم رَاحَة الأَيَّام فَانْبَلَجَت ... شَمْس السُّرُور بِهِم مِنْ كُل أَقْطَار
مِنْ كُلّ مكْرُمَة عضُّوا بِنَاجِـــذِهِم ...عَلَى فَرِيدَتِها في المَنْظَر الفـــار

ونفس الشيء حصل مع الراثي؛ إذ رثاه الوجيه المكناسي القاضي ابن عبد السلام الطاهري بأبيات[1025] جاء في مطلعها:

دموع جرت كالسيل من فقد عالم عليه أمارات المزايا تلـــــوح
من العلم والآداب والفضل والتقى له رغبة في الفضل وهو سموح
أخو العلم والتحقيق غال بعلمـه. نجوم الهدى تغدو له وتـــروح
ألا فابكه يا عين والقلب آسـف فأَرجاء مكناس عليه تنـــــوح

✓ رثاء العربي بن محمد السائح للعالم الهادي بادو المكناسي بأبيات[1026] جاء في مطلعها:

مَا بَالُ نَفْسك عَزَّ اليَوْمَ رَاقِيها ... كَأَنَّمَا الرُّوحُ مِنْكَ فِي تَرَاقِيها
وَمَا لِعَيْنِكَ لاَ تَرْقَى مَدَامِعُها ... كَأَنَّمَا اليَمّ يَجْرِى مِنْ مَآقِيـها

[1023]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 542.
[1024]- نفسه، ج 4، ص. 355- 356.
[1025]- نفسه، ج 5، ص. 597.
[1026]- نفسه، ج 5، صص. 506- 507- 508- 509.

تَذْرِي عَلَى الخَدِّ مَنْثُور مَدَامِعها ... تَنَاسَقَت قَبْل أَسْلاَكًا لِآلِيها

نفس الشيء فعل مع الراثي لما توفي؛ إذ أنشد في حقه السلاوي قصيدة[1027] جاء في مطلعها:

سَكَبَ الدَّمْع عَلَى الأَرْجَاء أَضْنَاكا ... أَمْ حَرُّ نَارِ الأَسَى وَالبَين أَفْنَـــاكا

أَمْ أَنْتَ صَب مُوَلَّه فَلَسْت تَــرَى ... صَبْرا عَلَى مَنْ بِنُور العَطْف حلاَّكا

وَمَنْ دَعَاكَ بِسعْد الدّين مُنْذُ زَمَن ... وَتَارَة بِأَمِين الدّين سِمَـــــــــاكا

وَقَالَ من أَوَّل الرَّعِيل أَنْتَ فمل ... لله ميلا فإن الله أعطـــــــــاكا

أم قد فقدت بروح القدس سارية ... كانت تهب سحيرة بمغنـــــــــاكا

وجدير بالذكر الإشارة إلى مظهر مهم يبرز العلاقة الطيبة التي جمعت بين وجهاء مكناس والمتعلقة بمكان الدفن أو ما يصطلح عليه ب "الترب"، أي القبور أو المدافن المخصصة لدفن الأموات[1028]. وهكذا نميز في المدافن بين العامة المفتوحة لكل الناس، ومدافن خاصة لها رمزية مخصصة لأصحاب الوجاهة؛ لأنها تضم موتى صالحين. وفي هذا الإطار؛ يمكن اعتبار الترب عنصر تمايز اجتماعي وتفاضل بين الناس، وهكذا حرص نخبة مكناس على دفن بعضهم البعض في المدافن الشهيرة التي لها حرمة كبيرة تنسب إلى أولياء عرفوا بصلاحهم وفضلهم واشتهروا بكراماتهم وبركاتهم، مما يؤكد على سمو العلاقة التي جمعتهم ببعضهم.

إن ظاهرة دفن الوجهاء في أماكن لها رمزية كانت سائدة بشكل كبير في المجتمع المكناسي، توزعت بين مقابر وأضرحة وزوايا تمتعت بمكانة رفيعة داخل المدينة، حيث استطعنا التعرف على أماكن دفن حوالى 69 وجيها من أصل 186 وجيه الذين أحصيناهم في الفصل الأول؛ أي بنسبة 37.1%، وهي نسبة مهمة تدل على العلاقة الوطيدة التي ميزت الروابط بين الوجهاء. ويمكن تفسير عدم تغطية النسبة كلها لاعتبارات منها: أننا لم نحص الوجهاء المكناسيين الذين دفنوا في

[1027]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 511- 512- 513.

[1028]- جراد المهدي، **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705– 1881م**، الأرشيف الوطني التونسي، تونس، الطبعة الأولى، 2011م، ص. 294.

أضرحة ومقابر أسلافهم وعددهم كبير خاصة الشرفاء والصلحاء؛ إذ جرت العادة أن العائلات الوجيهة تخصص بعضا من أملاكها لإقامة مدافن لأعلامها. كما أن هناك بعض الأعيان دفنوا خارج مدينة مكناس في مدن مغربية كثيرة مثل فاس وتطوان ومراكش. إضافة إلى بعض الشخصيات التي لم نتعرف على مكان دفنها؛ لأن المصادر اكتفت بالإشارة أنها دفنت بمكناس دون تعيين القبر أو صمتت بالمرة عن مكان دفنها.

ثانيا: علاقة الصراع بين أهل الوجاهة بمكناس:

جبل الإنسان على حب ذاته وتفضيل نفسه عما سواه، فبذل كل جهوده من أجل تحقيق مصالحه والحفاظ عليها والدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة، طالما أنه يعيش داخل مجتمع مكون من أفراد وجماعات، فهو مجبر على الدخول في علاقات وربط صلات معهم؛ وهذا ما قد يهدد مكاسبه ويلحق الأذى به في سبيل سعيه لتحقيق منافعه، فيدفعه ذلك إلى الدخول في تنافس يفضي إلى اندلاع صراعات ونزاعات، وهي سمة وخاصية تميز العلاقات الإنسانية في جميع مستوياتها. ويتعاظم حجم هذا الصراع ويأخذ أبعادا كبيرة عندما تكون أطرافه عناصر مؤثرة تحظى بالجاه والنفوذ والسلطة.

يعتبر الصراع بين صفوة المجتمع وأعيانه إحدى أبرز العلاقات الشائكة والمعقدة التي تميز طبيعة المجتمعات البشرية، على اعتبار المكانة المرموقة التي يحتلونها داخل مجتمعهم بما يمتلكونه من قيم رمزية ومادية تجعلهم قوى لها حضور ووزن كبيران، يشكلون صمام أمان وركيزة أساسية في بنيانه من خلال اضطلاعهم بأدوار محورية ومهام ريادية في الحياة العامة. وعلى هذا الأساس تصبح العلاقات البينية جد حساسة؛ فإذا بنيت على التفاهم والتضامن والتعاون تكون أحوال المجتمع جيدة، والعكس صحيح ؛ بمعنى إذا اتسمت علاقاتهم بالعداء والتنافر والاصطدام تختل أوضاعه.

وفي إطار تعزيز الوجهاء لنفوذهم، من البديهي أن تندلع صراعات بينهم، بحكم تناقض مصالحهم وتباين أهدافهم، فسعي كل طرف إلى بناء جاهه يجعله يدخل في خصومات ونزاعات

مع أطراف أخرى تصبو لنفس الهدف، فترتسم ملامح العلاقة المتوترة؛ إما دفاعية بالنسبة للوجيه الذي يحظى بالوجاهة، أو هجومية بالنسبة للشخص الباحث لإدراكها.

وعلى غرار كل المجتمعات؛ عرف المجتمع المكناسي ظاهرة الصراع بين وجهائه أملتها ظروف تجلت في حب السلطة؛ إذ حرصوا حرصا كبيرا وبكل الوسائل لترجمة ذلك الحب إلى واقع، ومن ثم أصبح الصراع البيني سمة بارزة طبعت تاريخ مدينة مكناس خلال الفترة موضوع دراستنا؛ خاصة مع تحول المدينة إلى عاصمة سياسية وإدارية، ومحاولة وجهائها الاستفادة من هذا التحول وتوظيفه لخدمة مصالحهم عبر النهوض بمهام تسمح لهم ببناء وجاهتهم وترسيخ نفوذهم بمختلف الأشكال والصور. وفي هذا الصدد؛ يتبادر إلى أذهاننا تساؤلات نراها مفصلية في طريق استجلاء ملامح الصراع الذي ميز العلاقة بين النخبة المكناسية؛ من قبيل: ما مظاهر هذا الصراع وأشكاله؟ وما الوسائل التي اعتمدت فيه؟ وما المعطيات المرتبطه به؟ وما موقف السلاطين من هذه النزاعات؟ وما أسباب نشوئه؟

للإجابة عن هذه التساؤلات؛ نجد أنفسنا مضطرين إلى تتبع مسار التطورات السياسية التي عرفتها مدينة مكناس منذ العهد الإسماعيلي؛ لأن من شأن ذلك مساعدتنا على كشف بعض جوانب الصراع وتحديد طبيعته و أشكاله وتسليط الضوء عن مسبباته، فلم يخل بيت من البيوتات التي انتسب إليها وجهاء مكناس من خلافات ومشاحنات ومنافسات، تطورت في أغلب الأحيان إلى صراعات أثرت بشكل أو بآخر على كل أطرافه. وتيسيرا لتقصي حيثيات وقضايا هذه الصراعات؛ سنناقشها من ثلاث زوايا: الأولى تهم البيوتات المكناسية المخزنية والشريفة والتجارية كل واحدة على حدة، والثانية تتعلق بالبيوتات النافذة فيما بينها، والثالثة تخص بيوتات مكناس في علاقتها مع بيوتات خارج المدينة.

وقبل الخوض في رصد وإبراز زوايا هذا الصراع؛ نشير إلى ملاحظة منهجية مفادها أننا سنتناول هذه الصراعات من خلال نماذج لاعتبارات منها:

- ✓ من الصعب الإحاطة بكل الصراعات والنزاعات لأن المادة المصدرية –في بعض الأحيان– لا تسعفنا للإلمام بها؛
- ✓ أن مجال البحث لا يتسع لسرد كل الصراعات التي نشبت بين البيوتات المكناسية؛
- ✓ أن مظاهر الصراعات متشابهة في مضمونها وإن اختلفت صورها وأشكالها؛
- ✓ تجنب الإطناب الذي يضر بالبحث أكثر مما يفيده.

1–نماذج من الصراع داخل البيوتات المكناسية:

1 1 – البيوتات المخزنية:

اتسمت الصراعات بين عناصر البيوتات المخزنية بالحدة والشدة، وصل في بعض الأحيان إلى درجة الانتقام والتصفية الجسدية ذهب ضحيتها شخصيات بارزة خاصة في المجال العسكري. فكما هو مقرر أن هذا المجال يحظى بحساسية كبيرة يصبح معها المناخ العام مليئا بالدسائس والمؤامرات. فمنذ العهد الإسماعيلي شهدت مكناس العديد من العلاقات السلبية التي جمعت بين وجهائها، ظهرت بشكل جلي خلال فترات الاضطراب السياسي. ولعل أبرز ما يمكن الاستشهاد به في هذا المقام؛ ما حصل لأعيان قواد جيش عبيد البخاري مثل محمد بن العياشي ومحمد اعليلش اللذين كانا من خاصة الدائرة المحيطة بالسلطان المذكور، فإليهما يعود الفضل في اقتراح تشكيل جيش من العبيد وجمع نواته –سبقت الإشارة إلى هذه النقطة– نجح بعضهم في تسلق المراتب العليا، ومع ذلك لم ينسوا الطريقة المهينة –حسب منظورهم– التي انخرطوا بها في المؤسسة العسكرية، مما ولد عند بعضهم حقدا دفينا محملين المسؤولية لهما، وهو ما تبلور مع مرور الوقت إلى عداء، وبحكم مركزهما القريب من السلطان وخوفا على مصالحهم كتموا حقدهم وكرههم ولم يفلحوا في الإطاحة بهما، لأنهما توفيا في حياة السلطان، ومع ذلك لم يخفت بغضهم؛ إذ بعد وفاة

هذا الأخير وجدوها فرصة للتنفيس عما يخالج صدورهم من ضغينة، فعمدوا إلى البحث عن قبرهما بهدف حرق جثتيهما، لكنهم لم ينجحوا في العثور على المقابر التي دفنا فيها[1029].

وفي نفس سياق الصراع داخل الجيش؛ تعرضت شخصية نبيهة للتصفية الجسدية، حيث دبر بعض قادة عبيد البخاري الناقمين على الحاجب والوزير أحمد بن مبارك لما أظهره من صرامة وحزم في تدبير المهام المتعلقة بهم، وهو ما خلق له أعداء من داخل الجيش المعروفين بالسلوكات المشينة والمنحرفة المطبوعة بالتعسف والجور والفساد، فوقع اصطدام بينهم وبين الوزير، لكنهم تجنبوا الدخول معه في صراع مباشر إلى أن هيئت الظروف المواتية بعد دخول الدولة المغربية آواخر عهد المولى سليمان مرحلة الضعف، بسقوط هيبة السلطان واستشراء الفساد[1030]، فانتهزوا الفرصة وحاكوا مؤامرة أدت إلى اغتياله سنة 1235هـ/ 1820م[1031]. وقد وصف ابن زيدان طريقة اغتياله بقوله «**ضربه عبيد البخاري برصاصة بغابة حمرية ودفن يمين الخارج على باب أبي العمائر**» [1032].

لم تقف سلوكات بعض قادة عبيد البخاري تجاه أعيانهم عند هذا الحد، فقد تجددت مؤامراتهم خلال فترة حكم المولى محمد بن عبد الرحمن كان ضحيتها المجذوب بن الغنيمي الذي تعرض للرجم سنة 1276هـ/ 1859- 1860م. وسبب الحادث أن السلطان كلفه بإخبار فرق من الجيش بتنفيذ بعض الأوامر التي أغضبتهم لتعارضها مع منافعهم وتهدد نفوذهم، فعبروا عن رفضهم لها برجم الباشا «**إذ جمعوا الأحجار وصاروا يرمونه بها، وقامت ضجة عظيمة**» [1033] نجح في الخروج منها سالما.

كما لم يخل المجال السياسي والإداري من صراعات ومنازعات بين صفوة المجتمع المكناسي تحكمت فيها تضارب المصالح والبحث عن النفوذ، وسنقتصر على نموذج لشخصية دخلت في

[1029]- السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش**، ج 6، ص. 37.

[1030]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1 ، ص. 307.

[1031]- الناصري، **الاستقصا**، ج 8، ص. 138.

[1032]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 426.

[1033]- نفسه، الجزء 6، ص. 288- 289.

تنافس مع شخصيات وجيهة متعددة الأطراف؛ وهي المتعلقة بالمحتسب الأبرز محمد بن العربي أجانا[1034]. فما كاد يتسلم منصبه سنة 1298هـ/ 1881م حتى بدأ صراعه مع قوى حية بمكناس لاعتبارات استراتيجية سعى من خلالها إلى الحفاظ على منصبه لما يضمنه له من جاه ونفوذ، وهكذا بذل جهودا كبيرة استهلها بمحاولة استرجاع الاختصاصات التي أضاعها سابقوه ممن تولوا خطة الحسبة أمثال الطيب غريط والمختار بادو، هذا الأخير وصفه في رسالة بعثها للسلطان المولى الحسن بأنه متغافل ومتراخ ومتساهل وغير حازم ولا صارم ولا ضابط[1035]. ومن جملة الإجراءات التي اتخذها إشرافه شخصيا على مختلف الأنشطة الاقتصادية بملاح اليهود، ومراقبته تسعير المواد الأساسية المباعة فيه، إضافه إلى تدخله في عمل الصاغة اليهود لإرغامهم على احترام ضوابط الجودة[1036] وغيرها. الأمر الذي سيخلق له مشاكل مع اليهود سنأتي على ذكرها في موضعها.

وفي إطار تعزيز نفوذه اندلع نزاع كبير بينه وبين باشا مكناس حم بن الجيلاني؛ إذ كانت بينهما منافسة شديدة كرست الخلاف والخصام وولدت الضغائن والحزازات، تشهد عليها مراسلاتهما للسلطان المولى الحسن، كل طرف يشتكي بالآخر وهو ما وضع السلطان في مأزق فرض عليه التدخل شخصيا لحسم نزاعهما صونا لاستقرار المدينة ودرءا لاستفحال تداعياتها في حواضر المغرب الكبرى، وما تشكله من خطر على هيبة المخزن العلوي وسمعته.

وبالعودة إلى منطوق الرسائل الموجهة للسلطان نجد أن الطرف المشتكي هو المحتسب محمد أجانا ضد الباشا حم بن الجيلاني؛ ويمكن تفسير ذلك بتقلص صلاحيات المحتسب، خاصة خلال الثلث الأخير من القرن 19[1037] لصالح الباشا، وقد أشرنا آنفا أن أجانا أول ما فعله بعد تعيينه على رأس خطة الحسبة محاولة استرداد الصلاحيات التي انتزعت من سابقيه، علاوة على أن في

[1034]- ترك هذا المحتسب وثائق مهمة بعضها نشرها الأستاذ محمد اللحية في رسالته لنيل الدراسات العليا في التاريخ، والبعض الآخر حصلنا عليه من أحد أفراد أجانا الأستاذة عتيقة أجانا.

[1035]- اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 138.

[1036]- نفسه، ص. 143.

[1037]- نفسه، ص. 136.

التصنيف الهرمي لرجالات المخزن في الحواضر الكبرى يحتل الصداره ثم يليه المحتسب، فلا غرابة إذن إذا وجدنا المحتسب هو المبادر بالشكوى بعد تعرضه لسلسلة من المضايقات والتحرشات، سنكتفى برسالتين متبادلتين بينه وبين السلطان لفهم طبيعة الصراع الذي خاضه ضد الباشا. ولأهمية الرسالتين سنوردهما بنصيهما، على أن نتولى بعد ذلك التعليق عليهما ومحاولة الخروج بخلاصات:

- **الرسالة الأولى**: بعثها السلطان للمحتسب مؤرخة في 16 شعبان 1300هـ/ 20 يونيو 1883م. ومما جاء فيها بعد الاستفتاح: «**وصل كتابك بأنك وجهت مسجونا للسجن الصغير المعد لمساجين القاضي والمحتسب، فعمد إليه وصيفنا حم وسرحه من حينه، وأقمت الموجب للمرقوم بأعلى كتابك على ذلك وأشرت بأن الصلح الذي كان معه لم يقف عنده، ولم يكن تحته طائل وأنك اتخذت محلا بقرب دارك تسجن فيه** (...) **فقد كتب هو معلما بترامیك على من ليس من خطتك، وبأنك أشعت بسط يدك ومرت تترامى على من ليس من خطتك، وحين عاين ذلك أمر حارس السجن بأن لا يقبل من مساجينك إلا من هو من نسبة وظيفك**»[1038].
- **الرسالة الثانية**: كتبها المحتسب للسلطان سنة 1304هـ/ 1887م. ومما جاء فيها بعد الافتتاح: «**ينهى لعلم مولانا**(...) **أنه كان جعل**(...) **ضابطا بيني وبين وصيفيه القائد حم، في شأن أصحابنا الذين يخدمون معنا** (...) **فإذا به ترك ذلك وترامى على أصحابي وقبض على الأول قاسم الزرهوني وجلده وسجنه وذعره، ثم قبض على الثاني واسمه السيد محمد العبدي ثم عمد خليفته ولده بنعيسى إلى ثالث اسمه السيد محمد بنونة، ووجه لداره عريفته وأصحابه وهجموا عليه ليقبضوه** (...) **ثم إني أرسلت إليه من يذكره في الضابط الشريف الذي بيني وبينه، فأنكره، ثم إني وجهت له البطاقة الشريفة** (...)**ليقف عندما**

[1038] – اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص.245- 246.

حدد له بالأمر الشريف، فلم يلتفت لشيء من ذلك، والحاصل ما وجدت له دواء إلا مطالعة العلم الشريف»[1039].

من خلال الرسالتين المذكورتين يمكن إبداء بعض الملاحظات حول الخلاف الدائر بين باشا مكناس ومحتسبها:

- أن النزاع بينهما يكشف بالملموس نوعية الصراعات التي نشبت بين خدام الدولة من الوجهاء، والتي تميزت بطابعها السلمي المهادن؛ بمعنى لم تؤد إلى مواجهات مباشرة بين أطرافه.
- أن الخلفية الأساسية للنزاع سببه تعدد المتدخلين في التدبير الحضري، وعدم التزام بعضهم متعمدين بالضوابط المنظمة لاختصاصاتهم، في إطار احتكار النفوذ والسلطة والترامي على صلاحيات المنافسين لإضعاف مركزهم.
- أن الطرف القوي يكون هو المبادر بالهجوم على الطرف الأقل منه شأنا من خلال تقليص أدواره ومحاولة تحجيم موقعه، بما يخدم مصالحه في تعزيز مركزه، فلا يكون للطرف الثاني سبيل سوى اللجوء إلى مركز القرار، فيراسل السلطان معبرا عن شكواه وتذمره من أفعال الطرف الأول.
- أن السلطان لم يكن ليتأخر في التدخل لنزع فتيل الخلاف حتى لا يتطور إلى درجة لا تحمد عقباها، وهكذا نجد المولى الحسن يبادر كلما دعت الضرورة لمعالجة قضية تداخل الاختصاصات. فبالنسبة للحالة التي عرضناها ما فتئ يذكر أطراف النزاع كل واحد منهما ويأمرهم بعدم تجاوزها؛ وما يعزز هذا الطرح الرسالة الموجهة إلى المحتسب والمؤرخة في محرم 1300هـ/ نونبر 1882م، الشاهد فيها: «**فأما ما كان من وظيفك، فألزمه ولا تتعداه ولا**

[1039]- رسالة كتبها المحتسب محمد آجانا إلى السلطان المولى الحسن، بتاريخ 1304هـ/ 1887م، و.خ.ح، المحفظة الحسنية، سنة 1304هـ/ 1887م.

سبيل لدخوله (أي الباشا) فيه، ولو بلغ في الاحتيال أقصى مداه، وقد كتبنا له (أي الباشا) بما يكفه عن الدخول في خطتك»[1040] .

1 2 – البيوتات التجارية:

يعتبر الصراع بين كبار التجار من أخطر أنواع الصراعات التي قد تواجه أي مجتمع، نظرا لحساسية الأدوار الوظيفية التي نهضوا بها؛ إذ يشكلون جزءا مهما من أي مجتمع حضري بما في ذلك مدينة مكناس، التي ضمت عددا لا بأس به من كبار التجار الذين ينتمون إلى عائلات تجارية عريقة خاصة اليهودية، أسهموا بشكل فاعل في تحريك عجلة الاقتصاد، مستفيدين من علاقاتهم القوية مع الدوائر المخزنية المركزية على رأسها السلطان، والتي تجلت في حصولهم على امتيازات أهلتهم لاحتلال مواقع رفيعة داخل سلم البنية الاجتماعية بالمدينة[1041].

إن تعدد العناصر التجارية بمكناس من شأنه أن يخلق تنافسا بينها في إطار الصراع حول كسب المزيد من الامتيازات والثروات وتحصين موقعها، وصل إلى حد استعمال كل الطرق المفضية لإقصاء المنافسين من تدبير الدسائس والوشايات؛ خاصة عندما يكون بعضهم يحمل صفة رسمية بتوليه خطة من الخطط السامية أو يكون ذا صلة كبيرة بالسلطان.

ويمكن تسليط الأضواء على بعض صور المنازعات التي اندلعت بين بعض وجهاء التجار بمكناس –في حدود ما جادت به المصادر– من خلال حدوث أول احتكاك واصطدام بين أشهر أعيان يهود البلاط الإسماعيلي؛ هما: يوسف ميموران وابن العطار. ومما أضفى على صراعهما طابعا خاصا طبيعة الوظيفة التي شغلاها كمستشارين للمولى إسماعيل، حكى تفاصيله شاهد معاصر هو الإنجليزي جون ويندوس John Windus ؛ فقد كان ميموران من المقربين

[1040]– مقتطف من رسالة السلطان المولى الحسن إلى محتسب مكناس محمد آجانا، بتاريخ محرم 1300هـ/ نونبر 1882م، أوردها كاملة اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 140.

[1041]– حفصة الحايل، **نخبة التجار اليهود والتحولات في مغرب ما قبل الحماية**، Hespéris-Tamuda, Editions techniques nord-africaines, Rabat, 2016, Vol. LI (2), p. 401.

للسلطان، المحظيين بالجاه والنفوذ عند اليهود، ولما ظهر ابن العطار كقوة صاعدة بدأت تنافسه، خشي على مكانته فوشى به إلى مولاي إسماعيل محاولا تأليب قلبه عليه، ونظرا لإدراك السلطان خطورة هذا الصراع في التأثير على وضع المغرب خاصة في علاقاته الخارجية؛ إذ كان يعتمد عليهما اعتمادا مطلقا في إبرام المعاهدات وتوقيع الصفقات التجارية، قام باستدعائهما وحثهما على تناسي خلافاتهما ويصبحا خلين. وكذلك كان، من خلال علاقة المصاهرة التي نشأت بينهما بعد أن طلب ابن العطار أخت ميمورن[1042].

ثم تجدد الصراع في صفوف النخبة التجارية اليهودية خلال القرن 19 هذه المرة بين التاجر يعقوب أحنا وشلوم بن شمويل عمار اللويري، كلاهما كان يتمتع بمنزلة سامية بشهادة من السلاطين؛ فالأول كان في الخدمة الشريفة[1043] والثاني منح ظهير التوقير والاحترام بتاريخ 1 رمضان 1302هـ/ 13 يونيو 1885م، ومما جاء فيه «**أسدلنا جلباب الأمن والأمان، والسكينة والإطمئنان على ذمينا العاقل التاجر شلوم عمار المكناسي، وبوأناه مهاد الوقار، والعناية والاعتبار، فلا يضام ولا يهان، ولا يمد له يد بحيف ولا بعدوان**» [1044].

لقد مارس يعقوب أحنا سلوكات معيبة في حق اليهود، ألحقت بهم ضررا كبيرا، لم يسعهم سوى تقديم شكوى ضده إلى السلطان المولى الحسن الذي لم يتوان في التفاعل معهم؛ حيث أنه كتب مراسلة لباشا مكناس سنة 1303هـ/ 1886م يخبره بما يعانيه اليهود من ابتزاز أحنا؛ فقد كان مثلا يفرض عليهم بعد التعشير دفع نصف العشر وتعميمه للتعشير على كل حاجه بيعت بسوق البزازين، وبالتالي فـ «**الذمي يعقوب أحنا استرع عليهم**»[1045].

[1042]– جون وندوس، **رحلة إلى مكناس**، ترجمه عن الإنجليزية زهراء إخوان، تقديم وتعليق عبد اللطيف الشاذلي، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل، 1994، ص. 121.

[1043]– حسب وثيقة مؤرخة في 4 ذي القعدة 1311هـ/ 9 ماي 1894م، و.خ.ح، **المحفظة الحسنية**، رقم 456.

[1044]– ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 138.

[1045]– رسالة من السلطان المولى الحسن إلى باشا مكناس، بتاريخ 1303هـ/ 1886م، و.خ.ح، **المجموعة الزيدانية**، الجزء 15، ص. 407.

ورغم تكليف السلطان للباشا حم بزجر التاجر أحنا، إلا أن هذا الأخير تمادى في أفعاله مما حدا بالوجيه اليهودي الحزان شلوم بن شمويل اللويري بالتدخل شخصيا؛ حيث اتصل بالسلطان الجديد المولى عبد العزيز طالبا منه ردع يعقوب لما أحدثه من فساد، فاستجاب لطلبه، دلت عليها الرسالة التي بعثها للباشا بتاريخ 10 ربيع النبوي 1313هـ/ 20 غشت 1895م، والشاهد فيها: «**فنأمرك أمرا جزما بكف أحنا المذكور على ذلك، وألزمه السلوك مع المسلك الذي وقع عليه الحكم بينهم، بحيث لا يستبد بشيء من ذلك لاختصاصه بفقرائهم**»[1046]. ولم يسلم من تصرفات يعقوب التعسفية حتى أقرب مقربيه؛ إذ اشتكى به أحد شركائه المسمى داود ولد مخلوف بن البطاحي لما عاناه من ظلم وجور؛ حيث كان من المساهمين معه في صنع الخيام والأخبية بمكناس للمخزن الحسني[1047].

1 – 3– البيوتات الشريفة:

تعد النزاعات بين الأشراف أقل حدة من سابقتها من حيث آثارها وانعكاساتها على الأوضاع، فلا تكاد تخرج خلافاتهم عن أمرين اثنين:

- ✓ الأمر الأول يتعلق بالجدال فيمن تتوفر فيه شروط النسبة الشريفة، كما حصل بين النقيب محمد بن عبد القادر الجوطي والفقيه الشريف عبد السلام الطالب المنتسب إلى البيت الشهير "المشامري" بفاس، كان قد قدم أفراده من مكناسة الزيتون[1048]. فكان من دعوى النقيب أن المشامريين انقرض نسلهم ولم يبق أحد ينتمي إليهم، وأن نسبة عبد السلام المذكور لهذا البيت مقدوح فيها لعدم اتصاله بالأجداد، وكل ما أدلى به من وثائق لا ينهض حجة على اعتبار أنها

[1046]– ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 141– 142.

[1047]– الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ج 1، ص. 375.

[1048]– الزياني، **تحفة الحادي**، ص. 69.

رسوم حادثة لا تعدو في مقام الشهادة بقدر ما هي إلا تحلية وتزكية. وبعد أخذ ورد تدخل قاضي الحضرة المكناسية محمد أبو مدين السوسي لإزالة الخصام والتشاحن بين الشريفين[1049].

✓ الأمر الثاني يهم أملاك الشرفاء من الأراضي الفلاحية التي غالبا ما تقع بعض الاحتكاكات حول حدودها على غرار كل الشرائح الاجتماعية، ونظرا لمكانتهم الرمزية سرعان ما يعالج الإشكال بعد اللجوء إلى آلية التحكيم؛ وكمثال على هذا النوع من المنازعات ما حدث بين عائلتي المنوني والحريف؛ فحسب رسم عدلي مؤرخ بالحادي عشر من جمادى الأولى عام 1212هـ/ 31 أكتوبر 1797م وقع سوء تفاهم بين العائلتين في تعيين حدود أراضيهما بمكناس، فتم تعيين أهل المعرفة والنظر العارفين بأحوال الأراضي والبلادات وحدودها، توجهوا إلى موضع البلاد موضوع الخلاف، وبعد إمعان النظر والتحقق عينوا الحد بشكل دقيق، وبهذا نزعت أسباب المعاداة بين العائلتين[1050].

2-نماذج من الصراع بين البيوتات المكناسية فيما بينها:

لم تقتصر الصراعات داخل المجتمع المكناسي داخل نفس البيت، بل طالت علاقة البيوتات المتعدد فيما بينها، وهذا أمر طبيعي؛ فإذا كانت البيوتات عرفت مشاحنات ومنازعات بين مكوناتها على نحو ما ذكرنا آنفا، فبالأحرى تفاعلاتها البينية على مختلف المستويات. وللملامسة بعض تمظهرات هذا النوع من الصراعات، سنعمل على استعراض بعض أشكاله وصوره، محاولين تتبع خيوطه ورصد تمفصلاته- في حدود المعطيات المتاحة من المصادر-.

2-1- صراعات بين بيوتات مخزنية وتجارية:

كانت المنافسة شديدة بين شخصيات مخزنية وأخرى تجارية على الحظوة والوجاهة من خلال احتكار السلطة والنفوذ، وما يستتبعهما من تحصيل الامتيازات والمنافع والعمل على حمايتها

[1049]- م.و.م.م، محفظة السلطان مولاي اسماعيل، رقم المحفظة 4، بتاريخ 18 جمادى الأولى 1117هـ/ 6 شتنبر 1705م.الوثيقة لا تحمل رقم سجل.

[1050]- الحريف، **أسرة الحريف**، ص. 21- 22.

وتحصينها، فيترتب عن ذلك نشوء صراع يعبر عن نزوع كل طرف نحو السيطرة والهيمنة. ولدينا شواهد كثيرة عن هذا النوع من الاصطدام الذي كان يشكل تهديدا كبيرا لبنية المجتمع المكناسي المطبوعة بالتمايز والتفاضل.

فهذا المحتسب أجانا –كما أسلفنا سابقا– بمجرد توليه الحسبة عمل على استرجاع هيبة الخطة والذي لا يتأتى إلا عبر استرداد الصلاحيات التي انتزعت منها؛ فدشن أولى أعماله بمحاولة معالجة قضية أساسية لها شأن كبير في تنظيم المجتمع المكناسي وتدبير شؤونه؛ ألا وهي "الواسطة"[1051]. وتكتسب هذه القضية وزنها من كونها تمس الحياة اليومية للناس، ومن ثمة توضح شكل العلاقات الاجتماعية وضوابطها وتفاعلاتها[1052].

إن قضية الواسطة التي تعنينا هي المتعلقة بشؤون يهود مكناس في علاقتها بالجهاز الإداري المحلي ممثلا في خطة الحسبة؛ إذ شكلت نقطة خلاف كبير بين اليهود والمحتسب أدت إلى مشاحنات ومعاداة وصلت أخبارها لمسامع السلطان المولى الحسن، وكان محور الصراع مسألة تعيين الواسطة وطريقة اختياره وتحديد اختصاصاته؛ ففي الوقت الذي أصر فيه المحتسب محمد أجانا أن يكون صاحب قرار تعيين الشخص الوسيط التابع له والمنفذ لأوامره، رفض اليهود هذا الإجراء مطالبين بحقهم في انتقاء من يرونه مناسبا لهم، مع منحه حرية التصرف. واستباقا لحسم الخلاف لصالحه بادر المحتسب بجمع ثلة من وجهاء التجار المسلمين الذين يتعاملون مع اليهود بملاحهم وأشهدهم على عقد في يوم 14 محرم 1299هـ/ 5 دجنبر 1881م؛ مضمونه أن الواسطة الذمي

[1051]– الواسطة لغة مشتقة من الفعل وسط، يقال وسط فلان جماعة من الناس إذا صار وسطهم. واصطلاحا هو ذاك الشخص المكلف بالوساطة، وفي العرف المغربي تطلق على كل يهودي عينه المحتسب أو انتقاه إخوانه ليتولى مهام الربط بينهم وبين محتسب المدينة. للمزيد انظر: محمد اللحية، «الواسطة بين ملاح اليهود والمدينة: الوظيفة والمشاكل المطروحة من خلال نموذج مدينة مكناس»، ضمن أعمال ندوة **التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة** عبر تاريخ المغرب من 21/ 23 فبراير 1989م، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق– الدار البيضاء، 1995، ج 2، ص. 106– 107.

[1052]– محمد اللحية، «الواسطة بين ملاح اليهود والمدينة: الوظيفة والمشاكل المطروحة من خلال نموذج مدينة مكناس»، ضمن أعمال ندوة **التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة** عبر تاريخ المغرب من 21/ 23 فبراير 1989م، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق– الدار البيضاء، 1995، ج 2، ص. 104.

يغير السعر ويتلاعب به[1053]، وبمجرد علم السلطان بالموضوع كتب للمحتسب يأمره بضرورة عقد مجلس يجمعه باليهود بحضور الباشا حم لإزالة سوء التفاهم.

ورغم اجتماع الأطراف لم يخرجوا بنتيجة تذكر، وهو ما أغضب المحتسب الذي جدد مراسلة السلطان يعلمه بما حصل، محملا مسؤولية الفشل لباشا المدينة الذي لم يظهر الدعم الكافي لإنجاح الحوار[1054]، ولا غرابة في موقف الباشا لما ذكرناه من قبل ما كان بينه وبين المحتسب من صراع وتنافر حول النفوذ، حيث حاول الباشا استغلال وضع تضاد المحتسب واليهود لإضعاف مركز منافسه حتى تصبح له اليد الطولى بمكناس.

نستنتج أن دخول الباشا على خط الصراع زاد من تعقيده، وينهض قرينة على ذلك أن السلطان وجد صعوبة في معالجة الإشكال، وتلطيفا للأجواء قرر إلحاق شؤون يهود مكناس لمحتسب فاس الحاج المهدي بناني، ومع ذلك استمر الصراع إلى حين وفاة المحتسب سنة 1306هـ/ 1889م[1055].

وارتباطا بقضية الواسطة خاض المحتسب صراعا آخر هذه المرة مع علمين من وجهاء اليهود، هما يعقوب أحنا وشمويل بن هروش، كان باعثه الخوف على مصالحهما ونفوذهما داخل الملاح، فناصبا العداء للمحتسب، تجسد في محاولتهما الإطاحة به من خلال أسلوب الوشاية وتدبير الدسائس لتوتير العلاقة بينه وبين اليهود بما يضمن لهما تشويه صورته وصون مركزهما؛ بل وصل تحديهما له أن قام يعقوب بالتعدي عليه أمام منزله: «**وقال له لا يحكم عليه لا هو ولا السلطان، وأفحش في القول**»[1056].

[1053]- اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص 196.

[1054]- نفسه، ص. 197- 198.

[1055]- نفسه، ص. 199.

[1056]- مقتطف من الرسالة التي بعثها المحتسب محمد آجانا إلى السلطان المولى الحسن، حول نزاعه مع الذمي يعقوب أحنا. انظر الرسالة كاملة: اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 260- 261.

إضافة إلى ما ذكر؛ نشب صراع آخر كان طرفاه باشا مكناس حم بن الجيلاني واليهودي أحنا؛ إذ يستشف من الرسالة التي بعثها السلطان المولى الحسن للباشا، المؤرخة في 29 صفر 1302هـ/ 1 دجنبر 1884م، يخبره بشكوى اليهود ممثلين في الوجيه المذكور من تصرفاته تجاههم ألحقت بهم الأذى؛ حيث تعطلت تجارتهم وتضررت مصالحهم بسبب تماطله في حسم دعاويهم، وفي ختام الرسالة وجه إليه اللوم والنصح بقوله: «**وقد استغربنا صدور هذا منك واستبعدناه، لكونه من شأن من لا ينظر في عواقب الأمور، ولا يعرف أن ثمرة الولاة وفائدته هي إيصال ذوي الحقوق بحقوقهم، وأن المسلم والذمي في الحق سواء، وعليه فنأمرك أن تكون على بال من دعاويهم**»[1057].

2-2- صراعات بيوتات مخزنية وشريفة:

جمعت علاقات الصداقة والتفاهم عموما بين أهل الجاه من الشخصيات المخزنية والشريفة، لكن ذلك لم يمنع حدوث بعض الخلافات البسيطة دون أن تكون بنية مبيتة لها تداعيات كبيرة. وكدليل على هذا الاستنتاج نستشهد بوقائع تهم أسرة الحريف الشريفة التي كانت لها أملاك عقارية كثيرة داخل مكناس وخارجها تجاور أراض تعود ملكيتها لأفراد ينتمون لبيوتات أخرى خاصة المخزنية، وطبيعي أن تنشأ نزاعات سواء فيما يتعلق برسم حدود الأراضي أو مشاكل السقي وحقوق أصحابها في الاستفادة من مياه السواقي وطرق توزيعها على المنتفعين.

وهكذا حصل سوء تفاهم بين الشريف محمد بن عبد السلام الحريف والوزير ادريس بن الطيب بوعشرين حول طريقة استغلال ساقية الرميلة، المأخوذ ماؤها من أسفل قنطرة ويسلان، والتي كانت أقرب لأرض الوزير، فادعى أن جناته تتضرر حينما يسقي منها الشريف، ونظرا لوجاهة المتنازعين وسمو منزلتها تدخل السلطان مصدرا ظهيرا يحث فيه قائده على مكناس بضرورة تعيين ممن لهم معرفة بأحوال السواقي والقدرة على التمييز بين الجنات المتضررة وغير المتضررة،

[1057]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 138.

وتوجيههم إلى عين المكان للمعاينة، وبعد قيام العدول بمهمتهم توصلوا إلى أن ادعاء الوزير لا أساس له من الصحة، مؤكدين أن السقي لا يلحق أي ضرر بمزارعه[1058].

كما وقعت مماحكة بين أسرة الحريف وأحد الأعيان الذي كان يشغل خطة الأمانة –لم تفصح المصادر عن اسمه– تجلت في إصرار هذا الأخير بدفع الأسرة الشريفة على التليس بالباب. في حين كانت العادة الجارية أن الأشراف خاصة العلويين والأدارسة معفون من دفعها. ولما وصل العلم للسلطان المولى الحسن، أصدر ظهيرا مؤرخا في شوال 1300هـ/ يونيو 1883م، وبخ فيه الأمين آمرا إياه بالعدول عن فعلته، ومما جاء في نصه بعد الاستفتاح: «**أمين المستفادات بمكناس، فقد بلغنا أن عادة الشرفاء العلويين والأدارسة منهم الحرارفة عدم الإعطاء على التليس بالباب، وقد رمت الآن خرقها على الآخرين منهم، وعليه فنأمرك أن تجريهم على عادتهم، فإن خرق العوائد غير جائز**»[1059].

2–3– صراعات بين بيوتات علمية وشريفة:

تميزت العلاقة بين العلماء والأشراف في مدينة مكناس بالاحترام المتبادل، فامتلاكهما للقيم والرساميل الرمزية والمعنوية (العلم والشرف) ساهم بشكل كبير في إحداث تقارب، ولا ينبغي أن يفهم هذا التقارب أنه كان مطلقا، فقد اعتراه بعض لحظات التنافر والاحتقان خاصة في حالة تقلد الوظائف الرسمية، حينئذ تبدأ بوادر الخلاف بالبروز بشكل جلي.

إن تقلد الخطط الرفيعة يعزز من مكانة العالم أو الشريف على حد سواء، يصبح معها الصراع حول النفوذ هو المسؤول عن توتر الأجواء بين الطرفين؛ إذ يخلق جوا مشحونا يبدأ منسوبه في الارتفاع حتى تحصل المشاحنة المفضية في بعض الأحيان إلى الانتقام؛ وهذا ما شهدته مدينة مكناس عقب وفاة السلطان المولى إسماعيل، فخلال فترة الفوضى التي عمت البلاد وقع صدام

[1058]– الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق** ، ص. 15.

[1059]– نفسه، ص. 15

كبير بين شخصيتين وجيهتين: الأولى من بيت علمي ممثلة في القاضي أبي القاسم بن سعيد العميري، والثانية من بيت شريف القاضي محمد بن عبد الواحد البوعناني، وكلاهما تقلد وظيفة القضاء التي مهدت لاندلاع صراع كبير بينهما، استخدمت فيه أساليب الوشاية والكيدية وشن الحملات المغرضة التي لا تليق وطبيعة المنصب الذي يشغلانه والعلم الذي يحملانه. وقد حكى القاضي العميري في فهرسته تفاصيل صراعه مع البوعناني؛ فمباشرة بعد عزله عن خطة القضاء، في صفر 1149هـ/ يونيو 1736م، بادر القاضي الشريف بتحريض بعض وجهاء مكناس ضده والتشهير به؛ بل بلغ حقده عليه أن أصدر فتوى تبيح إهدار دمه، وسعى جاهدا لتشويه سمعته من خلال تزوير التقارير المرفوعة للسلطان المولى عبد الله[1060]، وفي إطار الدفاع عن نفسه كتب رسالة مفتوحة يفضح فيها الممارسات الشنيعة التي قام بها منافسه، محاولا إقامة الحجة عليه، ورغم ذلك تمادى البوعناني في إذايته، فلم يجد سبيلا سوى الخروج من مكناس قاصدا نواحي الريف[1061].

إن اعتمادنا في رصد هذا الصراع على شهادة العميري، الذي هو في نفس الوقت طرف فيه، أملاه علينا اعتباران: أنه من الصعب تجريح شهادته أو الطعن فيها؛ إذ بالرجوع إلى بعض المصادر التي ترجمت للبوعناني نجدها تنعته بصفات قدحية من قبيل: المرتشي الذي يوظف علمه لخدمة مصالح رؤسائه. وفي هذا الصدد يقول القادري: «**كان عفا الله عنا وعنه يقبض الهدية من القضاة على الولاية، ويقضي بغير المشهور، ويوافق الرؤساء فيما أرادوه، وله أخبار يستحي من يذكرها**»[1062]. والاعتبار الثاني غياب أي شهادة في المصادر -في حدود اطلاعنا- توضح موقفه وتبين وجهة نظره.

[1060]- أبو القاسم العميري، **فهرسة العميري**، ص. 98- 99.

[1061]- نفسه، ص. 121.

[1062]- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 10.

2-4- صراع بين بيوتات علمية وتجارية:

عمل اليهود بإيعاز من أعيانهم بمكناس على إسقاط ضريبة الجزية المفروض عليهم دفعها لبيت المال، بسبب اكتسابهم وضعية أهل الذمة، فبذلوا في سبيل ذلك جهودا مضنية وصلت إلى درجة تزوير بعض الوثائق التي تخدم موقفهم، وقد وقف بعض علماء مكناس الكبار بالمرصاد من خلال عملهم على دحض حجتهم وتفنيد ادعاءاتهم؛ ففي عهد السلطان المولى إسماعيل قدموا نسخة من رسم نسبوه زورا إلى النبي عليه السلام يدعون إعفاءهم من الوظيف، وكان من جملة الفقهاء الذين كشفوا خدعتهم القاضي المكناسي العلامة أحمد بن ناجي[1063].

ولعل أبرز واقعة تظهر حجم الصراع الذي كان بين بعض العلماء وبعض التجار الكبار هي التي حدثت بين الفقيه المختار بادو واليهودي مير بن موشي كوهين؛ فالأول شغل خطة الحسبة التي وظفها للتضييق على اليهودي المستبد في نظره، لينشأ صراع مرير تمثل في السلوكات الخطيرة التي قام بها ضد المحتسب، وهذا ما أكده الظهير الذي أصدره السلطان بتاريخ 26 جمادى الثانية 1297هـ/ 4 يونيو 1880م. ومما جاء فيه «**فإن يهوديا من مكناسة الزيتون اسمه مير بن موشي كوهين تعدى طوده وحده واستعمل في الترامي على الناس والجسارة عليهم جهده، وصدرت منه أفعال شنيعة وأمور فظيعة.. ومن جملة ذلك أنه هجم على محتسب مكناس ودخل عليه المحل المعد للأحكام المخزنية هو ويهودي آخر وتهدد عليه وأغلظ له في القول وسبه وسب أصحابه**»[1064].

لم تقف الصراعات بين النخبة المكناسية فيما بينهم، بل امتدت لتشمل علاقتهم بأعيان بعض المدن والقبائل، كان المتحكم فيها البحث عن النفوذ وتعزيزه عبر السعي لاحتكار الخطط

[1063]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 392- 393.

[1064] -نفسه، ج 2، ص. 436- 437.

السامية وإقصاء المنافسين بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، ساهم في تكريسها ما عرفه المغرب في بعض الفترات من قلاقل وفتن وفرت بيئة مناسبة لاشتداد الدسائس والمؤامرات.

لقد تعددت الصراعات التي خاضها وجهاء مكناس مع غيرهم من حيث شكلها وحجمها وطرق تدبيرها، ما بين المشاحنة والمناكفة، وبين الإقصاء والإبعاد والانتقام. والذي دفعنا إلى الإشارة لهذه المسألة محاولتنا معرفة وزن وجهاء المدينة ودرجة حضورهم وثقلهم خارج مكناس، سنكتفي بنموذجين حضري من خلال نموذج فاس، وقروي من خلال نموذج قبيلة بني مطير.

❖ وجهاء مكناس ووجهاء فاس:

اتسمت العلاقة بين مدينتي مكناس وفاس عبر التاريخ بالتفاعل الإيجابي تارة، وتارة أخرى بالسلبي، ساعد على بلورته القرب الجغرافي بين المدينتين، وامتلاكهما لعناصر وقواسم تكاد تكون متشابهة، الأمر الذي عزز من فرص التنافس خاصة في الميدان العلمي، تحول في كثير من الأحيان إلى صراع بين الوجهاء المكناسيين والفاسيين، ازداد حدة مع تولي المولى إسماعيل الحكم 1082هـ/ 1672م؛ حيث اتخذ قرارا بالغ الحساسية تمثل في تغيير العاصمة السياسية من فاس إلى مكناس، ودون الدخول في سرد حيثيات وملابسات هذا التغيير ليس هذا موضع بحثه[1065]، إلا أنه كان له انعكاس مباشر على تحديد طبيعة العلاقة بين أهل مكناس وأهل فاس. وكصورة واقعية عن هذه العلاقة ما حصل بين بعض وجهاء المدينتين من تنافس خلال فترة موضوع دراستنا، وأول قضية جسدت ذلك التنافس تشكيل جيش عبيد البخاري –سبق الحديث عنها– حيث شكلت نقطة خلاف كبير بين المولى إسماعيل وأعيان علماء فاس، تدخل في معالجتها الوزير المكناسي محمد

[1065]– ذكر الأستاذ عبد المالك ناصري أن اختيار مكناس عاصمة للبلاد خضع لمجموعة من المعايير منها: الموضع الجغرافي المتمثل في امتداد المدينة على منطقة جغرافية متميزة بالقرب من جبال الأطلس المتوسط، مما يسهل مراقبة تحركات القبائل التي تهدد كيان الدولة. الموقع الاستراتيجي يتجلى في أنها تشكل نقطة مراقبة للحدود المغربية للممر الرابط بين المغرب الشرقي والمغرب الأطلنتيكي. أسباب سياسية رغبة السلطان في الابتعاد عن الحواضر الكبرى التقليدية مراكش وفاس، وما وقع بهما من قلاقل سياسية ومؤامرات عرقلت تأسيس مركز الحكم بهما. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد المالك ناصري، «مكناس من الحصن العسكري في العصر الوسيط إلى عاصمة للدولة في العصر الحديث»، ضمن أشغال الأيام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي، 29-30-31 أكتوبر و 01 نونبر2008، في موضوع: **فاس والمجالات الحضرية بالمغرب: التاريخ والتراث والمجتمع**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الطبعة الأولى، 2013م، ص. 189- 194.

اعليلش بعد أن كلفه السلطان بمهمة جمع العبيد، فجاب مناطق المغرب ومدنه لإنجاز المهمة، وبعد نجاحه الأولي لم يبق له إلا حراطين فاس؛ وهنا بدأت شرارة صراعه مع وجهاء المدينة في شخص علمائها وفقهائها، ففي عام 1114هـ/ 1702م اجتمع بهم في مجلس خاص محاولا إقناعهم بالموافقة، لكن أمله خاب حيث عاد إلى مكناس دون أن يكتب له أحد من العلماء في شأن تمليك الحراطين[1066].

لقد تحول الخلاف إلى صراع كبير بعد أن عمد اعليلش إلى استغلال منصبه وقربه من السلطان من أجل تحريضه على معاقبتهم، لمنع استفحال الأمر وانتشاره في المغرب، وهو ما يهدد فكرة تشكيل الجيش الذي يطمح إليه[1067]. وبالفعل اقتنع السلطان برأيه، فصار يضيق عليهم خاصة كبيرهم العالم الشهير عبد السلام جسوس الذي كان من أشد الرافضين الإشهاد على ديوان الحراطين؛ إذ تعرض لمحنة انتهت بمقتله 1121هـ/ 1709م[1068].

وفي نفس السياق؛ ساند الفقيه المكناسي القاضي أحمد بن ناجي السلطان في قضية تجنيد العبيد من خلال إصداره فتوى من أربعين صفحة، استجمع فيها الأدلة النقلية والعقلية لتبرير مشروعية شراء الحراطين وتجنيدهم[1069]، رد فيها على علماء فاس المعارضين للفكرة، وهكذا دخل في صراع مباشر مع العالم العربي بن أحمد بردلة[1070].

وخلال عهد المولى سليمان تجدد الصراع بين أعيان مكناس وفاس حول قضية "شيخ ركب الحج"؛ إذ كانت العادة الجارية أن يوجه السلاطين العلويون بعثة رسمية لأداء مناسك الحج،

[1066]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 80.

[1067]- ابن حمدون السلمي، **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن**، م.خ.ح، رقم 12184، الجزء السادس، ص. 112.، م.خ.ح، رقم 12184، ج 6، ص. 112.

[1068]- الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 94.

[1069]- ذكر محمد المهناوي أن نص الفتوى يقع في 48 صفحة دون احتساب الأوراق الضائعة، وهي قليلة لم تؤثر في صلب الفتوى. المهناوي، **التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي الأول**، ص. 317.

[1070]- من فقهاء فاس البارزين في النوازل والفتيا، ولي قضاء المدينة وأحباسها، توفي 1133هـ/ 1721م، كان من العلماء المعارضين لتجنيد العبيد، حيث كتب رسالة إلى المولى إسماعيل في مسألة الحراطين. أوردها ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 288- 295.

يسندون قيادتها لأعلام بارزين مشهود لهم بالجاه والحظوة. وانحصرت مهمة شيخ الركب في السهر على الرحلة واختيار أماكن الاستراحة، إضافة إلى التنسيق مع حكام المناطق والبلدان التي يمر منها الركب. ففي سنة 1211هـ/ 1797م قرر السلطان المذكور توجيه الركب للمشرق انطلاقا من مدينة فاس، اختار لرئاسته الوجيه المكناسي المحتسب الطاهر بادو بعد إبعاده لقدور صفيرة الفاسي، بسبب ما ارتكبه من أفعال مشينة (أكل أموال الحجاج)، فلما علم أعيان فاس بالقرار استشاطوا غضبا وحرصوا على ملاقاة السلطان بمكناس[1071]، وبعد أخذ ورد ولى إمارة الركب للوجيه الفاسي العربي الشرايبي[1072].

وخلال عهد المولى عبد الرحمان بن هشام تعرض الوزير محمد بن إدريس العمراوي لنكبة دبرها له بعض قادة جيش الأوداية المستقرين بفاس؛ حيث كان له شأن كبير عند السلطان بتمتعيه إياه بامتيازات وصلاحيات كبيرة، خلقت له أعداء حرصوا على الإطاحة به والنيل من جاهه، فشنوا حملات مغرضة استهدفت شرفه وسمعته معتمدين على أسلوب الوشاية، وهكذا نجحوا في تغيير قلب السلطان عليه، كانت النتيجة تعرضه للسجن والتنكيل، وبعد فترة أطلق سراحه. ومع ذلك استمرت الدسائس ضده؛ إذ لما قرر زيارة ضريح عبد السلام بن مشيش وشى به بعض الحاسدين عند السلطان، مدعين أنه ينوي الفرار بالأموال التي خزنها قبل سجنه. لكن هذه المرة كان السلطان يقظا حيث اكتشف حجم المؤامرة التي دبرت لوزيره بهتانا وظلما، فقرر إعادته لمنصبه بل ورفع منزلته بتعيينه في خطة الحجابة[1073].

وخلال العهد العزيزي وقع أخطر صراع سياسي بين عائلتين عريقتين في الخدمة المخزنية؛ آل ابن مبارك البخاري المكناسية وآل الجامعي الفاسية، أسهم فيه بعض وجهاء مكناس بدور فاعل

[1071] – الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 305.

[1072] – نفسه، ص. 307.

[1073] – ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 225.

ومؤثر، ولا يمكن توضيح وتتبع معالمه إلا من خلال إعطاء نبذة حول حيثيات الصراع، لأن ذلك سيساعدنا في تحديد موقع أولئك الوجهاء وحجم مساهمتهم في حسمه.

ظهرت بوادر الخلاف بين الأسرتين خلال فترة حكم المولى الحسن، فقد اكتسبت أسرة الجامعي مكانة مرموقة تجسدت في تقلد علمين من أعلامها خططا رفيعة؛ فالمعطي تولى الصدارة العظمى، بينما أخوه محمد شغل منصب وزير الحربية. تلك المكانة ستؤدي إلى اصطدامهما مع أبرز شخصية في أسرة ابن مبارك البخاري هو أحمد بن موسى الملقب باحماد، الذي كان يكن حقدا دفينا للوزيرين بسبب ما ادعاه أنهما سعيا إلى تأليب قلب السلطان عليه حتى صار بينه وبين هذا الأخير جفاء كبير ونفور شديد[1074].

لم يبق باحماد مكتوف اليدين بل سلك كل الطرق التي تمكنه من الانتقام، فأظهر المسكنة والضعف أمام الوزيرين حتى لا يفتضح سره، وفي نفس الوقت أخذ يتحين الفرصة المناسبة للإيقاع بهما، تلك الفرصة تأتت له بوفاة المولى الحسن؛ إذ عمل على استثمار الحدث بدهاء كبير من خلال حرصه على اختيار سلطان جديد يتماشى مع مصالحه ويتماهى مع أهدافه وطموحاته، فوجد في المولى عبد العزيز ما يصبو إليه، لذلك بذل جهودا كبيرة موظفا سلطته ونفوذه على الوزراء والأعيان وقواد الجيش لمبايعة السلطان الصغير. واستكمالا لخطته نجح في إقناع هذا الأخير للذهاب إلى مكناس –لأن المدينة كانت تشكل معقلا لأنصاره من عبيد البخاري عكس مدينة فاس التي كان أهلها من المساندين للجامعي– وخلال دخوله للمدينة دبر مؤامرة أسقطت الوزيرين من منصبيهما وأفقدتهما نفوذهما وسلطتهما.

وبالعودة إلى مساهمة بعض وجهاء مكناس في حسم الصراع لصالح باحماد، نجد شخصيتين نافذتين كان لهما الفضل الكبير في إسقاط أسرة الجامعي هما قائد المشور إدريس بن العلام وباشا مكناس حم بن الجيلالي؛ فالأول كلف بمهمة إخبار الوزيرين المعطي ومحمد بخبر عزلهما موجها

[1074] – ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 431.

خطابا على لسان السلطان هذا نصه: «**لقد طغيتم في البلاد وكَفَرْتم نِعَمَ ما أسْدَاه لكم مولانا المقدس من النعم، وارتكبتم بدل المجازاة بالإحسان العقوق، وقد بلغ سيدنا أيده الله ما صممتم عليه من شق عصا الطاعة وإيقاد نار الفتن، ولولا رعاية محبة سيدنا المقدس فيكم وقرابتكم منه لأذاقكم سيدنا شديد النكال وأليم العذاب، قوما اذهبا لحال سبيلكما**»[1075].

أما الثاني فأمر بإلقاء القبض عليهما ومصادرة أملاكهما وأمتعتهما[1076].

❖ وجهاء مكناس وأعيان القبائل المجاورة:

امتدت سلطة كبار موظفي المخزن في الجهاز المحلي بمكناس إلى القبائل المجاورة للمدينة، في إطار رغبة المخزن لتكثيف حضوره في كل المناطق خاصة التي تشهد بين الفينة والأخرى اضطرابات وفتن، الأمر الذي يزكي فرضية وقوع خلافات ومشاحنات بينهم وبين أعيان تلك القبائل. ولدينا إشارات كثيرة تدلل على ذلك؛ منها الاصطدام الكبير الذي وقع بين باشا مكناس حم بن الجيلاني مع قائد بني مطير يوسف بن علي الحرزلاوي، بسبب تداخل المهام والاختصاصات وما يترتب عنها من تحجيم النفوذ وتقلصه.

لقد اتهم القائد باشا مكناس بممارسة سلوكات تضر بمصالحه، من خلال تدخله في كل القضايا صغيرها وكبيرها. وكمثال نورد رسالة كتبها إلى السلطان المولى الحسن، بتاريخ 22 شعبان 1305هـ/ 3 ماي 1883م، مشتكيا من مضايقات الباشا له والمتمثلة في تحريض وجهاء القبيلة ضده ومحاولته إفساد علاقته بهم بما يخدم طموحاته، راجيا من السلطان حث الباشا بالتوقف عن تلك الممارسات، والشاهد فيها: «**وزاد الباشا في تخويضهم، وقال لهم لا تخافوا من شيء،**

[1075]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 432.

[1076]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج 2، ص. 219.

وقولهم بما لا يليق (...) والآن نطلب من فضل مولانا أن يأمر الخديم الباشا يجلس على ما حد له، ويشد لنا العضد على الفساد» [1077].

كما تجدد الصراع بين وجهاء مكناس وأعيان قبيلة بني مطير زمن حكم المولى عبد الحفيظ، والسبب يرجع أساسا إلى الانتفاضات التي اندلعت، خاصة سنة 1329هـ/ 1911م، همت أحواز مكناس ضد السلطان المذكور. وهكذا ثار قواد بني مطير عليه لتهاونه في زجر وزيره المدني الكلاوي لتعسفه وظلمه لقبيلتهم –سبقت الإشارة إلى صراعهم مع السلطان الذي طلب وساطة الشريف الأمراني دون أن يفلح في مهمته– وما يهمنا من هذه الفتنة أن صداها وصل إلى مكناس، حيث كان وجهائها ومن هم دونهم ضحية لها، لما عانوه وكابدوه من تنكيل ومحن وجور من لدن برابرة الأطلس بقيادة القائد عق البومدماني المطيري[1078].

كان هجوم البربر على مكناس بهدف الضغط لعزل المولى عبد الحفيظ ومبايعة أخيه المولى الزين، وقد فصل ابن زيدان –المعاصر للحدث– الحديث عن معاناة المكناسيين خاصتهم وعامتهم جراء هذا الهجوم الذي بدأ بمحاصرة المدينة من كل الجهات، ثم اقتحموا أحياءها وأزقتها ونهبوا أرزاق سكانها وسلبوهم ممتلكاتهم وفرضوا على الوجهاء أداء غرامة مالية قدرها 5000 ريال، ووجوب اختيار بديل المولى عبد الحفيظ، وتمادى قائدهم في التضييق عليهم من خلال إصدار أمر لأتباعه بتشديد المراقبة عليهم لمنع فرارهم من المدينة[1079].

وأمام هذا الوضع الصعب اضطر أعيان مكناس لفتح قناة الحوار والتفاوض مع القائد بحضور ابن زيدان و القاضي الطاهري ونقيب الأدارسة وغيرهم من الوجهاء، وكان مكان اللقاء بضريح مولاي إسماعيل، جدد القائد مطلبه الرئيس بوجوب خلع المولى عبد الحفيظ مع تفويضهم

[1077]– رسالة من المحتسب محمد آجانا إلى السلطان المولى الحسن، بتاريخ 22 شعبان 1305هـ/ 3 ماي 1883م، و.خ.ح، رقم 165.

[1078]– من أشهر قواد بني مطير، لعب دورا كبيرا في بيعة المولى عبد الحفيظ، قبل أن ينقلب عليه، حيث تزعم ثورة ضده استهدفت عزله مفضلا أخاه مولاي الزين. لكن تدخل القوات الفرنسية حال دون تحقيق هدفه، فتم اعتقاله ووضعه تحت الإقامة الجبرية بمكناس. بوشتى بوعسرسة، مادة بوبدماني، **معلمة المغرب**، ج 5، ص. 1623.

[1079]– بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة**، ص. 109.

حق اختيار من يرونه مناسبا بديلا عنه، فأبدى ابن زيدان بصفته المتحدث الرسمي اعتراضه محتجا بعدم جواز خلع السلطان شرعا، وبعد أخذ ورد وتشاور بين الوجهاء، ودرءا للمفاسد التي يمكن أن تحصل إذا استمرت معارضتهم للقائد، ارتأوا الموافقة على اختيار شخصية تتولى الحكم هو المولى الزين؛ حيث تمت مبايعته يوم الجمعة 17 ربيع الثاني 1329هـ/ 16 أبريل 1911م[1080].

ولما علم المولى عبد الحفيظ ما جرى بمكناس، خشي على سلطته، فرتب مع القوات الفرنسية شن حملة لإحباط المؤامرة، أسندت رئاستها للجنرال موانيي Moinier الذي نجح في إرجاع الأمور إلى نصابها، من خلال تأكيد نفوذ المولى عبد الحفيظ على مكناس وأحوازها، وخوفا من الانتقام الذي قد يطالهم سارع وجهاء المدينة لطلب وساطة رئيس البعثة الفرنسية العقيد مانجان، تجلت في الرسالة التي بعثها إلى هذا الأخير الطالب بناني، بتاريخ 13 جمادى الثانية 1329هـ/ 10 يونيو 1911م، الشاهد فيها: «**نطلب الله تكون بخير وعافية. هذا ولا يخفى عليك ما تحملناه من المصائب العظام التي تضيق عنها العقول والأفهام، من الانحصار والضيق الواقع من أجلاف البرابير، حتى ما كان مقدرا أن يكون. ودافعنا عن أنفسنا وأولادنا وخراب دورنا** (...) **وها نحن على نية القدوم لدى الجلالة الشريفة مع أعيان أهل البلد يوم الأربعاء الآتي. فنحبك أن تكون من جنابنا على بال. بحيث لا تقابل إلا بالجميل وما يسر الخاطر والبال. لأنك عندنا عمدة كبيرة**(...) »[1081]. كما قدموا للسلطان الاعتذار عما بدر منهم من أخطاء، مبدين أسفهم ومبررين تصرفهم، فقبل اعتذارهم ورجعت الأمور إلى سابق عهدها. وهكذا؛ نستخلص أن وجهاء مكناس تعرضوا لنكبات ومحن بسبب صراعهم مع البرابر خاصة بني مطير.

[1080]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 313 إلى 319.

[1081]- رسالة من الطالب بناني إلى العقيد مانجان، بتاريخ 13 جمادى الثانية 1329هـ/ 10 يونيو 1911م، و.خ.ح، رقم 25.

بعد استعراضنا لأشكال صراع وجهاء مكناس سواء فيما بينهم أو مع غيرهم من أعيان خارج المدينة، ورصدنا للعناصر المختلفة لطبيعته وموقف السلاطين منه، نستخلص فكرة أساسية مفادها أنه كان هناك تنافس بين الأسر المتنفذة داخل الأجهزة المخزنية بمدينة مكناس.

وفي الختام يجدر بنا الإشارة إلى الدوافع والأسباب التي كانت وراء ذلك الصراع وتحديد الظروف الممهدة لنشوبه. وعموما يمكن إجمالها فيما يلي:

- أن الصراع بين وجهاء مكناس لا يمكن فصله عن التنظيم الاجتماعي بجميع مستوياته ودرجاته، فالصراع سمة ميزت العلاقات الإنسانية، وبالتالي فهو أصل أصيل وركن ثابت في تاريخ البشرية؛
- إن وجود صراعات بين خاصة المجتمع المكناسي نابع من تضارب المصالح والمنافع، فكل طرف يسعى إلى خدمة مصالحه الشخصية ومعها العائلية، ومن البديهي أن ينشأ عن ذلك خلافات ونزاعات؛
- أن إدراك الجاه والحفاظ عليه تطلب من أصحابه التقرب من الحضرة السلطانية، الأمر الذي خلق جوا مثقلا بالدسائس والمؤامرات والوشايات، أفضت إلى الاصطدام؛
- إن حرص الوجهاء على حظوتهم وصون نفوذهم دفعهم إلى التنافس لتولي المناصب الرفيعة، وبما أن طبيعة
- تلك المناصب تتطلب التنسيق والتعاون بين أصحابها، فقد ترتب عن ذلك احتدام الصراع عبر إثارة الضغائن والأحقاد وبث عناصر الشقاق والخلاف؛
- في خضم الصراع وظف الوجهاء كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة بهدف الإقصاء والإقصاء المضاد، منها سعيهم للحصول على ظهائر التوقير والاحترام، من خلال المبادرة في طلبها لما لها من دور أساسي في حفظ مكانتهم وتحصين وجاههم، وعلى سبيل الاستشهاد ما قام به الوزير

الطيب بوعشرين؛ حيث أرسل رسالة غير مؤرخة إلى السلطان المولى الحسن يرجو منه أن يتفضل عليه بمنحه ظهير الاحترام والتعظيم[1082]؛

- موقف السلاطين من هذه الصراعات عزز فرص تكاثرها في أغلب الأوقات، إذ كان تدخلهم في حسم الكثير منها يتسم بالليونة والمهادنة، ربما لأنهم ينظرون لهذه النزاعات نظرة إيجابية تعزز من نفوذهم عبر إضعاف حجم المؤامرة ضدهم، فمن شأن الصراع بين الصفوة أن يفضي إلى إقصاء بعضهم البعض، مما يعطيهم فرصة ترتيب أجهزة الدولة دون الدخول فى مشاكل.

وتأسيسا على ما سبق؛ نستنتج أن الصراع الذي خاضه وجهاء مكناس سواء فيما بينهم أو مع غيرهم من خاصة مدن ومناطق المغرب، كان دافعه الجوهري هو البحث عن السلطة والنفوذ والقوة، وإن اختلفت في تفاصيله لدواعي سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية.

المبحث الثاني: صلات وجهاء مكناس المجتمعية:

تقاس قوة المجتمع وتماسك بنيانه وصلابة أسسه بمقدار حضور وفاعلية العناصر البارزة فيه من أهل الوجاهة والنفوذ والحظوة. فباستقرائنا لتاريخ البشرية المطبوع بالدينامية والتحول نستخلص حقيقة مسلمة أن المجتمعات تسهم في حركيتها ارتقاء وانحدارا، صعودا ونزولا، جماعة تتصف بقوة فاعليتها وشدة تأثيرها على الرغم من قلة عددها يطلق على أعلامها "الوجهاء"؛ إذ يعتبرون أعمدة المجتمع وركيزته الأساسية التي يقوم عليها.

إن حاجة المجتمع إلى الوجهاء تظل ضرورة حتمية لها ما يبررها، بحكم ما يتمتعون به من مكانة مرموقة ومنزلة مشهودة، وبما يمتلكونه من مقومات رمزية ومادية ذاتية ومكتسبة، وما تبوأوه من خطط رفيعة ومناصب جليلة أهلتهم للاضطلاع بأدوار رئيسية وتحمل مسؤوليات مهمة، فيصبحون مرآة مجتمعهم وواجهته، يسهمون في صناعة أحداثه وتوجيه بوصلة تطوره، من خلال

[1082] – ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 122.

قيامهم بحاجات باقي مكونات البنية الاجتماعية وتلمس رغباتها والتصدي لانشغالاتها وتحقيق انتظاراتها. ومن هذا المنظور؛ فإن أفراد المجتمع يضعون آمالهم ويعلقون طموحاتهم على وجهائهم وصفوة أعيانهم، وبالتالي تقع عليهم مسؤولية اجتماعية باعتبارهم إحدى الآليات المؤثرة فيه.

وعليه؛ فإن الوجهاء هم الذين يحددون مواصفات مجتمعهم وسماته، بمعنى أن التقدم والاستقرار أو التراجع والاختلال تقع عليهم، يحدد شكلها وطبيعتها الأدوار والمهام التكليفية التي ينهضون بها؛ فالمجتمع المتماسك هو الذي يكون فيه أداء وجهائه إيجابيا، والعكس صحيح؛ فكلما كانت أدوارهم سلبية فإن أوضاعه تختل وأحواله تسوء.

وفي نفس السياق؛ ليس فقط المجتمع من يحتاج وجهاءه، بل حتى هم في حاجة إليه في إطار المصلحة المتبادلة، ذلك أن الوجهاء لا يستطيعون بناء جاههم وممارسة نفوذهم لصون وضمان استمراريتهم وما يستتبعه من نفوذ وسلطة وحظوة إلا ضمن بيئة حاضنة تساعدهم على ذلك، تشكل أرضية تمكنهم من احتلال موقع مهم داخل سلم مراتب النسيج الاجتماعي، لأنها تسمح لهم بتكوين شبكة علائقية متعددة الأشكال تعزز نفوذهم وتقوي حضورهم، فالوجيه يبرز حين يحسن استثمار قدراته الذاتية وتوظيفها لخلق التفاعل مع باقي أطياف المجتمع، الأمر الذي يعلي شأنه ويذيع صيته بما يضمن له تحقيق مصالحه. أما في حالة انطوائه وانعزاله وابتعاده عن التفاعل والحضور فسوف يكون مصيره الوهن والضعف، وربما أفضى به الأمر إلى فقدان جاهه بالكلية. لذلك فمن الأهمية بمكان التأكيد على أن الحضور الوازن والتأثير الفاعل يضمن للوجهاء تجذير وجاهتهم وتكريس نفوذهم وتوطيد سلطتهم.

وعلى غرار المجتمع المغربي شهدت مكناس هذه الظاهرة؛ إذ بتأملنا لحال وجهاء المدينة نلمس بشكل جلي خاصية التأثير والتأثر التي طبعت علاقاتهم مع مكونات المجتمع المكناسي. ويحق لنا في هذا الصدد طرح مجموعة من التساؤلات من صنف: ما طبيعة العلاقات التي جمعت

الوجهاء بمكونات المجتمع المكناسي؟ وما أبرز مظاهرها وأهم أشكالها؟ وما أبعاد أثرها على الطرفين؟

من خلال استقصاء المادة المصدرية –في حدود المطلع عليها– أمكننا التمييز بين نوعين من العلاقات بين الوجهاء والمجتمع المكناسيين: النوع الأول إيجابي تجلى في التناغم والتجانس والتآلف والتآزر، والنوع الثاني سلبي تمثل في التعارض والتنافر والتعاكس والتضاد.

أولا علاقات الانفراج:

تميزت العلاقة الناظمة بين وجهاء مكناس وباقي شرائح مجتمعهم في الأغلب الأعم بطابع التفاعل الإيجابي، وتظهر هذه الخاصية في عطائهم وقيامهم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم ونهوضهم بحاجات المكناسيين على مختلف مستوياتهم ودرجاتهم، فجسدوا بحق القيادة الموجهة والمؤثرة في أحداثه وتحولاته. ويمكن استعراض بعض صور وأشكال هذه العلاقة الإيجابية من خلال الأدوار والإسهامات الكثيرة والمتعددة في المجالات التالية:

1 – المجال السياسي:

من خلال تتبعنا لمسار الأحداث السياسية على عهد العلويين، نلمس وبشكل واضح تأثيرها في العلاقات الناظمة داخل المجتمع المكناسي بين خاصته وعامته. ففي خضم تدبير السلاطين للملك وضبط أوضاع البلاد اندلعت عده ثورات وانتفاضات ترتب عنها مجموعة من الفتن والمحن حلت بحواضر المغرب وباديه، لم تكن مكناس بمنأى عنها؛ إذ شهدت المدينة أحداثا عديدة أثرت سلبا على مكونات المجتمع المكناسي، كان المتسبب الرئيس فيها قبائل برابرة الأطلس المتوسط.

لقد سبقت الإشارة في الفصول السابقة أن البرابر المستقرين بأحواز مكناس ظلوا يشكلون تهديدا حقيقيا لاستقرار المدينة ومعها أوضاع سكانها؛ حيث دفعوا ضريبة القرب الجغرافي، إضافة

إلى العلاقات المتوترة التي جمعت بين السلاطين العلويين وبعض قبائل البربر الذين كانوا ينتقمون بتكثيف غاراتهم وهجماتهم على مكناس قلعة الملك. وفي هذا الصدد نستعرض في الجدول التالي جملة منها:

جدول 22: بعض هجمات القبائل على مدينة مكناس

الحدث	تاريخه	آثاره وانعكاساته	المصدر
محاصرة البربر لمكناس من كل الجهات	1149هـ/ 1736- 1737م	حصل للناس ضرر وضيق عظيم- كثر الخراب وخلو جل دور المدينة	الضعيف، ص 124.
غارات البرابر	1150هـ/ 1737م	دمرت المرافق الحيوية للمدينة: الدور والدكاكين والأفران ومعامل الزليج والآواني الخزفية	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص 275.
محاصرة قبائل بني حسن قيسارية مكناس	1151هـ/ 1738م	التضييق على أهل المدينة في أرزاقهم وأقواتهم	الريفي، زهر الأكم، ص. 251
فساد البربر في أزقة مكناس	1161هـ/ 1748م	نهب ثروات المكناسيين ومصادرة أملاكهم، فعاشوا في رهب.	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص 279.
انتفاضة البربر على السلطان المولى	1225هـ/ 1810م	التضييق على أهل المدينة والفتك بخيرة رجالهم	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص

سليمان			.285
عثوا البربر بمكناس	1236هـ/ 1820- 1821م	حرق أشجار زياتين حمرية- نهب أملاك السكان	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص .286
فتنة بني مطير ومجاط بمكناس	1279هـ/ 1862- 1863م	التنكيل بالأهالي والاستبداد بأرزاقهم	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص .290
هجوم البربر على مكناس	1321هـ/ 1903	إفلاس الباعة جراء حرق دفاترهم ورسوم معاملاتهم	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص .296
عثى البربر بالإغارة على مكناس	1329هـ/ 1911م	فقدان العوام لأقواتهم وحلول الضنك على معاشهم	ابن زيدان، إتحاف أعلام، ج 6، ص 296- 297- .298

نستخلص من الجدول أعلاه تعدد هجمات قبائل الأطلس المتوسط على مكناس طيلة الفترة المدروسة، استنزفت إمكانيات المدينة ومواردها واستنفدت طاقات أهل ها وقدراتهم، وهذا ما حرك ضمير وجهائهم وصفوة رجالهم للمسارعة في التحرك لتخليصهم من هذه المحن وإنقاذهم من هذه الأوضاع المتأزمة ماديا وبشريا، والمساهمة في التهدئة والتسكين عبر اتخاذهم عدة مبادرات في سبيل تحقيق رغبات مجتمعهم، نكتفي بذكر أربعة وقائع تدلل عليها:

- الواقعة الأولى: لما شنت تلك القبائل غارات على مكناس سنة 1161هـ/ 1748م وعرضوا أهلها للخطر، بادر رؤساء عبيد البخاري بمواجهتهم ومحاربتهم بكل الطرق لطردهم وإبعاد الخطر عن مدينتهم[1083].
- الواقعة الثانية: حدثت زمن حكم المولى عبد الرحمن بن هشام؛حيث كثف البربر هجماتهم على المدينة، فألحقوا بأهلها أذى كبيرا، فتكاثرت اللصوصية وأعمال النهب وانتشرت صنوف من الفساد داخل الأحياء والأزقة، فما كان من الوجيه الباشا محمد بن العواد إلا أن تدخل في إطار ما أملاه عليه واجبه ببناء باب في الجنوب الغربي من المدينة لمحاصرة المهاجمين وقطع الإمدادات عنهم، هذا الباب عرف بباب السيبة نسبة إلى الفتنة الحاصلة، و بهذا الإجراء نجح في إنقاذ المكناسيين من ضرر البربر وفسادهم[1084]. بل حرص بعضهم على نهج سياسة استباقية، من خلال العمل على منع التوتر بين قبائل الأطلس المتوسط، لخطورته على مكناس وأهلها، وفي هذا الإطار قام الباشا الجيلاني بن بوعزة بمبادرة لإصلاح ذات البين بين قبائل جروان وآيت إيدراسن وبني مجيلد[1085].
- الواقعة الثالثة: أيام حكم المولى عبد العزيز وبالضبط في سنة 1320هـ/ 1902- 1903م هاجم البربر مكناس ردا على شروع مهندسين إنجليز في تشييد خط سكة حديد يربط بين مكناس وفاس، فعاثوا فسادا بتخريب معالم المدينة ومحاصرة أسواقها والتضييق على أهلها، دفعت القائد الوجيه محمد الشاوي للقيام بمحاولة لاستئصال شوكتهم لكنه فشل، ليبادر الشريف الأبرز محمد الأمراني بأمر من السلطان المذكور لحلحلة الوضع؛ إذ توجه على رأس فرقة عسكرية فتكللت مهمته بالنجاح بعودة الاستقرار والهدوء[1086].

[1083]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 279.

[1084]- نفسه، الجزء 1، ص. 270- 271.

[1085]- رسالة من الباشا الجيلاني بن بوعزة إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 17 ذي القعدة 1259هـ/ 8 دجنبر 1843م، م.و.م.م، **محفظة مكناس**، رقم 1.

[1086]- اين زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 293- 294.

- الواقعة الرابعة: حصلت في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ؛ ففي سنة 1329هـ/ 1911م أغار البربر على مكناس، فاجتمع أعيان الجند وصفوة جيش عبيد البخاري بتنسيق مع باشا المدينة، حيث شكلوا حلفا مضادا للتصدي لتلك الهجمات، وهذا ما نستشفه من الرسائل المتبادلة بين الوجيهين النقيب ابن زيدان وباشا المدينة المذكور؛ إذ جاء في الرسالة الجوابية لهذا الأخير بتاريخ 13 ربيع الثاني 1329هـ/ 13 أبريل 1911م أكد على أهمية تضافر الجهود من خلال قوله: «**لما تجاسر أشرار البربر على الأعتاب الشريفة وترقبهم فرصة يمكنهم فيها الهجوم على مكناس (...) تعين التحالف على حماية البلاد ومدافعة أهل العناد، والكون يدا واحدة مع ساداتنا الشرفاء العلويين فيما نستجلب به رضاء الله ورضاء مولانا السلطان أيده الله ونصره**»[1087] .

وما تجدر الإشارة إليه أن بعض الوجهاء المكناسيين حرصوا على التفاعل مع الأحداث المريرة التي حلت بمدينتهم خاصة من ذوي التكوين الصوفي. وفي هذا المقام نستشهد بما قام به العارف بالله عبد القادر العلمي الملقب بسيدي قدور المشهور بقصائده الزجلية؛ حيث وظف ملكته في نظم قصيدة عنوانها "ورزيغة"[1088] يصف فيها ما أصاب مكناس من فتنة أيام حكم السلطان المولى سليمان، جعلت الخراب والدمار يحلان بالمدينة؛ فمثلا يقول واصفا ومتحسرا على إحراق أشجار زيتون غابة حمرية[1089]:

والْحْمِيَّة وَبْدُورْ شَارْقَة فَظْلِمْ الحَنْدَاسِـــــــــي كُلْ مَا كَانْ اْفْلَبْقَا عَادْ اليُومْ اعْكَاسْ
وَحْتَرْقَتْ حَمْرِيَّة الصَّايْلَة بَالْغَرْسْ الْهْنْدَاسِـــــــــي سَالْ عْلِيهَا هَلْ لْهْوَى فَعْشِيَّاتْ لَنْفَاسْ
بَزْرَاعِهَا تَحْسَبْهَا مْنْ التَّسِيعْ سُكْلَمَّاسِـــــــــي وَالْيُومْ اللَّي اِيشُوفْهَا مَاعَنْدُو لَحْسَاسْ

[1087]- اين زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 299- 300.

[1088]- إحدى حوائر مكناس، تقع شرق وادي أبي العمائر. للمزيد انظر: ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، ص. 54- 55.

[1089]- أمين العلوي الديبي، «وصف مكناس في شعر الملحون»، ضمن **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م، ص. 391.

يَبْكِي وَيَقُولْ الغَرْسْ جَاحْ وَهْلُو سَكْنُو لَرْمَاسِي كَانْتْ زَهْوَة لَلزّْمَانْ وَعْوِينْ للأَحْبَاسْ

لَا غَابَة تَشْبَهْهَا افْغَرْبْنَا بَالْغَرْسْ الْمَيَّاسِـــــــــي كَانَتْ فِيهَا امْيَاتْ أَلْفْ زِيتُونَة

2 – المجال الاقتصادي:

ارتباطا بالمجال السياسي شهد المجال الاقتصادي في شقه التجاري مجموعة من التعاملات المضرة بفئات المجتمع، مارسها بعض التجار الجشعين مستغلين حالة الاضطراب السياسي في بعض الفترات، تطلبت تدخل بعض الوجهاء لحماية المجتمع المكناسي من آثارها السلبية. ومن أبرز الحيل والمخالفات التي ارتكبها بعض التجار في حق المكناسيين وتصدى لها بعض الأعيان نذكر:

- الاحتكار[1090]: يعتبر أحد الطرق غير المشروعة التي يلجأ إليها بعض التجار طمعا في تحقيق أكبر قدر من الربح، ومافتئ سلاطين الدولة العلوية يحاربون هذه الظاهرة لما لها من أضرار على البلاد والعباد، فيها ابتزاز لأموال الناس والتضييق عليهم في معاشهم مما يلحق بهم الأذى والضرر. وقد شهدت مدينة مكناس بعضا منها خلال العهد المدروس، جعلت فئات المجتمع تعيش في ضيق شديد، فرض تدخل بعض الوجهاء خاصة المتولين للخطة المنظمة للمعاملات التجارية بالمدينة وهي الحسبة. وفي هذا الإطار شدد المحتسب محمد بن العربي أجانا على التجار المحتكرين من خلال اتخاذ مجموعة من التدابير منها: عدم السماح لهم بإخراج الأقوات من أسواق المدينة لبيعها في مكان آخر؛ إذ كانت العادة الجارية و«**القاعدة منع المحتسب ما كان قليلا ببلده من الخروج منها لغيره**» [1091]. وعملا بنفس المبدأ منع أحد الجزارين من الخروج إلى فاس بعدد مهم من قطيع الأغنام كان يريد بيعها هناك نظرا لغلاء ثمنها[1092].

[1090]– الاحتكار لغة من الحكر: ادخار الطعام للتربص انتظارا لوقت غلائه، واصطلاحا هو الادخار للمبيع وطلب الربح بتقلب الأسواق. ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء 4، ص. 208. سليمان الباجي الأندلسي المالكي، **المنتقى شرح الموطأ**، مطبعة السعادة، مصر؛ الطبعة الأولى، 1332هـ، ج 5، ص. 15.

[1091]– اللحية، **الحياة الاقتصادية**، ص. 195. نقلا عن وثيقة مؤرخة في شوال 1300هـ/ غشت 1880م.

[1092]– نفسه، ص. 195

- الغش: كانت هذه الآفة منتشرة بمكناس خاصة في صفوف الحرفيين، ألحقت أذى كبيرا بالناس، فانبرى المحتسب بحكم مهامه وسلطته بالتصدي لها حماية لسمعة المدينة وصونا لحقوق أهلها. وفي هذا الشأن تتوافر المعطيات التاريخية، نقتصر على حادثتين تنهضان قرينة بدور بعض الوجهاء في زجر وتأنيب المخطئين استقيناهما من الوثائق التي خلفها المحتسب محمد أجانا.

✓ الأولى: مؤرخة في منتصف شعبان 1299هـ/ يوليوز 1882م في حيثياتها: اشتكى رجل من أهل مكناس للمحتسب أنه اشترى بلغة صنعها ذمي، وبعد استعمالها مدة وجيزة انفصلت أطرافها عن بعضها، فأمر المحتسب بإحضار المعني بالأمر بحضور لامينات الخرازين وأهل سوق الصباط والذمي الواسطة، وشهدوا كلهم بأن البلغة بها عيب وغش، فعوقب الحرفي[1093].

✓ الثانية: مؤرخة في 7 محرم 1301هـ/ 7 نونبر 1883م؛ ففي أحد الأيام، وفي إطار عمله اليومي، أخضع المحتسب أجانا حياكا للفحص، فاكتشف غشا كبيرا في طريقة نسجها وضبط مقاييسها، فاستدعى عددا من المعلمين وأهل سوق الحياك وشهدوا بعيبها وفسادها، فأحضر المعني بالأمر وأدبه تأديبا ردعا له، كما سجن أحد الحرفيين المخالفين للقواعد الجارية عقابا له على تلاعبه[1094].

هكذا؛ نستخلص الدور الكبير الذي نهض به محتسب مكناس لحماية أهل المدينة من تلاعبات أهل الحرف والصنائع، مستثمرا سلطته بالشكل الأمثل، فاعتبر بحق المنظم الحقيقي للنشاط الاقتصادي عموما والتجاري على وجه الخصوص.

[1093]- اللحية، **الحياة الاقتصادية**، ص. 248.

[1094]- نفسه، ص. 244.

3 – المجال الاجتماعي:

3 4 – الوساطة والشفاعة:

عمل وجهاء مكناس على الإسهام في دور الوساطة لحلحلة بعض القضايا التي تعترض شرائح المجتمع، فالمكانة المرموقة التي يحتلونها والحظوة التي يتمتعون بها أهلتهم لتكون كلمتهم مسموعة وشفاعتهم مقبولة. وفي هذا السياق؛ كان اليهودي ميموران يتدخل في الخلافات التي كانت تنشب في بعض الأحيان بين اليهود والسلطان المولى إسماعيل، بل حتى إذا أراد الاجتماع بهم يحرص حرصا شديدا على حضوره[1095] . زيادة على ما ذكر؛ قبل السلطان المولى الحسن شفاعة باشا مكناس للعفو عن رجل بسبب خيانته وسوء تصرفه، ولما أظهر ندمه وأسفه التمس الباشا أن يسمح له، وهو ما تثبته الرسالة التي بعثها للسلطان بتاريخ 27 محرم 1303هـ/ 4 نونبر 1885م الشاهد فيها: «**نطلع علم مولانا المنيف على أن الرجل الحسناوي الذي كان ضرب النقب وخرج من السجن، وبعد ذلك رده الله إليه، قد بلغت العقوبة فيه حدّها وبقي عرضة للضياع، وها أنا نتشفع فيه لدى مولانا، ونقبل الأرض أمامه ليشفعنا فيه لكونه لم يصدر منه ما يستوجب به التخلّد في السجن، وإنما كنت قبضت عليه بسبب خيانة ظهرت عليه حين كان يخدم معي بباب داري، والحامل لي عن الرغبة في رجوعه للسجن هو أن يشاهده الخاص والعام، وينزجر به غيره من المساجين وغيرهم، وحين حصل له التربّي والرجوع والإقلاع عما كان عليه، تعين علي أن نتشفع فيه لمولانا، وهذا والنظر إليه**» [1096].

ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى أن طلب الوجهاء للتشفع كان مقرونا بواجب التذلل والخضوع وإظهار الاحترام، وهو ما تفيده عبارة «**وها أنا نتشفع فيه لدى مولانا، ونقبل الأرض أمامه ليشفعنا فيه**» .كما استفاد من شفاعة وجهاء مكناس شخصيات من خارج المدينة؛ حيث

[1095]– ابن دنان، **كتاب التوراخ أو تاريخ فاس**، ترجمة وتقديم عبد العزيز شهبر، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الثانية، 2006–2007، ص. 73– 74.

[1096]– م.و.م.م، المحفظة 3، بتاريخ 27 محرم 1303هـ/ 4 نونبر 1885م.

تدخل ميموران لدى مولاي إسماعيل للعفو عن طائفة يهود فاس عندما ضيق عليهم السلطان، وقال له: صفحت عنهم[1097]. فضلا عن طلب قدمه الشاعر الأديب العلامة علي مصباح الزرويلي للوزير الأشهر اليحمدي للتوسط لإصلاح ذات البين بين ابن اخته وزوجته[1098].

3 2 – التكافل الاجتماعي:

أظهر وجهاء مكناس وعيا عميقا وتضامنا كبيرا مع احتياجات أفراد مجتمعهم، مستلهمين ذلك من الشريعة الإسلامية التي تحث على التعاون والتآزر بين مختلف شرائح المجتمع، لما له من آثار حسنة في صون لحمة المجتمع واستقراره وتقوية الروابط بين أفراده. وفي نفس الوقت تحفظ لهم مكانتهم وتعزز من حضورهم داخله. وتتوافر لدينا شواهد كثيرة تؤكد على رسوخ قيمة التكافل الاجتماعي داخل البنية المكناسية جسدتها الأعمال التي قام بها أولئك الصفوة، والتي اتخذت صورا وأحجاما وأشكالا كثيرة نلخصها فيما يلي:

- ✓ قضاء الحوائج: تعتبر هذه الخدمة من أجل الخدمات التي اضطلع بها وجهاء مكناس تجاه المحتاجين والفقراء، فهذا الولي الصالح عبد الرحمن بن الحسن اليازغي المكناسي فتح زاويته بمكناس وخصصها لقضاء مآرب الناس والاستجابة لحاجياتهم، «**وصارت زاويته زاوية حضرة الوفود، ومرفقا للواردين ودار الجود**» [1099]، نفس الشيء فعله العارف بالله الفقيه الصوفي عبد القادر العلمي صاحب الكرامات؛ حيث نصب نفسه لتلبية بعض ضروريات العيش لأفراد المجتمع، فجعل زاويته مزارة مفتوحة أمام الجميع لمساعدة المحتاجين ومواساة المعوزين، حتى وصف «**كأنه ترياق لكل الآلام، فكان في محض سلوكه كالطبيب، وكل من بث إليه شكواه لا يخيب**»[1100]. كما برز الولي الشهير عبد الكريم بن الراضي الوزاني في مجال إعانة

[1097]– ابن دنان، **كتاب التواريخ**، ص. 74.

[1098]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص. 133.

[1099]– القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 241.

[1100]– محمد التاودي السقاط، **خرق العوائد واستجلاب الفوائد**، ص. 160.

المدنيين ودعم الفقراء والمساكين ورفع الظلم عنهم والتخفيف من معاناتهم، فكان يمد المحتاجين بالحبوب ويقدم على شراء الخبز والتمر وتفريقه كل يوم جمعة[1101].

وعلى غرار النماذج السابقة؛ تصدى الفقيه الوجيه الجيلالي بن عزوز الرحالي لأعمال البر والإحسان من خلال حرصه على اقتناء ما يعرضه بسطاء الناس من بضاعة يشتريها كلها بالثمن الذي يطلبونه إكراما لهم، وكان يعتبر هذا العمل صدقة خفية تحفظ كبرياءهم، بل أكثر من ذلك كان يحث الأغنياء من المدينة بضرورة الإحسان إلى الضعفاء ومد يد العون لهم، مستغلا مكانته ومنزلته حيث «**يعطونهم وهم كارهون ولا يعصون له أمرا خصيصة خصه الله بها**»[1102].

✓ معالجة الأمراض: ساهم أعيان مكناس خصوصا الصلحاء منهم؛ بدور كبير في معالجة الأمراض ومداواة الأسقام، استفاد منه أطياف المجتمع المكناسي، وكانت الكرامات وسيلة للاستشفاء. وفي هذا الإطار تطفح المصادر بمعطيات حول الدور نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

جدول 23: نماذج من كرامات وجهاء مكناس العلاجية

اسم الوجيه	كراماته	المصدر
محمد بن عبد الرحمان بصري	معالجة داء الرمد	منحة الجبار، ص. 11أ
عبد الرحمان اليازغي	داء الرمد	القادري، نشر المثاني، ج 4، ص. 241.
محمد بلقاسم بصري	الرقيا وإخراج العين	سكيرج، كشف الحجاب، ص 429.
محمد بن العباس المكناسي	برقي المصابين بالمس وسائر ذوي العاهات	ابن زيدان، إتحاف، ج 4، ص. 343.

[1101]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 400.

[1102]- نفسه، الجزء 2، ص. 139.

مسعود التراب	علاج مختلف الأمراض	الرجراجي، السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول، معهد الشعبي الاسلامي، الصويرة، 1987، ص 390.
عبد القادر العلمي	العاهات والقروح	الكتاني، زهر الآس، ج 1، ص 569.

✓ الاستسقاء: عانى المجتمع المكناسي من انحباس المطر في كثير من الفترات الزمنية، وبحكم طابع التدين كان أفراده يلجأون إلى الدعاء بطلب السقيا من الله تعالى مستعينين بأوليائهم وصلحائهم المشهود لهم بالفضل والاستقامة.

نستخلص مما سبق؛ مدى المساهمة الكبيرة والفعالة لوجهاء مكناس في سبيل تخفيف معاناة باقي أفراد مجتمعهم، إيمانا منهم بالواجب الملقى على عاتقهم، فتنافسوا منافسة شديدة في الاضطلاع بالأدوار الحيوية لمساعدة الفقراء والمحتاجين ومشاركة أحزانهم وهمومهم.

✓ إشراكهم في الاحتفالات: حرص وجهاء المدينة على مشاركة باقي مكونات مجتمعهم في الأفراح والمناسبات، مما يدل على العلاقة المتينة التي ربطت بينهما. وكمثال نستشهد به في هذا الباب: واقعة انتصار المولى الحسن على المتمردين من قبيلة آيت يوسي؛ حيث قام باشا المدينة باستدعاء جموع الناس للتعبير عن فرحهم بذلك الانتصار، وهذا ما تؤكده الرسالة التي وجهها الباشا للسلطان بتاريخ 26 صفر 1297هـ/ 8 فبراير 1880م الشاهد فيها: «**أحضرنا جميع أهل المدينة وقرئ عليهم الكتاب الشريف بالمسجد الأعظم على العادة، وفرح الناس لذلك غاية الفرح، ودخل عليهم من السرور والنشاط عند قراءته ما لا يخطر على بال (...) وقد نادينا بإعمال النزهة والزينة، واشتغل الناس بالفرجات ولعب البارود وغير ذلك**»[1103].

[1103] – **مجلة الوثائق**، المجموعة السادسة، المطبعة الملكية، الرباط، 1408هـ/ 1987م، ص. 181- 182.

4 – المجال الفكري:

يشكل الميدان الفكري جزءا لا يتجزأ من مكونات أي تجمع بشري، نظرا لأهميته الكبيرة في صياغة عقول الأفراد وتشكيل أفكارهم وتصويب أفهامهم بما يضمن الاستقرار والأمن الاجتماعيين، تلعب فيه النخبة المثقفة دورا حاسما في تكريسه وترسيخه باعتبارهم قوام المجتمع وعموده الرئيس. ونظير كل المجتمعات؛ تصدر المشهد الفكري بمكناس أعلام بارزون من فطاحلة العلم، حملوا على عاتقهم مسؤولية نشر العلم وبث الوعي بين الناس، ساعدهم في ذلك رصيدهم المعرفي الغزير ورعاية الدولة المغربية في شخص السلاطين العلويين للعلم والعلماء. وفي إطار قيامهم بواجبهم التبليغي التعليمي عملوا على الوقوف في وجه الأفكار الهدامة والظواهر السلبية التي تهدد سلامة المجتمع.

لقد كان علماء مكناس مدركين تمام الإدراك خطورة انتشار الانحرافات الفكرية، خاصة في صفوف العوام المعروفين بسرعة تقبلهم للأفكار دون تمحيص ولا تدقيق بغض النظر عن صوابها وصحتها، يساهم فيه الفكر الجمعي بشكل كبير. ولعل أخطر فكر هدد تماسك المجتمع المكناسي خاصة والمغربي عامة ما مثلته بعض الفرق الصوفية المنحرفة على رأسها طائفة العكاكزة[1104] لقيم المجتمع وهويته الإسلامية؛ إذ اختلقت في التصوف بدعا غريبة وبعيدة عن روحه النقية على حد تعبير أحد الباحثين[1105].

[1104]– تسمى بهذا الإسم لأن منتسبيها يتخذون العكاز في مشيهم ومزاولة طقوسهم، كما تدعى أيضا اليوسفية نسبة إلى أحمد بن يوسف الملياني المتصل بالمذاهب الصوفية، تعود نشأتها إلى أحمد بن عبد الله المنزولي من أتباع الملياني المذكور آنفا، انتشرت أفكار هذه الطائفة بشكل سريع في عهد السلطان الغالب بالله نظرا لاضطراب الأوضاع السياسية التي أعقبت حكم السعديين، من أهم مبادئها: إنكار نبوة النبي عليه السلام وإنكار القرآن الكريم وغيرها من الضلالات المنكرة. عملت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب على استئصالها بدءا من الوطاسيين مرورا بالسعديين وانتهاء بالعلويين، إذ كانت نهايتهم على يد السلطان المولى إسماعيل. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الله نجمي، **التصوف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة ق 16–17م**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، صص 422– 423. لحسن اليوبي، **الفتاوي الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م، صص 415- 416.

[1105]– محمد العمراني، **المغرب زمن العلويين الأوائل**، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 1435هـ/ 2013م، ص. 216.

وهكذا انبرى وجهاء العلم بمكناس للتصدي لهذه الطائفة صونا لمجتمعهم وحماية هويته الفكرية، لأنها تشكل –حسب اعتقادهم– خطرا حقيقيا على سلامة استقراره وتماسك بنيانه. وفي مقدمة العلماء الذين قاموا بحملة التصدي العالم الأجل والقاضي الأشهر محمد بن الحسن المجاصي الذي أصدر ثلاثة أجوبة، نص فيها على ضلال العكازين وانحراف عقيدتهم، واصفا إياهم بالطائفة الملعونة والزنديقة، مبررا حكمه هذا ببسط مجموعة من الشواهد منها: استحلالهم للمحرمات وإنكارهم أمورا معلومة من الدين بالضرورة[1106]. وفي الاتجاه نفسه سار قاضي القضاة عبد الملك بن محمد التاجموعتي بتأييد صديقه المجاصي في الحكم على طائفة العكاكزة بالضلال والانحراف[1107].

وبعد وفاة المولى إسماعيل ودخول المغرب مرحلة الاضطراب السياسي التي أرخت بظلالها على الحياة الفكرية، تعاظمت المنكرات المشوشة على عقائد العوام[1108] قادها أشخاص متفيقهون لم يتوان بعض علماء مكناس عن الوقوف في وجههم حماية للمجتمع. وفي هذا الصدد برز قاضي الحضرة أبي القاسم العميري كأحد العلماء الذين اعتبروا محاربة البدع فريضة شرعية وواجبا إنسانيا، فانتصب لإطفاء فتنة كادت تعصف بالعامة والخاصة على حد سواء.

وخلال القرن 19م تصدر الفقيه الحسن بن الطيب بوعشرين المشهد داخل مدينة مكناس بانتقاده بشكل صريح وعلني لموسم الولي محمد بنعيسى، تحضره طوائف عيساوة بممارسات شنيعة وسلوكات فظيعة، فكان يردد لو عاش الشيخ رضي الله عنه ما هم عليه لتبرأ منهم، وتباعد عنهم، وفر إلى الله تعالى بدينه وعرضه[1109]، ومن جملة هذه الانحرافات: خلط الذكر بالطبل والمزمار والبندير، حضور النساء مكشوفات الشعر والوجه يصحن وسط المتفرجين، انتشار الزنا والفاحشة، أكل الجيف ونهش لحومها وغيرها من الضلالات البعيدة عن هدي الإسلام[1110].

[1106]– محمد بن الحسن المجاصي، **نوازل المجاصي**، ص. 409.

[1107]– نجمي، **التصوف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة**، ص. 418.

[1108]– العميري، **فهرسة العميري**، ص. 116.

[1109]– الحسن بوعشرين، **التنبيه المعرب عما كان عليه الآن حال المغرب**، ص. 152.

[1110]– نفسه، ص. 153- 154.

يظهر من خلال ما تقدم أن وجهاء مكناس أسهموا بأدوار كبيرة في النهوض بواجبهم تجاه أفراد مجتمعهم في جميع المجالات التي تمس حياتهم، مما يدل على علاقة التفاعل الإيجابي الذي طبع الروابط بين الطرفين، جعلت للمجتمع المكناسي حضورا وازنا داخل النسيج المغربي.

ثانيا علاقات التوتر:

رغم كل الشواهد الدالة على متانة العلاقة الناظمة بين الوجهاء والمجتمع المكناسيين، إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث بعض الإشكالات والتجاوزات التي عكرت صفو العلاقة بين الطرفين، ساهم فيها مسار الأحداث السياسية والوقائع العسكرية، وما ترتب عنها من آثار وانعكاسات، وما رافقها من تصرفات بعض الوجهاء السيئة بانسلاخهم عن الأدوار المنوطة بهم، مما أثر سلبا على أوضاع المجتمع المكناسي في بعض الفترات التاريخية. وفي هذا الإطار؛ ومن خلال نظرة فاحصة للمعطيات التي ساقتها المصادر، يمكن إجمال بعض السلوكات المشينة لبعض الوجهاء والتي أضرت بعلاقاتهم مع فئات المجتمع المكناسي فيما يلي:

1 – التعسف والتسلط والتعدي:

مارس بعض الوجهاء في حق المكناسيين على مختلف مشاربهم ومستوياتهم أنواعا شتى من الطغيان والبغي والظلم، مستغلين نفوذهم وسلطتهم بشكل سيئ. وتطفح المصادر بالإشارات – تلميحا–وتصريحا– الدالة على انتشار الفساد في صفوف بعض أعيان المجتمع المكناسي، فخلال عهد المولى عبد الرحمان بن هشام اشتهر أحد باشوات مكناس بممارسات مشينة من قهر وإذاية وإجحاف وشطط في استعمال السلطة، وفي الوقت ذاته كان يتظاهر للسلطان بالمسكنة والتذلل والصلاح حسب ما ورد في رسالة من السلطان المذكور إلى ابنه وولي عهده المولى محمد والمؤرخة في 4 جمادى الأولى 1258هـ/ 12 يونيو 1842م، ثم أخذ يسرد له بعض أشكال فساد الباشا بقوله: «**سار فيهم سيرة جور وعسف، وأذاقهم عذاب ظلم وخسف، بجعل حيل ونصب**

حبالات وأساليب لاستخلاص الأموال، ومصادرة ذوى الأغراض، وأفضى به الحال إلى جعل ديار مخصوصات للفاسد، وتوظيف خراج على الفاسدات في كل شهر»[1111].

كما تعرض لإذايته أهل الذمة من المسيحيين واليهود المستقرين بالمدينة، وأمام كل هذا الفساد والظلم اضطر السلطان للتدخل لزجره وردعه؛ حيث عمل في كثير من الأوقات على تنبيهه في محاولة لتقويم سلوكه من خلال معاتبته على ما ارتكبه من تجاوزات، إلا أن هذا الأسلوب لم يجد معه نفعا، فقرر عزله من منصبه، وإلقاء القبض عليه، وعين مكانه بقائد المشور الجيلالي بن بوعزة[1112]. وهنا يطرح السؤال التالي: لماذا لم يأخذ الباشا تنبيهات السلطان على محمل الجد؟

وفي عهد المولى الحسن برزت شخصية مكناسية وجيهة بممارستها الشاذة، يتعلق الأمر بالحاج السعيدي بن الطيب غريط المدعو "كسكاس" أحد المحميين، كان والده متوليا لخطة الحسبة، ذلك أنه «**اشتغل بالترامي على الناس، والحيف عليهم، وأكل أموالهم بالباطل، وإذايتهم بالضرب المؤلم، حتى أنه قتل امرأة تحت العصى**»[1113]. وفي رسالة أخرى وصف بأنه «**لا زال ملطخا بحقوق الناس من أكل أموال وغيرها، وعليه دعاوى شرعية ومخزنية**»[1114]. هذه الممارسات أدت إلى عزل والده من منصبه، غير أن خضوعه للحماية الاسبانية جعلته في موقف أقوى، إذ اضطر السلطان للعفو عنه، بل ورفع من شأنه بتعيينه سنة 1888م ناظرا لبعض أحباس مكناس و أمينا عليها[1115].

وفي العهد العزيزي استبد الوجيه اليهودي يعقوب أحنا على عامة اليهود داخل الملاح، تشهد بذلك الرسالة التي بعثها باشا مكناس حم بن الجيلاني إلى الصدر الأعظم أحمد بن موسى المؤرخة في 15 رمضان 1314هـ/ 17 فبراير 1897م نقل له فيها بعض صور التعسف الذي

[1111]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص. 62- 63.

[1112]- نفسه، نفس الجزء، ص. 63.

[1113]- بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 1190.

[1114]- نفسه، ص. 1189.

[1115]- نفسه، ص. 1190.

مارسه الذمي؛ حيث «**شاع فساده وكثر خوضه إفساده في جميع الأمور والأحكام ومهما كانت قضية أو دعوة بين الذميين إلا وتراه يخوض فيها حتى(...) يوقع الحكام في الحيرة وهذا دأبه سواء كانت الدعوة رفعت إلينا أو الشرع المطاع أو حزانيهم فإنهم لا يستطيعون أن يحكموا في ما بينهم إلا برأيه (...) فإن أراد شيئا يدخلهم داره ويشهد بهم الزور ويحكم لنفسه بما شاء ولا يعطي حقا لأحد أيا ما كان هو وأصحابه وأصهاره ومن تبعه (...)، إن جميع اليهود كبيرا وصغيرا تضرروا ولازالوا لأنه ضيق عليهم غاية في معاشهم (...) والناس مع الذمي في ضيق(...)** »[1116].

وفي عهد المولى عبد الحفيظ تعدى المحتسب الطالب بناني على أهل مكناس من الضعفاء والأيتام والأرامل بطريقة غير مباشرة، من خلال تعسفه على أهل الحرف والممونين، يوضحها الجدول التالي –هذه المعطيات من لفيف عدلي حرره شرفاء مكناس ووجهاؤها يشتكون من استغلال المحتسب لسلطته بشكل خاطئ–.

جدول 24: بعض مظاهر تجاسر المحتسب على أهل الحرف والصنائع

أهل الحرف والصنائع	مظاهر تعسف المحتسب عليهم
الرحويين[1117]	*يقبض ثلاث أواقي عن كل مد عوض أوقيتين الجاري بها العمل. *يقبض ربعا من الدقيق للرحى عن كل شهر.
الحمالين[1118]	*يقبض منهم خمسة عشر ريالا في الجمعة. * يقبض منهم خمس ريالات في قنطار السمن.

[1116]– م رسالة من باشا مكناس حم بن الجيلاني إلى الصدر الأعظم أحمد بن موسى، المؤرخة في 15 رمضان 1314هـ/ 17 فبراير 1897م، م.و.م.م، **محفظة مكناس**.

[1117]– هم الذين يطحنون البر وغيره من أنواع الحبوب بأراحي الماء وغيرها. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 169.

[1118]– هم الذين يحملون الحبوب الكتالة من محال بيعها لمشتريها، وحملها من المحال الخصوصية لمحل البيع. نفسه، نفس الجزء،.ص. 173.

	* يقبض منهم ثلاث ريالات في الصابون. * يقبض منهم ريالا واحدا في قلة الزيت. * يقبض منهم ربع ريال عن كل نوع من الإدام.
الدباغين[1119]	* يقبض منهم اثنتي عشر ريالا.
الطرازين[1120]	* يقبض منهم اثنين وأربعين ريالا. * رفع سعر الحايك نحو الثلث.
الخبازين[1121]	* يقبض منهم بسيطة في كل ربع من الدقيق. *رفع سعر الخبز ثماني أواقي.
السفاجين[1122]	* زيادة الربع عن كل رطل.

كما لم يسلم من جوره حتى ممونو الأسواق، مثلا كان يقبض في كل مد من الزيتون خمس أواقي، وفي كل قنطار من الحناء يقبض ثلاث ريالات.

إن القصد من هذا الاستشهاد هو إعطاء صورة عما قاساه أهالي مكناس من شطط المحتسب واستبداده. صحيح أنه تجبر على أهل الحرف والصنائع كما يبين الجدول؛ لكن في الظاهر فقط؛ إذ امتد تأثيرها على المكناسيين في معاشهم وأحوالهم؛ حيث أدت إلى ارتفاع مهول في أسعار المواد الاستهلاكية أصبح معها الناس في ضيق وضنك زعزعت استقرارهم النفسي وما ارتبط بها من ظواهر سلبية انعكست على أنماط سلوكاتهم. وهذا ما أكده أعيان مكناس في شكواهم ضد المحتسب بقولهم: «**تصدر منه أمور شنيعة وخوارق فظيعة تضرر بها أهل البلد من الضعفاء**

[1119]– هم القيمون بدبغ الجلود على اختلاف أنواعها وأجناسها وألوانها. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 166.

[1120]– هم الذين يخيطون الجيب والبرانس. نفسه، نفس الجزء، ص. 180.

[1121]– هم الذين يصنعون الخبز ويعرضونه للبيع بالأسواق العمومية. نفسه، نفس الجزء، ص. 169.

[1122]– هم باعة السفنج. نفسه، نفس الجزء، ص. 180.

والأيتام والأرامل وغيرهم الذين يكتلون من أهل الحرف»[1123]، ويضيفون أن الانحرافات لا تضر بالحرفيين بقدر ما تؤذي المستهلكين.، وفي نفس الاتجاه سار باشا المدينة بنعيسى بن حم الذي بلغ به الجشع والطمع درجة السطو على ممتلكات الأهالي بطرق فيها تجبر وتسلط وانحراف عن الواجب الأساس المتمثل في خدمة المدينة وسكانها، مستفيدا من الأوضاع التي كان يعيشها المغرب خلال العهد الحفيظي بتأزم الوضع الداخلي وتكالب القوى الاستعمارية على البلاد[1124].

2 – الابتزاز واستلاب حقوق الناس:

عمد بعض وجهاء مكناس؛ في إطار إشباع رغباتهم في امتلاك الثروات واحتكار الخيرات وتحصيل أكبر قدر من الأموال، إلى نهج أسلوب الغصب والضغط المفضي للتكسب غير المشروع، مستغلين حالة الانفلات والاضطراب التي عرفها المغرب في بعض الفترات؛ إذ عقب وفاة المولى إسماعيل شهدت البلاد فوضى عارمة دامت ثلاثين سنة (1727- 1757م) وفرت بيئة مناسبة لممارسة كل أنواع الانحرافات والسلوكات السلبية. فهذا والي مكناس –لم تفصح المصادر عن اسمه– كان يبتز الأموال باستمرار على حد تعبير أحد معاصري الحدث الهولندية ماريا[1125]، وتضيف في شهادة أخرى أن أعيان المدينة من أصحاب السلطة والنفوذ كانوا لا يترددون في ابتزاز أصحاب المشاريع مثل الحانات، إذ «**كانوا يبتزونهم ماليا مطالبين بتقديم العطايا والهدايا لهم**»[1126] .كما تجلى هذا السلوك المشين في الواقعة التي ذكرها العلامة أبو مدين عبد الله الدرعي الروداني في رحلته الحجازية 1152هـ/ 1739م المتعلقة بأحد ولاة مكناس الفاسدين؛ فعند حلول الوفد القادم من الحج استقبلهم بطريقته الخاصة التي تنم عن جشعه الكبير حيث «**أخذ بغالهم وأموالهم مطالبا**

[1123]– لفيف عدلي أورده الأستاذ اللحية في رسالته" **الحياة الاقتصادية**"، ص. 241.

[1124]– بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة**، ص. 56.

[1125]– أبو ادريس، **قصة الهولندية ماريا تيرمتلن**، ص. 53.

[1126]– نفسه، نفس الصفحة.

إياهم بتقديم هدية، وأية هدية قبلها في آخر الأمر؟ لا يبلغ ثمنها سوى ثمانية مثاقيل، وهذا يبين منتهى الجشع والدناء» [1127].

3 – الإذاية والقهر:

حصد المجتمع المكناسي نتائج سوء تصرف بعض وجهائه وعدم تقديرهم للأمور بشكل جيد، إذ اتخذوا قرارات وعملوا على تطبيقها وفرضها على الناس دون مراعاة أثرها وانعكاساتها وخطورتها، دفع ثمنها الأهالي بشريا وماديا. ولعل أبرز فترة يتضح فيها هذا الأمر الفترة التي تلت وفاة المولى إسماعيل؛ حيث تعاقب على الحكم سلاطين كثر لعب بعض وجهاء مكناس دورا في عزل بعضهم ومبايعة البعض الآخر –سبقت الإشارة إلى هذه المسألة–.

وبسبب هذه الأدوار وما استتبعها من قرارات وتصرفات خاطئة انعكست سلبا على أوضاع المجتمع وأحواله. وكمثال على ذلك ما قام به الباشا سالم الدكالي في الصراع الذي اندلع بين المولى محمد ولد عربية والمولى عبد الله على السلطة، إذ كان من أشد معارضي هذا الأخير، فنجح في فرض رأيه ووجهة نظره على أهل مكناس وحتى على أهل فاس، ليدخل في مواجهة مباشرة مع المولى عبد الله انتهت بهزيمته وإعدامه سنة 1149هـ/ 1736م. وما يعنينا في هذا المقام أن تصرف الباشا جر على المجتمع المكناسي مصائب ونوائب ونقما، فحين تمكن السلطان من فرض نفوذه انتقم من سكان المدينة، حيث استولى على مكناسة الخراب والدمار، فتأزمت الأوضاع وتدهور المستوى المعيشي للسكان، إذ «**بلغ ثمن الوسق من الزرع ثمانين مثقالا، والشعير والذرة ما يقرب ذلك، وبلغت الزيت خمسة وعشرين مثقالا للقنطار**»[1128].

ثم جدد المولى عبد الله تضييقه على المكناسيين بسبب سوء تقدير بعض وجهائهم للأمور، حيث غضب منهم بسبب ما فعلوه مع زوجاته –سبقت الإشارة إلى ذلك– فوظف على سكان

[1127]– أبو مدين الدرعي، **رحلة**، م.و.م.م، ، رقم 297 ق، ص. 254– 255.

[1128]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 3، ص. 178.

المدينة وظائف كثيرة وثقيلة أرهقت كاهلهم حتى صاروا «**معه في مشقة عظيمة وجهد وحال شدة وبأس شديد**»[1129]؛ بل تمادى في التضييق عليهم بتسليط بعض معاونيه على أملاك المكناسيين «**فكانوا ينهبون ما يجدونه من الزروع وغيرها من الأثاث** (...) **كان العبد يأتي إلى الرجل يدخل عليه وهو في داره مع أهله، فتارة يقول له: سيدي أعطاني ابنتك زوجني بها فمكني منها، فيفديها منه بما شاء الله من المال من عشر أواقي إلى عشرين أوقية إلى عشرين مثقالا. وتارة يقول: سيدي أعطاني دارك هذه وملكنيها، قم فاخرج منها، فيفديها منه بما شاء من المال**»[1130].

نستشف من كل ما سبق؛ أن العلاقة التي جمعت بين الوجهاء وباقي مكونات المجتمع المكناسي اتسمت -في بعض الأحيان- بالسلبية والتباعد جراء السلوكات المشينة والممارسات القبيحة التي تبنوها، دفع ثمنها أهل المدينة.

[1129]- القادري، **نشر المثاني**، ج 4، ص. 25.

[1130]- نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

الفصل الخامس:

موقف وجهاء مكناس من التسرب الأجنبي إلى المغرب

كان المغرب من البلدان التي استهدفها النظام الإمبريالي، خاصة مع تمكن فرنسا من احتلال الجزائر سنة 1830م، فأصبح تحت مرمى سهام الدول الأوربية الطامعة فيه، الأمر الذي شكل ضغطا رهيبا على وحدته الترابية واستقرار أوضاعه السياسية.

اعتمد الأوربيون في هذا السياق على مجموعة من الآليات والوسائل التي تساعدهم على التغلغل والتسرب في مختلف مناطق المغرب حواضره وبواديه، مستهدفين التدخل في شؤونه تمهيدا لاحتلاله، من هذه الآليات: الحماية القنصلية والمشاريع الإصلاحية. وكانت مدينة مكناس من بين الحواضر التي تجلت فيها مظاهر التسرب الاستعماري. فما طبيعة آليات التغلغل الأجنبي ومظاهرها بمكناس ؟ وما موقف وجهاء المدينة من هذا التسرب؟ وما أبعاد آثاره على وضع الوجاهة داخل المجتمع المكناسي؟

المبحث الأول: الحماية القنصلية:

تعتبر قضية الحماية القنصلية[1131] من أهم القضايا التي عرفها المغرب وأخطرها خلال القرن 19م، نظرا لتهديدها أسس الدولة وبنيانها وآثارها الخطيرة على واقع الأمة ومستقبلها، استفحلت بشكل كبير في الحواضر الكبرى من ضمنها مدينة مكناس، التي شهدت انتشارا واسعا لهذه الظاهرة بين فئات المجتمع ساهم فيها تباين واختلاف وجهة نظرهم حولها، حسب ميولاتهم الفكرية وتأثير الأوضاع الاحتماعية؛ خصوصا في صفوف الصفوة والنخبة. ويحق لنا في هذا المقام طرح بعض الأسئلة من قبيل: ما هو موقف وجهاء مكناس من ظاهرة الحماية القنصلية؟ وما هي دوافع ومبررات المستظلين بمظلتها؟ وما هي الأدوار التي اضطلع بها المعارضون لها؟ وكيف كان تأثيرها على واقع الوجاهة بالمدينة؟

[1131]- هي نظام سياسي وقضائي كان يخول للقناصل والدبلوماسيين المعتمدين في بلد ما منح حماية دولهم لرعايا ذلك البلد؛ وبمقتضاه يعتبر الأفراد الذين يتمتعون بالحماية القنصلية غير خاضعين لقوانين بلدهم وغير ملزمين بأداء ما يؤديه السكان من ضرائب وتكاليف. اليوبي، **الفتاوي الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، ص. 455- 456.

أولا: موقف وجهاء مكناس من الحماية القنصلية:

لا بد في البداية وقبل الحديث عن وضع الحماية القنصلية بمكناس، نشير أن المحميين المغاربة كانوا يصنفون إلى خمسة أصناف[1132] وهم:

- ✓ المجنسون: هم في الأصل مغاربة اكتسبوا جنسية دولة أجنبية بالولادة أو بالزواج من الخارج، وكان المخزن يعدهم مغاربة كاملوا الحقوق.
- ✓ المحميون القنصليون: هم المستخدمون بالمفوضيات أو القنصليات ككتاب وتراجمة وأعوان.
- ✓ المحميون الاستثنائيون: هم التجار الذين أغلبهم من اليهود، كانوا يسمون كبار المحميين.
- ✓ السماسرة: هم مغاربة كانوا يتاجرون من الأسواق لمصلحة التجار الأجانب.
- ✓ الخلطاء: هم شركاء في الفلاحة، نالوا صفة المحميين على الأموال التي بين أيديهم لغيرهم، وليس من شخصهم.

كما نؤكد أن عدد المحميين المغاربة عرف تزايدا مستمرا كما يوضح الجدول التالي:

جدول 25: تزايد عدد المحميين من المغاربة

السنوات	عدد المحميين المغاربة
1858م	400
1885م	8000
1894م	20000

وفي هذا السياق؛ ضمت مدينة مكناس أعدادا مهمة من المحميين بمختلف أصنافهم المستظلين بمظلة الدول الأجنبية، يبينها الجدول الآتي[1133]:

[1132]- بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 420- 421.

جدول 26: أسماء وجهاء مكناس المنخرطين في الحماية الأجنبية

الدولة	أسماء وجهاء مكناس المحميون	نوع الحماية
الولايات المتحدة الأمريكية	ميمون بن هارون بن اللويري- شمويل بن اللويري- شمويل بن شلوم بن هروش	محميون استثنائيون
	الحزان شلوم عمار- مسعود عمار- ميمون عمار- إسحاق عمار- موسى عمار	محميون
	شلومو أفرياط- رفائيل المكناسي[1134]	محميون
اسبانيا	السعيدي بن الطيب غريط المدعو "كسكاس"	محمي
البرازيل	عبد السلام بن الطيب غريط	محمي وسمسار
إيطاليا	يعقوب أحنا	سمسار
فرنسا	مير بن موشي كوهين- شمويل بن اللويري	محميان
	يعقوب أحنا	سمسار
بلجيكا	حاييم بوطبول	محمي

نلحظ من خلال الجدول أعلاه؛ أن أغلب وجهاء مكناس المحميين هم من اليهود، في حين لا نجد من المسلمين سوى علمين ينتميان إلى بيت غريط. ويمكن تفسير ذلك لتقارب ثقافتهم مع الأوروبيين من خلال معرفتهم ببعض لغاتهم، أهلهم للاعتماد عليهم كمترجمين، ونضيف كذلك العلاقات المتينة التي ربطتهم مع يهود أوربا على المستوى التجاري، وما حظوا به من دعم وتشجيع الجماعات اليهودية الفاعلة والمؤثرة في أوربا خصوصا في بريطانيا[1135]، كما أن احتكارهم لتجارة

[1133]- اعتمدنا في تصنيف الجدول على: **الأرشيف التاريخي**، تطوان، زمام الناس المحميون، مجموعة 53/69، زمام أهل الحماية والسمسرة مجموعة 69/ 60، انظر الملحقين 16 و17. بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 1188- 1191.

[1134]- الملحق رقم 8.

[1135]- ابن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب**، ص. 31.

مكناس الخارجية[1136] جعلهم محط أنظار الأوربيين فوجدوا فيهم خير سند لتحقيق أطماعهم التوسعية في المغرب. إضافة إلى أن هناك عائلات احتمى أعلامها بالأجانب، وبعضهم كان متعدد الحماية.

لم تقف الحماية القنصلية عند هذا المستوى؛ فخلال العهد العزيزي استشرى أمر الحماية في مدن المغرب وبواديه ومنها مكناس، وهو ما عكسته الرسالة التي وجهها السلطان لمحتسب المدينة محمد بناني بضرورة إجراء إحصاء شامل ودقيق يهم المحميين من المسلمين واليهود، نظرا لأن «**الحماية كثرت بمكناس وتجاهر بها عدد كثير من الناس**»[1137]. وبعد تنفيذ المحتسب للأمر السلطاني توصل إلى تحديد أسماء الوجهاء وضعها في رسم عدلي[1138]، ارتأينا إدراجهم في الجدول التالي على أن نتولى التعليق عليه:

جدول 27: أسماء وجهاء مكناس المستظلين بمظلة الحماية الأجنبية وفق الرسم العدلي

الإسم	ديانته	الدولة الحامية	نوع الحماية	سبب لجوءه للحماية
محمد بن حجاج الدكالي	مسلم	البرازيل	محمي	ما لحق به الأذى
محمد بن بنعيسى الشباني	مسلم	بروسيا	محمي	ستر عرضه
عبد الله بن أحمد البخاري المدعو "الغول"	مسلم	انجلترا	محمي	لم يذكر السبب
علي السوسي	مسلم	فرنسا	محمي	ستر عرضه
مولاي سعيد بن عبد	مسلم	انجلترا	محمي	ستر عرضه

[1136]- اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر**، ص. 211.

[1137]- - بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة**، ص. 29.

[1138]- نفسه، صص. 30- 31- 32- 33- 34.

الله السوسي				
إبراهيم بن بلقاسم	مسلم	انجلترا	محمي	ستر عرضه
العرفاوي بن طونية العلج	مسلم	فرنسا	محمي	لحوق الأذى
أبو غالب احماد بن سعيد السوسي	مسلم	انجلترا	محمي	ستر عرضه
علي بن امبارك الدكالي ولد الطالية	مسلم	الولايات المتخدة الأمريكية	مخالط لبعض الأمريكيين	الأذى الذي لحقه من المخزن بمكناس
إدريس بن المكي العمري	مسلم	البرازيل	مخالط مع أحد البرازيليين	ما وقع له من الباشا بنعيسى بن حم
محمد بن محمد الدكالي الحمال	مسلم	إسبانيا	مخالط مع الإسبان	–
إدريس المنصوري	مسلم	إنجلترا	مخالط لإنجلترا	لحوق الأذى
محمد بن عمر النجار حرفة	مسلم	إنجلترا	مخالط مع طبيب انجليزي	لحوق الأذى
المختار بن الكورة الرباطي		–	نائب عن أحد التجار النصارى	لحوق الأذى
بنحيم ولد ذبيد بن عب	يهودي	فرنسا	محمي	لم يذكر السبب
حييم ولد شنطوب بوطبول	يهودي	إيطاليا	محمي	لم يذكر السبب
يوسف ولد يودة بردوك	يهودي	أمريكا	محمي	لم يذكر السبب

إسحاق ولد يعقوب الزراد	يهودي	البرازيل	محمي	لم يذكر السبب
إسحاق ولد حنا	يهودي	البرازيل	محمي	لم يذكر السبب
مرضوخ ولد ميمون بن هاروش	يهودي	فرنسا	محمي	لم يذكر السبب
بودة بن سطريت	يهودي	أمريكا	محمي	لم يذكر السبب
شلوم ولد يودة عطية	يهودي	البرتغال	محمي	لم يذكر السبب
يوسف ولد إبراهيم بوخريص	يهودي	إيطاليا	محمي	لم يذكر السبب
شنطوب ولد يوسف مريكي	يهودي	فرنسا	محمي	لم يذكر السبب
إسرائيل ولد حيم كويهن	يهودي	فرنسا	محمي	لم يذكر السبب
يعقوب ولد إبراهيم	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
ليساع ولد يحيى وأخوه يوسف	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
مرضوخ ولد يحيى	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
إسرائيل ولد يعقوب الرحوي	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
موشي ولد بودة عمار وأخوه إسحاق	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
إبراهيم ولد يعقوب	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب

هارون عطار	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
سوعة الزوفي	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
إسحاق ولد بروخ	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
ميرا مر يحيى	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب
يودي القبي	يهودي	غير محددة	محمي	لم يذكر السبب

نستخلص من الجدول أعلاه أن ظاهرة الحماية القنصلية عرفت انتشارا كبيرا، كرستها عدد من الدول الأجنبية في مقدمتها فرنسا وانجلترا وإيطاليا، حيث شملت أهل الجاه والحظوة من المسلمين بمدينة مكناس، مع استمرار تهافت اليهود للاستظلال بظلها. إلا أن الملفت للنظر هي المبررات التي قدمها المحميون المسلمون لتبرير انخراطهم في نظام الحمايات، والمتعلقة بالإذاية والضرر والتعسف الذي تعرضوا له من طرف ممثلي المخزن بمدينة مكناس، خاصة الباشا بنعيسى بن حم البخاري، من خلال إرهاقهم بتكاليف مالية. أما اليهود لم يحدد في الوثيقة التي استندنا عليها أسباب احتمائهم، ربما يرجع هذا الأمر إلى أنهم كانوا سباقين لطلب الحماية وما حصلوا عليه من مكاسب ومنافع، جعلتهم في منأى عن التعرض للأذى والمضايقة.

ومهما كانت المبررات التي قدمها المحميون، إلا أنه ينبغي التحفظ منها، وما ينهض قرينة بذلك أنهم ما إن أصبحوا محميين حتى حولوا الحماية من دفع الأذى عنهم، إلى وسيلة ظلم الناس عليهم «**فكان الواحد منهم لا يكاد يحصل على بطاقة المحمي، حتى يتطاول على الناس ويبسط يده ولسانه فيهم بالسوء، ويتجاسر على أولي الأمر عمالا وقضاة، ويتقيأ كل ما في جوفه من حقد خفي**» [1139]، إضافة إلى جشع بعضهم ورغبتهم في تحصين أملاكهم والعمل على

[1139]- ابن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب**، ص. 31.

تنميتها، فاتخذوا من الحماية القنصلية سبيلا لتحقيق مرادهم، لأنها تكفل لهم القيام بدور العميل لصالح الأجانب[1140].

وتمت تساؤلات تطرح نفسها في هذا المقام؛ كيف تعامل الوجهاء المحميون بمكناس مع هذا الوضع الجديد؟ وكيف وظفوا حماياتهم واستثمروها في تكريس جاههم؟ وكيف كان موقف الوجهاء غير المحميين منهم؟ وما موقف المخزن منهم؟

ثانيا: سلوكات وجهاء مكناس المحميين وممارساتهم الاجتماعية:

تمتع المحميون بمكناس مسلمين ويهود بامتيازات عديدة رفعتهم إلى درجة الحصانة والقوة داخل مجتمعهم، زادت من تكريس نفوذهم وتعزيز جاههم، وقد تمثلت تلك الإمتيازات في مجموعة من التسهيلات والإعفاءات ذات طابع قانوني منها: عدم جواز اعتقال المحمي إلا بعد إبلاغ القنصل أو نائبه، خضوع المحمي فيما يتعلق بخصوماته للقضاء القنصلي، وأخرى ذات طابع جبائي: عدم إلزام المحمي بدفع الضرائب على مختلف أنواعها، وهو امتياز استفاد منه اليهود، حيث وجدوها فرصة للتخلص من وضع أهل الذمة الذي يلزمهم بدفع ضريبة الجزية[1141]. وأخيرا ذات طابع اجتماعي تجلت في احترام المحمى وتوقيره وعدم التضييق عليه في معاشه وأهله وتجارته.

هذه الامتيازات أصبحت نافذة بقوة القانون بعد التصديق عليها في مؤتمر مدريد، خاصة الفصل الثاني «**هؤلاء المحميون لا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك**»، والفصل السادس «**أهل المحمي داخلون في الحماية أيضا، وله التوقير والاحترام في داره، ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره**»[1142].

[1140] - Charles de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc: (1883-1884)** , Éd. Challamel,, Paris,1888, p. 2.

[1141] – تركي عجلان الحارثي، «تغير وضعية اليهود في المغرب الأقصى في القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها»، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد 45- 46، 1993م، ص. 199.

[1142] – بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 1211 و1213.

إن هذه الامتيازات الكثيرة التي حصل عليها المحميون بفعل امتلاكهم لبطاقات الحمايات القنصلية، أهلتهم لاحتلال مواقع نافذة داخل المجتمع المكناسي، زاد في تعزيزها انتقاؤهم من طرف العديد من الدور التجارية والمصرفية الأجنبية أغلبهم من اليهود. وفي هذا السياق اختير اليهودي يعقوب أحنا المتلبس بالحماية الفرنسية نائبا لإحدى الدور التجارية الفرنسية المشهورة باسم "IRENE BRUN"، كما عين اليهودي طوليدانو المحتمي بفرنسا كذلك وكيلا للبنك الفرنسي "عبر المحيط" TRANSATLANTIQUE، واليهوديان يعقوب بن إلياه حضيضة المكناسي وحاييم بن حمين الخريف ممثلا دار التاجر الألماني "رشيط"، ثم اليهودي اليسع بن عطية المكناسي وكيلا للدار الألمانية "أنكيط"[1143]. فصاروا يحظون بالتقدير والاحترام، لكنهم أساؤوا استثمار ذلك بشكل إيجابي، حيث استطالوا على قوانين بلدهم وتمادوا في ممارسات شنيعة وسلوكات فظيعة بلا حسيب ولا رقيب، فعلى حد تعبير أحد الباحثين «**صارت لهم دالة، وأصبحوا لا يعبأون بسلطة المخزن وأحكامه، ويتصرفون بكل حرية في رعايا السلطان، و لا يتقون عاقبة أو يخشون أمرا**[1144]». ويمكن استعراض تلك الممارسات والسلوكات من خلال صور وأشكال نقتصر على نماذج منها:

1 – التجاسر على كبار موظفي الدولة:

ارتكب بعض وجهاء المجتمع المكناسي المحتمين بالدول الأجنبية تجاوزات كثيرة تمثلت في تحديهم للمسؤولين المخزنين بالمدينة غير مكترثين بسلطتهم، ولا مبالين بالجهة التي يمثلونها، فهذا الذمي رافائيل المكناسي المستظل بمظلة الحماية القنصلية كان «**لا يعطي شيئا في الأبواب**

[1143] – اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 211- 212.

[1144] – اكنينح، **آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر**، ص. 148.

والمستفادات »[1145]، وأفرط بإمعان في سلوكه المعيب، لم ينجح باشا مكناس إدريس بن محمد في إيقافه عند حده وإلزامه بدفع ما يجب عليه.

بل وصل الأمر ببعضهم إلى سب وشتم موظفي المخزن من الوجهاء أما الملأ والتشنيع بهم وتعريضهم للإهانة والاحتقار، وكمثال نستشهد به في هذا الباب ما قام به الذمي مير بن موشي كوهين المرتبط بالحماية الفرنسية، حيث جاء في رسالة سلطانية وجهها المولى الحسن إلى وزيره محمد بركاش[1146] بتاريخ 26 جمادى الثانية 1297هـ/ 4 يونيو 1880م، حيث «**هجم على محتسب مكناس ودخل عليه للمحل المعد للأحكام المخزنية هو ويهودي آخر، وتهدد عليه وأغلظ له في القول وسبه وسب أصحابه وذلك بمرأى ومسمع من جماعة الناس**»[1147].

لا جرم أن هذه الواقعة شكلت تحديا صارخا لهيبة المخزن وسمعته، وهذا ما نستشفه من تعليق المولى الحسن على هذه الواقعة بالقول «**إن الإغضاء عنه يجرئ أمثاله على التجاسر على الحكام، ويؤدي إلى انحلال عرى الإحكام**»[1148]، دون أن يكون قادرا على ردعه وزجره.

وفي السياق نفسه؛ دخل الذمي يعقوب أحنا في مواجهة مباشرة مع المحتسب محمد بن العربي أجانا بسبب اعتراض هذا الأخير على ممارساته الاستغلالية المتمثلة في الاحتكار، لكنه فشل في التصدي له ولجم إذايته، وبسبب موقفه اعتدى عليه أمام منزله وقال له «**لا يحكم عليه**

[1145]- م.و.م.م، رسالة السلطان المولى الحسن للباشا القائد إدريس بن محمد، بتاريخ 13 جمادى الأخيرة 1294هـ/ 24 يونيو 1877م. انظر الملحق رقم 8.

[1146]- هو محمد بن عبد الرحمان بركاش، أندلسي الأصل الرباطي النشأة، ولد سنة 1225هـ/ 1810م، تدرج في المناصب الرفيعة، من عامل على مدينة الدار البيضاء إلى نائب السلطان في الشؤون الخارجية المقيم بطنجة مدة ثلاثين سنة، كان ممثلا المغرب في المؤتمر الدولي حول الحمايات القنصلية بمدريد. توفي سنة 1303هـ/ 1886م. للمزيد انظر: بن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد**، ص. 20- 21.

[1147]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 437.

[1148]- نفسه، نفس الجزء، ص. 437.

لا هو والسلطان، وأفحش في القول»[1149]، مستغلا بطاقة الحماية الفرنسية التي شكلت مظلة احتمى بها.

كما تجرع باشا مكناس حم بن الجيلاني كأس إذاية يعقوب، الذي اعتمد هذه المرة على ابنه أبراهام المتلبس بالحماية الإيطالية، حيث نجح في تشويه صورة الباشا في أعين السلطان الذي كتب رسالة يلومه فيها، مستخدما عبارات قاسية، منبها إياه بضرورة لزوم اختصاصاته، ثم ما لبث أن تجدد الصراع بينهما في عهد المولى عبد العزيز، حيث اشتكى الباشا للصدر الأعظم أحمد بن موسى لاستطالته وطغيانه على خاصة يهود الملاح وعامته.

2 – التعدي على أهالي مكناس:

لم تسلم فئات المجتمع المكناسي من تعسف المحميين وفسادهم من خلال نهجهم لأساليب منكرة ومعيبة منها نذكر منها:

أسلوب الخداع والمخاتلة في البيع والشراء الذي مارسه المحميون المغاربة عموما والمكناسيون على وجه الخصوص في حق الأهالي غير المحميين، وكمثال على التلاعب والمراوغة ما جاء في محضر الاجتماع الذي عقد بمدينة طنجة بتاريخ 30 رجب 1296هـ/ 19 يوليوز 1879م، والتي توضح بعض طرق الاحتيال التي نفذها بعض التحار من أهل الحمايات: عند تنظيم مزاد لبيع الجلد، يسعى المحمي إلى الاستفادة من البضاعة بأقل ثمن ممكن، فيلجأ إلى حيلة لإقناع البائع من خلال رفعه للثمن، وعندما تتم الموافقة يقترح على هذا الأخير إبقاء البضاعة عنده إلى المساء – وهنا مكمن الحيلة–، فحين يحل موعد التسليم، يدعي المحمي بأنها فاسدة لا تستجيب للمواصفات المتفق عليها، ليدخل الطرفان في نزاع كبير، ينتهي بإحالة القضية للقاضي الذي يحكم لصالح البائع، وهنا يغضب المحمي فيشهر بطاقة الحماية التي يستظل بها، عندئذ «**يعلن القاضي**

[1149]– مقتطف من الرسالة التي بعثها المحتسب محمد آجانا إلى السلطان المولى الحسن، حول نزاعه مع الذمي يعقوب أحنا. انظر الرسالة كاملة: اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، ص. 260– 261.

عجزه عن إرغام السمسار، لأن هذا الأخير غير خاضع للقضاء المحلي، فيغضب البائع ويحاول الانتقام، فيمنعه القاضي تجنبا لإثارة مشكلة مع السلطة القنصلية الحامية للسمسار، فيضطر البائع المسكين (...) إلى الرضوخ لمشيئة السمسار الذي يخفض الثمن »[1150].

- أسلوب المعاملة الربوية: اعتمد هذا الأسلوب بشكل كبير المحميون اليهود، إذ كانوا يقرضون سكان مكناس وأحوازها المال بالفائدة، وهي ممارسة متجذرة في الذهنية اليهودية، إذ شاع بينهم مقولة «**إذا أردت أن تقتل الأجنبي بغير أن يثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا**»[1151]. الأمر الذي انعكس سلبا على المقترضين خاصة وأن استفحال هذه المعاملة كانت ترتبط بالظروف الصعبة أيام الجفاف وندرة الغذاء.

ورغم تحريم الإسلام لهذه المعاملة إلا أن التجار المحليين كانوا يستخدمون حيلا ودسائس بكل الطرق حتى يعطوا –متوهمين– شرعنة لممارساتهم، من بين هذه الحيل:ما جاء في تقرير مساعد القنصل البريطاني المقيم بفاس سنة 1893م والذي كان نفوذه يمتد إلى مكناس وباديتها، أكد فيه أن المعاملة بالربا منتشرة بشكل كبير في المدينتين وعموم مناطق المغرب مع أن الشرع الإسلامي يحرمها تحريما قاطع، فكان المحميون يتبعون طريقة ملتوية تجلت في «**أن يشتري المستقرض من المقرض سلعا، كالسكر أو القطن، على أن يدفع ثمنها بعد أجل ولكن بسعر يفوق سعر السوق بثلاثين إلى خمسين في المائة. ويوثق الدين بعقد لدى الكاتب العدل، وحين إذن يبيع المستقرض هذه السلع بالمزاد ويغلب أن يبيعها للمقرض نفسه بسعر السوق، فيقوم فرق السعر مقام الفائدة** »[1152].

[1150]– كريدية، **الحماية أصلها وتطوراتها حتى مؤتمر مدريد سنة 1880م**، ص. 21– 22.

[1151]– روهلنج–شارل لوران، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة يوسف حنا نصر الله، دراسة وتقديم حجازي السقا، مكتبة النافذة، الجيزة، الطبعة الأولى،2003 ،، ص 150.

[1152]– مكسيم رودنسون، **الإسلام والرأسمالية**، ترجمة نزيه الحكيم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، 1982، ص. 55.

نستخلص إذن؛ أن التجار المحميين مارسوا صنوفا شتى من الممارسات المنكرة في حق المكناسيين ألحق بهم أذى كبيرا، لم يجدوا سبيلا سوى الإستغاثة بالسلاطين الذين كانوا بدورهم مكبلين أمامهم بحكم امتلاكهم لبطاقات الحمايات القنصلية.

وزيادة على ما ذكر؛ تطاول الوجيه السعدي بن الطيب غريط على أهل مكناس مستغلا احتمائه باسبانيا، ومخالطته وتعامله مع أبرز تجار مدينة العرائش اليهوديان شلومو النظام وشلومو بن يهودة الصراف[1153]، فبالغ في تجاوزاته وأفرط فيها منها: أكل أموال الناس بغير حق، وهضم حقوقهم والتضييق عليهم والتنكيل بهم، ووصل به الطغيان إلى قتل إمراة عن طريق الضرب المبرح والشديد –سبق أن أشرنا إلى هذه التصرفات في المبحث المتعلق بعلاقة الوجهاء بالمجتمع المكناسي– وبفضل حمايته لم يتعرض للعقاب أو على الأقل التأنيب، فعلى العكس تفضل عليه السلطان المولى الحسن بتعيينه ناظرا لبعض أحباس مكناس.

وعلى نفس النهج سار الذمي المحمي مير بن موشي المذكور الذي «**تعدى طوده وحده واستعمل في الترامي على الناس والجسارة عليهم جهده، وصدرت منه أفعال شنيعة، وأمور فظيعة، وصار يتهدد على الناس بالحديد ويبدئ في الهجوم عليهم ويعيد** »[1154].

3 – التطاول على المقدسات:

أسرف المحميون بمكناس في تجبرهم واستبدادهم وعثوهم لم تسلم منهم حتى المقدسات مثل الأملاك الحبسية، حيث رغبوا في الإستفادة منها بطريقة تعسفية، وهكذا كانوا يقومون باستئجار عدد من المرافق والأملاك الموقوفة دون الإلتزام بالواجبات والتكاليف المقابلة للإستغلال، ومما شجعهم على هذا السلوك المشين ما نص عليه مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م في الفصل 63 «**بأن بعض الأملاك المخزنية المحبسة وبعض أملاك الدولة وعلى الخصوص منها بعض**

[1153]– بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 1189.

[1154]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 436- 437.

الأملاك المباشر شغلها مقابل وجيبة يبلغ مقدارها 6 في المائة توجد حاليا في قبضة رعايا أجانب »[1155]. ويوضح الجدول التالي بعض أسماء المحميين المكناسيين الذين استطالوا على الأملاك الوقفية دون أداء الواجب[1156]:

جدول 28: أسماء وجهاء مكناس المتجاسرين على الأملاك الوقفية

الدولة الحامية	إسم المحمي	عدد الأملاك الحبسية التي يستغلها دون دفع ما عليه
فرنسا	الهادي بوطريقة	خمسة أملاك
	الشريف سيدي محمد الكرزازي	ملك واحد
	محمد بن الكورة	خمسة عشر ملكا
	التهامي بناني	خمسة أملاك
	محمد العلمي	سبعة أملاك
	ميمون بن عبو	ملك واحد
	عبد القادر بنجلون	ملك واحد
	أحمد السرغيني	ملكان
اسبانيا	محمد الغريسي	ملك واحد
	سعيد السوسي البقال	تسعة أملاك
	محمد بوعياد	ملك واحد
	إسحاق الزراد	ملك واحد
	شلومو بن حاييم	أربعة أملاك

[1155]– **مجلة الوثائق**، المطبعة الملكية، الرباط، 1977م، المجموعة الرابعة، ص. 35.

[1156]– اعتمدنا في تصنيف الجدول على بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة التأسيس– البنيات الادارية**، ص. 36.

نستخلص من الجدول أعلاه؛ مدى الإستخفاف الكبير للمحميين بحرمة الممتلكات الحبسية واستهتارهم بالواجبات المفروضة عليهم، والتي طالما نظر إليها بهالة من الاحترام والتعظيم لارتباطها بالدين الإسلامي. كما لفت انتباهنا وجود بعض الشرفاء المتطاولين على تلك الممتلكات، الأمر الذي يثبت الانعكاسات الخطيرة لظاهرة الحماية القنصلية.

ثالثا: موقف وجهاء مكناس المناهض للحماية القنصلية:

وأمام استبداد المحميين وشططهم في استغلال حماياتهم، برزت مواقف لافتة مجابهة ومنتقدة لقضية الحماية القنصلية، وما ارتبط بها من تصرفات حامليها التعسفية وممارساتهم المجحفة ضد العناصر المغربية غير المحمية، ما فتئ السلاطين يعبرون عن رفضهم لها بشكل واضح وصريح انطلاقا من مسؤولياتهم السياسية، وأعيان العلماء لما تمليه عليهم وظيفتهم الشرعية. وفي ثنايا هذه المواقف المتناغمة والمنسجمة بين الطرفين؛ برز بعض وجهاء المجتمع المكناسي من خلال اضطلاعهم بأدوار مهمة في إطار صياغة تلك المواقف الرافضة للحماية الأجنبية وتنزيلها على أرض الواقع، وفي مقدمة هؤلاء الوجهاء نجد كبار رجال الجهاز المخزني المحلي.

1 - موقف المخزن ووجهاء المغرب من ظاهرة الحماية القنصلية:

لقد أدرك السلاطين وخدامهم من وجهاء مكناس خطورة الحمايات على سيادة البلاد، خصوصا وأن الدول الأوروبية دخلت في «**سباق كبير فيما بينها لمنح الحماية بطرقها المنصوص عليها وغير المنصوص عليها في المعاهدات والاتفاقيات، حتى ولو كان تمثيلها فيه رمزيا**»[1157]، فأصبح وضع البلاد يتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار. وعموما كانت الحماية القنصلية «**تشكل من الداخل على الدولة خطرا يسهل على المتربصين بها، دوائر السوء، ما يبيتون لها من مكايد وينصبون للإيقاع بها من فخاخ**»[1158].

[1157] - **مجلة تاريخ المغرب**، العدد الثاني، السنة الثانية، أبريل 1982م، ص. 136.

[1158] - **مجلة الوثائق**، المطبعة الملكية، الرباط، 1977، المجموعة الرابعة، ص. 29.

هذا الإدراك تجسد فعليا في الرسالة التي وجهها السلطان محمد بن عبد الرحمن للوزير محمد بركاش بتاريخ 28 شوال 1279هـ/ 17 أبريل 1863م، والشاهد فيها «**فقد اتسعت دائرة الحماية وصار يسارع للدخول فيها كثير ممن كان متبوعا بحق أو جنا جناية (...) فحصل الضرر لبيت المال وللرعية بسبب ضياع حقوقهم المرعية**»[1159].

عزز هذا الموقف المولى الحسن في رسالته للوزير المذكور بتاريخ 9 جمادى الثانية 1297هـ/ 18 ماي 1880م حيث أشار أنه «**فمما ينبغى التنبه له والتيقظ في أمره كون المحميين إذا خرجوا من الحماية ربما لا تنحسم المادة بينهم وبين من كان حاميهم لما عسى أن يبقى حكم الحماية منسحبا بعد خروجهم منها ظاهرا لانطواء ضمائرهم على ذلك من الجانبين، فيدعى الحامى أن المال الذى بيد الخارج من حمايته هو له، أو أنه شريك له في التجارة أو نحو ذلك** »[1160].

كما تصدى علماء المغرب وفقهائه لظاهرة الإحتماء بالأجنبي، وفي هذا الشأن ألفوا مؤلفات واستصدروا فتاوى أجمعوا من خلالها على تحريم الحمايات[1161]، منبهين على خطورتها على الأمة.

فضلا؛ عن الرفض الشعبي للحمايات وتزايد نفوذ الأجانب بالمغرب، والذي يفسر بالإحساس العام لدى السكان بتدخل أجسام غريبة في وطنهم بغية إفساده وتأزيم أوضاعه[1162]، ومما زاد في تكريس هذا الكره والبغض سلوكات المحميين المتسمة بالجشع والتلاعب والظلم والابتزاز

[1159]- **مجلة الوثائق**، ص. 183- 184.

[1160]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 2، ص. 489.

[1161]- نذكر منهم: علي السملالي، **رسالة في الجهاد**، م.خ.ح، رقم 30. جعفر الكتاني، **الدواهي المدهية للفرق المحمية**، تقديم وتحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني والحسن بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ/ 2005م.

[1162]- عبد الإله الفاسي، **مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830- 1912م**، منشورات جمعية رباط الفتح، مطابع الأطلس، الراط، 1996م، ص. 247.

واستغلال حاجات الناس خاصة في فترات الأزمات والمحن، فتولد نفور كبير ومجافاة شديدة تجاه المحميين من المغاربة ومن ورائهم الأوربيين.

2 - موقف وجهاء مكناس المعارض لظاهرة الحماية القنصلية:

وانسجاما مع كل هذه المواقف وتفاعلا معها؛ ساهم أغلب وجهاء مكناس مساهمة فاعلة في مواجهة ظاهرة الحماية القنصلية، تحت إشراف مباشر وتكليف شخصي من السلاطين على اعتبار أنهم لا يملكون الاستقلالية في اتخاذ القرار، وفي بعض الأحيان بطلب من الأهالي المتضررين من تجاوزات المحميين وطغيانهم. ومن خلال استقرائنا للوثائق المخزنية -في حدود المطلع عليها- يمكن رصد وتتبع وتلمس مساهمة بعض وجهاء مكناس من خلال الأدوار التي أنيطت بهم، نوردها على الشكل الآتي:

2-1- القيام بإحصاء وتسجيل أسماء المحميين:

حرص السلاطين العلويون في إطار مجابهتهم لظاهرة الحماية الأجنبية على تعداد المحميين المنتشرين في مدن المغرب وبواديه، مولين لعملية الإحصاء أهمية بالغة لأنها توفر لهم معطيات تساعدهم على تحديد حجم الظاهرة وترصدها عبر أرقام، مما يمكن المخزن من امتلاك قاعدة بيانية يرتكز عليها في تدبير سياسته تجاه المحميين من خلال اتخاذ قرارات مناسبة. ومن الحواضر التي طبق فيها نظام الإحصاء نجد مدينة مكناس، نقتصر على ذكر نموذجين:

- النموذج الأول: أشرف باشا مكناس حم بن الجيلالي بأمر من السلطان المولى الحسن على مهمة ترصد ظاهرة الحمايات بالمدينة، فعقد اجتماعا دعا فيه الأعيان والوجهاء للحضور بين يديه، وكان موضوع الاجتماع هو الاستفسار عن مدى ارتباطهم بحمايات الدول الأجنبية، فأجابوا بمحضر العدول والشهود على استفهامه، ودون محضر الاجتماع في رسم عدلي مؤرخ

بأوائل صفر 1297هـ/ 13 يناير 1880م، ومن خلال اطلاعنا على الرسم[1163]؛ نلحظ أن المستجوبين صنفوا إلى ثلاثة أصناف:

- ✓ الصنف الأول مثله أعيان الأسواق، الذين أكدوا أن لا أحد منهم محمي من الأوربيين.
- ✓ الصنف الثاني هم أعيان أهل المدينة، أجابوه أنهم لا يعلمون أحدا عنده شيء من ذلك.
- ✓ الصنف الثالث تجار أهل الذمة الذين بلغ عددهم عشرة، تبرأ منهم ستة من الإحتماء بالأجنبي، في حين أجاب أربعة منهم أنهم مستظلون بمظلة الحماية.

ومما يستلفت النظر في هذا الرسم أن هناك عائلة مكناسية وجيهة خصها الباشا بسؤاله من دون العائلات الأخرى هي عائلة غريط، حيث سئل أحد أعلامها المحتسب الطيب غريط الذي أكد بأن ولده السعيدي بينه وبين النصارى مخالطات ويتوفر على بطاقة الحماية الاسبانية. ويمكن تفسير هذا التخصيص لتلك العائلة بالخطأ الذي ارتكبه وزير الخارجية محمد بركاش سنه 1876م، ذلك أنه لما قدم ممثل اسبانيا إلى هذا الوزير لائحة المحميين المغاربة، لم ينتبه لورود اسم السعيدي فيها، فتعرض بسبب هفوته لتأنيب السلطان المولى الحسن، منبها إياه بضرورة الحزم والضبط، و هو ما عكسته الرسالة التي بعثها الحاجب موسى بن أحمد إلى الوزير بتاريخ 1 ذي الحجة 1293هـ/ 18 دجنبر 1876م والشاهد فيها «...**فقد كتبنا لك في شأن قضية السعيدي غريط، وإلى الآن لم يرد علينا جوابك عنها...**»[1164].

جدول 29: أسماء وجهاء مكناس الذين استدعوا لتنفيذ الأمر السلطاني

أسماء الوجهاء المستجوبين	انتماءاتهم	عددهم
*الناظر السيد الحاج محمد بن عمور – السيد حاج عبد الكريم بناني – السيد الحاج العربي التراب – السيد محمد	وجهاء مكناس	04

[1163]– رسم عدلي فيه استفسار عن المحتمين بالدول الأجنبية وغير المحتمين بها في مكناس. انظر الملحق رقم 9.

[1164]– بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، ص. 1189.

بن الفقيه *السيد الحاج قاسم الصفار . السيد العربي ابن الطالبة . السيد أحمد بنونة		03
*السيد عبد الخالق بن عبد الواحد الأزرق – الحاج عبد الله بن شقرون . السيد الهادي اعرب – السيد الحاج عبد الرحمان السوسي. *قاسم بن حمادي التازي – السيد محمد الهداني – الحاج عبد الله بن الحاج بوبكر باركاش الرباطي – الحاج الجيلاني بن الحاج ابراهيم عوفير * المختار بن عبد القادر سليطان الرباطي – الحاج التهامي بناني الفاسي	أهل قسارية البز	04 04 02
*الأمين السيد الطاهر بن شمسي – السيد المهدي بن عزوز – الحاج علي الغريسي– الحاج عبد الغاني غازي الفاسي *السيد محمد ملبطين الرباطي – الحاج محمد ابن عزوا – السيد الطاهر مكوار نيابة عن نفسه وعن إخوانه.	العطارين	04 03
*السيد علال بن شقرون – السيد عبد الله الفلوسي – السيد أحمد المزوري – السيد الطاهر ابن حليمة	أهل سوق السباط	04
*الحاج عبد الله الكامل – المكي ابن كريشة– الحاج الحسين ابن عزوز– قاسم الفلوسي – أحمد بن الحاج محمد الداودي *السيد عبد الرزاق الفاسي – العساوي بن أحمد القباب– السيد محمد بن أحمد الطنجوي	قيسارية الحائك	05 03

*أمينهم الطيب علي الجراوي – سيدي حسان بن عبد الرحمان الهلالي	أهل الجوطية	02
*السيد محمد بن الكبير ابن الغازي – الحاج المدني بن الغازي . السيد الهادي ابن يحيى – الحاج الطيب غرنيط	أهل سوق السقاطين	03
*الحزان يعقوب بردك– شيخهم يحي لباطون *التاجر يعقوب مردوخ ابن هروش – التاجر يحي الدرعي – موشي الشودري . يشوع الشودري	أهل الذمة الذين لا حماية لهم	02 04
*ميمون بن هارون ابن الويري عمار – شمبيل بن الويري – يعقوب اوحنا ابن روبيل. *شمويل ابن شلوم ابن هروش	أهل الذمة الذين ادعوا الحماية	03 01

نستنتج من الجدول أعلاه؛ أن أغلب المستجوبين أكدوا أنهم لا يتوفرون على بطاقة الإحتماء، فمن أصل 51 شخصية وجيهة أجاب فقط خمسة منهم أنهم محميون، وهو عدد قليل. ما لبث أن ارتفع بشكل مهول وصارخ مع مطلع القرن 20م، وهو ما أثبتته اللائحة التي أعدها محمد بناني بأمر من السلطان المولى عبد العزيز 1319هـ/ 1901م –سبق حديثنا عن هذا الإحصاء– حيث وصل عدد الوجهاء المستظلين بمظلة الحماية القنصلية إلى 38 محمي من مسلمين ويهود.

- النموذج الثاني: كلف المولى الحسن باشا مكناس بإحصاء المحميين المرتبطين بإسبانيا وإنجلترا بالمدينة، وإرسال التقرير إلى نائب الشؤون الخارجية بطنجة محمد بركاش، وهذا ما جاء في الأمر السلطاني إلى الوزير المذكور، الشاهد فيه «**تقييد أسماء من هو في حماية النجليز**

واسبانيا بفاس ومكناس وتوجيههم إليك، لتعرف باشدور الجنسين المذكورين بما يزعمه أولئك عنهما»[1165].

وعليه؛ نستشف مدى مساهمة بعض وجهاء مكناس المكلفين بمهام رسمية في ضبط حركية الحمايات داخل المدينة، ومن شأن تلك المساهمة أن تتيح إمكانية تتبع وترصد ظاهرة الإحتماء بالأجانب.

2-2- تشديد المراقبة والضغط على المحميين:

بعد استفحال الحماية وتفاحش عدد وتصرفات المحميين بالمغرب عموما ومكناس على وجه الخصوص، قرر المولى عبد العزيز التدخل لمواجهة تلك الظاهرة، فاتخذ مجموعة من التدابير والإجراءات كان لبعض وجهاء المدينة دور بارز في تنفيذها والسهر على تطبيقها، ففي 23 صفر 1313هـ/ 14 غشت 1895م أصدر السلطان تعليماته في شكل ضابط عدلي ينظم العلاقة بين التجار الأجانب والرعايا المغاربة الحاملون لصفة "مخالط"، وجهه لقضاة البلاد من ضمنهم قاضي الحضرة أحمد بن سودة، إذ أمره بتنفيذ مضمونه من خلال قوله «**فنأمرك أن تحضر مع الباشا حين يستدعيك لتأسيس هذا الضابط المذكور عند ظهور أحد من تجار الأجناس بقصد إرادة المعاملة مع الناس، وتحضروا تجار مكناس حرسها الله من مسلمين ويهود وعراف الحرف، وتقرروا لهم أمره (....) ومن خالف منهم تلزمه العقوبة الشديدة، وخذ في ذلك بالحزم ورد البال والتيقظ وعدم التساهل** »[1166].

وفي السياق نفسه؛ أصدر السلطان المذكور أوامره إلى أمناء الصائر بمكناس بتاريخ 5 رجب 1318هـ/ 29 أكتوبر 1900م بمنع الولاة والباشاوات من التعامل مع التجار الأجانب والمحميين، لأنهم يوظفون بشكل سيء لتسهيل ترويج بضائعهم واستغراق ذممهم، ومما جاء في

[1165]- **مجلة الوثائق**، مديرية الوثائق الملكية، المجموعة السادسة، المطبعة الملكية، الرباط، 1408هـ/ 1987م، ص 146.

[1166]- ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 2، ص. 52.

الرسالة «**خدامنا الأراضين أمناء صائر السعيد بمكناس (...) نأمركم أن تحضروا مع وصيفنا القائد بنعيسى وعدلين مبرزين، حيث يجتمع التجار واليهود بأساقفتهم وأعيانهم، لتجديد الإسترعاء عليهم، بأن من خاطر منهم بمتاعه وأعطاه لأحد من المذكورين، فدركه على نفسه، وخطيئته لرأسه، سواء كان محميا أو غيره، ولا يسمع له فيه كلام، بل يعود عليه بمزيد ملام**» [1167].

صفوة القول؛ يمكن التأكيد على أن قضية الحمايات قسمت وجهاء المجتمع المكناسي إلى فريقين، ففي الوقت الذي ارتمى بعضهم بين أحضانها مستغلا حمايته أسوأ استغلال، من خلال نهج ممارسات وسلوكات منكرة مطبوعة بالظلم والجور والتعسف، فضل الأغلب الأعم مواجهتها والعمل على إسقاطها، لما تشكله من خطر حقيقي على مصالح البلاد العليا، فانخرطوا في أدوار ومهام كانت تروم التضييق على المحميين قدر المستطاع. وعلى العموم شكلت الحماية القنصلية كإحدى وسائل التسرب الأجنبي بمكناس نقطة خلاف بين وجهاء المدينة وأعيان نخبتها.

المبحث الثاني: موقف وجهاء مكناس من المشروع الإصلاحي الفرنسي لسنة 1905م:

شكل أسلوب الإصلاحات أحد الآليات التي اعتمدتها الدول الأوروبية بالمغرب للنيل منه تمهيدا لاحتلاله، وفي هذا الإطار قدمت فرنسا للسلطان المولى عبد العزيز تحقيقا لمصالحها مشروعا للإصلاحات سنة 1905م، استهدفت منه فرض نوعا من الحماية على المغرب[1168]. وهكذا تولى سفيرها سان روني طياندي Saint René Taillandier مهمة تسليم السلطان نسخة من المشروع حوى جملة من الإجراءات تخدم مصالح بلاده، قصد الحصول على توقيع الموافقة، لكن

[1167]- رسالة السلطان المولى عبد العزيز إلى أمناء الصائر بمكناس، و.خ.ح، رقم 3/420، بتاريخ 5 رجب 1318هـ/ 29 أكتوبر 1900م.

[1168]- علال الخديمي، «مجلس الأعيان ومشروع الإصلاحات الفرنسية بالمغرب سنة 1905 »، ضمن أعمال الأيام الدراسية من 6 إلى 9 رجب 1404هـ/ 20 إلى 23 أبريل 1983، في موضوع: **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1407هـ/ 1986م، ص. 259.

أمله قد خاب، حيث أرجأ السلطان الرد إلى حين انعقاد اجتماع "مجلس الأعيان"[1169] الذي كان قد شكله يوم 20 دجنبر 1904م، خصوصا بعد إصدار علماء فاس فتوى طالبوا فيها بوجوب مناهضة نفوذ الأجانب بالمغرب، لأنهم حسب تعبيرهم «**هم سبب همومنا، وإليهم يرجع تأخرنا وفوضانا، وصراعاتنا الداخلية، وفقدان استقلالنا وخرابنا، فأي نفع أتونا به، وما هي العلوم الجديدة التي علمونا، وماهي المكاسب التي جنيناها من هذه العلوم، في حين يمكن الاستغناء عنهم**»[1170].

لقد كانت مهمة المجلس مناقشة المشروع الإصلاحي الفرنسي، ضم في عضويته 40 شخصية نافذة تنتمي إلى مختلف مناطق المغرب –مع استثناء المنطقة الشرقية نظرا لما كانت تعرفه من أحداث بسبب فتنة بوحمارة– يمثلون مختلف الفئات الاجتماعية من علماء وقضاة وشيوخ الزوايا وتجار[1171].

قام السلطان بتوجيه الدعوة لأعضاء المجلس «**بقصد اجتماعهم على المفاوضة في علاج هذا الأمر المهم، والخطب العارض الملم، لتكون المشاورة فيه بين جميع أعيان الرعية**»[1172]، منبها إياهم بضرورة أخذ القضية على محمل الجد، إذ خاطبهم بقوله «**فمن ظهر له شيء فليكتبه، فأنتم والوزراء سواء في هذا الأمر، ومن أراد أن يتكلم فليتكلم، فكلنا سواء، وهذا هو العمل والمعول عليه**»[1173]. ونتساءل: ما الأدوار التي نهض بها وجهاء مكناس في هذا المجلس؟ وكيف كان موقفهم من المشروع الفرنسي؟

[1169]– اعتبر علال الفاسي تشكيل المجلس نواة صالحة للتطور الدستوري بالمغرب. علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة السادسة، 2003م، ص. 106.

[1170]– عبد السلام حيمر، إشكالية التحديث في الفكر الاجتماعي المغربي (1844– 1912م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1990– 1991م، ص. 439.

[1171]– حيمر، إشكالية التحديث في الفكر الاجتماعي المغربي، ص. 440.

[1172]– علال الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851– 1947م: دراسات في تاريخ العلاقات الدولية**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006م، ص. 37.

[1173]– المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 2، ص. 209.

عند عقد أول اجتماع بين أعضاء المجلس والسفير الفرنسي، حاول هذا الأخير ممارسة الضغط من خلال استخدام أسلوب الترهيب والابتزاز لضمان موافقة الأعضاء على توصياته، فخاطبهم بالقول «**إنما أنتم صرتم من دولتنا، وسلم جميع الأجانب التصرف لنا بالمغرب، وإن لم تساعدوا على الشروط المطلوبة، فإن يد الفرنسيس طويلة عليهم**»[1174].

وفي هذا الصدد؛ بذل وجهاء مكناس جهودا كبيرة في التصدي لهذا المشروع، في مقدمتهم شخصيتين بارزتين: الصدر الأعظم المفضل غريط وقائد المشور ادريس بن يعيش، فالأول اختير منزله ليكون مكانا لعقد الاجتماعات[1175]، وهو اختيار له دلالة كبيرة، إذ كان صاحبه يحظى بمكانة مرموقة عند المولى عبد العزيز، إذ كان من خاصة مقربيه يستشيره في القضايا الصعبة، فضلا عن تجربته وخبرته في التعامل مع الأوربيين، اكتسبها من توليه منصب وزير مكلف بالشؤون الخارجية، وما اتصف به من حنكة وكياسة ولباقة وحضور البديهة، بشهادة السفير كابرييل الذي زار المغرب سنة 1885م[1176]، كلها عوامل تفسر ذلك الاختيار.

أما الثاني فكان المنسق العام للاجتماعات، وهي مهمة جسيمة وحساسة، على اعتبار أن نجاح اللقاءات التفاوضية يتوقف بدرجة كبيرة على الشخص المكلف بالإعداد والترتيب، خاصة إذا علمنا أن هذه الاجتماعات حضرها عن الجانب المغربي حوالي 40 شخصية انقسمت إلى وفود منها وفد مكناس ووفد الرباط ووفد فاس، زيادة على الرسائل التي كانت توجه للمجلس مثل الرسالة التي أعدها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، الأمر الذي كان يستدعي بالضرورة تعيين منظم ومرتب لها. وهكذا وقع انتقاء الوجيه المكناسي لتنظيم الجلسات، نظرا لما امتلكه من صفات ومؤهلات قيادية تساعده على النهوض بالمهمة، حازها بفعل تربيته المخزنية ، مما جعله محل ثقة عند السلطان المذكور.

[1174] – المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 1، ص. 210.

[1175] – علال الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية**، ص. 40.

[1176] – ذكرنا شهادته في الفصل الأول، الإحالة 602.

إضافة إلى ثلة من نخبة المدينة وفضلائها الذين قدموا مذكرة جامعة وشاملة ضمنوها خلاصات الجلسات الأربع[1177] التي أجريت، تضمنت ملاحظات نقدية لمشروع فرنسا، همت على الخصوص مجالات نوضحها في الجدول التالي[1178]:

جدول 30: بعض مقترحات المشروع الإصلاحي الفرنسي ورد وجهاء مكناس عليها

الميدان	توصيات السفير الفرنسي	جواب وجهاء مكناس على التوصيات
العسكري	*تجديد الجيش المغربي وتنظيمه وتحديثه يكون قادرا على ضمان الاستقرار. *تشكيل وحدات تكون الوحدة هي الطابور يضم 500 جندي للمشاة و300 للمدفعية. *إشراف ضباط فرنسيين على عملية تنظيم الجبش.	*استحسان فكرة إعادة النظر في مؤسسة الجيش. *الرفض القاطع لمسألة تنظيم الجيش من طرف مدربين فرنسيين، مستشهدين بفشل التجربة سابقا[1179].
الاقتصادي	*ضرورة حماية التجارة الأوربية خاصة بالمدن الكبرى. *تجهيز الموانئ بالمرافق اللازمة التي تعين التجار الأوربيين في نشاطاتهم. *محاربة التجار الفاسدين والمتملصين من دفع الضرائب المستحقة عليهم.	*تأييد مسألة تجهيز الموانئ، لكنهم اقترحوا تأجيل التنفيذ، لأنه يتطلب مبالغ مالية مهمة، والمغرب ليس في مقدوره توفيرها وهو ما سيؤدي إلى الاستغراق في المديونية. *عدم قبول إشراف الأوربيين على

[1177]– كان عدد الاجتماعات خمسة.

[1178]– اعتمدنا في تصنيف الجدول كناش الخزانة الحسنية، رقم 777. الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية**، ص. 40- 45.

[1179]– المقصود هنا حصيلة التجربة التي حصلت زمن حكم السلطان المولى الحسن، حيث شهدت مشاركة الأوربيين في إصلاح الجيش المغربي، تجسد في اضطلاع البعثات العسكرية الأجنبية بدور بارز، لكن النتيجة كانت مخيبة. للمزيد انظر:

Bahija Simou**, Les Réformes militaires au Maroc de 1844 à 1912**, Publication de la Faculté des lettres et des sciences humaine, Rabat, 1995, p. 352- 354.

	*السماح للمراقبين الأجانب بمشاركة الأمناء المغاربة في مهامهم لضمان الوفاء بدفع مستحقات قرض 1904م[1180].	الجبايات بالمراسي المغربية.
المالي	*خلق بنك مخزني برؤوس أموال فرنسية مهمته ضبط صرف السكة المغربية على أساس النقد الفرنسي، ينوب عن المخزن ويقرضه عند الحاجة. *إحداث ضرائب جديدة على المباني والمساكن. *ضبط ومراقبة عائدات الأملاك المخزنية والحبسية. *إنشاء الطوابع البريدية وجواز السفر.	*استحسان الضرائب المقترحة، لكنهم فضلوا إرجائها إلى حين انتظار نتائج فرض ضريبة الترتيب[1181]، بمعنى في حالة فشلها يحق للمخزن عندئذ فرضها. *رفض تحكم فرنسا في مالية المغرب، لأنها تشكل أحد أركان الدولة المغربية.
الإداري	*ضرورة إشراك المسؤولين الفرنسيين في انتقاء الموظفين المخزنيين. *تأسيس "بوليس" تحت إشراف فرنسي.	*رفض هذه الاقترحات بسبب الدور الكبير للفرنسيين فيها، وهو ما يتعارض ومصلحة البلاد.
العلمي	تشجيع العلوم بإحداث مدرسة للعلوم الرياضية واللغة الفرنسية بطنجة.	*التوجس من هذه الإجراءات، أنها تهدد هوية المجتمع المغربي.

[1180]- عملت الدول الأوربية في مقدمتها فرنسا على إثقال كاهل المغرب بالديون لتكبيله وجعله لا يجرأ على الوقوف في وجه مصالحها الاستعمارية، نذكر على سبيل المثال: قرض فرنسي قيمته 22.5 مليون فرنك سنة 1903م، وقرض فرنسي آخر سنة 1904م قيمته 62.5 مليون فرنك. ألبير عياش، **حصيلة الاستعمار الفرنسي في المغرب**، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، مراجعة وتقديم ادريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، دار الخطابة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985م، ص. 50 و54.

[1181]- الترتيب هو توظيف مقدار محصور يكون عطاؤه سنويا على أنواع البهائم والمواشي وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني، وكذلك الأشجار على اختلاف أنواعها و تفاوت منافع ثمارها. فشلت هذه التجربة الإصلاحية لأسباب منها: تهاون العمال والقواد في استخلاصها، رفض شيوخ القبائل والأعيان والتجار دفعها، الموقف السلبي للأوربيين ومحمييهم من المغاربة، هكذا اتحدت كل العناصر المفاعلة في البلاد على إسقاط هذه الضريبة. المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 2، ص. 85. بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار: ضريبة الترتيب 1880– 1915م**، ص. 283.

نستخلص من الجدول أعلاه؛ مدى الإسهام الكبير لوفد مكناس في مجلس الأعيان في إفشال المشروع الفرنسي الإصلاحي في شكله والإستعماري في مضمونه، فعلى الرغم من استحسانهم لبعض الإجراءات التنظيمية واستجوادها، لكن الإشكال الذي طرحوه تجلى في نقطتين مفصليتين: أولاها تتعلق بالصيغة التي سينفذ بها المشروع، وثانيها تتمثل في الجهة المكلفة بعملية التنفيذ[1182]. مشددين في نهاية المطاف على أن يكون المخزن هو المقرر والمنفذ لكل إصلاح، على اعتبار أنه شأن داخلي يهم البلاد والعباد.

المبحث الثالث: الاحتلال العسكري لمدينة مكناس ورد فعل الوجهاء:

تعرض المغرب خلال القرن 19م لسلسلة من الضغوط الإستعمارية مارستها دول أوربية عديدة، شملت المجالات العسكرية (مواجهتين عسكريتين معركة إيسلي سنة 1844م وحرب تطوان سنة 1859- 1860م) والسياسية (عقد معاهدات الصلح: لالة مغنية 18 مارس 1845م وقعها مع فرنسا، وصلح تطوان مع اسبانيا في 26 أبريل 1860م) والاقتصادية (معاهدات مع بريطانيا سنة 1856م واسبانيا سنة 1861م وفرنسا 1863م)، ترتب عنها آثار سلبية على سيادته واستقلاله.

وقد ازدادت هذه الضغوطات حدة مع مطلع القرن 20م؛ مع تكثيف الدول الأوروبية في طليعتها فرنسا تدخلاتها في شؤون المغرب، في الوقت الذي شهد فيه العديد من الأزمات همت كل الميادين، وقف معها المخزن عاجزا عن مواجهتها[1183]. فعملت على التمهيد لفرض الحماية على المغرب من خلال مشروع "الإصلاحات" الذي قدمه سفيرها طياندي Taillandier، كان لوجهاء مكناس دور بارز في إسقاطه كما أسلفنا سابقا. ثم تطورت الأمور إلى أن عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء بطلب من المغرب سنة 1906م، خرجت منه فرنسا أكثر قوة ونفوذا، حيث نصت مقرراته على منحها حق الإشراف على تنظيم شرطة المراسي المغربية المفتوحة للتجارة،

[1182]- الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية**، ص. 41.

[1183]- علال الخديمي، **التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1994م، ص. 29.

وإحداث بنك مخزني وفق أحكام القانون الفرنسي، وفي حق الأجانب –خاصة الفرنسيين– في تملك العقارات بالمغرب وغيرها[1184]. وعليه يمكن القول؛ أن مقررات المؤتمر شكلت البداية الفعلية لفرض الحماية الفرنسية على المغرب.

وهكذا اعتبرت فرنسا ما حققته من نجاحات في المؤتمر بمثابة ضوء أخضر يعطى لها الحق في بدء غزو المغرب، منتهزة الفوضى التي كان يعيشها المخزن، فوضعت نصب أعينها استهداف الحواضر الكبرى، حيث دشنت سياستها الاستعمارية بمحاولة التذرع بأي حادث مهما قل شأنه، وفي هذا الصدد استغلت حادثة مقتل الطبيب موشان Mauchamp بمراكش يوم 19 مارس 1907م[1185]، لتقرر التدخل عسكريا في مدينة وجدة بحكم القرب الجغرافي من الجزائر، انتهى باحتلالها للمدينة يوم 29 من نفس الشهر[1186].

وبعد مدة قصيرة استغلت حادثة أخرى حصلت هذه المرة في مدينة الدار البيضاء، حيث قتل عدد من النصارى أغلبهم فرنسيون كانوا يعملون في الميناء على يد بعض المغاربة، فقامت باحتلال المدينة ومعها الشاوية في غشت من نفس السنة[1187].

في ظل هذه الظروف؛ انتفض المغاربة ضد الاحتلال الفرنسي، وكذا ضد السلطان المولى عبد العزيز، محملين إياه مسؤولية الإخفاق في التصدي للقوات الغازية، عززه موقف علماء فاس الذين أصدروا فتوى تجيز عزل السلطان المذكور ومبايعة أخيه المولى عبد الحفيظ في 16 غشت 1908م بشروط «**يسعى جهده في رفع ما أضر بهم من الشروط الحادثة في الخزيرات (...) وأن يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية، وأن يباشر**

[1184]– مجلة تاريخ المغرب، العدد الثاني، أبريل 1982م، ص. 119.

[1185]– للمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة يرجى الاطلاع على: محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ج 1، ص. 218.

[1186]– الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية**، ص. 88.

[1187]– للمزيد من التفاصيل حول هذه حادثة قصف القوات الفرنسية لمدينة الدار البيضاء انظر: الخديمي، **التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب**، ص. 257– 259.

إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما (...) وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات (...) وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية، فلا يبرم أمرا منها، إلا بعد الصدع به للأمة»[1188].

وجد المولى عبد الحفيظ نفسه في مأزق حقيقي بسبب الضغط الذي مورس عليه من قوتين متناقضتين في مصالحهما: رعية تدعوه للإلتزام بشروط البيعة، والدول الأوربية التي ترفض الاعتراف به سلطانا إذا لم يمتثل لأوامرها. وفي نهاية المطاف رضخ للضغوطات الأجنبية ليتم الاعتراف به سلطانا شرعيا في 5 يناير 1909م.

إن هذا الجو المطبوع بالإنفلات وعدم استقرار الأوضاع السياسية، وما انعكس عنه من تأزم اقتصادي وتدهور اجتماعي، شجع فرنسا كثيرا في مد نفوذها وبسط سلطتها، حيث استهدفت هذه المرة المناطق الداخلية وعلى رأسها العواصم التقليدية مدينتي فاس ومكناس، فاتخذت من ثورة قبائل البربر خاصة بني مطير على السلطان ومحاصرتها له في قصره بفاس ذريعة لاقتحام المدينة في أبريل 1911م، من خلال إيفاد حملة عسكرية قادها الجنرال موانيي Moinier الذي نجح في إحكام قبضته عليها[1189].

نتج عن هذا الحادث نشوب أزمة دولية كادت أن تؤدي إلى اندلاع حرب أوربية، انتهت بعقد اتفاقية برلين 4 نونبر 1911م؛ تنازلت بموجبها فرنسا لألمانيا عن جزء من الكونغو، مقابل تعهد هذه الأخيرة بعدم مزاحمتها في المغرب[1190].

بعد نجاح فرنسا في إبعاد ألمانيا؛ أصبح استقلال المغرب شكليا وصوريا، حيث تم استكمال الغزو باستهداف مدينة مكناس. وهنا نتساءل ما المبررات التي تذرعت بها فرنسا لاحتلال

[1188]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 1، ص. 523.

[1189]- الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية**، ص. 122- 123.

[1190]- تكونت هذه الاتفاقية من أربعة عشر فصلا. انظر نصها الكامل عند: ابن زيدان، **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/ 1999م، ص. 317- 322.

مكناس؟ وكيف كان موقف وجهاء مكناس من التهديد العسكري الفرنسي لمدينتهم؟ وما أبعاد آثاره على الوضع العام بالمدينة؟

لقد ارتبط هجوم فرنسا على مكناس بالأحداث التي شهدها العهد الحفيظي، في مقدمتها اندلاع انتفاضات كثيرة لعل أبرزها تلك التي تزعمتها قبائل الأطلس المتوسط، تأثرت بها المدينة بشكل مباشر، حيث اقتحمتها قبيلة بني مطير فنهبت سكانها وخربت مرافقها –سبق الإشارة إلى ذلك–.

وحري بالإشارة أن ما يهمنا من هذه الانتفاضات هو تجرأ البربر على المولى عبد الحفيظ بإعلانهم خلعه ومبايعة أخيه مولاي زين العابدين سلطانا بمكناس، وهو الحادث الذي أرق فرنسا بشكل كبير؛ على اعتبار أن هذا الأخير كان متحكما فيه من قبل قوى مناوئة لمصالحها.

وفي هذا الإطار؛ قررت فرنسا التدخل عسكريا لإرجاع الأمور إلى سابق عهدها، حيث كلفت الجنرال موانيي Moinier بالإشراف على عملية الهجوم، الذي استبقه بتوجيه رسالة إلى السلطان الجديد ووجهاء المدينة يخبرهم بأن الجيش الفرنسي على وشك الوصول إلى مدينتهم وأنه لا يسومها بسوء[1191]. فما كان من المولى الزين سوى الدعوة لعقد اجتماع طارئ للنظر في الموضوع، خرج منه الحاضرون بالاتفاق على إرسال وفد إلى فاس مهمته تلطيف الأجواء، وهو الأمر الذي لم يحصل.

وفي غضون ذلك؛ تحرك الجيش بقيادة موانيي قاصدا مكناس –وهي محاصرة وقتئذ من طرف البرابر– وكان من جملة مرافقيه الشريف المكناسي محمد الأمراني والقائد الأبرز بنعيسى بن عبد الكريم البخاري، وقد وصف ابن زيدان الاقتحام وطرد البربر بقوله «**أحدقت بالمدينة منهزمة أوباش** (...) **فأطلقوا في وجه الحملة رصاصات، فصوبت نحوهم الرشاشات والمدافع،**

[1191]– ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 326.

وأمطروا بوابل القنابل، فولوا الأدبار وتشتتوا شذر مدر، وصارت الحملة تطوف بالمدينة»[1192]. وكان احتلال المدينة يوم 8 يونيو 1911م.

نستشف من هذه الرواية لشاهد عيان أن موقف وجهاء مكناس كان سلبيا تجاه الحملة الفرنسية على مدينتهم، حيث لم يبدوا أية مقاومة تذكر. ويمكن تفسير ذللك بعدة اعتبارات منها:

- ❖ أنهم كانوا يعتبرون بيعة المولى عبد الحفيظ لا زالت قائمة تطوق رقابهم، ففي نظرهم هو السلطان الشرعي الأحق بالحكم، وينهض قرينة على هذا؛ الاجتماع الذي عقدوه مع قائد البربر عق البوبدماني المطيري-أشرنا إلى حيثياته سابقا-، وحتى عندما طالبهم القائد بالبحث عن شخصية أخرى تتولى الحكم تماطلوا ولم يبدو أية حماسة، ولكن تحت الضغط ارتأوا النزول عند رأيه مجبرين.
- ❖ وجدوا في الحملة الفرنسية فرصة مواتية للتخلص من طغيان البربر واستبدادهم بالمكناسيين خاصتهم وعامتهم، سبق أن ذكرنا إشارات عديدة تدلل على المحن التي كابدها الأهالي جراء الهجمات.
- ❖ النصيحة التي أسداها لهم أحد وجهائهم القريب من المخزن الحفيظي، والعارف بأسراره وخباياه هو الشريف محمد الأمراني الذي نصحهم بضرورة «**سكون أهل المدينة تحت مجاري الأقدار، ويحذرهم من المصادمة لئلا يتسبب عنها من الأضرار ما يتعذر أو يتعسر علاجه**»[1193].

وهكذا خرج الوجهاء لاستقبال أعضاء الحملة بشكل رسمي، وقد ذكر ابن زيدان أحد الحاضرين لمراسيم الاستقبال تفاصيله بقوله «**فلما دنونا تلقانا بعض فرسانهم وأوقفنا إلى أن استأذن الرئيس وأذن، فتوجه معنا بعض العساكر إلى أن أوصلنا للمحل المعين لاستقبالنا، فوجدنا رئيس الحملة قائما، وفي معيته أركان حربه وبإزائه الشريف أبي عبد الله الأمراني**

[1192]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 327- 328.
[1193]- نفسه، نفس الجزء، ص. 327.

المذكور وبنعيسى بن عبد الكريم الذي جاءوا به لتقليد عمالة مكناس. ولما وقفنا أمام ذلك الجمع تقدم إلينا الأمراني المذكور، وصار يقدمنا للرئيس واحدا بعد واحد. فكان أول ما خاطبنا به أن قال: أنظروا لعظمة قوتنا. فمن أطاعنا أمناه، ومن نازعنا أبدناه» [1194].

نستخلص أن موقف وجهاء مكناس من الاحتلال الفرنسي لمدينتهم أملته ظروف موضوعية ونظرة واقعية، إذ كانوا بين نار قوتين على طرفي نقيض: البربر والقوات الفرنسية، فاختاروا الركون إلى الخيار الثاني من باب التزامهم بالأمانة الملقاة عليهم والمتمثلة في البيعة التي تطوق أعناقهم من الناحية الشرعية.

وصفوه القول؛ يمكن التأكيد على أن وجهاء مدينة مكناس اختلفت مواقفهم حول قضية التسرب الأجنبي بالمغرب عامة وبمكناس على وجه الخصوص؛ في كثير من مظاهره وأشكاله مثل قضية الحماية القنصلية ومسألة مشروع الإصلاحات الفرنسية، إلا أنهم اتفقوا في نهاية المطاف على الخضوع للتبعية الفرنسية حسبما فصلناه سابقا.

[1194]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج 6، ص. 238- 329.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع وجهاء المجتمع بمكناس خلال فترة ما قبل الاستعمار، أمكننا الخروج بمجموعة من الخلاصات والاستنتاجات نجملها فيما يلي:

بينت الدراسة أن المجتمع المكناسي عرف ظاهرة الوجاهة كغيره من المجتمعات البشرية، حيث برزت فيه بيوتات (أسر/ عائلات) وجيهة حظيت بمكانة مرموقة داخل النسيج الاجتماعي في مدينة مكناس، بفضل امتلاكها لمقومات ذاتية ومؤهلات مكتسبة. وعليه، يمكن القول أنه كان مجتمعا طبقيا، اتسم بالتفاوت في طبيعة تركيبة عناصره البشرية، والذي اتخذ شكلا هرميا احتل فيه الوجهاء أعلى مراتبه. هذه البيوتات تميزت بخصائص: فعلى مستوى الاستقرار توصلنا إلى أن بعضها كان مستقرا قبل فترة موضوع دراستنا -1672- 1911م-، والبعض الآخر تشكل خلالها. أما على مستوى أصولها وجذورها سجلنا تعددا وتنوعا، فمنها ما كان مكناسي الأصل، ومنها ما انحدر من داخل المغرب (الشاوية، دكالة، تافيلالت، سوس، الريف وغيرها)، أو خارجه (الأندلس، المشرق العربي)، الأمر الذي أسهم في إغناء التشكيلة الحضرية للمدينة.

كما خلصت الدراسة أن شهرة البيوتات الوجيهة بمكناس استند على عوامل كثيرة، وعلى هذا الأساس وجدنا تفاوتا بين هذه البيوتات سواء من حيث عدد الأفراد الذين قدمهم كل بيت وجيه، أو مجال بروزهم وإشعاع. وهكذا توصلنا أن البيوتات العلمية والمخزنية كان أعلامهما أكثر حضورا وتأثيرا داخل المجتمع بمكناس، تجلى بشكل بارز في الوظائف التي تقلدها الوجهاء؛ حيث لا نكاد نجد بيت من البيوتات المكناسية لم يتقلد أفراده خطة من الخطط المهمة، وهو ما يعكس مكانتهم ومنزلتهم داخل الجهاز المخزني؛ إذ كانوا محل ثقة السلاطين الذين حاولوا الاستفادة من رصيدهم الاجتماعي بما يملكونه من قيم معنوية ومادية، حتى صاروا من دعائم السلطة بالمغرب.

وارتباطا بمسألة الوظائف، أفصحت الدراسة عن بعض القضايا من قبيل: أن أغلب البيوتات المكناسية الوجيهة احتكر أعلامها الوظائف والخطط الرفيعة -من خلال الجداول التي أوردناها- وعملوا على توريثها لأبنائهم وأحفادهم، بما يضمن صيانة وجاهتهم وتجذير نفوذهم،

بتشجيع ودعم من السلاطين العلويين، لكن بعضهم فشل في الحفاظ عليها، مما انعكس على جاههم الاجتماعي ووضعهم الاعتباري. إضافة إلى تردد بعضهم على وظائف متعددة في الوقت نفسه، وممارستها لفترة أطول؛ دل على إعجاب السلاطين بهم واقتناعهم بمؤهلاتهم وكفائتهم، وتقديرا لتفانيهم وإخلاصهم، على اعتبار مركزية السلاطين داخل بنية الدولة المغربية، وهو ما جعلهم يتصدرون مكانة متميزة داخل مجتمعهم؛ لأنهم يستمدون سلطتهم منهم وكذلك لحاجة الناس إليهم. وأخيرا أن الوظائف التي تقلدها هؤلاء الوجهاء تأرجحت ما بين وظيفة عامة في أعمال عامة كالوزارة والحجابة والكتابة والنظارة والسفارة، ومنهم من كانت وظيفته عامة في أعمال خاصة محصورة في نطاق محدد كالباشوات والقضاة والمحتسبين والمؤقتين.

إن هذه الوظائف بمختلف أنواعها كشفت مدى المساهمة المؤثرة لوجهاء المجتمع بمكناس في صناعة الأحداث والوقائع التي شهدتها مدينتهم بشكل خاص والمغرب بشكل عام، حيث مكنتهم من الاضطلاع بمهام ومسؤوليات، جعلت منهم عناصر فاعلة مرتبطة ارتباطا عضويا مع النسق السياسي العام للمخزن العلوي، وكذا مع النسق الاجتماعي، تمثلت أبرز ملامحه في تعدد العلاقات التي انخرطوا فيها، استحكمت في تحديد ملامحها المصالح الخاصة للأطراف المعنية.

وفي هذا السياق، أفصحت الدراسة عن الروابط والصلات التي جمعت وجهاء المجتمع بمكناس بالسلاطين العلويين، اتضح من خلال تتبع مسارها أنها تأرجحت ما بين التقارب والاتصال والاحتواء من جهة، ساهم فيها حاجة كل منهما للآخر، فإذا كان السلاطين حرصوا على استمالتهم واستقطابهم لكسب ولاءهم وتبعيتهم من أجل توظيفهم كآداة ضامنة لاستقرار سلطتهم وتوطيد دعائم نفوذهم، فإن الوجهاء بالمقابل كانوا في حاجة إلى التقرب من السلاطين، لما يشكلونه من مظلة لا يمكن الاستغناء عنها للحفاظ على مكانتهم الرفيعة وتبوء المنزلتة اللائقة في هرم البناء الاجتماعي، لذلك عمل كل طرف على انتهاج أساليب ووسائل تعزز ذلك التقارب والتعاون. ومن جهة لأخرى اتسمت بالتباعد والانفصال والتنافر في بعض الفترات، تجلت في مجموعة من المظاهر كان السلاطين الطرف المتحكم في نتائجها، أملتها الظروف التي عاشها

المغرب خلال الفترة موضوع دراستنا، جعلتهم يدركون خطورة الأمر، زكتها تصرفات بعض الوجهاء المشينة وتجاوزاتهم وتهاونهم في القيام بالمسؤوليات المسندة إليهم، والملاحظة الجديرة بالذكر التي سجلناه هي أن موقف الوجهاء ورد فعلهم اتسم بالقبول والاستسلام.

وعموما خلصت الدراسة أن علاقات التقارب بين الوجهاء والسلاطين تزداد بصورة واضحة خلال فترات الهدوء النسبي التي سادت المغرب، في حين تشتد علاقات التنازع والتدابر خلال فترات الاضطربات والفتن. وبالتالي يمكن القول أن تأرجح العلاقات بين الطرفين شكل منعطفا مفصليا في تحديد مسارها.

أما فيما يتعلق بالعلاقة الوجهائية البينية فقد تميزت –في الأغلب الأعم– بخاصية التفاهم والوفاق والاحترام المتبادل، برهنت عليها الكثير من الشواهد، دفعهم إلى بناء تلك العلاقة رغبتهم في تثبيت مكانتهم وتعزيز جاههم، من خلال تجنب الاصطدام وما يشكله من خطر على مكانتهم ومنزلتهم داخل المجتمع المكناسي، فانتهجوا مجموعة من الوسائل والآليات ساعدتهم على تكوين شبكة علائقية يطبعها التقدير والتعاون، بما يضمن لهم سبل الاتصال وتقليل الخلافات والصراعات. ورغم ذلك فقد تخللت هذه العلاقات
بعض الصراعات والنزاعات والتشاحنات، كان دافعها الأساسي التنافس والتزاحم على المناصب والخطط الرفيعة، الضامنة لصيانة جاههم واستمرار حضورهم، فبذلوا جهودا حثيثة في إطار الإقصاء والإقصاء المضاد، تجلت مظاهره في كثير من المواقف والأحداث.

كما اتسمت العلاقات الناظمة بين الوجهاء وباقي شرائح المجتمع المكناسي بطابع التأثير والتأثر، عملنا على توضيح بعض معالمها من خلال تصنيفها إلى نوعين: إيجابية تمثلت في الإسهامات الكبيرة والأدوار العديدة التي اضطلعوا بها تجاه أهالي مدينتهم، وتفاعلهم مع مختلف القضايا التي تهمهم، أظهرت مدى وعيهم وإدراكهم أهمية النهوض بالمسؤوليات الملقاة على

عاتقهم، فتصدر المجتمع بقدر ماهو تشريف يجعل بعض الأفراد يحتلون مواقع مهمة ومراكز علية، بقدر ما هو تكليف يطوق رقابهم له تبعات علة وضعهم الاجتماعي. وفي هذا الإطار، أوضحت الدراسة حرص الوجهاء على خدمة فئات المجتمع بمكناس، عبر تلبية حاجياتهم وقضاء حوائجهم، مستهدفين النهوض بأوضاعهم وتخفيف معاناتهم، وهكذا اتخذت هذه الخدمة صورا وأشكالا كثيرة، تدل على الرقي الفكري والأخلاقي، أثبتت دورهم المفصلي في استقرار مجتمعهم، وبالتالي تحقيق ترابطهم العضوي.

وفي المقابل سجلت الدراسة استفادة الوجهاء من خدمة المجتمع، ذلك لأنه يشكل الإطار الذي يمكنهممن ممارسة جاهم وتوطيد نفوذهم، فلا يستطيعون صون مكانتهم ومنزلتهم فقط بالاعتماد على قدراتهم الذاتية ومؤهلاتهم المكتسبة، بل لا بد من بيئة حاضنة تشكل أرضية للنهوض بأدوار تحفظ لهم وزنهم وحضورهم.

تلك العلاقات لم تكن دائما لإيجابية، إذ تميزت –في بعض الفترات– بالسلبية، تجلت في الأهوال المحن والفتن التي عانى منها الأهالي جراء التجاوزات الخطيرة والسلوكات الفظيعة لبعض الوجهاء، انعكست بشكل سيئ على أوضاع المدينة بمختلف مكوناتها.

أظهرت الدراسة أن وجهاء المجتمع بمكناس لم يشكلوا وحدة اجتماعية متجانسة من قضية التسرب الأوربي بمدينتهم، والتي ارتكزت على ثلاث آليات: الحماية القنصلية ومشروع الإصلاحات الفرنسي والهجوم العسكري على المدينة. ففي مسألة الحماية القنصلية تباينت مواقفهم تجاهها، فبينما حرصت قلة قليلة من الوجهاء الانخراط في نظام الحماية القنصلية والاستظلال بمظلتها معظمهم ينتمي إلى الطائفة اليهودية، عبر التعامل مع الأجانب ومخالطتهم، مستهدفين تدعيم مركزهم وتحصين مكانتهم بما يضمن ترسيخ نفوذهم، على اعتبار أنه نظام يخول لهم الكثير من الامتيازات القضائية والجبائية، في الوقت نفسه عبرت الأغلبية العظمى عن رفضها الدخول في ذلك النظام، لما يشكله من خطر على كيان المغرب ووحدته وسيادته، فاضطلعوا في هذا الإطار بأدوار ريادية رمت التضييق على المحميين.

أما مسألة مشروع الإصلاحات الفرنسي، فقد سجلت الدراسة موقفا إيجابيا لوجهاء مدينة مكناس منه، تجلى في انخراطهم بمسؤولية كبيرة في إفشال المشروع إلى جانب ثلة من أعيان باقي مناطق المغرب ضمن "مجلس الأعيان، فمن خلال تحرير مذكرة جامعة تشمل مقترحات إصلاحية تناقض مشروع فرنسا. وأخيرا مسألة الاحتلال الفرنسي لمكناس سنة 1911م، خلصت الدراسة أن موقفهم كان سلبيا –في حدود ما اطلعنا عليه من وثائق–، إذ لم تشهد هذه القضية انقساما مثل باقي القضايا المرتبطة بالتغلغل الأوربي، وحاولنا تفسير ذلك بظروف موضوعية وسياقات واقعية.

وختاما، حاولت الدراسة –في حدود المستطاع– من خلال النتائج المتوصل إليها أن تضعنا أمام حقيقة تاريخية، تتمثل في أن وجهاء مكناس نهضوا بأدوار متميزة في تايخ مدينتهم خلال فترة ما قبل الاستعمار، عملنا على تسليط الأضواء عن بعض جوانبها، وهو ما يفتح –في اعتقادنا– آفاقا جديدة في دراسة طبقات المجتمع بمكناس وفئاته بشكل أكبر وأدق، مما يسمح بتجاوز المواضيع التي حصرت دراسة المدينة من جوانب سياسية وعمرانية بحثة طيلة فترات سابقة.

الملاحق

الملحق رقم 1: ظهير المولى إسماعيل للشرفاء الجوطيين القاطنين بمكناس.

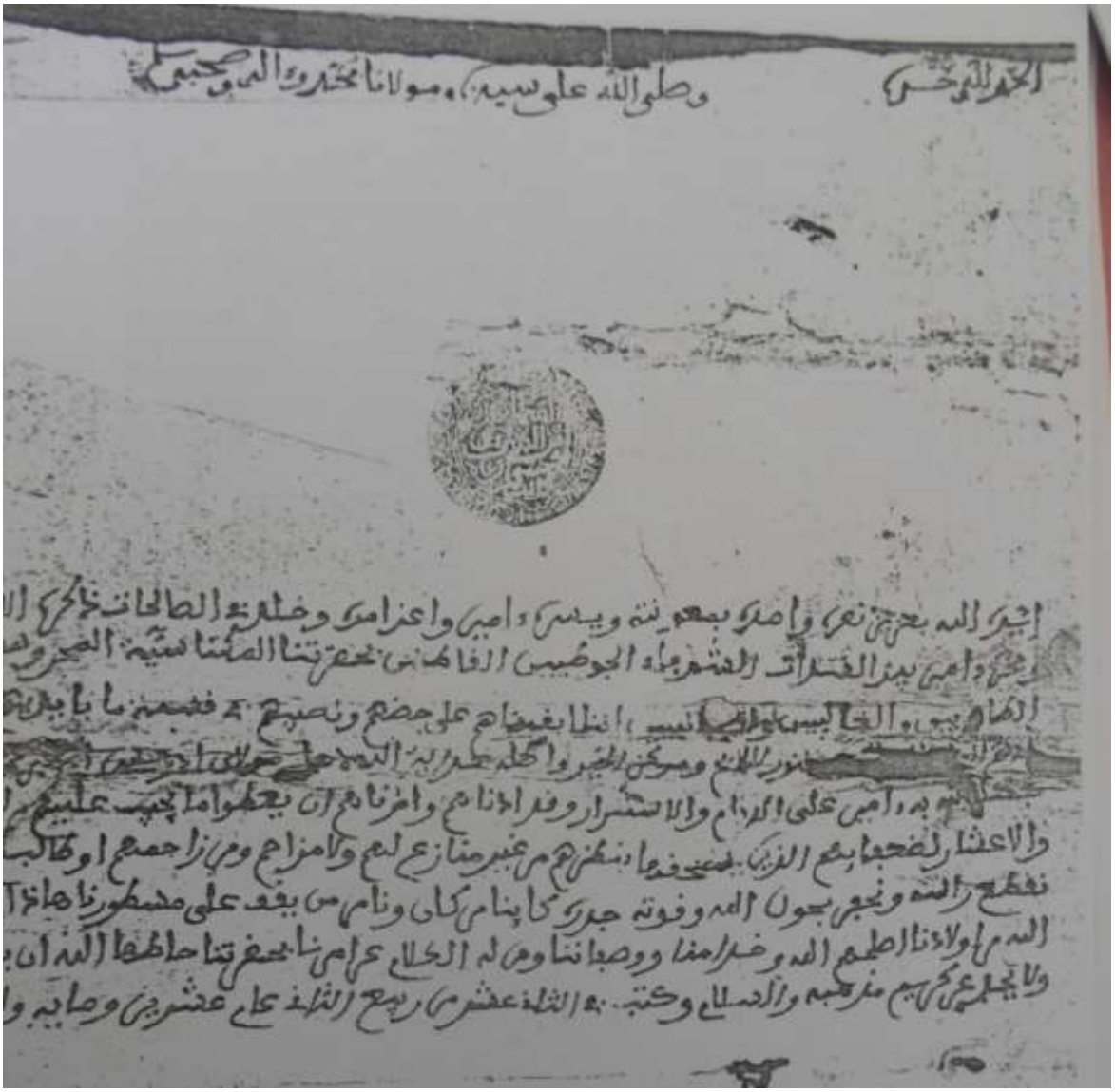

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

أيده الله بعزيز نصره، وأمده بعونه ويسره، أمين وأعز أمره ولد في الصالحات ذكره، وفخره، أمين بيد السادات الشرفاء الجوطيين، القاطنين بحضرتنا المكناسية المحروسة بالله ، الطاهريين، والغالبيين، والطالبيين، اننا أبقيناهم على حظهم ونصيبهم في قسمة ما بأيديهم بضريح جدهم مولانا ادريس، بن النور اللائح، ومركز الخير وأصله، هداية الله لأهله، مولاي ادريس الأكبر، نفع الله به آمبين، على الدوام والاستمرار، فقد أذناهم وأمرناهم أن يعطوا ما يجب عليهم من الزكاة والأعشار لضعفائهم، الذين يستحقونها بنظرهم، من غير منازع لهم ولا مزاحم، ومن زاحمهم أو طالبهم بشي نقطع رأسه، ونحفر بحول الله وقوته جدره، كائناً من كان، ونأمر من يقف على مسطورنا هذا أسماه الله من أولادنا أصلحهم الله، وخدامنا، ووصفائنا، ومن له الكلام على أمرنا بحضرتنا حاطها الله، أن يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، والسلام، وكتب في الثاني عشر من ربيع الثاني عام عشرين ومائة وألف

الملحق 2: ظهير المولى سليمان ينص على توقير وتعظيم بيت آجانا

المصدر: وثائق خاصة بالمحتسب آجانا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

يستقر بيد ماسكيه الطالب السيد عبد الهادي أجانا والطالب السيد محمد أجانا والسيد علي والسيد محمد السعيدي النسب وأولاد عمهم ليعلم منه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته أنهم عندنا محترمون وموقرون لقديم خدمتهم الخاصة والعامة ورعيا لجانب شيخنا الفقيه البركة السيد عبد الوهاب فهم مضافون إلينا وينتمون لجانبنا العلي بالله تعالى فيجب تعظيمهم واحترامهم لذلك بحيث لا يطالبون بشيء مما يطالب به غيرهم مما نزل أوجل ومن تعرض لهم بشيء فلا يلومن إلا نفسه فالواقف عليه من خدمنا وولاة أمرنا عليه أن يعمل بمقتضاه ويقف عنده ولا يتعداه والسلام صدر هذا الأمر المولوي الشريف في الثاني والعشرين من شعبان عام 1207

الملحق 4: ظهير إنعام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام على الشريفات الادريسيات

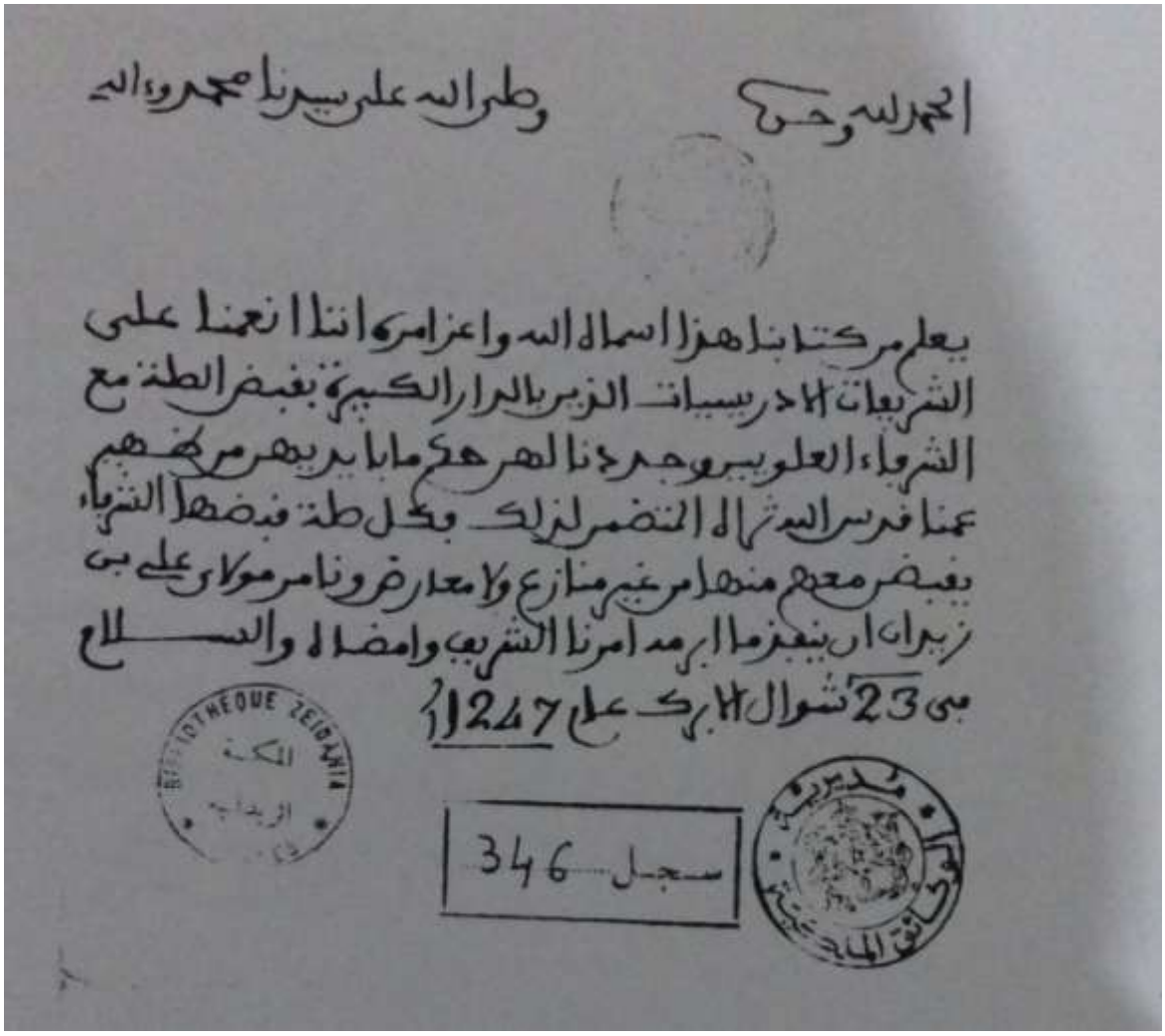
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أنعمنا على الشريفات الادريسيات الذين بالدار الكبيرة بقبض الصلة مع الشرفاء العلويين وجددنا لهن حكم ما بأيديهن من ظهير عمنا قدس الله ثراه المتضمن لذلك فكل صلة قبضها الشرفاء يقبضن معهم منها من غير منازع ولا معارض ونأمر مولاي علي ابن زيدان أن ينفذ ما أبرمه أمرنا الشريف وأمضاه والسلام في 23 شوال الأبرك عام 1247

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الملحق رقم 5:رسالة لوم وعتاب من السلطان المولى لباشا مكناس الجيلالي ين بوعزة بسبب استطالته على أرض محبسة.

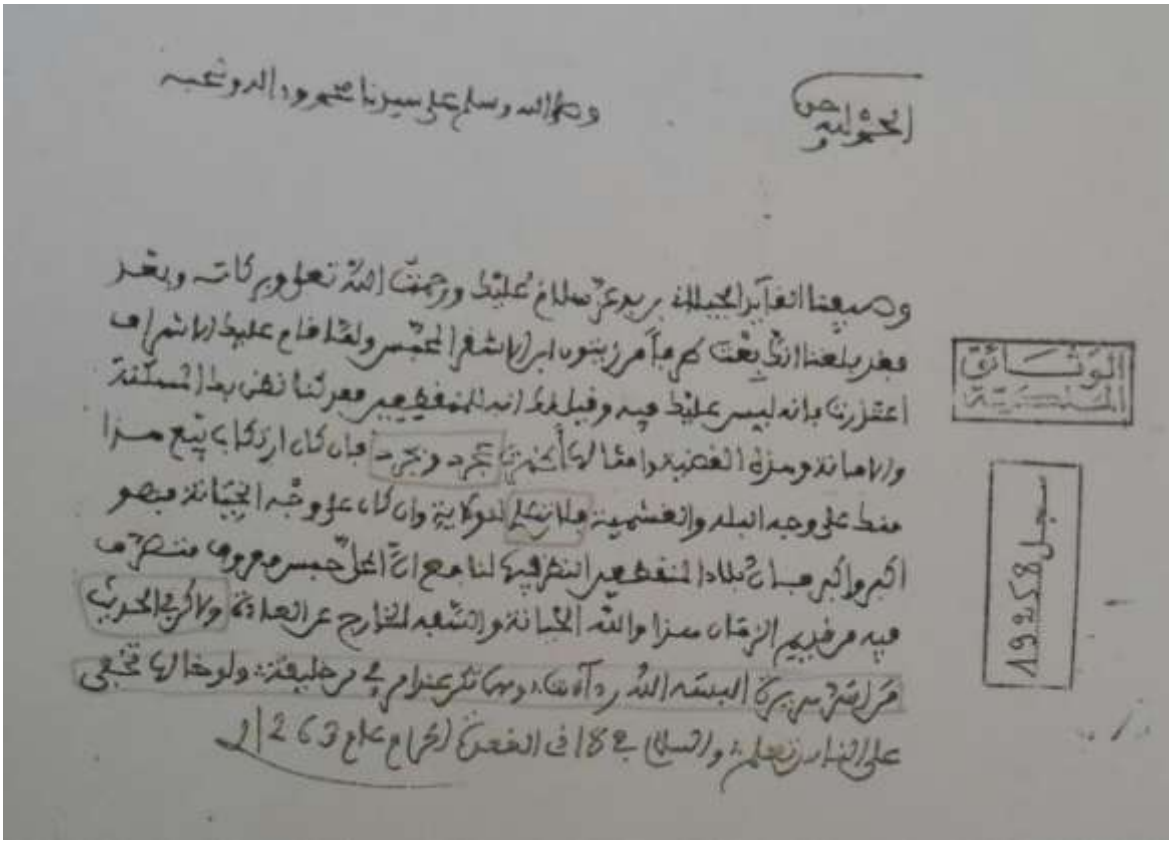

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

وصيفنا القائد الجيلاني بن بوعزة سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا أنك بعت طرفا من زيتون ابن الأشقر المحبس ولما قام عليك الأشراف اعتذرت بأنه ليس عليك فيه وقيل لك أنه للمنقطعين فقد كنا نظن بك المسكنة والأمانة وهذه القضية وأمثالها أظهرت عجزك وفجرك فإن كان ارتكاب بيع هذا منك على وجه البله والغشيمة فلا تصلح للولاية وإن كان على وجه الخيانة فهو أكبر وأكبر فإن بلاد المنقطعين النظر فيها لنا مع أن المحل حبس معروف متصرف فيه من قديم الزمان هذا والله الخيانة والسفه الخارج عن العادة ولكن في الحديث من أسر سريرة ألبسه الله رداء ومهما تكن عند أمري من خليفة ولو ضالها تخفى على الناس تعلم والسلام في 18 ذي القعدة الحرام عام 1263

الملحق 6: ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان ينص على توقير أولاد أجانا

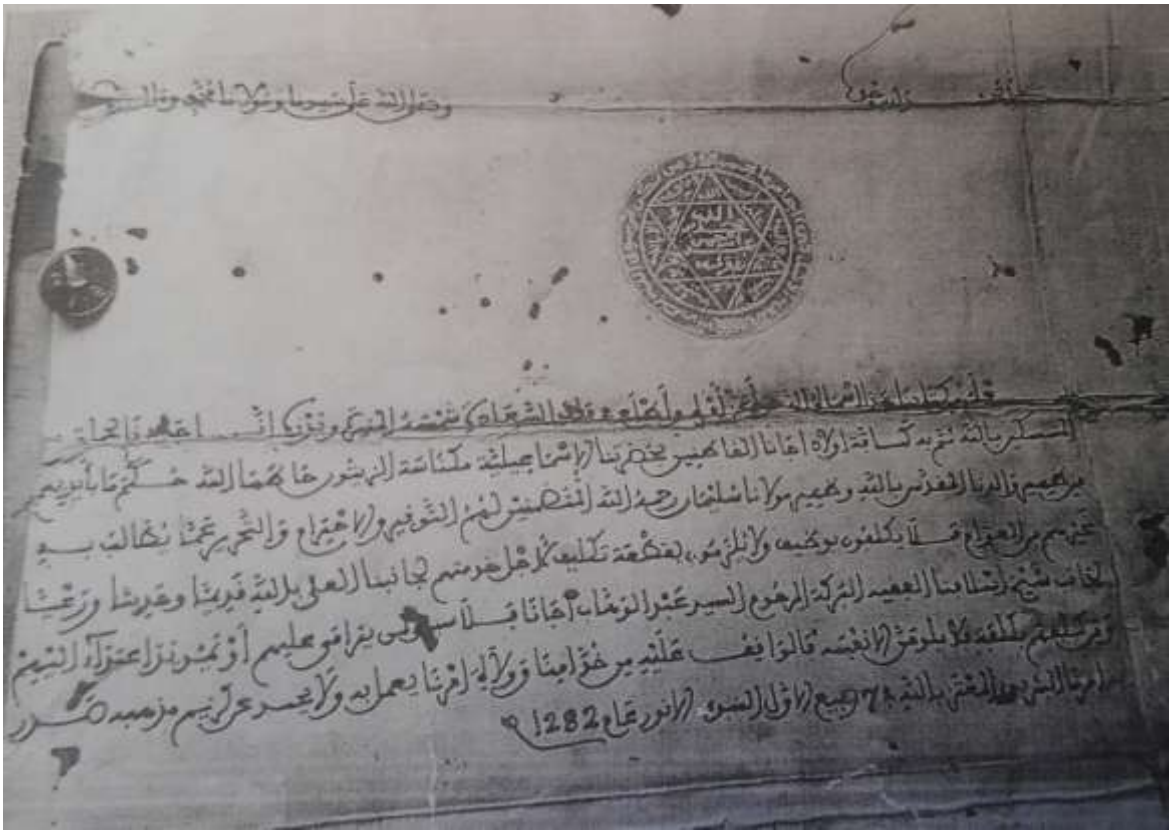

المصدر: وثائق خاصة بالمحتسب آجانا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأطلع في فلك السعادة شمسه المنيرة وبدره أننا جددنا المتمسكين بالله ثم به كافة أولاد أجانا القاطنين بحضرتنا الإسماعيلية مكناسة الزيتون حاطها الله حكم ما بأيديهم من ظهير والدنا المقدس بالله وظهير مولانا سليمان رحمه الله المتضمنين لهم التوقير والاحترام والتحريرعما يطالب به غيرهم من العوام فلا يكلفون بوظيف ولا يلزمون بقطعة تكليف لأجل خدمتهم لجانبنا العلي بالله قديما وحديثا ورعيا لجانب شيخ أسلافنا الفقيه البركة المرحوم السيد عبد الوهاب أجانا فلا سبيل لمن يترامى عليهم أو يمد يد اعتداء إليهم ومن كلفهم بكلفة فلا يلومن إلا نفسه فالواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا يعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في 7 ربيع الأول النبوي الأنورعام 1282

الملحق 7: ظهير السلطان المولى الحسن ينص على توقير وتعظيم المحتسب محمد بن العربي أجانا

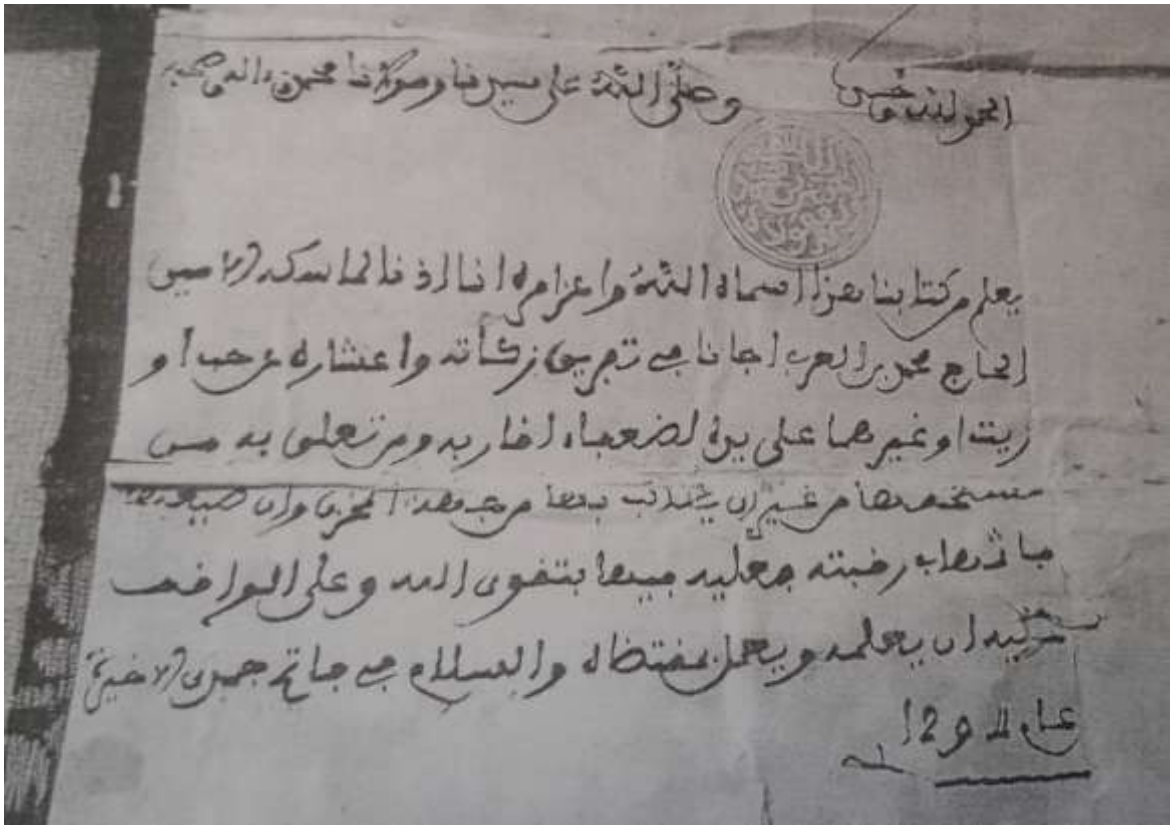

المصدر: وثائق خاصة بالمحتسب آجانا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أنا أذنا لماسكه الأمين الحاج محمد بن العربي أجانا في تفريق زكاته وأعشاره من حب او زيت أو غيرهما على يده لضعفاء أقاربه ومن تعلق به من مستحقيها من غير أن يحدث بها من جهة فعليه فيها بتقوى الله وعلى الواقف عليه أن يعلمه ويعمل بمقتضاه والسلام في فاتح جمادى الأخيرة عام 1294

الملحق رقم 8: رسالة من السلطان المولى الحسن إلى باشا مكناس إدريس بن محمد في شأن اليهودي المكناسي رفائيل

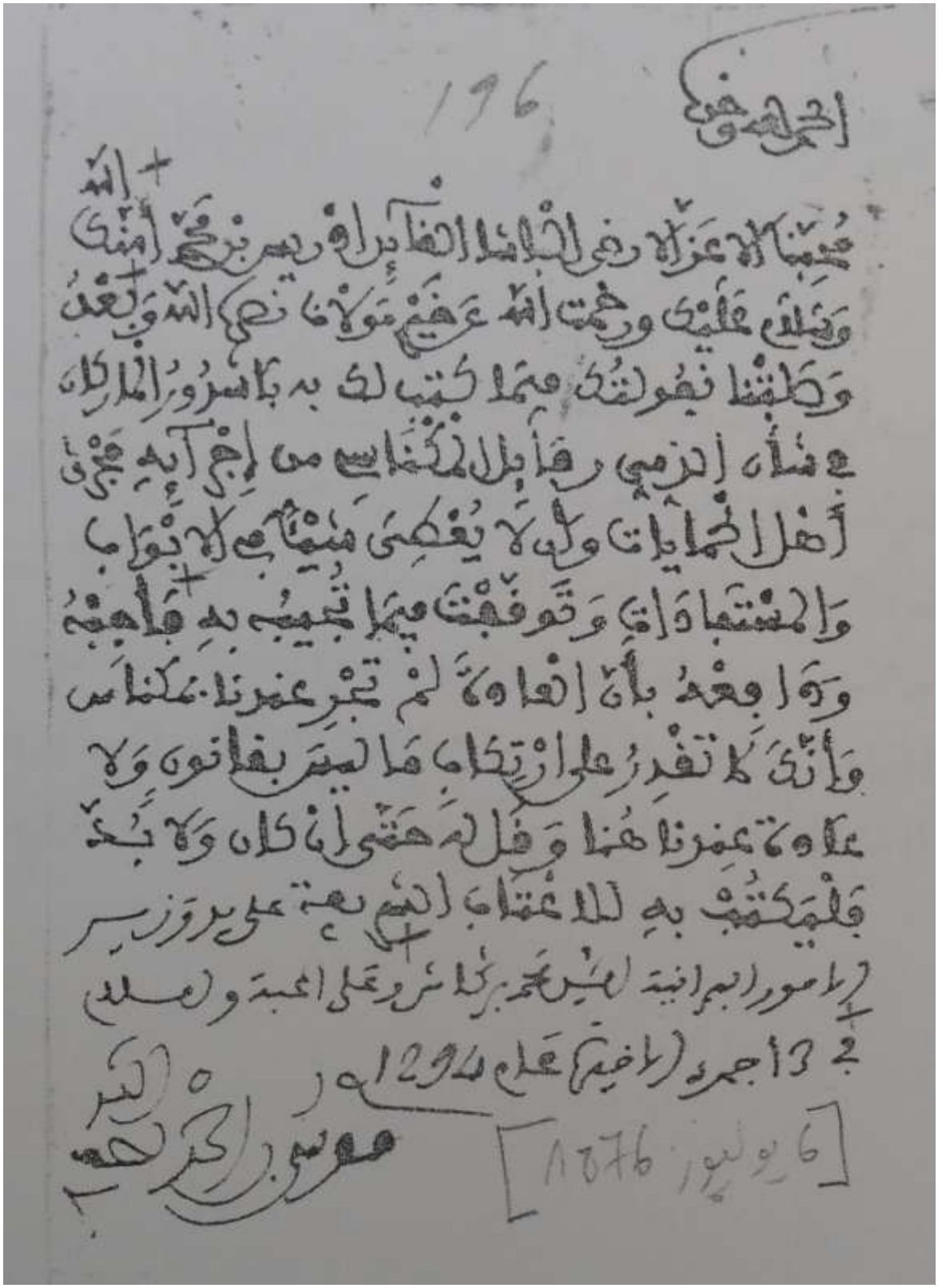

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده

محبنا الأعز الأرضى الباشا القائد ادريس بن محمد أمنك الله وسلام عليك ورحمت الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلتنا نقولك فيما كتب لك به باشدور الماركان في شأن الذمي رفائيل المكناسي من إجرائه مجرى أهل الحمايات وأن لا يعطي شيئا في الأبواب والمستفادات وتوقفت فيما تجيبه به فأجبه ودافعه بأن العادة لم تجر عندنا بمكناس وإنك لا تقدر على ارتكاب ما ليس بقانون ولا عادة عندنا هنا وقل له حتى إن كان ولا بد فليكتب به للأعتاب الشريفة على يد وزير الأمور البرانية السيد محمد بركاش وعلى المحبة والسلام في 13 جمادى الأخيرة عام 1294

موسى بن أحمد

الملحق رقم 9: رسم عدلي فيه استفسار عن المحتمين بالدول الأجنبية وغير المحتمين بها في مكناس

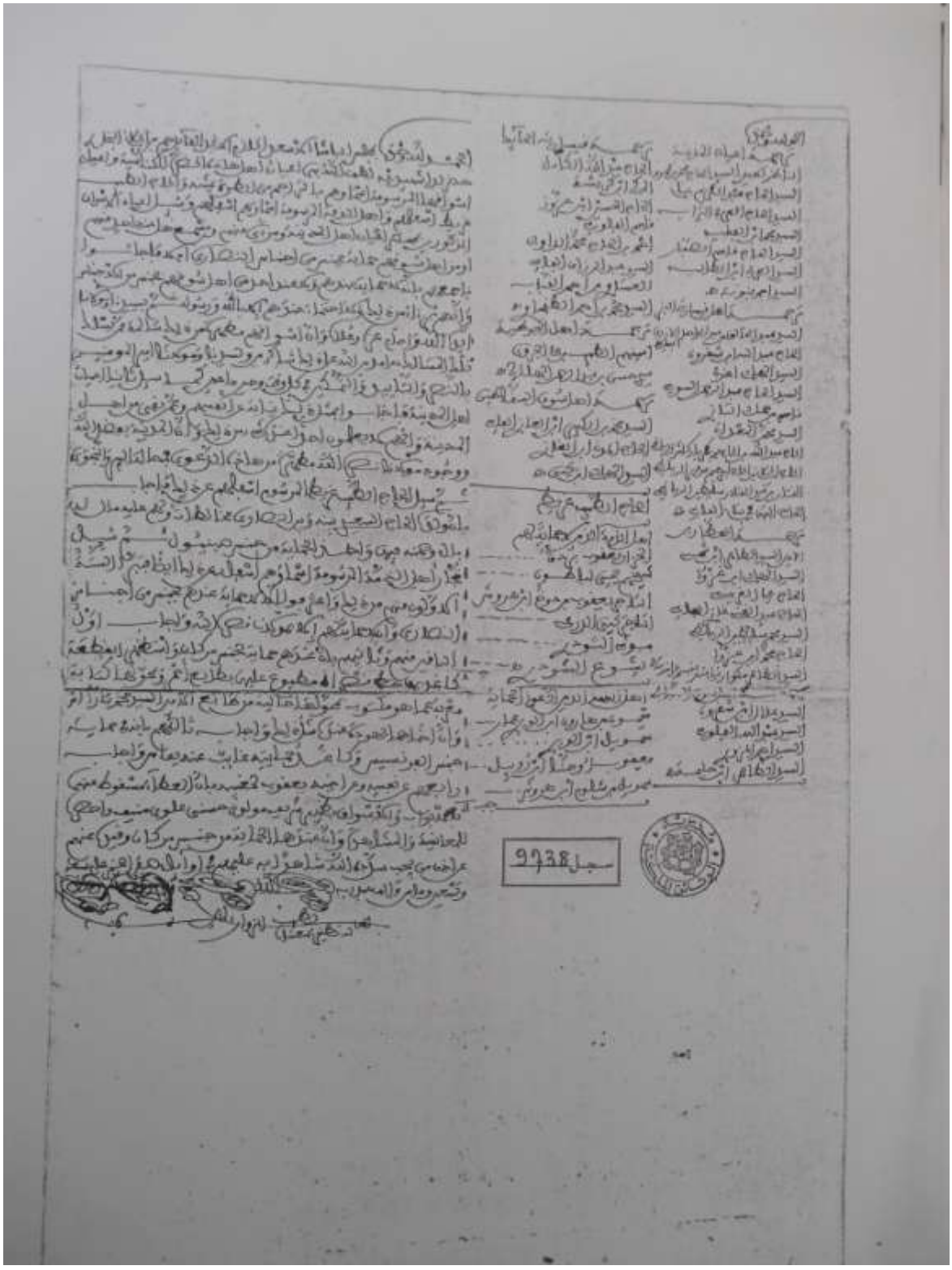

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده بمجلس الباشا الأسعد، الحازم الأنجد، القائد حمو بن الجيلاني البخاري، حضر لدا شهيديه لطف الله بهما أعيان أهل هذه الحضرة المكناسية وأعيان أسواقها المرسومة أسماؤهم بالتراجم من الطرة يمنته والحاج الطيب غريط أسفلهم وأهل الذمة المرسومة أسماؤهم أسفلهم. وسئل أعيان الأسواق المذكورين بمحضر أعيان أهل المدينة ومرأى منهم ومسمع: هل عند أحد منهم أو من أهل سوقهم حماية بجنس من الأجناس النصارى أم لا؟ فأجابوا بأجمعهم بأنه لا حماية عندهم ولا عند أحد من أهل سوقهم بجنس من الأجناس، وأنهم براء من ذلك، ولا احتماء عندهم إلا بالله ورسوله ثم بسيدنا ومولانا أيده الله وأدام عزه وعلاه، وأن أسواقهم مطهرة من ذلك سالمة ممن يسلك تلك المسالك، حامدين الله على ذلك شاكرين، ولسيدنا ومولانا أمير المومنين بالنصر والتأييد والتمكين في كل وقت وحين داعين . كما سئل ثانيا أعيان أهل المدينة، فأجابوا بمثل ذلك نيابة عن أنفسهم وعمن بقي من أهل المدينة، وأنهم لا يعلمون أحدا عنده شيء من ذلك، وأن المدينة بفضل الله ووجود مولانا نصره الله مطهرة من هذه الدعوى، في حالة البر والنجوى. ثم سئل الحاج الطيب غريط المرسوم أسفلهم من ذلك، فأجاب بأن ولده الحاج السعيدي بينه وبين النصارى مُخالطات، ولهم عليه مال له بال وضمنه فيها، وأخذ الحماية من جنس صبنيول. ثُم سئل تجار أهل الذمة المرسومة أسماؤهم أسفله عن ذلك أيضا، فتبرأ الستة الأولون منهم من ذلك، واعترفوا انه لا حماية عندهم بجنس من أجناس النصارى، وأن لا حماية لهم إلا بمولانا نصره الله. وأجاب أول الباقين منهم وثانيهم بأن عندهم حماية بجنس ماركان، واستظهرا بقطعة كاغد بها خط نصراني مطبوع عليه بطابع أحمر وبمحولها كتابة معربة عما هو مكتوب بمحولها خالية من طابع الأمين محمد بركاش، وأن أخاهما يهودة عنده مثل ذلك. وأجاب ثالثهما بأنه في حماية جنس الفرنسيس وكاغد حمايته غائب عنه بفاس. وأجاب رابعهم عن نفسه وعن أخيه يعقوب لمغيبه بأن العطاء مسقوط عنهما بالأبواب والأسواق بظهير شريف مولوي حسني علوي منيف وأحضره للمعاينة والمشاهدة، وأن عندهما الحماية من جنس مركان و قيده عنهم عن إذن من يجب سدده الله شاهدا به عليهم في أوائل سفر الخير عام سبعة وتسعين ومائة وألف.

الحمد لله

ترجمة أعيان المدينة: الناظر الأمين السيد الحاج محمد بن عمرو- السيد الحاج عبد الكريم بناني- الحاج العربي التراب- السيد محمد ابن الفقيه- السيد الحاج قاسم الصفار- السيد العربي ابن الطالب- السيد أحمد بنونة

ترجمة أهل قسارية البز: السيد عبد الخالق بن عبد الواحد الأزرق الفاسي- الحاج عبد الله ابن شقرون- السيد الهادي أغربي- السيد عبد الرحمن السوسي- قاسم بن حمادي التازي- السيد محمد المعداني- الحاج عبد الله بن الحاج بوبكر بركاش الرباطي- المختار بن عبد القادر سليطن الرباطي- الحاج الجيلاني بن الحاج إبراهيم- الحاج التهامي بناني الفاسي.

ترجمة العطارين: الأمين السيد الطاهر بن شمسي- السيد الهادي بن عزوا- الحاج علي الغريسي- الحاج عبد الغني غازي الفاسي- السيد محمد سليطن الرباطي- الحاج محمد ابن عزوا- السيد الطاهر مكوار نيابة عن نفسه وعن إخوته الحمد لله

ترجمة أهل سوق السباط: السيد بلال بن شقرون- السيد عبد الله الفلوسي- السيد أحمد المزوري- السيد الطاهر ابن حليمة.

ترجمة قسارية الحائك: الحاج عبد الله الكامل- المكي ابن كريشة- الحاج الحسين ابن عزوز- قاسم الفلوسي- أحمد بن الحاج محمد الداودي- السيد عبد الرزاق الفاسي- العيساوي بن أحمد القباب- السيد محمد بن أحمد الطنجاوي.

ترجمة أهل الجوطية: أمينهم الطيب بن علي الجروي- سيدي حسن بن عبد الرحمن الهلالي.

ترجمة أهل سوق السقاطين: السيد محمد بن الكبير ابن الغازي الفاسي- الحاج المدني ابن الغازي- السيد الهادي ابن يحيى- الحاج الطيب غريط.

أهل الذمة: الذين لا حماية لهم: الحزان يعقوب بردق- شيخهم يحيى لباطون- التاجر يعقوب مردوخ ابن هاروش- التاجر يحيى الدرعي- موشي الشودري- يشوع الشودري.

أهل الذمة الذين ادعوا الحماية: ميمون بن هارون ابن الويري عمار- سمويل ابن الويري- يعقوب أوحنا ابن ربيل- سمويل بن شلوم بن هروش.

الملحق رقم 10: ظهير المولى الحسن حول تكليف المحتسب المهدي بناني بأمور اليهود بمكناس

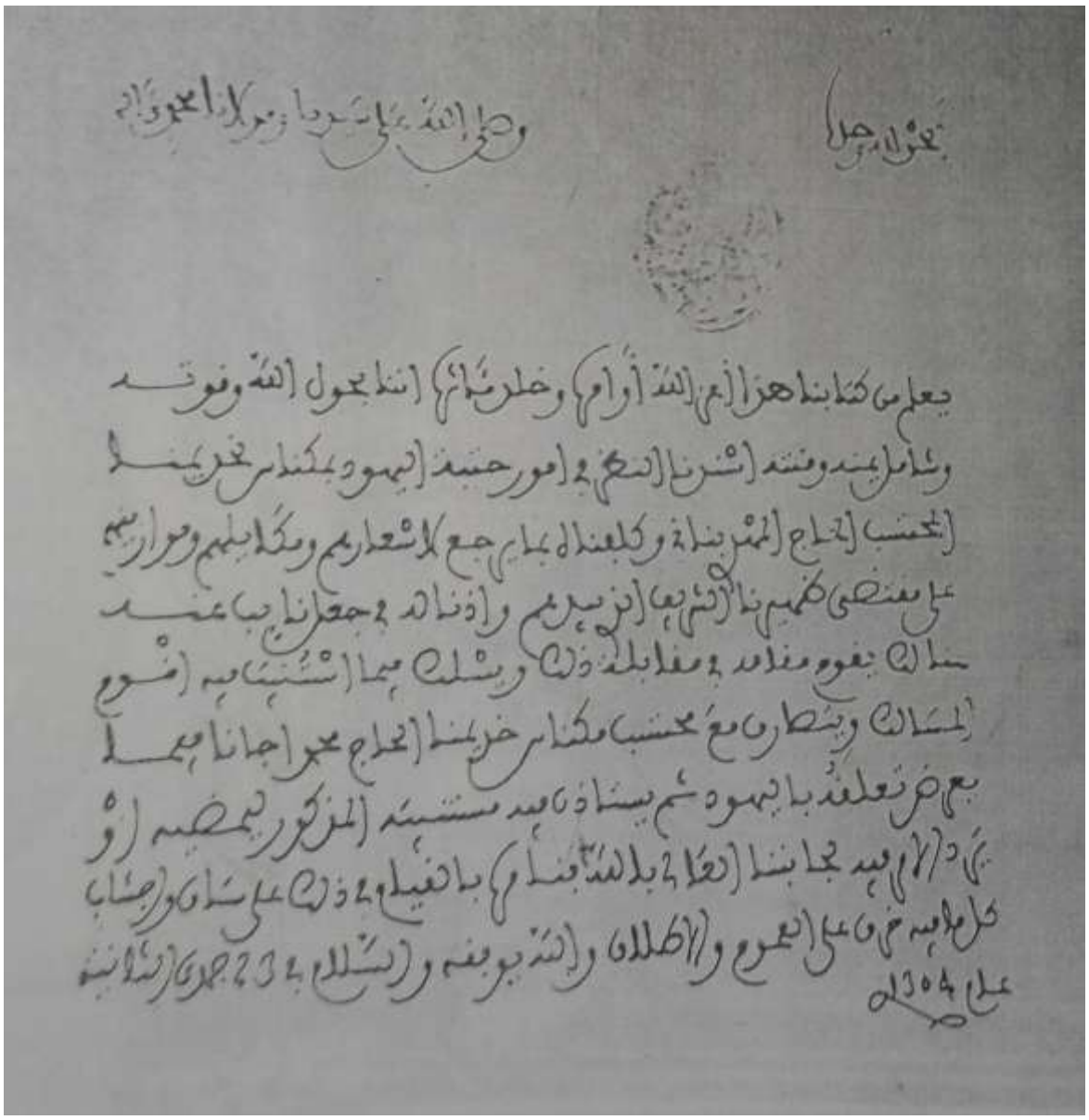

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من كتابنا هذا أعزه الله أوامره وخلد مآثره أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته أسندنا النظر في أمور حسبة اليهود بمكناس لخديمنا المحتسب الحاج المهدي بناني وكلفناه بما يرجع لأسعارهم و مكايلهم وموازينهم على مقتضى ظهيرنا الشريف الذي بيدهم وأذنا له في جعل نائب عنه هناك يقوم مقامه في مقابلة ذلك ويسلك فيما استنيب فيه أقوم المسالك و يتصارف مع محتسب مكناس خديمنا الحاج محمد أجانا فيما يعرض تعلقه باليهود ثم يستأذن فيه مستنيبه المذكور ليمضيه أو يرد الأمر فيه لجنابنا العالي بالله فنأمره بالقيام في ذلك على ساق واجتناب كل ما فيه خرق على العموم والاطلاق والله يوفقه والسلام في 23 جمادى الثانية عام 1304.

الملحق رقم 11: جواب محتسب مكناس محمد أجانا عن رسالة السلطان المولى الحسن المتعلقة بمسطرة عمل أمناء الصائر

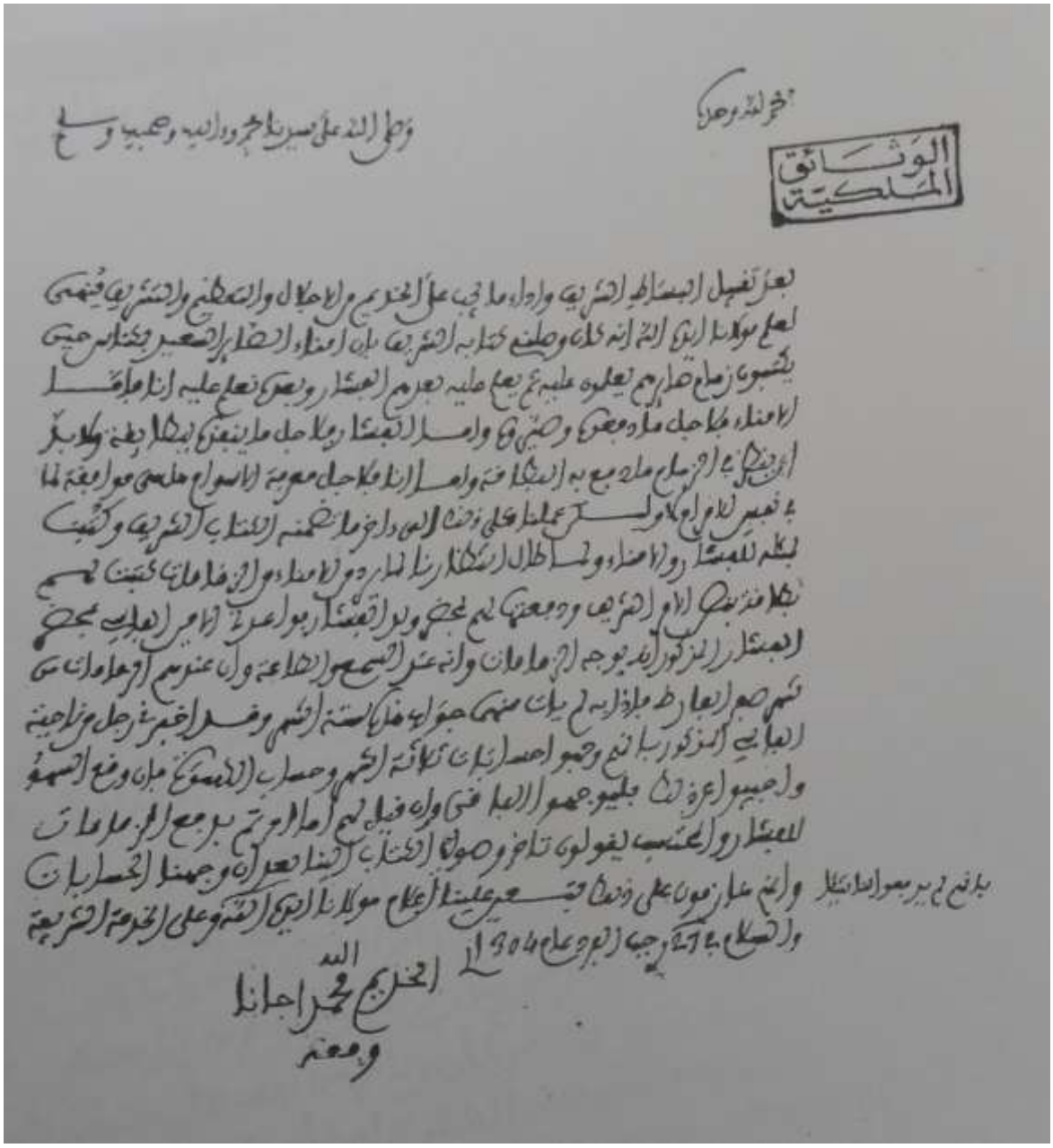

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

بعد تقبيل البساط الشريف وأداء ما يجب على الخديم من الإجلال والتعظيم والتشريف، فينهى لعلم مولانا أيده الله أنه كان وصلني كتابه الشريف بأن أمناء الصائر السعيد بمكناس حين يكتبون زمام صائرهم يعلمون عليه، ثم يعلم عليه بعدهم الفشار، وبعده نعلم عليه أنا. فأما الأمناء فلأجل ما دفعوه وصيروه، وأما الفشار فلأجل ما ينفذه ببطائقه، ولا بد أن ينظر في الزمام ما دفع به البطاقة. وأما أنا فلأجل معرفة الأسوام هل هي موافقة لما في نفس الأمر أم لا؟ وليكن عملنا على ذلك، إلى ءاخر ما تضمنه الكتاب الشريف. وكتبت بمثله للفشار والأمناء. ولما طال انتظارنا لما يرد من الأمناء من الزمامات، كتبت لهم بطاقة بنص الأمر الشريف، ودفعتها لهم بمحضر ولد الفشار، فواعدني الأمين الفاسي بمحضر الفشار المذكور أنه يوجه الزمامات وأنه عند السمع والطاعة، وأن عندهم الزمامات من شهر صفر الفارط . فإذا به لم يأت منها جواب هذه الستة أشهر. وقد أخبرني رجل من ناحية الفاسي المذكور بأنهم وجهوا حسابات ثلاثة أشهر وحساب الكسوة. فإن وقع السهو وأجيبوا عن ذلك فليوجهوا الباقي، وإن قيل لهم أما أمرتم بدفع الزمامات للفشار والمحتسب؟ يقولون تأخر وصول الكتاب إلينا بعد أن وجهنا الحسابات، وأنهم عازمون على ذلك. فتعين علينا إعلام مولانا أيده الله بأنهم لم يدفعوا لنا شيئا، وعلى الخدمة الشريفة. والسلام في 27 رجب الفرد عام 1304

الخديم محمد أجانا وفقه الله

الملحق رقم 12 : رسالة سلطانية في شأن التاجر اليهودي يعقوب أحنا

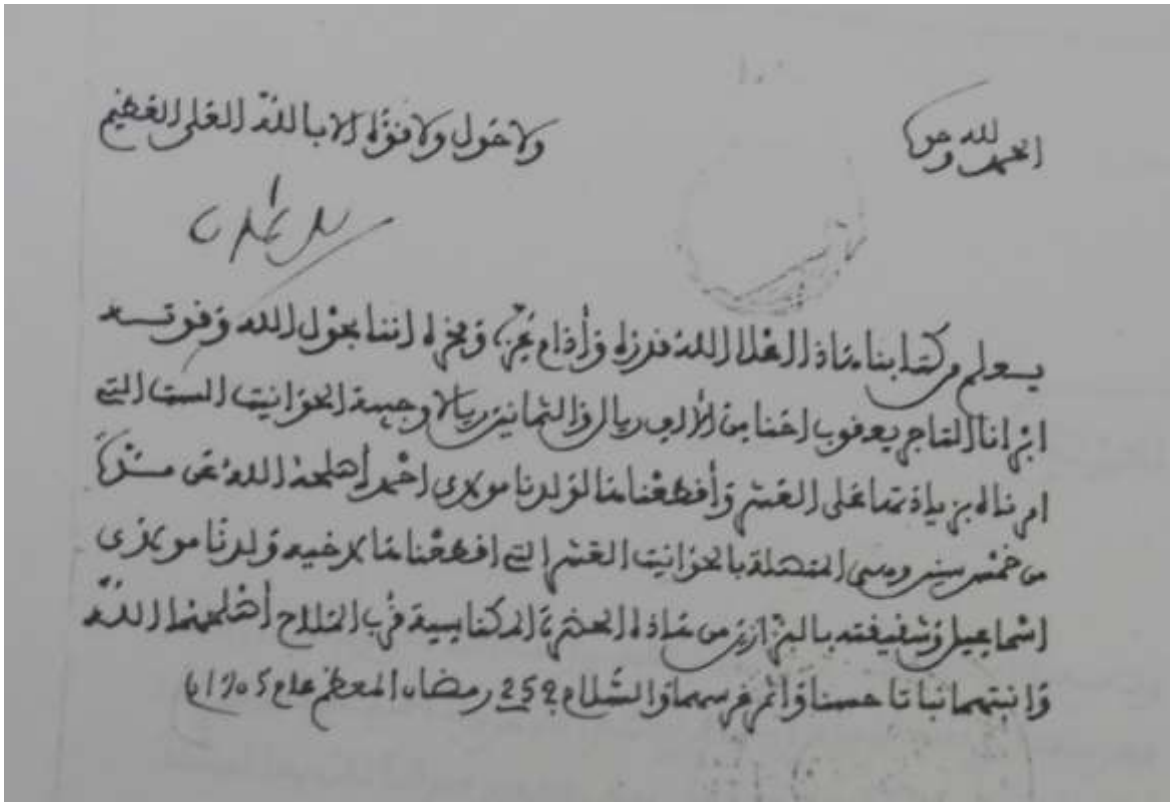

المصدر: وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يعلم من كتابنا هذا أعلا الله قدره وأدام عزه وفخره أننا بحول الله وقوته أبرأنا التاجر يعقوب أحنا من الألف ريال والثمانين ريال وجيبة الحوانيت الست التي أمرنا بزيادتها على العشر وأقطعناها لولدنا مولاي أحمد أصلحه الله عن مدة خمس سنين وهي المتصلة بالحوانيت العشر الت أقطعناها لأخيه ولدنا مولاي إسماعيل وشقيقته بالبزازين من هذه الحضرة المكناسية قرب الملاح أصلحهما الله وأنبتهما نباتا حسنا وأثمر غرسهما والسلام في 25 رمضان المعظم عام 1305

الملحق 13: رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى القاضي أحمد بن سودة بشأن أحمد أجانا.

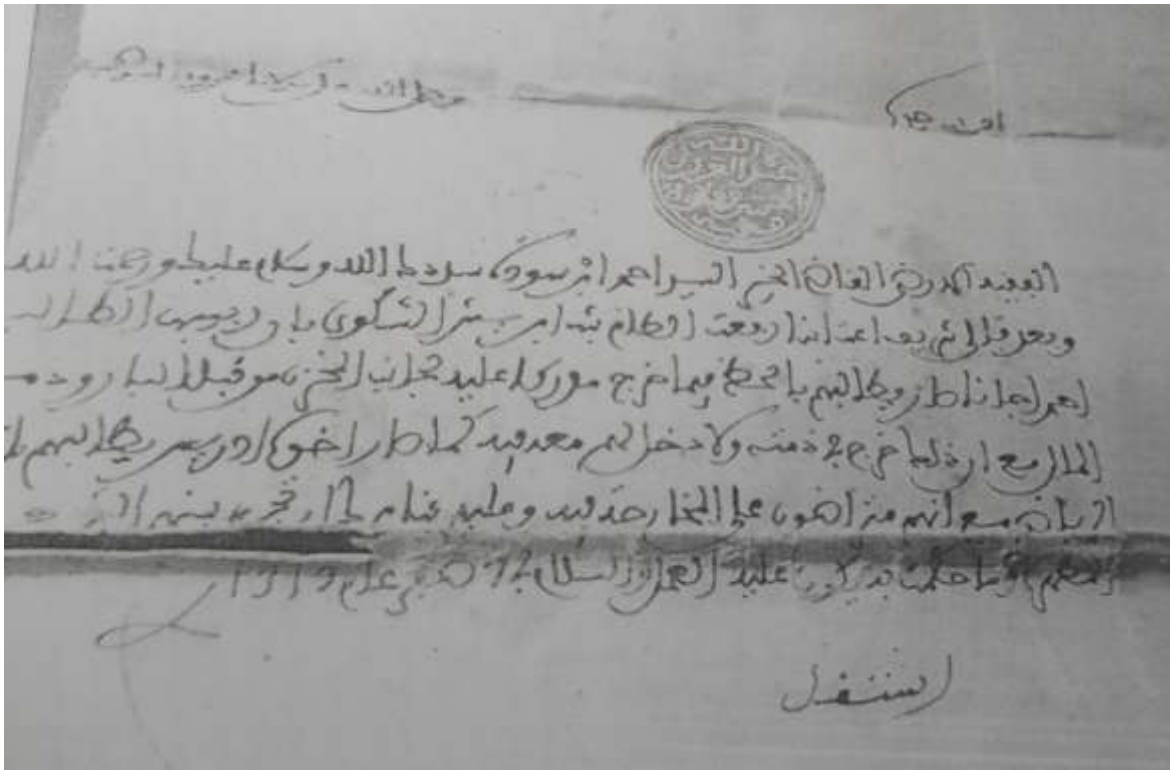

المصدر: وثائق خاصة بالمحتسب آجانا

الحمد لله وحده وصلى الله على مولانا محمد وءاله وصحبه

الفقيه الأرضى القاضي الخير السيد أحمد بن سودة سددك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد فإلى شريف أعتابنا رفعت الكلام الشكوى بأن الطالب أحمد أجانا صار يطالبهم بالحظ فيما خرج مدركا عليه بجانب المخزن من قبل البارود من المال مع أن ذلك خرج في ذمته ولا دخل لهم معه فيه كما صار أخوه إدريس يطالبهم بإجارة الرياض مع أنهم متراضون على المخارجة فيه وعليه فنأمرك بأن تجري بينهم بالشريعة المطهرة ما حكمت به يكون عيه العمل والسلام في 1 صفر عام 1313

الملحق 14: رسالة من السلطان المولى الحسن إلى القائد محمد بن يعيش بعاتبه فيها على تهوره وتسرعه خلال مواجهته لبرابر الأطلس المتوسط

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

«وصيفنا الأرضى القائد محمد بن يعيش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد، عرضت نفسك بتهورك، وعدم ثباتك لما يتحاشى عنه منصبك من الإهانة التي أوقعته فيها، بسوء نظرك وعدم ترويك إذ من أول الشروط المهم اعتبارها في الولاة هو أن يكونوا يتحاشون في ما يخل بنزاهة التكليف، كالهجوم على أماكن الطيش لأن الشأن هو تخصيص من يناسب له، وكان ينبغي أن تقدم البحث حتى تعلم المحل لمن هو ومن به لتكون على بينة، ثم حين يتسنى أن هناك عسكر البوليس أو غيره يكون المتعين فيه بقاعدته وتبقى ساحتك برية وصحيفتك نقية مما سعيت فيه بالتهور قبل التروي والعجلة دون التثبت وبعد البحث يظهر بحول الله تعالى والسلام في 9 صفر الخير عام 1328».

الملحق 16: زمام الناس المحميون

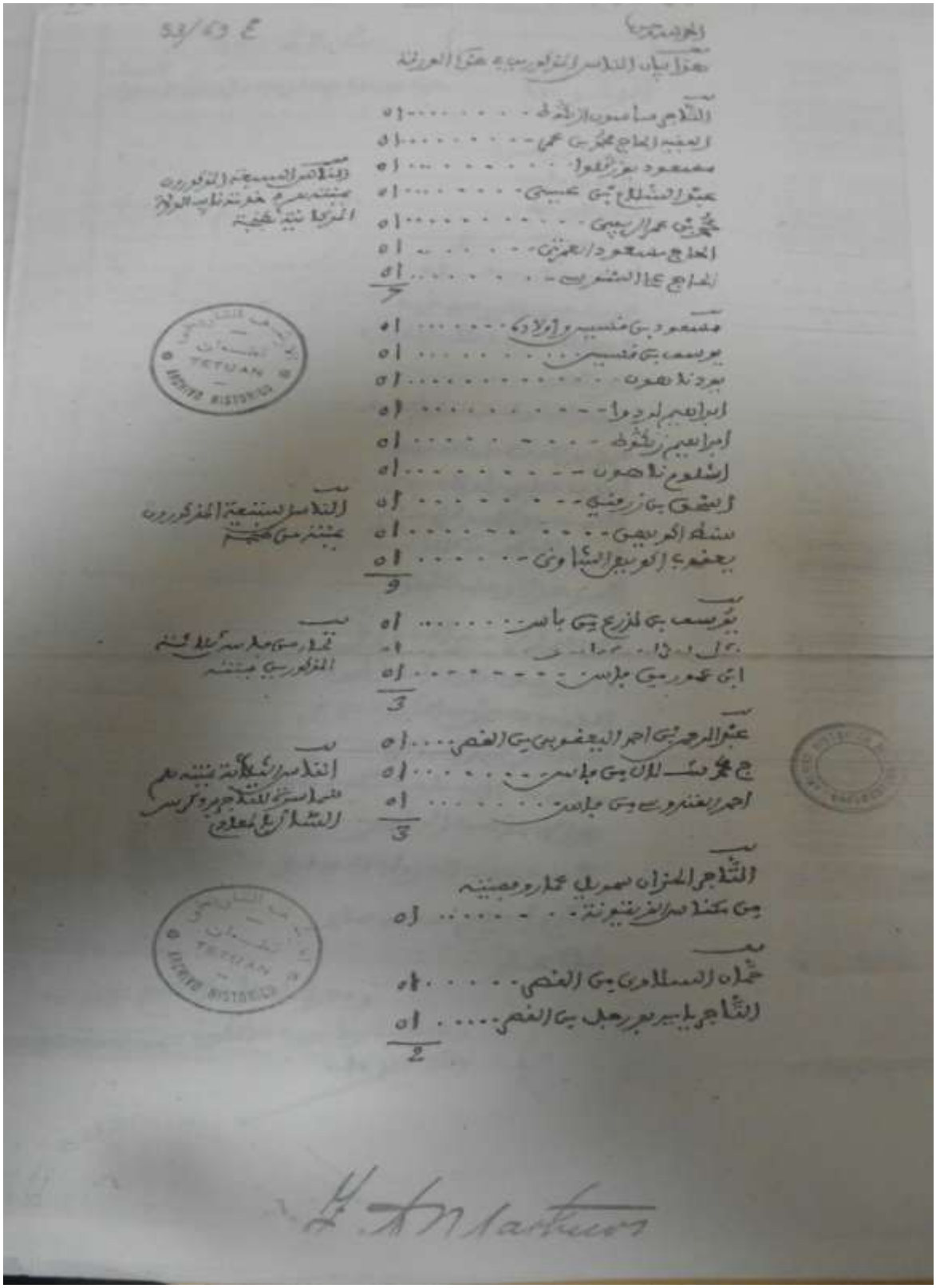

الأرشيف التاريخي، تطوان

الملحق 17: زمام أهل الحماية والسمسرة

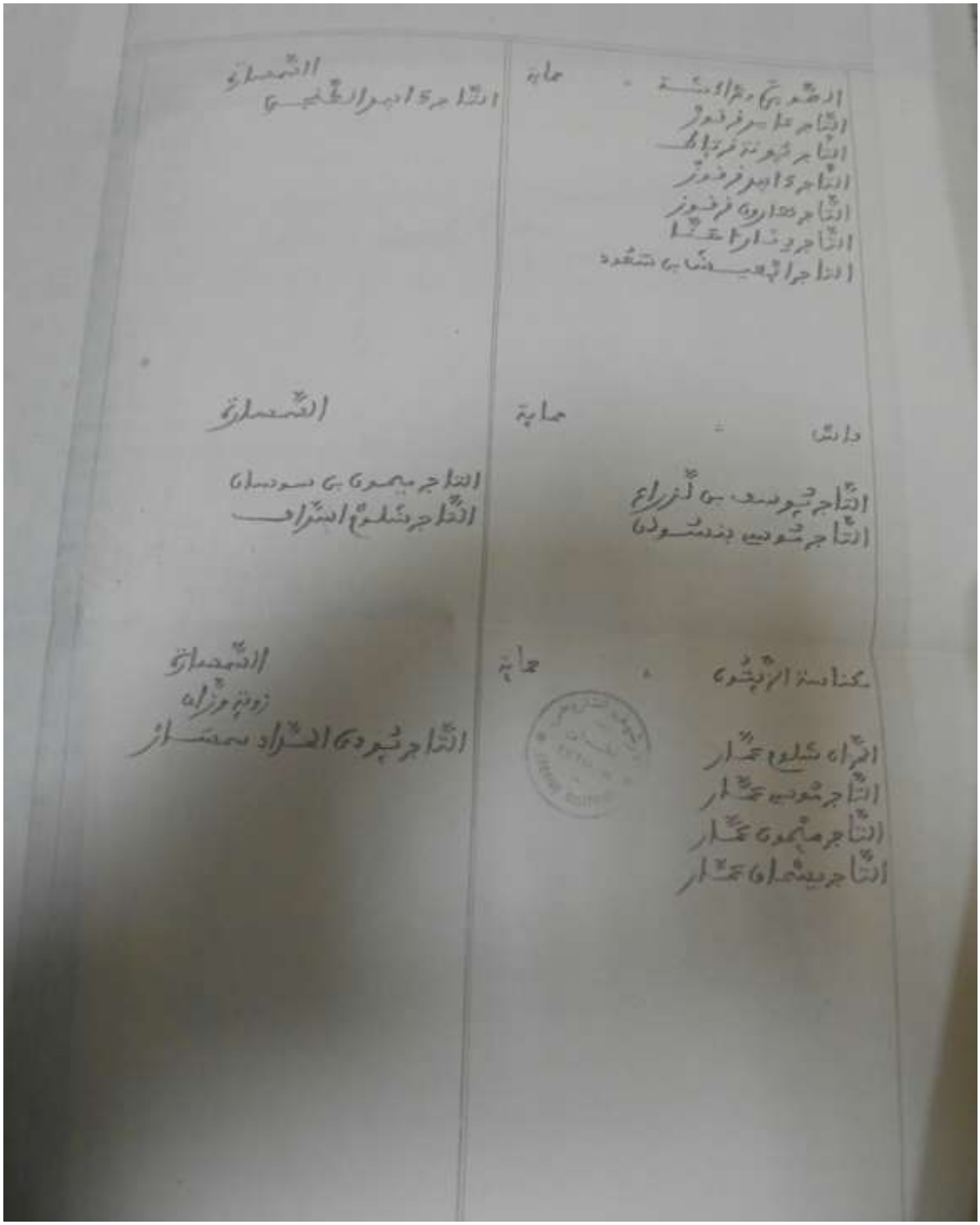

الأرشيف التاريخي، تطوان

البيليوغرافيا:

I باللغة العربية:

1 المصادر:

❖ الأرشف المخزني:

❖ وثائق الخزانة الحسنية بالرباط: كنانيش، المحافظ المتعلقة بالسلاطين العلويين، المجموعة المعروفة المجموعة الزيدانية

❖ وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط: المحفظات المتعلقة بمدينة مكناس.

❖ الوثائق:

❖ الأرشيف التاريخي، تطوان، زمام الناس المحميون، مج 53/69. زمام أهل الحماية والسمسرة، مج 69/ 53.

❖ حوالة أحباس كبرى مكناس، رقم 5، ، قسم المخطوطات والوثائق، المكتبة الوطنية، رقم 116.

❖ حوالة أحباس أحمد الشبلي، قسم المخطوطات والوثائق المكتبة الوطنية، رقم 115.

❖ حوالة أحباس مكناس أو حوالة أحباس المساجد الصغار، رقم 4، قسم المخطوطات والوثائق، المكتبة الوطنية، رقم 121.

❖ وثائق خاصة بالمحتسب آجانا.

ج- المصادر المخطوطة:

❖ ابن حمدون السلمي، **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن**، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 12184، الجزء السادس.

❖ أبو الربيع مولاي سليمان العلوي، **عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد**، الخزانة الحسنية، رقم 1254.

❖ أبو مدين الدرعي، **رحلة**، مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 297 ق.

❖ أحمد التجاني، **نصرة الشرفا في الرد على أهل الجفا**، الخزانة الحسنية، رقم 13848.

❖ أحمد بن محمد العلوي الحسني، **الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 4489.

❖ العربي المشرفي:

- **الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب العجز في الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، الخزانة الحسنية، رقم 12812.
- **مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان**، الخزانة الحسنية، رقم 12082.

❖ محمد التاودي السقاط، **خرق العوائد واستجلاب الفوائد**، مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 52 ك.

❖ العربي البصري المكناسي، **منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار**، الخزانة الحسنية، رقم 11564.

❖ علي السملالي السوسي، **عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة**، د 480.

❖ محمد بن أحمد بن رحمون الندرومي، **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية**، الخزانة الحسنية، رقم 481.

❖ محمد بن الحسن الحجوي، **دفتر تقاييد لحوادث تاريخية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ**، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم 128 ح.

❖ محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، **الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب**، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم 120.

❖ محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، **تقييد في عائلة البيجري**، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 13748.

❖ مولاي عبد السلام بن محمد بن عبد الله العلوي، **اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار**، الخزانة الحسنية، رقم 106.

د- المصادر المطبوعة:

❖ القرآن الكريم برواية ورش.

❖ ابن أبي زرع الفاسي ،**الأنيس المطرب ب**روض القرطاس **في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

❖ ابن دنان، **كتاب التوراريخ أو تاريخ فاس**، ترجمة وتقديم عبد العزيز شهبر، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الثانية، 2006- 2007.

❖ ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، دراسة وتحقيق عطا أبو رية وسلطان بن مليج الأسمري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م.

❖ أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1391هـ/ 1971م، المجلد الثالث.

❖ أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999م.

❖ أبو العباس القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ.

❖ أبو القاسم الزياني:

- **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 1992م.

- **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.
- **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ.

❖ أبو القاسم العميري، **فهرسة العميري**، تقديم وتحقيق أحمد دجوغ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. د.ت.

❖ أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1349هـ/ 1931م، الجزء 14.

❖ أبو علي الحسن بن رحال المعداني، **كشف القناع عن تضمين الصناع**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر،تونس، الطبعة الأولى، 1986م.

❖ أحمد الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1401هـ/ 1981م، الجزء السابع.

❖ أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، تحقيق الحاج جعفر بن الحاج السلمي، جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1424هـ/ 2003م، الجزء الثالث.

❖ أحمد الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1987م.

❖ أحمد بن العياشي سكيرج:

- **رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب،** قدم عليه إدريس العراقي الحسني، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1390هـ/ 1971م، عدد الأجزاء 4.
- **غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود،** تحقيق محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني، www.cheikh-skiredj.Com، ص. 92، اطلع عليه يوم 27/ 11/ 2018.

❖ أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،** تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.

❖ إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم،** تحقيق سامي بن محمد السلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م، الجزء الثاني.

❖ جون وندوس، **رحلة إلى مكناس،** ترجمة عن الإنجليزية زهراء إخوان، تقديم وتعليق عبد اللطيف الشاذلي، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل، 1994.

❖ الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، **التنبيه المعرب عما كان عليه الآن حال المغرب،** تقديم وتصحيح محمد المنوني، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م.

❖ الحسين الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن،** تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ.

❖ روهلنج-شارل لوران، **الكنز المرصود في قواعد التلمود،** ترجمة يوسف حنا نصر الله، دراسة وتقديم حجازي السقا، مكتبة النافذة، الجيزة، الطبعة الأولى،2003.

❖ سليمان الباجي الأندلسي المالكي، **المنتقى شرح الموطأ،** مطبعة السعادة، مصر؛ الطبعة الأولى، 1332هـ، الجزء 5.

❖ شرف الدين محمد البوصيري، **الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية على متن الهمزية في مدح خير البرية**، تحقيق الشيخ عاصم إبراهيم الكيالي. دار الكتب العلمية، بيروت، 2015.

❖ شهاب الدين الصنهاجي القرافي، **اليواقيت في علم المواقيت**، دراسة وتحقيق جراح بن نايف الفضلي، رسالة لنيل درجة الماجيستير في الفقه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1428هـ.

❖ الطيب بن عبد القادر الحريف، **أسرة الحريف من خلال وثائق**، نسخة مرقونة دون تاريخ الرقن.(نسخة خاصة).

❖ العباس بن ابراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م، عدد الأجزاء 10.

❖ عبد الرحمان ابن زيدان:

- **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، الأجزاء 5.
- **إتحاف أعلام الناس**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، الجزء 6.
- **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/ 1937م.
- **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م.
- **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ.
- **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م.

❖ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، الجزء الأول.

❖ عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004، جزآن.

❖ عبد السلام بن الطيب القادري، **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني**، الخزانة الحسنية، رقم 875.

❖ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997، جزآن.

❖ عبد الكريم بن موسى الريفي، **زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى اسماعيل**، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.

❖ عبد الله بن محمد الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.

❖ علي بن أحمد مصباح الزرويلي، سنا المهتدي **إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي**، تحقيق ودراسة فدوى أهليعش، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، السنة الجامعية 2011- 2012م.

❖ الحسن اليوسي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، جمع وتحقيق ودراسة فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م.

❖ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م.

❖ قصة الهولندية ماريا تيرمتلن: **الأسيرة التي عاشت بمكناس العاصمة في النصف الأول من القرن 18**، ترجمة ودراسة وتحقيق ادريس أبو ادريس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996.

❖ محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، جزآن.

❖ محمد ابن سماك العاملي الأندلسي، **رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير**، تقديم وتحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

❖ محمد ابن عسكر الشفشاوني الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، 1397هـ/ 1977م.

❖ محمد ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**،تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1991م، الجزء الأول.

❖ محمد الصغير الإفراني، **ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها**، تحقيق ودراسة عبد الحي السعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.

❖ محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.

❖ محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، **شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الفتاح الزنيفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م.

❖ محمد المختار السوسي:

- **المعسول**، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1381هـ/ 1961م.
- **حول مائدة الغذاء**، مطبعة الساحل، الرباط، 1983.

❖ محمد المنالي الزيادي، **سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية**، تقديم وتحقيق عبد الحي اليملاحي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1433هـ/ 2012م.

❖ محمد المنوني:

- **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/ 1976م.

❖ محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع **في ذكر الجزولي والتباع وما لها من الأتباع**، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م.

❖ محمد بن أحمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، جزآن.

❖ محمد بن أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، د..ت، جزآن.

❖ محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م.

❖ محمد بن الحاج السلمي، **الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، المكتبة الحيدرية، قم- إيران، 1434هـ/ 2004م، الجزء الثاني.

❖ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م.

❖ محمد بن الحسن المجاصي، **نوازل المجاصي**، دراسة وتحقيق هشام الكراس، أطروحة دكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، السنة الجامعية 2013-2014م.

❖ محمد بن الطيب القادري:

- **التقاط الدرر المواعظ والعبر من أعيان المائة والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
- **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، عدد الأجزاء 4.

✓ محمد بن العياشي المكناسي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**، تحقيق ودراسة أحمد قدور، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 2013م.

✓ محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، **إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

✓ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، عدد الأجزاء 3.

✓ محمد بن سعد، **كتاب الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى)**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م، الجزء 7.

✓ محمد بن عثمان المكناسي:

- **الإكسير في فكاك الأسير**، حققه وعلق عليه محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
- **البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر، دراسة وتحقيق** مليكة الزاهدي، لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1994- 1995م. (مرقونة)

- **إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، دار السويدي للنسر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003م.

✓ محمد بن محمد الحجوجي، **فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام**، تقديم وتحقيق أنور ترفاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2018.

✓ محمد بن محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م.

✓ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشوراة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م، جزآن.

✓ محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، الجزء 1، ص. 218.

✓ محمد خليل بن علي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1408 هـ / 1988 م، الجزء الرابع.

✓ محمد داود، **تاريخ تطوان**، الطبعة المهدية، تطوان، 1965م، المجلد الخامس.

✓ محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، المطبعة الجديدة، فاس، الطبعة الأولى، 1347هـ.

✓ مرعي الكرمي، **مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب**، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.

✓ مسلم الحجاج، **مسلم، صحيح** دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م.

✓ مولاي إدريس الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، مطبعة فضالة، المحمدية 1420هـ/ 1999م، جزآن.

المراجع:

❖ إبراهيم حركات:

- **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف من الزمن**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1994م.
- **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1987.
- **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/ 2000م.

❖ إبراهيم كريدية، **الحماية أصلها وتطوراتها حتى مؤتمر مدريد سنة 1880م**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1889م.

❖ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، الجزء 2.

❖ أحمد الوارث، **الطريقة الجزولية: التصوف والشرف والسلطة في المغرب الحديث**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م.

❖ أحمد بوشرب، **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

❖ أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية: زاوية أبي الجعد إشعاعها الديني والعلمي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1985م، الجزء الأول.

❖ أحمد عبد اللوي علوي، **مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث**، 1416هـ/ 1996م، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، الجزء 1.

❖ أحمد متفكر، **من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، الطبعة الأولى، 2013م.

❖ إدموند دوتي، **الصلحاء: مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2014م.

❖ ألبير عياش، **حصيلة الاستعمار الفرنسي في المغرب**، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، مراجعة وتقديم ادريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، دار الخطابة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985م.

❖ بلال صفي الدين، **أهل الحل والعقد في نظام الحكم الإسلامي**، دار النوادر للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2008م.

❖ ثريا برادة، **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

❖ جراد المهدي، **عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني 1705–1881م**، الأرشيف الوطني التونسي، تونس، الطبعة الأولى، 2011م.

❖ جميل حمادي، **سوسيولوجيا النخب: النخبة المغربية أنموذجا**، شبكة الألوكة، الطبعة الأولى، 2015م.

❖ جون واتربوري، **أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الثالثة، 2013م.

❖ الحاج ساسيوي الفيلالي، **الفاسيون والمخزن الإسماعيلي(1672– 1727م)**، مطبعة وراقة سجلماسة، مكناس، الطبعة الأولى، 2011م.

❖ حسام محمد عبد المعطي، **العائلة والثروة: البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.

❖ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

حسن النجار، الأشراف، القاهرة، 1938م.

❖ حسن جلاب، **الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 1994م.

❖ حسن حافظي علوي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418هـ - 1997م.

❖ حمزة الحسن، **العمل في مائة عام**، دار الملتقى، سوريا، 2010م.

❖ خالد الرامي، **تطوان خلال القرن الثامن عشر: تاريخ وعمران**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى، 2005.

❖ خديجة بن بوسلهام، **المخزن والمجتمع في النصف الأول من القرن التاسع عشر: عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام 1822– 1859م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2013م.

❖ رقية بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082– 1139هـ/ 1672–1727م**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م، جزآن.

❖ روبير أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ترجمة علي الصقلي ومحمد كليزم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997م.

❖ ريمي لوفو، **الفلاح المغربي المدافع عن العرش**، ترجمة محمد بن الشيخ، منشورات وجهة نظر، الرباط، الطبعة الأولى، 2011م.

❖ السعيد بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1417هـ/ 1996م، جزآن.

❖ سعيد فهمي، **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة: دراسة في التاريخ الاجتماعي**، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى1413هـ/ 1993.

❖ شاكر لعيبي، **الفن والحرف الفنية لدى ابن خلدون: المدينة الخلدونية الفاضلة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م.

❖ الطيب بن العربي بن عبد السلام الطاهري، **تطييب الانفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس**، شركة الطباعة صوت مكناس، مكناس، 1405هـ/ 1985.

❖ الطيب بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار: ضريبة الترتيب 1880– 1915م**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011.

❖ عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م.

❖ عبد الإله الفاسي، **مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830– 1912م**، منشورات جمعية رباط الفتح، مطابع الأطلس، الراط، 1996م.

❖ عبد الرحيم العطري ، **سوسيولوجيا الأعيان، دفاتر العلوم الإنسانية**، الطبعة الثالثة، الرباط/القاهرة، 2013م.

❖ عبد العزيز بنعبد الله، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1401هـ/ 1981م، الجزء 4.

❖ عبد اللطيف اكنوش، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1980م.

❖ عبد اللطيف الشاذلي، **الحركة العياشية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1982.

❖ عبد الله الداودي، **بيوتات طنجة خلال القرن 18 من خلال حوالة أحباسها دراسة وثائقية**، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، الطبعة الأولى، 2013 م.

❖ عبد الله العروي:

- **الأصول الإجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830– 1912م**، تعريب محمد حاتمي، محمد جادور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2016م.
- **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية، 2009م، الجزء 3.
- **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981م.

❖ عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربيه الحديثة**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، 2010م.

❖ عبد الله نجمي، **التصوف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة ق 16–17م**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.

❖ عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، 1408هـ/ 1988م، المجلد التاسع.

❖ عبد الوهاب بن منصور:

- **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/ 1968م، الجزء 1.
- **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880م**، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م.

❖ عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م، الجزء 2.

❖ العربي اكنينح:

- **آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر : نموذج قبيلة بني مطير** (**آيت انظير**)، مطبعة انفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2004.
- **انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر وانعكاساته على تطور البنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبادية المغربية: نموذج قبائل هضبة سايس**، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2005م.

❖ علال الخديمي، **المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851– 1947م: دراسات في تاريخ العلاقات الدولية**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006م.

❖ علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة السادسة، 2003م.

❖ لحسن اليوبي، **الفتاوي الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م.

❖ ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1397هـ/ 1977م.

❖ محمد استيتو، **الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م**، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، الطبعة الأولى، 2004م.

❖ محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075– 1311هـ/ 1664– 1894م)**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977م.

❖ محمد الأمراني، **ابن برّي التازي إمام القراء المغاربة**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م.

❖ محمد الصغير الخلوفي، **بوحمارة من الجهاد إلى التآمر: المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909م**، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1993.

❖ محمد العربي الخطابي، **علم التوقيت أصوله ومناهجه**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1407هـ/ 1986م.

❖ محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1290– 1311هـ/ 1873– 1894م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.

❖ محمد العمراني، **المغرب زمن العلويين الأوائل**، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 1435هـ/ 2013م.

❖ محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين 1792– 1822م**، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006م.

❖ محمد المنوني:

- **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م، جزآن.
- **من حديث الركب المغربي**، مطبعة المخزن، تطوان، 1953م.
- **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1420هـ/ 2000.

❖ محمد المهناوي، **التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي الأول**، أعده للنشر أحمد المكاوي وعبد المجيد بهيني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، الطبعة الأولى، 2018م.

❖ محمد الوادي، **الوجود اليهودي بالمغرب: الجذور والتمظهرات**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م.

❖ محمد بالوز، **صفحات من تاريخ آسفي**، جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2004.

❖ محمد بن المهدي الطاهري، **الدر الزاهر فيمن حل بمكناسة الزيتون من شرفاء بني طاهر**، نسخة مرقونة في المكتبة الوطنية، 1980.

❖ محمد بن عبد الكريم الشبيهي، **الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية**، مطبعة سندي، مكناس، 1423هـ/ 2003م.

❖ محمد بن محمد المهدي التمسماني، **الإمام مولاي عبد السلام بن مشيش**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2013م.

❖ محمد بو زيان بنعلي، **بيوتات العلم والأدب بفجيج**، تقديم مصطفى بن حمزة، دار النشر الجسور، وجدة، 1422هـ/ 2002م.

❖ محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1988م.

❖ محمد حمد الغرايبة، **نظام القضاء في الإسلام**، دار الحامد للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م.

❖ محمد خير فارس، **المسألة المغربية 1900– 1912م**، مكتبة دار الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.

❖ محمد سليمان الأشقر، **الفتيا ومناهج الإفتاء: بحث أصولي**، مكتبة المنار الإسلامية، حولي (الكويت)، الطبعة الأولى، 1396هـ/ 1976م.

❖ محمد عابد الجابري، **العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة السادسة، 1994م.

❖ محمد عبد الحي الكتاني، **ماضي القرويين ومستقبلها**، ضبط وتعليق عبد المجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.

❖ محمد عمراني، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 9– 13هـ/ ونهاية 15– 19م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2015م.

❖ محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ/ 12– 15م**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1999م.

❖ مختار عيسى سليمان مصطفى، **الوظيفة العامة في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله؛ جامعة الأردن، كلية الدراسات العليا، عمان 1998م.

❖ مصطفى الشابي:

- **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830– 1912م**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008م، جزآن.
- **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، مطبعة فضالة، المحمدية الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م.

❖ مصطفى بنعلة، **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2007م، جزآن.

❖ مصطفى بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، تقديم عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1404هـ/ 1984م.

❖ مكسيم رودنسون، **الإسلام والرأسمالية**، ترجمة نزيه الحكيم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، 1982.

❖ نذير محمد مكتبي، **خصائص الخطبة والخطيب**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، 1426هـ/ 2005م.

❖ نعيمة هراج التوزاني، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290– 1311هـ/ 1873– 1794م: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1979م، ص. 171- 172.

❖ هشام مليح، **المخزن والجباية في مغرب ما قبل الحماية**، مطبعة الأمنية، الرباط ، 2016م، ص 141.

❖ هوبكنز، **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1780.

الرسائل والأطروحات الجامعية المرقونة:

❖ أحمد الوارث، **الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17م و18م**، أطروحة دولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1998م، الجزء الثاني، (مرقونة).

❖ آمنة محمود عودة، **الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس 316– 422هـ/ 928– 1030م**، رسالة ماجيستير، جامعة مؤتة، كلية الآداب، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1999- 2000م.

❖ بوشتى بوعسرية، **مكناس: المدينة الجديدة التأسيس– البنيات الادارية– التاناقضات 1911– 1939م**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1994- 1995م.

❖ جمال حيمر، **مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م.

❖ سعود بن سعد آل دريب، **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية**، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1419هـ/ 1999م. (منشورة).

❖ عبد الإله، الدحاني، **المغرب من خلال الكتابات الأوربية على عهد مولاي اسماعيل (1672– 1727م)**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1997/1996. (مرقونة).

❖ عبد الرزاق العساوي، **أعيان تطوان خلال القرنين 18م و19م**، أطروحة الدكتوراه في الآداب، تخصص تاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2014 -2015م، (مرقونة).

❖ عبد السلام حيمر، إشكالية التحديث في الفكر الاجتماعي المغربي (**1844– 1912م**)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1990- 1991م. (مرقونة).

❖ عبد العزيز السعود، **تطوان في القرن الثامن عشر: السلطة– المجتمع– الدين**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، السنة الجامعية 2005- 2006م، (مرقونة).

❖ عبد العزيز بن محمد مرشد، **نظام الحسبة في الإسلام: دراسة مقارنة**، رسالة ماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الدراسات العليا، المعهد العالي للقضاء، منشورة في موقع:

http://www.abdelazizbenabdallah.org/oeuvres/docs/Oeuvres_Hisba.pdf، بتاريخ 20/ 01/ 2019.

❖ عبد المالك ناصري، **الخريطة المعمارية لمدينة مكناس: دراسة تاريخية ومعمارية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م،(مرقونة).

❖ عبد الواحد الهاروني علوي، **الأضرحة والمزارات في مكناس**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003-2004م، (مرقونة).

❖ فضيل حضري، **تشكل النخبة الدينية في الجزائر**، أطروحة الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة أبو يكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، تلمسان، السنة الجامعية، 2012- 2013م، (مرقونة).

❖ فوزية لزعم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925- 1246هـ/ 1520- 1830م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية 2013- 2014م، (مرقونة).

❖ محمد البوزيدي الشيخي، **العلاقات المغربية الخارجية في القرن الثامن عشر من خلال المصادر المغربية**، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1999- 2000م، الجزء الثاني، (مرقونة).

❖ محمد اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر (1850-1912م)**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1404هـ/ 1984م. (مرقونة).

❖ محمد حجاج عبد الرزاق، **الزوايا و المجتمع والسلطة بالمغرب: دراسة حول الزاوية الخمليشية بالريف الأوسط**، أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس، السنة الجامعية 2001- 2002م، الجزء 1، (مرقونة).

❖ محمد ياسر الهلالي، **مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين 8-9هـ/ 14-15م: مساهمة في دراسة بعض المصطلحات التراتب الاجتماعي- العامة- الخاصة- الطبقة، المرتبة،** أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1999-2000م، (مرقونة).

الدراسات المنشورة في أعمال الندوات والمجلات والدوريات:

❖ إبراهيم القادري بوتشيش:

- «الطبقة في المغرب الإسلامي بين المفهوم العام وخصوصية الواقع التاريخي»، ضمن **تاريخ الغرب الإسلامي: قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م. (من الصفحة 7 إلى الصفحة 19).
- «عوام مكناس في العصر الوسيط قراءة تحليلية في أوضاعهم ومحنهم»، ضمن **إسهامات في التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط،** منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997م. (من الصفحة 105 إلى الصفحة 121).

❖ أحمد التوفيق، «صلحاء وسلاطين دينامية السلطة في المغرب قبل الحماية»، ضمن **وقفات في تاريخ المغرب**، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،،2001م. (من الصفحة 411 إلى الصفحة 422).

❖ أحمد شحلان، «مدن مغربية في كتابات عبرية صفرو ومكناس ودبدو»، ضمن **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م. (من الصفحة 259 إلى الصفحة 280).

❖ أمين العلوي الديبي، «وصف مكناس في شعر الملحون»، ضمن **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988. (من الصفحة 387 إلى الصفحة 400).

❖ تركي عجلان الحارثي، «تغير وضعية اليهود في المغرب الأقصى في القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها»، مجلة دراسات تاريخية، العدد 45- 46، 1993م. (من الصفحة 187 إلى الصفحة 213).

❖ حفصة الحايل، نخبة التجار اليهود والتحولات في مغرب ما قبل الحماية، Hespéris-Tamuda, Editions techniques nord-africaines, Rabat, 2016, Vol. LI (2), . من الصفحة 399 إلى الصفحة 422

❖ شفيق عبد الغني، « النخب المحلية والعلاقات الزبونية في بعض آليات إعادة إنتاج النفوذ القروي بالمجال المغربي»، **إضافات**، العدد 35، السنة 2016. (من الصفحة 141 إلى الصفحة 157).

❖ عبد الأحد السبتي:

- «التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية»، ضمن **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات مناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989. (من الصفحة 43 إلى الصفحة 57).
- « المدينة الخلدونية بعد عصر ابن خلدون»، ضمن أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نونبر 1988م، في موضوع: **المدينة في تاريخ المغرب العربي**، جامعة الحسن

الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية II، بنمسيك – الدار البيضاء، 1990م. (من الصفحة 135 إلى الصفحة 145).

❖ عبد الرزاق الصديقي، «آل بن موسى في سياق التاريخ من الاسترقاق المنزلي إلى الوصاية على الحكم»، ضمن **وقفات في تاريخ المغرب**، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001م. (من الصفحة 447 إلى الصفحة 463).

❖ عبد السلام شقور، من بيوتات سبتة في القرن 8،**دعوة الحق**، العدد 286، صفر- ربيع 1- ربيع 2/ شتنبر-أكتوبر-نونبر 1991. (من الصفحة 101 إلى الصفحة 109).

❖ عبد العزيز بنعبد الله، «القضاء المغربي وخواصه: الفتاوي والنوازل والوثائق» ، **ندوة الإمام مالك: إمام دار الهجرة**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1400هـ/ 1980م، الجزء الثالث. (من الصفحة 225 إلى الصفحة 257).

❖ عبد الله عيسى السلطان، « من هو الوجيه»، منشور في موقع https://www.alyaum.com/articles/786601/11 /01 /2019.

❖ عبد الله كبار، «النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة»، **مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، الجزائر، العدد الحادي عشر، 2013م. (من الصفحة 215 إلى الصفحة 227).

❖ عبد المالك ناصري، «مكناس من الحصن العسكري في العصر الوسيط إلى عاصمة للدولة في العصر الحديث»، ضمن أشغال الأيام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي، 29-30-31 أكتوبر و 01 نونبر2008، في موضوع: **فاس والمجالات الحضرية بالمغرب: التاريخ والتراث والمجتمع**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الطبعة الأولى، 2013م. (من الصفحة 179 إلى الصفحة 201).

❖ عبد الهادي التازي، «القبائل العربية بالمغرب حسب مخطوطة ابن العياشي»، **مجلة مجمع اللغة العربية**، العدد 84، 1419هـ/ 1999م. (من الصفحة 186 إلى الصفحة 197).

❖ عثمان المنصورى، «تأملات في الأدوار السياسية لعلماء المغرب: نماذج من الفترة الحديثة»، ضمن **السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب: الائتلاف والاختلاف** أعمال تكريمية مهداة للأستاذ أحمد عزاوي، منشورات جامعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2013. (من الصفحة 171 إلى الصفحة 195).

❖ علال الخديمي، «مجلس الأعيان ومشروع الإصلاحات الفرنسية بالمغرب سنة 1905 »، ضمن أعمال الأيام الدراسية من 6 إلى 9 رجب 1404هـ/ 20 إلى 23 أبريل 1983، في موضوع: **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1407هـ/ 1986م. (من الصفحة 259 إلى الصفحة 292).

❖ العياشي عنصر، «الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة»، **عالم الفكر**، العدد 3، المجلد 36، يناير- مارس 2008. (من الصفحة 281 إلى الصفحة 325).

❖ **مجلة تاريخ المغرب**، العدد الثاني، السنة الثانية، أبريل 1982م.

❖ محمد اللحية:

- «التدابير العسكرية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر: طبيعتها وأهدافها»، ضمن **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1988م. (من الصفحة 273 إلى الصفحة 281).
- «الواسطة بين ملاح اليهود والمدينة: الوظيفة والمشاكل المطروحة من خلال نموذج مدينة مكناس»، ضمن أعمال **ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ**

المغرب من 21/ 23 فبراير 1989م، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق- الدار البيضاء، 1995، الجزء الثاني. (من الصفحة 103 إلى الصفحة 115).

❖ محمد المنوني:

- «خطة الحسبة في المغرب»، **مجلة المناهل**، العدد الرابع عشر، السنة السادسة،، ربيع الثاني 1399هـ/ مارس 1979م. (من الصفحة 209 إلى الصفحة 234).
- «شاعر علماء مكناس محمد بن إدريس الشبيهي»، **دعوة الحق**، العدد المئتان والخامس والثمانون، محرم 1412هـ/ غشت 1991م. (من الصفحة 99 إلى الصفحة 110).
- «مقيدة عن نشاط الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر» ، **مجلة المناهل**، العدد الثلاثون، السنة الحادية العشرة، شوال 1404هـ/ يوليو 1984م. (من الصفحة 32 إلى الصفحة 87).
- «البيجريون بمكناس»، ضمن **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م. (من الصفحة 11 إلى الصفحة 21).

❖ محمد حجي، «المؤسسات الدينية بالمغرب في القرنين السادس عشر والثامن عشر» ، **مجلة الناهل**، العدد الثامن عشر، السنة السابعة، رمضان 1400هـ/ يوليو 1980. (من الصفحة 112 إلى الصفحة 128).

❖ محمد شدادي، « تاريخ بني يازغة بين الواقع والخيال»، الجزء الأول، منشور في موقع http://www.almostaquilla-press.com/articles/15547 تاريخ الإطلاع 19/ 12/ 2018م.

❖ محمد صدقي، «مدلول الشرف في اللغة والتاريخ»، ضمن أعمال ندوة تكريم الأستاذ إدريس العمراني الحنشي في موضوع: **قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2010م. (من الصفحة 111 إلى الصفحة 122).

❖ محمد مزين، «في بناء الدولة المغربية من الدولة الأمازيغية إلى دولة الشرفاء »، ضمن **ندوة تداخل الثقافة الأمازيغية والثقافة العربية**، تكريما للأستاذ الجليل أحمد بوكوس، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009م. (من الصفحة 19 إلى الصفحة 24).

❖ محمد ناصح، «مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري المغربي خلال القرن 6هـ/ 12م»، ضمن أعمال **ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب** من 21/ 23 فبراير 1989م، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق- الدار البيضاء، 1995، الجزء الثاني. (من الصفحة 71 إلى الصفحة 84).

❖ نورمان سيكار، «البنيات السوسيو- اقتصادية وتطور البورجوازية الحضرية في مغرب ما قبل الاستعمار»، **مجلة المغرب**، المجلد السادس، العدد 3- 4، ماي- غشت 1981م.

المعاجم:

❖ أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، المجلد الأول.

❖ أدى شير، **الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين**، بيروت، الطبعة الثانية، 1987- 1988م.

❖ الحسين الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ،

❖ سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي**، تحقيق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م.

❖ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، الجزء الثاني.

❖ محمد بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، عدد الأجزاء 15.

❖ **المعجم الوسيط**، الصادر عن مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، 2004.

❖ **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410هـ/ 1889م، عدد الأجزاء 22.

❖ **موسوعة أعلام المغرب**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثانية، 2008م، عدد الأجزاء 10.

II -باللغة الأجنبية:

1 -المصادر:

❖ Dominique BUSNOT, **Histoire du régne de Muley Ismael, roy de Maroc. Fez. Tafilalet. Souz etc … avec le r écit de trois voyages à Mequinez et Ceuta pour leur rédemption et plusieurs entretient sur la tradition de l'église pour leur soulagement**, Rouen, 1731.

❖ Chantal de La VERONNE, **La** Vie de Moulay Ismail, roi de Fès et du Maroc, d'après Joseph de Leon, Geuthner, 1974 .

❖ Henri de CASTRIES, **Sources Inédites de l'histoire du Maroc** , Deuxième Série, France, Dynastie Filalienne , Collection de Lettres, Document et Mémoires Tomes IV (Mai 1693- Novembre 1698), Paris, 1931, Tomes I-VI.
❖ Louis De CHENIER, Recherches historiques sur les maures, T. III, Paris,1787.
❖ Magali MORSY, **La relation de Thomas Pellow**, Une lecture du Maroc au XVIIIe siècle, Éd. Recherche sur les civilisations, Paris, 1983.
❖ Marthe et Edmond GOUVION, **Kitab Aayane al- Marhib l'Akça**, Libraire orientaliste Paul GEUTHNER, Paris, 1939.

2 - **المراجع:**

❖ Abdelhamid HENIA :
- **Villes et Territoires Au Maghreb**, Itinéraire d'une recherche, cahier de I'l. R.M.C, N1, 2004.
- **Etre notable au maghreb : Dynamique des configurations notabiliaires**, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Maison Neuve et la Rose, Paris, 2006.

❖ Albert GUIGUI, **Histoire dz la Communauté Juive de Meknès**, Colloque International de L'institut d'histoire d'autre mer, Paris, C.N.R.S, 1990.
❖ Alphonse RIVIER, **Principes du Droit des Gens**, Arthur Rousseau, ,paris , 1896, Tome 2.
❖ André AKOUN et Autres. **Le Robert, Seuil, Dictionnaire de Sociologie**, Editions: les presses de Mama, France, Octobre 1999.

❖ Bahija SIMOU, **Les Réformes militaires au Maroc de 1844 à 1912**, Publication de la Faculté des lettres et des sciences humaine, Rabat, 1995.
❖ Charles de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc: (1883-1884)** , Éd. Challamel,, Paris,1888,
❖ Driss BEN ALI, **Le Maroc Précapitaliste: formation économique et sociale**, Société Marocaine des Editeurs Réunis, Rabat, 1983, p. 144
❖ Eugène AUBIN, Le Maroc **d'**aujourd'hui, édit. Armand Colin, Paris, 1904.
❖ Fernand BRAUDEL, **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, Armand Colin, paris, 1949.
❖ Frédéric WEISGERBER, Au seuil du Maroc moderne, Ed. la Porte, Rabat, 1947.
❖ G. ROCHER: **Introduction à la Sociologie générale-Le Changement Sociale**, Ed.H.M.H, Paris, 1968.
❖ Gabriel CHARMES, **Une Ambassade au Maroc** , Calmann Lévy, Editeur, Paris, 1887.
❖ Henri GAILLARD, **Une Ville de L'islam : Fès**, Jean André, paris, 1905.
❖ M. A PERETIE, **Les Medrasas de Fès,** Archives marocaines, Ernest Leroux, Paris, tome XVIII, 1912.
❖ Mohamed LAHBABI, **Le Gouvernement Marocain à l'Aube du XXe Siècle**, Editions Maghrébines, Casablanca, 1975.
❖ Rahma BOURGIA, **l'Etat et la gestion du symbolique au Maroc précolonial**, in Rahma Bourqia Nicholas

Hopkins (ed.), Le Maghreb: approches des mecanismes d articulation, Dar al Kalam , Rabat,1991.

❖ Robert MONTAGNE, **Les berbères et le Makhzen**, Lib, Félix Alcan, Paris, 1930.

3 – المقالات:

❖ Abdesselam CHEDDADI , «Le Système du Pouvoir en Islam d'Après Ibn Khaldûn», **Annales E.S.C**, Paris, Mai-Aout 1980.

❖ A l'occasion du 3ème centenaire de l'accession au Trône de Moulay Ismail,. **Hesperis**, N Spécial, 1962

❖ Bourdieu PIERRE, «L'Echange différé crée la stratégie.» dans: Jean Etienne et Henri Mendras. Les Grands Thèmes de la sociologie, **Armond Colin**, Paris, 1999.

❖ Henri de LA MARTINIERE, «La Règne de Moulay el Hassan», Revue des deux Mondes, LXIV, 4 Période, Tome 125, Paris, septembre 1894.

❖ John WATERBURY, «La Notion de la clientèle.» dans: Jean Etienne et Henri Mendras.Les Grands Thèmes de la sociologie, **Armond Colin**, Paris, 1999.

❖ Nacer Al FASSI, Mohamed ben Driss, visir et poète de la cour de Moulay Abderrhmane, **Hesperis- Tamuda**, Vol 3, 1962.

فهرس الجداول:

الرقم	العنوان	الصفحة
1	أسماء الوجهاء الذين شغلوا خطة الوزارة بمدينة مكناس	209
2	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الحجابة بمدينة مكناس	212
3	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الكتابة بمدينة مكناس	214
4	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة النظارة بمدينة مكناس	217
5	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الباشوية بمدينة مكناس	219
6	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الأمانة بمدينة مكناس	222
7	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة السفارة بمدينة مكناس	224
8	أسماء نواب قاضي مدينة مكناس	227
9	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة القضاء بمدينة مكناس	228
10	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة النقابة بمدينة مكناس	232
11	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الإفتاء بمدينة مكناس	234
12	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الحسبة بمدينة مكناس	237
13	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة التوقيت بمدينة مكناس	240
14	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة العدالة بمدينة مكناس	243
15	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة التدريس بمدينة مكناس	245
16	أسماء بعض الوجهاء الذين شغلوا خطة الخطابة بمدينة مكناس	248
17	أسماء بعض وجهاء مكناس المشاركين في الركب الحجي	293
18	أسماء بعض وجهاء مكناس الذيت تعرضوا للعزل من مناصبهم	302
19	نماذج لأصدقة بعض البيوتات الوجيهة بمكناس	318
20	طريقة استغلال بعض وجهاء مكناس للأملاك الحبسية	326
21	نماذج من مصنفات وجهاء مكناس	327
22	بعض هجمات القبائل على مدينة مكناس	361
23	نماذج من كرامات وجهاء مكناس العلاجية	369

24	بعض مظاهر تجاسر المحتسب على أهل الحرف والصنائع	376
25	تزايد عدد المحميين من المغاربة	382
26	أسماء وجهاء مكناس المنخرطين في الحماية الأجنبية	383
27	أسماء وجهاء مكناس المستظلين بمظلة الحماية الأجنبية وفق الرسم العدلي	384
28	أسماء وجهاء مكناس المتجاسرين على الأملاك الوقفية	394
29	أسماء وجهاء مكناس الذين استدعوا لتنفيذ الأمر السلطاني	398
30	بعض مقترحات المشروع الإصلاحي الفرنسي ورد وجهاء مكناس عليها	405

فهرس المحتويات:

المقدمة.....1
مدخل تمهيدي : الوجاهة: دلالاتها- خصائصها- آلياتها- عوامل تشكلها.....23
أولا: دلالة الوجاهة لغة واصطلاحا.....24
ثانيا: خصائص طبقة الوجهاء.....28
ثالثا: استخدام مصطلح "الطبقة" لوصف وجهاء المجتمع المكناسي.....30
رابعا: آليات صيانة الوجاهة وترسيخ النفوذ.....33
خامسا: علاقة الجاه بالنفوذ والسلطة.....39
سادسا: عوامل تشكل طبقة وجهاء المجتمع المكناسي..... 42
الفصل الأول: التعريف بوجهاء المجتمع بمكناس قبل الاستعمار 1672- 1912م.....59
المبحث الأول: البيوتات الشريفة بمكناس.....62
المبحث الثاني: البيوتات العلمية بمكناس.....93
المبحث الثالث: البيوتات المخزنية بمكناس.....154
المبحث الرابع: الأسر التجارية.....196
الفصل الثاني: وجهاء المجتمع مكناس والوظائف العامة.....204
المبحث الأول: الوظائف السلطانية الإدارية.....207
أولا: الوزارة.....207
ثانيا: الحجابة.....211
ثالثا: الكتابة.....213
رابعا: النظارة.....215
خامسا: الباشوية.....218
سادسا: الأمانة.....220

سابعا: السفارة.....223
المبحث الثاني: الوظائف الدينية الشرعية.....225
أولا: القضاء.....225
ثانيا: النقابة.....229
ثالثا: الإفتاء.....232
رابعا: الحسبة.....235
خامسا: التوقيت.....237
سادسا: العدالة.....241
سابعا: التدريس.....244
ثامنا:الخطابة.....247
تاسعا: الإمامة.....249
الفصل الثالث علاقة وجهاء مكناس بالسلاطين العلويين بين التقارب والتنافر.....251
المبحث الأول جوانب من علاقات التقارب بين وجهاء المجتمع بمكناس والسلاطين العلويين252
أولا: مظاهر الود والتقارب والاتصال.....252
1- -البيعة.....252
2-تقديم المشورة.....256
2-1- قضية ولاية العهد.....257
2-2- قضية تشكيل الجيش وإصلاح شؤونه.....261
2-3-قضية غنيمة العرائش.....263
2-4-قضية فرض الإعانة.....264
3-الأدوار التكليفية.....265
3-1-إخماد الفتن والثورات وفض القلاقل والنزاعات.....268

3-2-تقديم النصح.....275
3-3-الوساطة والصلح.....276
3-4-الإشراف على صناعة الأسلحة.....278
3-5-تموين الدار العالية بمكناس.....280
3-6-حضور المناسبات الرسمية وتقديم التهنئة.....281
ثانيا: وسائل التقارب بين وجهاء المجتمع المكناسي والسلاطين العلويين.....283
1-الامتيازات السلطانية.....284
1-1-الامتيازات المادية.....284
1-2-الإنعامات السلطانية.....285
1-2-1-منح الإقطاعات.....285
1-2-2-حق جباية الضرائب.....286
1-2-3-الإعفاء من الضرائب.....287
1-3-الإمتيازات المعنوية.....289
1-3-1-إظهار الاحترام والتعظيم لهم.....289
1-3-2-المناصب.....290
1-3-3-المصاهرة.....291
1-3-4-ركب الحج.....293
ثالثا: أسباب علاقات التقارب والاتصال بين وجهاء مدينة مكناس والسلاطين العلويين....294
1- دوافع السلاطين للتقارب مع وجهاء مكناس.....295
2-دوافع الوجهاء للتقارب مع السلاطين العلويين.....296
المبحث الثاني: علاقة الجفاء والقطيعة والتوتر بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين.....298
1-تعرض بعض الوجهاء للقتل والتصفية.....299

2-العزل من المناصب.....302
3-التضييق والتنكيل بالوجهاء المتعسفين.....305
4-مصادرة ممتلكات الوجهاء.....307
5-المحاسبة والمراقبة.....309
الفصل الرابع: وجهاء مكناس: علاقاتهم البينية وصلاتهم المجتمعية 1672- 1912م.....311
المبحث الأول: علاقات وجهاء مكناس البينية.....312
أولا: علاقات الصداقة والتقدير والاحترام والوفاق والتفاهم.....312
1-التعاون والمساعدة.....312
2-الزواج والمصاهرة.....318
3-الاحترام المتبادل.....321
3-1- المدح والثناء على بعضهم البعض.....322
3-2- الوقف.....324
3-3- الاهتمام بتأليف مصنفات تهم بعض البيوتات الوجيهة بمكناس.....327
3-4- المواساة والتضامن زمن المحن.....328
ثانيا: علاقات الصراع بين أهل الوجاهة بمكناس.....333
1 - نماذج من الصراع داخل البيوتات المكناسية.....335
1-1-البيوتات المخزنية.....335
1-2-البيوتات التجارية.....340
1-3-البيوتات الشريفة.....342
2- نماذج من الصراع بين البيوتات المكناسية فيما بينها.....343
2-1- صراعات بين بيوتات مخزنية وتجارية.....343
2-2- صراعات بيوتات مخزنية وشريفة.....346

2-3- صراعات بين بيوتات علمية وشريفة.....347
2-4- صراع بين بيوتات علمية وتجارية.....349
المبحث الثاني: صلات وجهاء مكناس المجتمعية.....358
أولا علاقات الانفراج.....360
1-المجال السياسي.....360
2-المجال الاقتصادي.....365
3-المجال الاجتماعي.....367
3-1-الوساطة والشفاعة.....367
3-2-التكافل الاجتماعي.....368
4-المجال الفكري.....371
ثانيا علاقات التوتر.....373
1-التعسف والتسلط والتعدي.....373
2-الابتزاز واستلاب حقوق الناس.....377
3-الإذاية والقهر.....378
الفصل الخامس: موقف وجهاء مكناس من التسرب الأجنبي في المغرب.....380
المبحث الأول: الحماية القنصلية.....381
أولا: موقف وجهاء مكناس من الحماية القنصلية.....381
ثانيا: سلوكات وجهاء مكناس المحميين وممارساتهم الاجتماعية.....388
1-التجاسر على كبار موظفي الدولة.....389
2-التعدي على أهالي مكناس.....391
3-التطاول على المقدسات.....393
ثالثا: موقف وجهاء مكناس المناهض للحماية القنصلية.....395

1-موقف المخزن وجهاء المغرب من ظاهرة الحماية القنصلية.....395
2-موقف وجهاء مكناس المعارض لظاهرة الحماية القنصلية.....397
2-1-القيام بإحصاء وتسجيل أسماء المحميين.....397
2-2-تشديد المراقبة والضغط على المحميين.....401
المبحث الثاني: موقف وجهاء مكناس من المشروع الإصلاحي الفرنسي لسنة 1905م.....402
المبحث الثالث: الاحتلال العسكري لمدينة مكناس ورد فعل الوجهاء.....407
خاتمة.....413
الملاحق.....419
البيبليوغرافيا.....443
فهرس الجداول.....476
فهرس المحتويات.....478

المقدمة:

يعتبر[1] البحث في التاريخ الاجتماعي من أهم المواضيع التي أصبحت تحظى بأهمية متزايدة في الوقت الراهن، فهو من الحقول المعرفية التي مازالت تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتقصي والتنقيب، على اعتبار أنه مجال للدراسات التاريخية التي تتناول تشكل وتطور بنيات المجتمع الحضري، فهو «**بمثابة قاطرة تتصدر عملية تحديث الذاكرة الجامعية** (...)، **وبداية تراكم تعبر عن رغبة في التجديد، تتمثل في توسيع مفهوم التاريخ** (...)، **ومن الملاحظ أن مؤرخ المجتمع يبحث عن العلاقات الاجتماعية في تجلياتها المختلفة**»[2].

وانطلاقا من هذه الأهمية، وانسجاما مع التوجه العام للبحث التاريخي بالمغرب، الذي يعطي للدراسات المنوغرافية أهمية كبيرة، لأنها تضمن تخليص تاريخ المغرب من العموميات، وتسهم في فتح إمكانية النظر والتفكير والتدقيق في عمق الإشكاليات المطروحة، عن طريق طرح أسئلة جديدة ومعالجة قضايا ومواضيع متنوعة بشكل مندمج مع السيرورة العامة لتاريخ المغرب.

وفي هذا الإطار؛ انصب مجهودنا في البحث عن التاريخ الاجتماعي لمدينة مكناس؛ الذي مر بفترات؛ ففي مرحلة أولى أردنا الاشتغال على موضوع "المجتمع المكناسي من خلال الكتابات الأجنبية خلال عهد مولاي إسماعيل(1672- 1727م)، وبعد فترة من الزمن اتضح أن موضوعنا أحادي الجانب، يتناول المجتمع من جانب واحد، فارتأينا توسيع وتنويع مصادر بحثنا حتى نستطيع رسم صورة عن هذا المجتمع تمكننا من فهم بعض القضايا المتعلقة به، من خلال المقابلة بين المصادر للخروج باستنتاجات، ثم تبين لنا أن اقتصارنا على العهد الإسماعيلي، الذي

1

[2]- عبد الأحد السبتي، «التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية»، ضمن **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات مناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص.43.

دام حوالي 55 سنة، يسعف في رصد وتتبع التحولات التي عرفها المجتمع المكناسي، ففضلنا تمديد الفترة الزمنية إلى سنة الاحتلال الفرنسي للمغرب سنة 1912م.

استرعى اهتمامنا خلال فترة اشتغالنا شريحة اجتماعية بارزة، اضطلعت بأدوار مهمة في صناعة الأحداث والوقائع التي أسهمت في التحولات التي عرفتها مدينة مكناس خاصة، والمغرب عامة، وعلى هذا الأساس؛ وبإيعاز من أستاذنا المشرف عبد المالك ناصري –حفظه الله– استقر بنا المقام على تخصيص دراستنا للشخصيات المتنفذة داخل المجتمع المكناسي ألا وهم "الوجهاء". فجاء موضوع الأطروحة على الصيغة الآتية:

وجهاء المجتمع بمكناس قبل الاستعمار (1672م– 1912م)

مساهمة في دراسة المجتمعات الحضرية بالمغرب.

إن دراسة موضوع الوجهاء هي دراسة للظواهر التاريخية انطلاقا من عينات مجهرية دقيقة، تسهم في فهم خصوصيات وتطورات مجتمع معين، على اعتبار أن الوجاهة تشكل إطارا نظريا لرصد التمايز داخله، فلطالما كان المجتمع في حاجة إلى وجود أشخاص ذوي جاه ونفوذ، يستطيعون بما يتمتعون به من خصائص توجيه المجتمع وتسيير شؤونه وتدبير أموره.

وجدير بالذكر أن حديثنا عن الوجاهة والوجهاء ليس الغرض منه تصنيف الناس وتكوين تراتبية طبقية، بقدر ما هو دراسة وتبيان لواقع اجتماعي عرفه المجتمع بمكناس.

أهمية الموضوع ودواعي اختياره:

تكمن أهمية موضوع أطروحتنا في محاولة إماطة اللثام عن فئة اجتماعية نافذة –لم تحظ بعد باهتمام الباحثين في تاريخ مدينة مكناس– تمتعت بالجاه والحظوة والنفوذ، أكسبها مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة داخل مراتب سلم المجتمع بمكناس، ومحاولة كشف أوضاعها وعلاقاتها فيما بينها، وإثارة بعض القضايا المرتبطة بمجال تحركها وانعكاساتها على الأوضاع بمختلف مناحيها.

كما نطمح للوصول إلى بعض النتائج التي تتسم بالأصالة والجدة، فالدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ مدينة مكناس في -حدود اطلاعنا- عبر فترات زمنية مختلفة، اقتصرت على دراسة تاريخ المدينة من النواحي السياسية والعمرانية والاقتصادية بشكل مستفيض[3]، نذكر من جملتها حسب تاريخ مناقشتها:

- ✓ محمد اللحية، الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر (1850- 1912م)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1404هـ/ 1984م،(مرقونة).
- ✓ بوشتى بوعسرية، مكناس: المدينة الجديدة التأسيس- البنيات الادارية- التاناقضات 1911- 1939م، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1994- 1995م، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ[4].
- ✓ رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082- 1139هـ/ 1672- 1727م[5].
- ✓ عبد الرحيم الزيداني، مكناس ما بين 875- 1068هـ/ 1471 و1658م: العصر الوطاسي والسعدي، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز – فاس، 1998- 1999م، (مرقونة).

---

[3]- حاولت بعض الأبحاث الرصينة ملامسة تاريخ مدينة مكناس الاجتماعي من خلال التركيز على فئة العوام، غير أنها لم تتناول المرحلة التي يعالجها موضوع هذه الأطروحة. انظر: ابراهيم القادري بوتشيش، «عوام مكناس في العصر الوسيط قراءة تحليلية في أوضاعهم ومحنهم»، **ضمن إسهامات في التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط**، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997م.

[4]- بوشتى بوعسرية، **مكناس المدينة الجديدة: التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات: 1911-1939م**، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1999م.

[5]- رقية بلقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082-1139 هـ، 1672-1727 م**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1993م.

- ✓ عبد المالك ناصري، الخريطة المعمارية لمدينة مكناس: دراسة تاريخية ومعمارية، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م،(مرقونة).
- ✓ جمال حيمر، مدينة مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني، أطروحة شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003- 2004م[6].
- ✓ عبد الواحد الهاروني علوي، الأضرحة والمزارات في مكناس، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كليه الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2003-2004م،(مرقونة).
- ✓ قمر الزرهوني، الحياة الفكرية في مكناس في العهد السعدي: الفترة الممتدة ما بين : 1550م - 1650م، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كليه الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية 2004- 2005م،(مرقونة).
- ✓ محمد اللحية، مدينة مكناس الوسيطية: النشأة والتمدن: 452-645هـ/1060-1247م، أطروحة **دكتوراه الدولة في التاريخ**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م[7].
- ✓ *عبد الإله لغزاوي، مونوغرافية المقدَّس* المكناسي: مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2007- 2008م[8].

---

[6]- جمال حيمر، **مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني**، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 17، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس ، 2006م.

[7]- محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة المغربية الوسيطية وتمدنها: مدينة مكناس، 452-645 هـ، 1060-1247م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، 2011م.

[8]- عبد الإله لغزاوي، **مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس: مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2010م.

✓ حسنة مازي، مجتمع مكناس المدينة القديمة على عهد الحماية (1912-1956م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، (مرقونة).

وهكذا؛ نخلص إلى أن دراسة المجتمع بمكناس، وخاصة فئة الوجهاء، لم يفرد لها دراسة مستقلة، إذ أوردت أغلب الدراسات الأكاديمية حول المدينة إشارات مجملة ومقتضبة عن هذا الموضوع. إضافة إلى أن الفترة الزمنية موضوع دراستنا -العصرين الحديث والمعاصر (1672-1912م)- يكسب أطروحتنا أهمية خاصة.

من هنا تأتي أهمية موضوع بحثنا، الذي سنحاول فيه التركيز على الجانب الاجتماعي بمدينة مكناس، من خلال التركيز على مكون رئيس من مكونات المجتمع، أسهم مساهمة فاعلة ومؤثرة في مختلف التحولات والتطورات التي شهدتها المدينة.

حدود الموضوع زمنيا ومجاليا:

يمتد موضوع أطروحتنا من سنة 1672م إلى سنة 1911م، ويفسر اختيارنا للسنتين كمحددين للإطار الزمني، كون سنة 1672م تشكل بداية بروز مدينة مكناس وارتقائها إلى مرتبة الحاضرة السلطانية، حيث سعى السلطان مولاي إسماعيل ليجعلها عاصمة في مستوى الأحداث التي شهدها المغرب خلال تلك الفترة[9]، وهو ما سمح بحدوث تطورات عميقة في البنية الاجتماعية للمجتمع المكناسي باعتلاء عدد من العائلات والأسر واجهة المجتمع، واضطلاعها بأدوار ريادية تجاوزت حدود المدينة الجغرافية. أما سنة 1912م فهي تاريخ توقيع الحماية الفرنسية على المغرب، حيث سبقها قبل سنة من ذلك احتلال مدينة مكناس أي سنة 1911م، دخلت بعدها المدينة حقبة جديدة، اتسمت بأحداث سياسية كبيرة أثرت على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

---

[9]- عبد المالك ناصري، «مكناس من الحصن العسكري في العصر الوسيط إلى عاصمة للدولة في العصر الحديث»، ضمن أشغال الأيام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي، 29-30-31 أكتوبر و 01 نونبر2008، في موضوع: **فاس والمجالات الحضرية بالمغرب: التاريخ والتراث والمجتمع**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الطبعة الأولى، 2013م. ص. 191.

إن اختيارنا لفترة زمنية تقارب قرنين ونصف من شأنه أن يسمح لنا برصد التحولات التي شهدتها فئة الوجهاء، ومحاولة تحديد الثابت والمتحول فيها.

أما بالنسبة لمجال موضوع أطروحتنا حصرناه في مدينة مكناس.

إشكالية الأطروحة والمنهج المعتمد:

تتمحور إشكالية موضوع دراستنا حول محاولة الوقوف على وضع الوجهاء داخل المجتمع بمكناس والتعرف على بعض القضايا المتعلقة به في فترة ما قبل الاستعمار (1672م- 1912م)، من خلال رصد مختلف الأدوار والمهام التي اضطلعوا بها، والبحث في واقع العلاقات التي انخرطوا فيها بتقاطعاتها وتمفصلاتها، ومدى تأثيرهم وتأثرهم بها. ونعتقد أن مقاربة هذه الإشكالية يتطلب منا البحث في مجموعة من التساؤلات الفرعية التي حددناها فيما يلي:

- ما هي أبرز البيوتات الوجيهة التي ظهرت داخل المجتمع المكناسي؟ وما أصولها؟ ومن هي الشخصيات النافذة فيها؟ وما هي أهم الخصائص والميزات التي توفر عليها الوجهاء جعلتهم طبقة مميزة داخل مجتمعهم؟ وما العوامل التي ساعدتهم على تصدر واجهة المجتمع؟
- ما هي أهم الخطط والوظائف التي شغلها وجهاء المجتمع المكناسي؟ وما هي الشروط التي أهلتهم لممارستها؟ وكيف كانت تتم عملية إسناد تلك المناصب؟ وكيف استثمروها لصيانة وجاهتهم وتجذيرها؟
- ما هي طبيعة العلاقات التي أقامها وجهاء المجتمع المكناسي بالمخزن العلوي ؟ هل يمكن القول إنها علاقة انبنت على التقارب والاحتواء؟ أم علاقة اتسمت بالتباعد والنفور؟ وما الشواهد الدالة على تلك العلاقات؟ وما الأسباب المتحكمة في تحديد طبيعتها ونوعيتها وحجمها؟
- ما هي دوافع اعتماد السلاطين على وجهاء مدينة مكناس؟ وما هي طبيعة الأدوار والمسؤوليات التي اضطلع بها هؤلاء الوجهاء؟ وكيف مكنتهم من المشاركة في صناعة الأحداث التي شهدها المغرب؟ وما هي حدود تلك المشاركة؟ وما نتائجها؟

- ما هي مظاهر التوتر والتنافر والتباعد التي طبعت العلاقات بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين؟ وما هي أسباب ذلك التوتر؟ ومن هو الطرف المتحكم في تحديد تلك العلاقة المتأزمة؟
- ما هي نوعية العلاقات الناظمة بين وجهاء المجتمع المكناسي؟ وما هي مظاهرها وأشكالها؟ وما هي الوسائل التي اعتمدت فيها؟ وما هي المعطيات المرتبطه بها؟ وما هو موقف السلاطين منها؟
- ما هي طبيعة العلاقات التي جمعت الوجهاء بمكونات المجتمع المكناسي؟ وما هي أبرز مظاهرها وأهم أشكالها؟ وما هي أبعاد أثرها على الطرفين؟
- ما هي أهم آليات التسرب الأجنبي ومظاهرها بمكناس ؟ وما هو موقف وجهاء المدينة من هذا التسرب؟ وما هي أبعاد أثره على وضع الوجاهة داخل المجتمع بمكناس؟
- كيف كان موقف وجهاء مكناس من التدخل العسكري الفرنسي في مدينتهم؟ وما هي انعكاساته على الوضع العام بالمدينة؟
- كيف أثر الوجهاء في التحولات التي عرفها المجتمع بمكناس؟

إن طبيعة الإشكالية الرئيسية المؤطرة لموضوع أطروحتنا وما تفرع عنها من أسئلة مفصلية، دفعتنا إلى اعتماد مقاربات منهجية متكاملة ومتداخلة، تتمثل في المنهج الوصفي السردي للمعطيات التاريخية المستقاة من المادة المصدرية، وهذا المنهج لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزه أو الاستغناء عنه، فهوالأساس، لأنه يساعدنا في تحديد وجهاء المجتمع بمكناس، والتعرف على أهم الأحداث والوقائع التي عايشوها أو ساهموا في صناعتها. كما اعتمدنا المنهج التحليلي من خلال إخضاع المادة العلمية التاريخية مختلف للمساءلة والتفكيك والنقد والتركيب، لاستخلاص طبيعة الأدوار التي نهض بها وجهاء المجتمع بمكناس خلال الفترة المدروسة، وإبراز نوعية العلاقات التي انتظموا فيها. وهذا المنهج مهم لفهم التحولات التي مست أولئك الوجهاء. إضافة إلى توظيفنا للمنهج المقارن بالبحث عن نقاط الاختلاف

ونقاط الاتفاق، عن طريق المقابلة المعمقة والمطابقة بين مختلف صنوف المصادر المغربية والأجنبية، للخروج بنظرة أقرب إلى الواقع التاريخي بعيدا عن النظرة الأحادية والتحليل الضيق.

العوائق والصعوبات:

خلال إنجازنا لموضوع الأطروحة اعترضتنا مجموعة من العوائق والصعوبات، فخلال السنوات الأولى وجدنا أنفسنا في أغلب الأحيان تائهين كأننا نسير في طريق مظلم لا نكاد نتحسس ملامحه أو نحدد مؤشراته، ورغم ذلك لم تثن عزيمتنا في مواصلة البحث والتنقيب عن كل ما من شأنه أن يذلل تلك الصعوبات، ومع مرور الوقت بدأت الرؤيا تتضح شيئا فشيئا بحمد الله تعالى وفضله، ثم بتوجيهات أستاذنا المشرف عبد المالك ناصري الذي لم يبخل علينا بنصائحه السديدة وإرشاداته النيرة، تجسدت بشكل واضح في الجلسات الشهرية التي كان يخصصها لنا منذ تسجيل الأطروحة في شهر فبراير 2014م، حيث كان في كل جلسة يطالبنا بإنجاز عمل محدد نصوغه في شكل تقرير، أدركنا فيما بعد الأهمية الكبرى التي تكتسيها تلك الجلسات -فجزاه الله عنا كل خير-. وعموما يمكن تلخيص بعض هذه الصعوبات في:

- ✓ اتساع قاعدة الموضوع، خصوصا أن طبيعة البحث المنوغرافي تجعله محدودا في الزمان والمكان والموضوع. بالإضافة إلى انفتاحه على تخصصات متعددة وحقول معرفية خاصة علم الاجتماع وعلم الأنساب.
- ✓ تركيز كتب الحوليات الخاصة بتاريخ المغرب عموما، على الأحداث السياسية والعسكرية، حيث لا نجد إلا إشارات طفيفة حول وجهاء مكناس، إذ لا تتم الإشارة إليهم إلا عرضا في إطار حديثها عن الحضور المخزني.
- ✓ تطرح المصادر البديلة مثل كتب المناقب والتراجم والتصوف والنوازل الفقهية والحوالات الحبسية والنصوص الشعرية إشكالات متعددة، فهي لا تزودنا بالمعلومات المتعلقة بالوجهاء بشكل

مباشر، إضافة إلى أن استغلال مادتها يجعلها أداة غير طيعة، تقتضي جملة من الإجراءات لإعتمادها كمادة إخبارية.

- ✓ سوء حالة بعض الوثائق وصعوبة قراءتها، نتيجة الإهمال الكبير الذي أصابها.
- ✓ صعوبة استنباط المعلومات التاريخية والمادة العلمية من بعض الكتابات خاصة الأجنبية، والتي تتميز بالتهويل والمبالغة المفرطة في بعض الأحيان، بل والتحامل المخل في أحيان أخرى.
- ✓ مشكل تشابه بعض أسماء الشخصيات الوجيهة المنتمية لبيوتات مخلفة، وأحيانا يقع خلط حتى في اسم الشخصية الواحدة.
- ✓ صعوبة الحصول على البحوث والدراسات غير المطبوعة خصوصا الأكاديمية، إذ أن معظمها لا يتم الاستفادة منها بالشكل المطلوب، إضافة إلى تشتت هذه البحوث على كليات متعددة.
- ✓ فرض الكثير من القيود وصعوبة الحصول على المادة العلمية من مراجع ودوريات بسهولة.
- ✓ **صعوبات الوصول إلى مجتمع الدراسة، والذي تجلى في** تكتم بعض العائلات عن تزويدنا بما تمتلكه من وثائق خاصة، ورفضها تزويدنا بها، نظرا لحساسيتها.

نظرة موجزة عن مصادر الدراسة:

لمقاربة إشكالية الأطروحة والإجابة عن الأسئلة المتفرعة عنها، اعتمدنا على مادة مصدرية متنوعة حوت بين ثناياها معلومات مهمة حول موضوع بحثنا، تأرجحت بين المصادر المغربية والأجنبية، سنقتصر على ذكر ما اعتمدناه بدرجة كبيرة:

- ➢ **المصادر**

❖ **الوثائق:**

- ▪ **الأرشيف المخزني:**

- ✓ وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط: المحفظات المتعلقة بمدينة مكناس حسب عددها، مصنفة على الشكل الآتي:
  - المحفظة رقم 1: ما بين 1012- 1265هـ/ 1603- 1848م.

- المحفظة رقم 2: 1260- 1289هـ/ 1849- 1869م.
- المحفظة رقم 3: 1290- 1303هـ/ 1873- 1885م.

✓ وثائق الخزانة الحسنية بالرباط: كنانيش، المحافظ المتعلقة بالسلاطين العلويين خلال العهد المدروس، المجموعة المعروفة بالمجموعة الزيدانية.

✓ الحوالات الحبسية:

- حوالة أحباس مكناس، رقم 4، عدد صفحاتها 220.رقم مصورتها 121.
- حوالة أحباس كبرى مكناس، رقم 5، عدد صفحاتها 386، رقم مصورتها 116.

✓ وثائق الأرشيف التاريخي بتطوان.

- **الأرشيف العائلي:**

✓ وثائق خاصة بالمحتسب آجانا.

✓ وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته، لمحمد المنوني.

✓ أسرة الحريف من خلال وثائق، للطيب بن عبد القادر الحريف.

✓ الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية، لصاحبه محمد بن عبد الكريم الشبيهي.

✓ تطييب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس، للطيب بن العربي بن عبد السلام الطاهري.

استفدنا منها في موضوعنا استفادة مهمة، حيث ضمت بين طياتها مجموعة من الوثائق الأصيلة على شكل ظهائر سلطانية ورسوم عدلية تهم بعض العائلات الوجيهة داخل المجتمع المكناسي.

❖ **المصادر المطبوعة:**

✓ إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لصاحبه عبد الرحمان ابن زيدان، هو تصنيف مونوغرافي ضخم، خصه المؤلف للشخصيات المشهورة التي لها علاقة بمكناس، إضافة

إلى الأحداث الكبرى التي عرفتها المدينة. لهذا يعد أهم مصدر لأطروحتنا، حيث أمدنا بمعلومات قيمة أفادتنا في جرد أسماء وجهاء المجتمع المكناسي والتعرف على حياتهم.

- ✓ عبد الكريم الريفي، زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى اسماعيل، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.
- ✓ أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 1992م.
- ✓ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.
- ✓ محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، د..ت، جزآن.
- ✓ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.
- ✓ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشوراة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م، جزآن.
- ✓ الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، التنبيه المعرب عما كان عليه الآن حال المغرب، تقديم وتصحيح محمد المنوني، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م
- ✓ عبد الرحمان ابن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م.

✓ عبد الرحمان ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م.
✓ عبد الرحمان ابن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ.

وعلى الرغم من عمومية تلك المصادر وتركيزها على الجانب السياسي بشكل كبير، فقد تضمنت معلومات مهمة في سياق حديثها عن الوقائع السياسية المتمحورة حول السلاطين العلويين، استقينا منها مادة دسمة تخدم موضوع أطروحتنا، خاصة فيما يتعلق بالأدوار التي نهض بها وجهاء المجتمع بمكناس في إطار السياسة المخزنية، كما ساعدتنا على كشف شبكة العلاقات المتعددة الأشكال، التي اندرج فيها نسق تلك الشخصيات.

- **كتب التراجم والمناقب:**

✓ محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم 120.
✓ العربي البصري المكناسي، منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، الخزانة الحسنية، رقم 11564.
✓ محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر المواعظ والعبر من أعيان المائة والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
✓ محمد بن الطيب القادري،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، عدد الأجزاء 4.
✓ محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، جزآن.

✓ محمد المنالي الزيادي، سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية، تقديم وتحقيق عبد الحي اليملاحي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1433هـ/ 2012م.
✓ أبو القاسم الزياني، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.
✓ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، عدد الأجزاء 3.
✓ أحمد بن العياشي سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، قدم عليه إدريس العراقي الحسني، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 1390هـ/ 1971م، عدد الأجزاء 4.

إن اعتمادنا على هذه الصنوف من المؤلفات أملاه طبيعة بحثنا، فحديثنا عن شخصيات بارزة في المجتمع بمكناس لا بد أن ينير مساره –حسب اعتقادنا– البحث والتنقيب ومطالعة أهم كتب التراجم والمناقب، لما تمثله نصوصها من مادة علمية غابت في المصادر الأخرى. وهي تكمن أهميتها في كونها تعرضت لبعض أعلام مكناس من مشاهير العلماء والفقهاء والصلحاء والأولياء والشرفاء والقضاة والأعيان، من خلال نقل أخبارهم وذكر أحوالهم وعطاءاتهم، وبالتالي الكشف عن نوعية الأدوار التي اضطلع بها الوجهاء بمكناس.

- **المصادر الأجنبية:**

✓ Sources Inédites de l'histoire du Maroc , Série Filalienne, Tomes I-VI.

أشرف على تجميعها واعتنى بإصدارها الكونت هنري دو كاستر، تضم في مجلداتها عددا كبيرا من الوثائق تشمل الفترة العلوية، وتتكون هذه المجموعة من ستة أجزاء: الأول يتناول الفترة بين سنتي 1661 و 1682. الثاني يهم الفترة ما بين 1682- 1686م. الثالث يغطي الفترة بين 1686- 1693م. الرابع يتطرق للفترة بين 1693- 1698م. الخامس يشمل سنتي 1698- 1699م. السادس الفترة ما بين 1700 و1718م.

تشكلت تلك الوثائق إما من تقارير رفعها السفراء والقناصل إلى مسؤوليهم أو رحلات تجارية أو مراسلات أو مذكرات، وضمت هذه السلسلة مادة مصدرية مهمة، نظرا لما تختزنه من معلومات قيمة ونادرة حول بعض الشخصيات البارزة داخل مدينة مكناس.

- ✓ Rolation de la captivité du sieur Mouette dans les royaumes de Fez et de Maroc.

لمؤلفها جرمان مويط، طبعت أول مرة سنة 1683م، وهي مترجمة إلى العربية تحت عنوان "رحلة الأسير مويط" من طرف الأستاذين محمد حجي ومحمد الأخضر، تعتبر هذه الرحلة مصدرا مهما لبحثنا، فقد تعرض صاحبها لعدد من القضايا منها: تعيين المولى الرشيد لأخيه المولى اسماعيل واليا على مدينة مكناس، وبعد توليه الحكم اختار مكناس للإستقرار بها. وصف مدينة مكناس وسكانها.

- ✓ Rolation des voyages au Maroc des rédempteurs de la Merci en 1704 ; 1708 ; 1712.

هي عبارة عن مذكرات كتبها الأب نولاسك نيان Nolasque Néant، كان رجل دين يمثل تنظيما يطلق عليه اسم la Merci، وهو تنظيم مكلف بعملية افتداء الأسرى المسيحيين بالمغرب، وقد قام هذا الرجل بعدة رحلات في إطار المهام الموكولة إليه، فدون الأحداث التي شهدها المغرب، ما يهمنا منها هي الفصول التي تطرق فيها لمدينة مكناس.

- ✓ Vie de Muley Ismail : Roi de Fez et de Maroc

يتعلق الأمر بأسير اسباني اسمه جوزيف دي ليون Joseph de Léon وقع في أيدي المغاربة سنة 1708م وأخذ إلى مدينة مكناس، ألف هذا الكتاب حيث تطرق فيه إلى ظروف تولي مولاي اسماعيل الحكم، والثورات والتمردات التي واجهته، كما أشار إلى عادات سكان مدينة مكناس وتقاليدهم.

- ✓ A journey to Mequinez, the residence of the emperor of Fez and Morocco

صاحب هذا الكتاب هو جون وندوس John Windus، ترجم إلى العربية من طرف الأستاذة زهراء إخوان سنة 1993م في حدود 170 صفحة، ألفه بمناسبة مشاركته في البعثة التي أرسلها الملك الإنجليزي جورج الأول برئاسة شارل ستيوارت Charles Stewart سنة 1721م، تحدث عن: ظروف اعتلاء المولى اسماعيل عرش الدولة العلوية– وصف الحياة الاجتماعية في مدينة مكناس.

- ✓ L'annotation ponctuelle de la description de voyage étonnante et de la captivité remarquable et triste durant douze ans, Maria Ter Meetelen

ترجمها الأستاذ إدريس أبو إدريس تحت عنوان: **"قصة الهولندية ماريا تيرمتلن: الأسيرة التي عاشت بمكناس العاصمة في النصف الأول من القرن 18"**، تطرقت إلى أوضاع المغرب بشكل عام وبمكناس خاصة ابتداء من سنة 1731م، وأفادتنا في التعرف على سلوكات بعض أعيان المخزن بالمدينة.

خطة البحث:

اعتمادا على ما جادت به المادة المصدرية التي أتيح لنا الوصول إليها، وانسجاما مع الإشكالية المؤطرة لدراستنا والتساؤلات المنبثقة عنها، توصلنا إلى وضع تصميم متكامل –في تقديرنا– اشتمل على مدخل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة:

❖ **المدخل التمهيدي: الوجاهة: دلالاتها– خصائصها– آلياتها– عوامل تشكلها:**

تناولنا فيه: مفهوم الوجاهة لغويا واصطلاحا، وبعض خصائص العناصر الوجيهة وهي عديدة منها (القلة– التميز– الفاعلية– الوظيفية– الاحتكار). كما حاولنا إبراز علاقة الجاه بالنفوذ والسلطة، ذلك أن موضوع الوجاهة يطرح عدة قضايا وإشكالات، فاسعرضنا بعض الآراء حول المسألة ومناقشتها. معرجين الحديث عن بعض العوامل المساهمة في تشكل طبقة الوجهاء، أجملناها في: القرب أو البعد من المخزن– عامل الخدمة/ الوظيفة– التصوف– العلم– الشرف– الهجرة– الثروة.

❖ **الفصل الأول: التعريف بوجهاء مدينة مكناس خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

قمنا في هذا الفصل بجرد وإحصاء العائلات الوجيهة بمدينة مكناس خلال الفترة المدروسة، ثم عرفنا بكل عائلة من حيث أصولها والأفراد الذين برزوا فيها، وتيسيرا لمسار التقصي عمدنا إلى تصنيفهم انطلاقا من معايير: مجال البروز وحقل الاشتغال ونوعية الوظائف التي مارسها هؤلاء: العائلات الشريفة– العائلات العلمية– العائلات المخزنية– العائلات التجارية.

❖ **الفصل الثاني: وجهاء المجتمع المكناس ووظائفهم العامة خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

خصصنا هذا الفصل للحديث عن أهم الوظائف الرفيعة والخطط السامية التي شغلها وجهاء المجتمع المكناسي، مصنفين إياها إلى نوعين: خطط سلطانية (الوزارة– الحجابة– الكتابة– النظارة– الباشوية– الأمانة– السفارة). وخطط شرعية (القضاء– النقابة– الإفتاء– الحسبة– التوقيت– العدالة– التدريس– الخطابة– الإمامة). هذه الخطط أهلتهم للاضطلاع بأدوار مهمة.

❖ **الفصل الثالث: علاقات وجهاء المجتمع المكناسي بالسلاطين العلويين بين التقارب والقطيعة خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

استعرضنا في هذا الفصل طبيعة العلاقات التي جمعت بين وجهاء مكناس والسلاطين العلويين، والتي تأرجحت بين التقارب والاتصال والتوافق من جهة، والقطيعة والتنافر والتوتر، من جهة أخرى، مبرزين مظاهر تلك العلاقات وأشكالها، والوسائل المساهمة في تبلورها.

❖ **الفصل الرابع: وجهاء المجتمع المكناسي: علاقاتم البينية وصلاتهم المجتمعية خلال فترة ما قبل الاستعمار 1672– 1912م:**

تعرضنا في المبحث الأول لنوعية علاقات الوجهاء البينية، حيث ميزنا فيها بين شكلين: علاقات الصداقة والتقدير والاحترام المتبادل والمتمثل في كثير من المظاهر، وعلاقات اتسمت بالصراع والتنافس والتشاحن، محاولين البحث عن العوامل التي تحكمت في تحديد تلك العلاقات.

أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى العلاقات الناظمة بين الوجهاء وباقي الشرائح الاجتماعية بمدينة مكناس، والتي اتخذت طابعا إيجابيا تجسد في الأدوار التي نهض بها الوجهاء في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، استشعارا بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم. وطابعا سلبيا تجلى في التجاوزات المشينة والسلوكات السيئة التي مارسها الوجهاء في حق أهالي مدينتهم من تعسف وتسلط وتعدي على الحقوق.

❖ **الفصل الخامس: موقف وجهاء المجتمع بمكناس من التسرب الأجنبي في المغرب:**

حاولنا في هذا الفصل استعراض موقف وجهاء المجتمع المكناسي من قضية التغلغل الأجنبي في المغرب، من خلال تتبع تفاعلهم مع الآليات التي ارتكز عليها التغلغل، في مقدمتها الحمايات القنصلية، إذ وقع انقسام بينهم: بين مؤيد ومنخرط فيها، ومعارض ورافض الاستظلال بمظلتها، مبرزين ممارسات كل طرف. ثم تحدثنا عن موقف وجهاء مكناس من مشروع الإصلاحات الذي

أرادت فرنسا إدخالها إلى المغرب، وكيف أسهموا في إفشاله، لنختم هذا الفصل بالحديث عن ردة فعل الوجاء تجاه التدخل العسكري الفرنسي بمدينتهم.

خلاصات واستنتاجات:

من خلال دراستنا لموضوع وجهاء المجتمع بمكناس خلال فترة ما قبل الاستعمار، أمكننا الخروج بمجموعة من الخلاصات والاستنتاجات نجملها فيما يلي:

بينت الدراسة أن المجتمع المكناسي عرف ظاهرة الوجاهة كغيره من المجتمعات البشرية، حيث برزت فيه بيوتات (أسر/ عائلات) وجيهة حظيت بمكانة مرموقة داخل النسيج الاجتماعي في مدينة مكناس، بفضل امتلاكها لمقومات ذاتية ومؤهلات مكتسبة. وعليه، يمكن القول أنه كان مجتمعا طبقيا، اتسم بالتفاوت في طبيعة تركيبة عناصره البشرية، والذي اتخذ شكلا هرميا احتل فيه الوجهاء أعلى مراتبه. هذه البيوتات تميزت بخصائص: فعلى مستوى الاستقرار توصلنا إلى أن بعضها كان مستقرا قبل فترة موضوع دراستنا -1672- 1911م-، والبعض الآخر تشكل خلالها. أما على مستوى أصولها وجذورها سجلنا تعددا وتنوعا، فمنها ما كان مكناسي الأصل، ومنها ما انحدر من داخل المغرب (الشاوية، دكالة، تافيلالت، سوس، الريف وغيرها)، أو خارجه (الأندلس، المشرق العربي)، الأمر الذي أسهم في إغناء التشكيلة الحضرية للمدينة.

كما خلصت الدراسة أن شهرة البيوتات الوجيهة بمكناس استند على عوامل كثيرة، وعلى هذا الأساس وجدنا تفاوتا بين هذه البيوتات سواء من حيث عدد الأفراد الذين قدمهم كل بيت وجيه، أو مجال بروزهم وإشعاع. وهكذا توصلنا أن البيوتات العلمية والمخزنية كان أعلامهما أكثر حضورا وتأثيرا داخل المجتمع بمكناس، تجلى بشكل بارز في الوظائف التي تقلدها الوجهاء؛ حيث لا نكاد نجد بيت من البيوتات المكناسية لم يتقلد أفراده خطة من الخطط المهمة، وهو ما يعكس

مكانتهم ومنزلتهم داخل الجهاز المخزني؛ إذ كانوا محل ثقة السلاطين الذين حاولوا الاستفادة من رصيدهم الاجتماعي بما يملكونه من قيم معنوية ومادية، حتى صاروا من دعائم السلطة بالمغرب.

وارتباطا بمسألة الوظائف، أفصحت الدراسة عن بعض القضايا من قبيل: أن أغلب البيوتات المكناسية الوجيهة احتكر أعلامها الوظائف والخطط الرفيعة –من خلال الجداول التي أوردناها– وعملوا على توريثها لأبنائهم وأحفادهم، بما يضمن صيانة وجاهتهم وتجذير نفوذهم، بتشجيع ودعم من السلاطين العلويين، لكن بعضهم فشل في الحفاظ عليها، مما انعكس على جاههم الاجتماعي ووضعهم الاعتباري. إضافة إلى تردد بعضهم على وظائف متعددة في الوقت نفسه، وممارستها لفترة أطول؛ دل على إعجاب السلاطين بهم واقتناعهم بمؤهلاتهم وكفائتهم، وتقديرا لتفانيهم وإخلاصهم، على اعتبار مركزية السلاطين داخل بنية الدولة المغربية، وهو ما جعلهم يتصدرون مكانة متميزة داخل مجتمعهم؛ لأنهم يستمدون سلطتهم منهم وكذلك لحاجة الناس إليهم. وأخيرا أن الوظائف التي تقلدها هؤلاء الوجهاء تأرجحت ما بين وظيفة عامة في أعمال عامة كالوزارة والحجابة والكتابة والنظارة والسفارة، ومنهم من كانت وظيفته عامة في أعمال خاصة محصورة في نطاق محدد كالباشوات والقضاة والمحتسبين والمؤقتين.

إن هذه الوظائف بمختلف أنواعها كشفت مدى المساهمة المؤثرة لوجهاء المجتمع بمكناس في صناعة الأحداث والوقائع التي شهدتها مدينتهم بشكل خاص والمغرب بشكل عام، حيث مكنتهم من الاضطلاع بمهام ومسؤوليات، جعلت منهم عناصر فاعلة مرتبطة ارتباطا عضويا مع النسق السياسي العام للمخزن العلوي، وكذا مع النسق الاجتماعي، تمثلت أبرز ملامحه في تعدد العلاقات التي انخرطوا فيها، استحكمت في تحديد ملامحها المصالح الخاصة للأطراف المعنية.

وفي هذا السياق، أفصحت الدراسة عن الروابط والصلات التي جمعت وجهاء المجتمع بمكناس بالسلاطين العلويين، اتضح من خلال تتبع مسارها أنها تأرجحت ما بين التقارب والاتصال والاحتواء من جهة، ساهم فيها حاجة كل منهما للآخر، فإذا كان السلاطين حرصوا

على استمالتهم واستقطابهم لكسب ولاءهم وتبعيتهم من أجل توظيفهم كآداة ضامنة لاستقرار سلطتهم وتوطيد دعائم نفوذهم، فإن الوجهاء بالمقابل كانوا في حاجة إلى التقرب من السلاطين، لما يشكلونه من مظلة لا يمكن الاستغناء عنها للحفاظ على مكانتهم الرفيعة وتبوء المنزلتة اللائقة في هرم البناء الاجتماعي، لذلك عمل كل طرف على انتهاج أساليب ووسائل تعزز ذلك التقارب والتعاون. ومن جهة لأخرى اتسمت بالتباعد والانفصال والتنافر في بعض الفترات، تجلت في مجموعة من المظاهر كان السلاطين الطرف المتحكم في نتائجها، أملتها الظروف التي عاشها المغرب خلال الفترة موضوع دراستنا، جعلتهم يدركون خطورة الأمر، زكتها تصرفات بعض الوجهاء المشينة وتجاوزاتهم وتهاونهم في القيام بالمسؤوليات المسندة إليهم، والملاحظة الجديرة بالذكر التي سجلناه هي أن موقف الوجهاء ورد فعلهم اتسم بالقبول والاستسلام.

وعموما خلصت الدراسة أن علاقات التقارب بين الوجهاء والسلاطين تزداد بصورة واضحة خلال فترات الهدوء النسبي التي سادت المغرب، في حين تشتد علاقات التنازع والتدابر خلال فترات الاضطربات والفتن. وبالتالي يمكن القول أن تأرجح العلاقات بين الطرفين شكل منعطفا مفصليا في تحديد مسارها.

أما فيما يتعلق بالعلاقة الوجهائية البينية فقد تميزت –في الأغلب الأعم– بخاصية التفاهم والوفاق والاحترام المتبادل، برهنت عليها الكثير من الشواهد، دفعهم إلى بناء تلك العلاقة رغبتهم في تثبيت مكانتهم وتعزيز جاههم، من خلال تجنب الاصطدام وما يشكله من خطر على مكانتهم ومنزلتهم داخل المجتمع المكناسي، فانتهجوا مجموعة من الوسائل والآليات ساعدتهم على تكوين شبكة علائقية يطبعها التقدير والتعاون، بما يضمن لهم سبل الاتصال وتقليل الخلافات والصراعات. ورغم ذلك فقد تخللت هذه العلاقات

بعض الصراعات والنزاعات والتشاحنات، كان دافعها الأساسي التنافس والتزاحم على المناصب والخطط الرفيعة، الضامنة لصيانة جاههم واستمرار حضورهم، فبذلوا جهودا حثيثة في إطار الإقصاء والإقصاء المضاد، تجلت مظاهره في كثير من المواقف والأحداث.

كما اتسمت العلاقات الناظمة بين الوجهاء وباقي شرائح المجتمع المكناسي بطابع التأثير والتأثر، عملنا على توضيح بعض معالمها من خلال تصنيفها إلى نوعين: إيجابية تمثلت في الإسهامات الكبيرة والأدوار العديدة التي اضطلعوا بها تجاه أهالي مدينتهم، وتفاعلهم مع مختلف القضايا التي تهمهم، أظهرت مدى وعيهم وإدراكهم أهمية النهوض بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، فتصدر المجتمع بقدر ماهو تشريف يجعل بعض الأفراد يحتلون مواقع مهمة ومراكز علية، بقدر ما هو تكليف يطوق رقابهم له تبعات علة وضعهم الاجتماعي. وفي هذا الإطار، أوضحت الدراسة حرص الوجهاء على خدمة فئات المجتمع بمكناس، عبر تلبية حاجياتهم وقضاء حوائجهم، مستهدفين النهوض بأوضاعهم وتخفيف معاناتهم، وهكذا اتخذت هذه الخدمة صورا وأشكالا كثيرة، تدل على الرقي الفكري والأخلاقي، أثبتت دورهم المفصلي في استقرار مجتمعهم، وبالتالي تحقيق ترابطهم العضوي.

وفي المقابل سجلت الدراسة استفادة الوجهاء من خدمة المجتمع، ذلك لأنه يشكل الإطار الذي يمكنهممن ممارسة جاهم وتوطيد نفوذهم، فلا يستطيعون صون مكانتهم ومنزلتهم فقط بالاعتماد على قدراتهم الذاتية ومؤهلاتهم المكتسبة، بل لا بد من بيئة حاضنة تشكل أرضية للنهوض بأدوار تحفظ لهم وزنهم وحضورهم.

تلك العلاقات لم تكن دائما لإيجابية، إذ تميزت –في بعض الفترات– بالسلبية، تجلت في الأهوال المحن والفتن التي عانى منها الأهالي جراء التجاوزات الخطيرة والسلوكات الفظيعة لبعض الوجهاء، انعكست بشكل سيئ على أوضاع المدينة بمختلف مكوناتها.

أظهرت الدراسة أن وجهاء المجتمع بمكناس لم يشكلوا وحدة اجتماعية متجانسة من قضية التسرب الأوربي بمدينتهم، والتي ارتكزت على ثلاث آليات: الحماية القنصلية ومشروع الإصلاحات الفرنسي والهجوم العسكري على المدينة. ففي مسألة الحماية القنصلية تباينت

مواقفهم تجاهها، فبينما حرصت قلة قليلة من الوجهاء الانخراط في نظام الحماية القنصلية والاستظلال بمظلتها معظمهم ينتمي إلى الطائفة اليهودية، عبر التعامل مع الأجانب ومخالطتهم، مستهدفين تدعيم مركزهم وتحصين مكانتهم بما يضمن ترسيخ نفوذهم، على اعتبار أنه نظام يخول لهم الكثير من الامتيازات القضائية والجبائية، في الوقت نفسه عبرت الأغلبية العظمى عن رفضها الدخول في ذلك النظام، لما يشكله من خطر على كيان المغرب ووحدته وسيادته، فاضطلعوا في هذا الإطار بأدوار ريادية رمت التضييق على المحميين.

أما مسألة مشروع الإصلاحات الفرنسي، فقد سجلت الدراسة موقفا إيجابيا لوجهاء مدينة مكناس منه، تجلى في انخراطهم بمسؤولية كبيرة في إفشال المشروع إلى جانب ثلة من أعيان باقي مناطق المغرب ضمن "مجلس الأعيان، فمن خلال تحرير مذكرة جامعة تشمل مقترحات إصلاحية تناقض مشروع فرنسا. وأخيرا مسألة الاحتلال الفرنسي لمكناس سنة 1911م، خلصت الدراسة أن موقفهم كان سلبيا –في حدود ما اطلعنا عليه من وثائق–، إذ لم تشهد هذه القضية انقساما مثل باقي القضايا المرتبطة بالتغلغل الأوربي، وحاولنا تفسير ذلك بظروف موضوعية وسياقات واقعية.

وختاما، حاولت الدراسة –في حدود المستطاع– من خلال النتائج المتوصل إليها أن تضعنا أمام حقيقة تاريخية، تتمثل في أن وجهاء مكناس نهضوا بأدوار متميزة في تايخ مدينتهم خلال فترة ما قبل الاستعمار، عملنا على تسليط الأضواء عن بعض جوانبها، وهو ما يفتح –في اعتقادنا– آفاقا جديدة في دراسة طبقات المجتمع بمكناس وفئاته بشكل أكبر وأدق، مما يسمح بتجاوز المواضيع التي حصرت دراسة المدينة من جوانب سياسية وعمرانية بحثة طيلة فترات سابقة.